قواعد النشر

أولاً : شروط النشر

- ١- أن يكون البحث متسماً بالأصالة والابتكار، والمنهجية العلمية، وسلامة الاتجاه، وصحة اللغة، وجودة الأسلوب.
 - ٢- ألا يكون البحث قد سبق نشره، أو قدم للنشر لجهة أخرى.
 - ٣- جميع البحوث المقدمة للنشر في المجلة خاضعة للتحكيم.

ثانيا: تعليمات النشر

- ١- يقدم الباحث طلباً بنشر بحثه.
- ٧- يتقدم الباحث بخمس نسخ مطبوعة عبارة عن (أصل وأربع صور) باللغة العربية منسوخة بواسطة الحاسب الآلي ببر نامج (Microsoft Word) مع ترك (٣ سم) لكل هامش، ومرقمة ترقيماً متسلسلاً، بما يُذلك الأشكال والبحداول، بالإضافة إلى نسخة إلكترونية وملخص باللغتين العربية والإنجليزية، بحيث لا تزيد كلماته عن (٢٠٠) كلمة أو صفحة واحدة.
 - ٣- تكون الكتابة بالخط المشهور Traditional Arabicl العناوين بحجم (٢٠) أسود، والمتن بحجم (١٨) عادي، والحواشي بحجم (١٤) عادي.
 - ٤- لا تزيد صفحات البحث عن ستين صفحة.
 - ٥- يكتب عنوان البحث، واسم الباحث، وعنوانه، ولقبه العلمي، والجهة التي يعمل بها.
 - ٦- يتم العزو إلى المراجع وفق ما يلى:
 - أ) الكتب: ويعزى إليها بإحدى طريقتين ولا مانع من استخدامهما في البحث الواحد.

الطريقة الأولى: ذكر المرجع في متن البحث باسمه المختصر، يليه الجزء والصفحة، ورقم الحديث أو الفقرة إن وجد، مثال ذلك: أخرجه البخاري في صحيحه (٨٨/١ - ٦٦٦) أو قال النووي في المجموع ٢٩/٨ : "...."

الطريقة الثانية: ذكر المرجع في الحاشية، فيضع الباحث رقماً للحاشية في المكان المناسب، ثم يضع الحاشية أسفل الصفحة مثال ذلك: قال ابن قدامة "......" (١)

- ب) الدوريات: ويعزى إليها في الحاشية بذكر عنوان البحث ثم اسم الدورية التي هو فيها، مثال ذلك: وذكر الدكتور في بحثه أنه لم يقف على أحد قال بهذا " " (٢).
 - ٧- توضع حواشي كل صفحة أسفلها.
- ٨- في مسرد المراجع يبدأ بذكر اسم الكتاب كاملاً، ثم مؤلفه، وسنة الوفاة، ثم من تولى طبعه وسنة الطبع، وكذا في الدوريات يذكر
 عنوان البحث ثم صاحبه ثم اسم المجلة وعددها.
- 9- عند ورود أعلام إسلامية وعربية في متن البحث أو الدراسة، تذكر سنة الوفاة بالتاريخ الهجري إذا كان العلم متوفى، وإذا كانت الأعلام أجنبية فإنها تكتب بحروف عربية، وبين قوسين بحروف لاتينية، ويذكر الاسم كاملاً عند وروده لأول مرة.
 - ١٠- لا يجوز إعادة نشر أبحاث المجلة في أي مطبوعة أخرى إلا بإذن كتابي من رئيس التحرير.
 - ١١- لا يعاد البحث إلى صاحبه سواء نشرأم لم ينشر.
- ١٢- يعطى الباحث نسختين من المجلة، وعشرين مستلة من بحثه المنشور بدون مقابل، على أن يتحمل المؤلف تكاليف ما زاد عن ذلك طبقاً
 لما تقرره هيئة التحرير.
 - ١٣- يلزم الباحث إجراء التعديلات المنصوص عليها في تقارير المحكمين، مع تعليل مالم يعدل.
 - ١٤- تعبر المواد المنشورة في المجلة عن آراء أصحابها فقط.

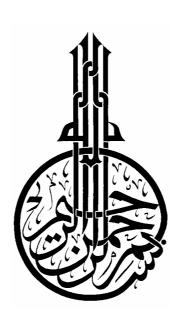
عناوين المراسلة

ترسل جميع مواد النشر والمكاتبات إلى:

المجلة العلمية لجامعة القصيم (العلوم الشرعية). ص.ب/ ٦٦٠٠ الرمز/ ٥١٤٥٢ بريدة - المملكة العربية السعودية هاتف ٥١٤٥٣ (٠٦) (٠٦) (٣٢٠ عاتف مباشر وفاكس/ ٣٢٢٠٣٥٨ (٠٦) بريد إلكتروني - mgllah@gawab.com - موقع إلكتروني: www.qumg.net

(۱) المغني ٦/ ٣٢٢

(٢) التأمين التعاوني - مجلة كلية الشريعة - جامعة أم القرى ، العدد: ص:



(/) - ()

المجلد الثاني العدد (١)

مجلة العلوم الشرعية

(محرم ١٤٣٠هـ)

الجلة العلمية لجامعة القصيم



النشر العلمي والترجمة

خَالِمُعَمَّ لِقِصِيمُ عَمَّ الْقِصِيمُ عَمَّ الْقِصِيمُ عَمَّ الْقِصِيمُ عَمَّ الْقِصِيمُ عَمَّ الْقِصِيمُ عَ

هيئة التحرير

رئيس التحرير

أ.د. عبدالله بن محمد الطيار

الأستاذ الدكتور بقسم الفقه، في كلية الشريعة وأصول الدين بجامعة القصيم.

الأعضاء

أ.د. سليمان بن إبراهيم اللاحم

الأستاذ الدكتور بقسم القرآن وعلومه، في كلية الشريعة وأصول الدين بجامعة القصيم.

أ.د. صالح بن محمد الحسن

الأستاذ الدكتور بقسم الفقه، في كلية الشريعة وأصول الدين بجامعة القصيم.

أ.د. سعود بن حمد الصقري

الأستاذ الدكتور بقسم العقيدة في كلية الشريعة وأصول الدين بجامعة القصيم.

د. إبراهيم بن عبدالله اللاحم

الأستاذ المشارك بقسم السنة في كلية الشريعة وأصول الدين بجامعة القصيم.

/

(/) - () ()

المحتويات

حقوق اليتيم في القرآن الكريم
النور في القرآن الكريم دراسة موضوعية
التوكل على الله في ضوء القرآن
الرجوع عن الإقرار بالحقوق في الفقه الإسلامي
آيات الخشوع "دراسة تفسيرية"
حكم الإغراء بإنهاء العقد
مقاصد الشريعة في فريضة الجهاد

(/) - () ()

-

(قدم للنشر ۱۰/۱۰/۱۰/۱هـ؛ وقبل للنشر ۱٤٢٨/۱۱/۲هـ)

. يتكون هذا البحث من: مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة، ثم ملحقين الأول في فضل كفالة اليتيم، والثاني في جهود المملكة في رعاية وكفالة اليتامي، ثم الفهارس.

التمهيد فيه أهمية الموضوع وسبب اختياره، والباب الأول: فيه خمسة مباحث: الأول: في تعريف اليتيم لغة وشرعا، والفرق بين اليتيم واللقيط، والثاني: في عناية الإسلام باليتيم وقد ورد ذكر اليتامى في القرآن ثلاث وعشرين مرة، في اثنتي عشرة سورة، وكذلك ورد في أحاديث كثيرة جملة من حقوق اليتامى.

والمبحث الثالث: في إكرام اليتيم، والمبحث الرابع في الإنفاق على اليتيم وإطعامه، والمبحث الخامس: في مواساة اليتيم.

الباب الثاني: فيه ثلاثة مباحث الأول: في نكاح اليتيمة، والثاني: متى يدفع إلى اليتيم ماله وفيه مطلبان الأول: في امتحان الذكر، والثاني: في امتحان الأنثى، والمبحث الثالث: في الوعيد على أكل مال اليتيم.

والباب الثالث: فيه خمسة مباحث، الأول: في حكم الاتجار في مال اليتيم، وقد تبين لي أنه يتعين على الولي الاتجار بمال اليتيم حتى لا ينفد المال قبل بلوغ اليتيم.

والثاني: في أكل الولي من مال اليتيم، وتبين لي من خلال البحث أن للولي المحتاج أن يأكل من مال يتيمه بالمعروف.

والثالث: في حكم مخالطة اليتيم في ماله، والرابع: في حق اليتيم من التركة والخامس: في حق اليتيم من الغنيمة والفيء.

والخاتمة: فيها أهم نتائج البحث، والملحق الأول: في فضل كفالة اليتيم.

والملحق الثاني: في جهود المملكة في رعاية وكفالة اليتامي.

وأخيرا فهرس المراجع.

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين فصلاة ربي وسلامه عليه أما بعد:

فقد نزل القرآن لهداية البشرية وإنقاذها من براثن الجاهلية، واعتنى بالإنسان أفضل عناية، وأرشده لأهدى السبل وأقوم الطرق ونظم حياته وصحته وعقله وكسبه ووضعه، على مستوى الفرد أو المجتمع أو الطبقات، ومن ذلك: عناية الإسلام بطبقة الأيتام، حيث حظيت هذه الطبقة بعناية فائقة وشاملة لجميع مناحي الحياة، يظهر ذلك عند تتبع آيات اليتامى في القرآن الكريم ودرسها دراسة موضوعية، حيث إن طبقة اليتامى من أضعف الطبقات في المجتمع، لكن شمولية الإسلام عمت جميع أفرادهم وطبقاتهم، ولم تدعهم نهبا للجاهلية العمياء، ولا للأولياء الظلمة، لغير ذنب اقترفوه ولا لعيب اتصفوا به فإن وصف اليتم لو كان عيبا لما اختار الله أفضل الرسل وأشرف الخليقة على الإطلاق يتيما وهو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، كما قال سبحانه: ﴿ أَلُمْ يَجِدُكَ يَتِيمًا فَاوَى ﴾ الضحى: ٦ وكان يلقب في الجاهلية: يتيم أبي طالب، لأن عمه هو الذي رباه.

إن هذا الموضوع يتناول جانبا عظيما ومهما، أفرد له القرآن الكريم طائفة من الآيات الخاصة، التي تتحدث عنه وترفع من مستواه، فإن طبقة الأيتام من أضعف الطبقات في المجتمعات، وهم بحاجة إلى الحماية والرعاية والعناية الخاصة، لصغرهم وضعفهم.

وسترى من خلال هذا البحث، كيف أن الإسلام رفع من مستوى هذه الطبقة وحفظ حقوقهم، وتوعد الوعيد الشديد على من أكل أموالهم، أو اعتدى عليهم بأي نوع من الأذى. وهذا بلا شك دليل على عظمة هذا الدين وشموله وصلاحيته لكل زمان ومكان.

يتكون هذا البحث بعد هذه المقدمة من تمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة:

- : فيه أهمية الموضوع وسبب اختياره.
- : العناية باليتيم منذ نشأته. وفيه عدة مباحث:
 - : تعريف اليتيم.
 - : عناية الإسلام باليتيم.
 - : إكرام اليتيم.

- : الإنفاق على اليتيم وإطعامه.
- : مواساة اليتيم والإحسان إليه.
 - : فضل كفالة اليتيم.
- : عناية المسلمين قديما وحديثا برعاية وكفالة الأيتام.
 - : في أحوال اليتيم بعد البلوغ. وفيه عدة مباحث:
 - : نكاح اليتيمة.
 - : متى يدفع إلى اليتيم ماله، وفيه مطلبان:
 - : امتحان الذكر، المطلب الثاني: امتحان الأنثي.
 - : في أموال اليتيم. وفيه عدة مباحث:
 - : الوعيد على أكل مال اليتيم
 - : حكم الاتجار بمال اليتيم..
 - : أكل الولي من مال اليتيم .
 - : حكم مخالطة اليتيم في ماله.
 - : حق اليتيم من التركة.
 - : حق اليتيم من الغنيمة والفيء.
 - : وفيها أهم نتائج البحث.

.

تأتي أهمية هذا الموضوع، من كونه يتعلق بدراسة علم من أشرف العلوم وهو: كتاب الله تعالى، فهذا الموضوع جمع لآيات اليتامى في القرآن الكريم وتفسير لها وكذلك هو يتناول: طائفة من أضعف الطوائف في المجتمع، وهي جديرة بالعناية والرعاية

1- أن هذا الموضوع يتناول طائفة من أبناء المجتمع التي لا يكاد يخلو منها مجتمع من المجتمعات مهما صغر، بل قد لا تخلو منها أسرة، وذلك لسنة الله في الوفاة، فيبقى أبناء المتوفى أيتاما بعده، فهذه الطبقة تمثل شريحة من المجتمع لا يمكن تجاهلها أو الاستهانة بها. وكذا ما ينتج عن الحروب والكوارث.

٢- كون هذا الموضوع يسهم في جانب التفسير الموضوعي للقرآن الكريم حيث إن هذا الفن من التفسير في غاية الأهمية في حياتنا، بحيث يستنير كل مسلم بهدي القرآن، ويصحح علاقاته مع الله ومع من حوله من البشر، فيكون منهجه قرآنيا وسلوكه شرعيا.

٣- الا قتداء بهدي الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث كان خلقه القرآن وهديه نصرة المظلوم وحماية
 حق الضعيف.

٤- إبراز عظمة الدين الإسلامي، في جانب فقدته كل المناهج البشرية الوضعية، وهو جانب العدل والمساواة بين فئات المجتمع، حيث إن إظهار هذا الجانب مما يزيد من تمسك أهله به، وكذلك اقتداء غيرهم بهم لما يرون من التكافل بين جميع الطبقات.

واظهار رحمة الله سبحانه وتعالى بخلقه، فمن آثار تلك الرحمة اشتمال القرآن الكريم على طائفة كبيرة من الآيات تتحدث وتعالج وضع طبقة من أضعف الطبقات في المجتمع، لكى يعيش المجتمع متماسكا قويا.

٦- كما أن البحث في هذا الموضوع سبب لتحقيق النصرة والرزق بإذن الله مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم: (هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم(١).

:

:

اليُتم: الإنفراد واليتيم: الفرد، قال الفضل: أصل اليتم: الغفلة، وبه سمي اليتيم يتيما لأنه يتغافل عن بره، وقال أبو عمرو: اليتم الإبطاء، ومنه أخذ اليتيم لأن البريبطئ عنه وكل شيء منفرد بغير نظيره فهو يتيم يقال: درة يتيمة، واليتم في الناس من قبل الأب وفي سائر الحيوان من قبل الأم، وفي الطيور من قبل الأب والأم معا، ولا يقال لمن فقد الأم من الناس يتيم ولكن منقطع، قال ابن بري: اليتيم: الذي يموت أبوه، والعجي الذي تموت أمه واللطيم الذي عوت أبواه (٢).

ب) تهذيب اللغة للأزهري ٢٣٩/١٤

أ) جمهرة اللغة لابن دريد ٣٠/٢

د) لسان العرب لابن منظور ١٢/٦٤٥

ج) معجم مقاييس اللغة لابن فارس٦/١٥٤

⁽١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير/ باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب ٢٢٥/٣/١

⁽٢) انظر مادة: (يتم) في المصادر التالية:

وقال ابن عاشور: (واليتامى جمع يتيم وجمع يتيمة، فإذا جمعت به يتيمة فهو فعائل أصله يتائم فوقع فيه قلب مكاني فقالوا يَتَامِئُ ثم حذفوا الهمزة فصارت ألفا وحركت الميم بالفتح، وإذا جمع به يتيم فهو إما جمع الجمع بأن جمع أولا على يتمى كما قالوا: أسير وأسرى، ثم جمع على يتامى مثل أسارى بفتح الهمزة، أو جُمِع فعيل على فعائل لكونه صار اسما مثل: أفيل وأفائل، ثم صنع به من القلب ما ذكرناه آنفا. وقد نطقت العرب بجمع يتيمة على يتائم، وبجمع فعيل على فعائل، واشتقاق اليتيم من الانفراد ومنه الدرة اليتيمة، أي المنفردة بالحسن، وفعله من باب ضرب وهو قاصر، وأطلقه العرب على من فُقِدَ أبوه في حال صغره كأنه بقي منفردا لا يجد من يدفع عنه، ولم يعتد العرب بفقد الأم في إطلاق وصف اليتيم إذ لا يعدم الولد كافله، ولكنه يعدم بفقد أبيه من يدافع عنه وينفقه. وقد ظهر مما راعوه في الاشتقاق أن الذي يبلغ مبلغ الرجال لا يستحق أن يسمى يتيما إذ قد بلغ مبلغ الدفع عن نفسه، وذلك هو إطلاق الشريعة لاسم اليتيم والأصل عدم النقل) (٣).

اليتيم: هو الذي مات أبوه وهو دون سن البلوغ، كذا خصه الشرع لقوله صلى الله عليه وسلم: (لا يتم بعد احتلام)(٤٠).

وقال الزمخشري: (وحق هذا الاسم أن يقع على الصغار والكبار، لبقاء معنى الانفراد عن الآباء، إلا أنه قد غلب أن يسموا به قبل أن يبلغوا مبلغ الرجال، فإذا استغنوا بأنفسهم عن كافل وقائم عليهم وانتصبوا كفاة يكفلون غيرهم ويقومون عليهم زال عنهم هذا الاسم وكانت قريش تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم: (يتيم أبي طالب) إما على القياس وإما حكاية للحال التي كان عليها صغيرا ناشئا في حجر عمه توضيعا له)(٥).

وقال ابن العربي: (وهو عند العرب اسم لكل من لا أب له من الآدميين حتى يبلغ الحلم فإذا بلغ خرج عن هذا الاسم، وصار في جملة الرجال)(٢).

وقال ابن قدامه: (اليتامي هم الذين لا آباء لهم ولم يبلغوا الحلم)(٧).

⁽٣) انظر التحرير والتنوير لابن عاشور ٢١٩/٤

⁽٤) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الوصايا / باب متى ينقطع اليتم عن علي رضي الله عنه انظر٢٩٣/٣.

وقال عنه ابن حجر: إسناده حسن، انظر الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف ملحق بتفسير الكشاف ٣٧/٤

وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى عن جابر بن عبد الله انظر السنن الكبرى كتاب الخلع والطلاق / باب الطلاق قبل النكاح ٣١٩/٧. وأخرجه عبد الرزاق في المصنف عن جابر أيضا، انظر المصنف كتاب الطلاق / باب لارضاع بعد فصام ٤٦٤/٧.

⁽٥) انظر الكشاف للزمخشري ٢٤٢/١.

⁽٦) انظر أحكام القرآن، لابن العربي ١ /٣٠٨.

⁽٧) انظر المغني، لابن قدامه ٢٩٦/٩.

: هذا تعريف اليتم الطبيعي، أما بالنسبة للقيط فيختلف عنه من ناحية التعريف وإن كان كل منهما ليس له أب يقوم برعايته.

تعريف اللقيط لغة: هو الطفل المنبوذ في الطريق لا يعرف أبواه، على وزن فعيل بمعنى مفعول والذي يأخذه يقال له: الملتقط (^)

أما تعريفه في الاصطلاح: فهو اسم لحي مولود طرحه أهله؛ خوفا من العيلة أو فرارا من تهمة الزنا^(١).

المراد بهذا المبحث: هو النظر إلى الوضع العام لهذا الصنف، وهم اليتامي عموما، فليس المقصود به حالة معينة أو وضعا معينا، وإلا فإن هذا البحث كله دليل على عناية الإسلام بهذا الصنف.

فقد اعتنى الإسلام منذ بزوغ شمسه باليتيم عناية فائقة، وذلك في عدد من الآيات في القرآن الكريم، سواء في السور المكية أو المدنية، في عدة مواضع، متضمنة المحافظة عليه وإصلاح شأنه من جميع النواحي البدنية والمالية والاجتماعية، في حاضره ومستقبل حياته فجاء ذكر اليتامى في القرآن بصيغة الجمع والمثنى والمفرد، مكررا ثلاثا وعشرين مرة، في اثنتي عشرة سورة، متناولا جميع أحواله وإليك الإشارة إلى ذلك:

:

البقرة: ٨٣)
 الهقرة: ٨٣)
 الهقرة: ٨٣)

٢- قول - عصالى: ﴿ لَيْسَ ٱلْبِرَ أَن تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَكِنَ ٱلْبِرَ مَنْ ءَامَنَ بِاللّهِ وَٱلْمَوْوِ ٱلْآخِرِ وَٱلْمَنْرِينَ وَالْمَسْكِينَ وَٱلنّبِيلِ وَٱلسّآبِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلْمَلَاثِ حَالْكَ السّبِيلِ وَٱلسّآبِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلْمَلَاثِ وَالسّآبِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَلْمَلَاثَ وَعَالَى السّبِيلِ وَٱلسّآبِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلْمَلَاقَ وَمَانَى ٱلرَّكُونَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَنهَدُوا أَوْالصّابِرِينَ فِي ٱلْبَالْسَآءِ وَٱلضَّرَاةِ وَحِينَ ٱلْبَأْسُ أَوْلَئِيكَ ٱلّذِينَ صَدَقُوا أَوْلَئِيكَ هُمُ ٱلمُنْتَقُونَ ﴾ (البقرة: ١٧٧)

٣- قوله تعالى: ﴿ يَشْعُلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۚ قُلْ مَاۤ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَمَى وَٱلْسَكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّكِيلِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِ عَلِيهُ ﴾ (البقرة: ٢١٥)

⁽٨) انظر لسان العرب مادة لقط ٣٩٢/٧

⁽٩) انظر المبسوط للسرخسي ١٠٩/١٠

٤ - قوله تعالى: ﴿ وَيَسْتَلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَهَى قُلْ إِصْلاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَ نُكُمْ وَٱللّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَمِنَ ٱلْمُصْلِحُ وَلَوْ شَاءَ ٱللّهُ لَأَعْنَ تَكُمُ إِنَّ ٱللّهَ عَن يَزُ حَكِيمٌ ﴾ (البقرة: ٢٢٠)

:

- ٥- قوله تعالى: ﴿ وَءَاثُوا ٱلْيَنْهَىٰ آمُولَهُمْ وَلَا تَنَبَدَّ لُوا ٱلْخِيثَ بِالطَّيِّبِ ۖ وَلا تَأْكُلُواْ أَمُولِكُمْ إِلَىٰ آمُولِكُمْ إِنَّهُ مَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾
- حول تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُم أَلَا نُقْسِطُوا فِي ٱلْيَنْهَى فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَى وَثُلَثَ وَرُبِكُعٌ فَإِنْ خِفْتُم أَلَا نَعْدِلُواْ
 فَوَعِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانَكُمُ ۚ ذَلِكَ أَذَنَ ٱلَّا تَعُولُوا ﴾ (النساء: ٣)
- ٧- قوله تعالى: ﴿ وَٱبْنَلُواۤ ٱلْمِنْكَىٰ حَتَىٰ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمُ رُشُدًا فَادَفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمُولَهُمْ وَلاَ تَأْكُلُوهَاۤ إِسْرَافَا وَبِدَارًا أَن يَكُبُرُواْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلُ بِٱلْمَعُ وَفِ فَإِذَا دَفَعَتُمْ إِلَيْهِمْ أَمُولَهُمْ فَأَشْمِدُواْ عَلَيْمٍ مَّ وَكَفَى بِاللّهِ حَسِيبًا ﴾ يكثرُواْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلُ بِٱلْمَعُ وَفِ فَإِذَا دَفَعَتُمْ إِلَيْهِمْ أَمُولَهُمْ فَأَشْمِدُواْ عَلَيْمٍ مَ وَكَفَى بِاللّهِ حَسِيبًا ﴾ (النساء: ٦)
- ٨- قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُولُوا ٱلْقُرْبَى وَٱلْمِنَكِينَ وَٱلْمَسَكِينَ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾
 - ٩- قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمُوالَ ٱلْمِتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْكَ سَعِيرًا ﴾
- ١٠ قول تعالى: ﴿ وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ مَشَيْعًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنَا وَبِذِى الْقُرْبَى وَالْيَتَنَمَى وَالْمَسَكِينِ وَالْمَسَلَمِينَ وَالْمَسَكِينِ وَالْمَسَلِيقِ وَالْمَسَكِينِ وَالْمَسَكِينِ وَالْمَسَكِينِ وَالْمَسَكِينِ وَالْمَسَكِينِ وَالْمَسَكِينِ وَالْمَسَلِيقِينَ وَالْمَسَكِينِ وَالْمَسَلِيقِينَ وَالْمَسَلِيقِينَ وَالْمَسَلِيقِينِ وَالْمَسَلِيقِينِ وَالْمَسَلِيقِينِ وَالْمَسَلِيقِينَ وَالْمَسَلِيقِينِ وَالْمَسَلَعِينِ وَالْمَسَلِيقِينِ وَالْمَسَلِيقِينِ وَالْمَسَلِيقِينَ وَالْمَسَلِيقِينِ وَالْمَسَلِيقِينِ وَالْمَسَلَمِينَ وَالْمَسَلِيقِينِ وَالْمَسَلِيقِينِ وَالْمَسَلِيقِينِ وَمَا مَلَكُتُ أَيْمَنْكُمُ أَلِينَ اللّهَ لَا يُعِينُ مَا مَلَكُمْ أَلِينَ اللّهِ وَمَا مَلَكُمْ أَلْمُسَلِيقِينِ وَالْمَسَاءِ وَالْمَسَلِيقِينِ وَالْمَسَلِيقِينِ وَمَا مَلَكُمْ أَيْمِنْكُمُ أَلْمُ اللّهِ وَالْمَسَاءِ وَالْمَسَلِيقِينِ وَالْمَسَاءِ وَالْمَسَلِيقِينَ وَالْمَسَاءِ وَالْمَسَلِيقِينَ وَالْمَسَاءِ وَالْمَسَلِيقِينَ وَالْمَسَاءِ وَالْمَسْلِيقِينَ وَالْمَسْلِيقِينَ وَالْمَسْلِيقِينِ وَالْمَسْلِيقِينِ وَالْمَسْلِيقِينَ وَالْمَسْلِيقِينِ وَالْمَسْلِيقِينِ وَالْمَسْلِيقِينَ وَالْمَسْلِيقِينَ وَالْمَسْلِيقِينَالِمِينِ وَالْمَسْلِيقِينَ وَالْمَسْلِيقِينَ وَالْمَسْلِيقِينَ وَالْمَسْلِيقِينِ وَالْمُسْلِيقِينَ وَالْمُسْلِيقِينَ وَالْمُسْلِيقِينَ وَالْمُسْلِيقِينَ وَالْمُسْلِيقِينَ وَالْمُسْلِيقِيقِ وَالْمُسْلِيقِينَ وَالْمُسْلِيقِينِ وَالْمُسْلِيقِينَ وَالْمُسْلِيقِينَ وَالْمُسْلِيقِيقِيلُواللّهِ وَالْمُسْلِيقِينَ وَالْمُسْلِيقِينَ وَالْمُسْلِيقِينَ وَالْمُسْلِيقِينَ وَالْمُسْلِيقِيقِيلُوا وَالْمُسْلِيقِيقِيقِيلُوا وَالْمُسْلِيقِيقِيلُوا وَالْمُسْلِيقِيلِ
- ١١- قول تعالى: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءَ قُلُ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتَلَى عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَبِ فِي يَتَمَى النِّسَآءِ ٱلَّذِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُنِبَ لَهُنَّ وَرَّغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَانِ وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَكَىٰ بِٱلْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴾ (النساء: ١٢٧)

:

١٢- قوله تعالى: ﴿ وَلَا نَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِاللِّي هِىَ آَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ آشُدَهُۥ وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ أَوْفُواْ أَذَٰلِكُمْ وَصَّنَكُم بِهِ لَعَلَكُمُ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمُ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْيَى فَيْ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّنَكُم بِهِ لَعَلَكُمُ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُم فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْيَى فَيْ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَنَكُم بِهِ لَعَلَكُمُ لَا نَكُمُ وَلَا يَعْمُ لَهُ اللَّهُ وَقُولُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْيَى فَيْ يَبْلُغُ اللَّهُ وَلَوْ وَلَوْ عَلَالًا وَلَوْ عَلَا اللَّهُ وَلَوْ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّ

•

۱۳ - قول تعالى: ﴿ وَأَعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسُهُ وَ لِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَى وَٱلْمَسَكِينِ وَٱبْنِ اللَّهُ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِ نَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَ إِنْ يَوْمَ ٱلْفَقَى ٱلْجَمْعَانِّ وَٱللَّهُ عَلَى كُنتُمْ عِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِ نَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَ إِنِ يَوْمَ ٱلْفَقَى ٱلْجَمْعَانِّ وَٱللَّهُ عَلَى كُنتُمْ عِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِ نَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَ إِنْ يَوْمَ ٱلْفَيْ وَاللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى عَبْدِ عَلَيْ عَلَى اللَّهُ عَلَى عَبْدِ عَلَيْكُونَا عَلَيْكُونَا عَلَى عَبْدِينَا عَلَى عَلْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى عَلَى عَلَيْكُونَا عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى عَلَى عَلَى عَلَى عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى عَلَيْكُونَا عَلَى عَلَى عَلَى عَلَى عَلَى عَلَى عَلَى اللَّهُ عَلَى عَلَى اللَّهُ عَلَى ع

.

١٤ - قولـــه تعــالى: ﴿ وَلَا نَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْمِيَتِمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْتُولًا ﴾ (الإسراء: ٣٤)

:

10- قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَعْتَهُ كَنَّرٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا ٓ أَشُدَهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن زَيِكَ وَمَا فَعَلْنُهُ وَمَنْ أَمْرِئَ ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَالَة تَسْطِع عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾

:

١٦- قول ه تعالى: ﴿ مَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ عَنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى الْقُرُفَى وَالْمَسَكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَى السَّبِيلِ كَى السَّبِيلِ كَنْ لَا يَكُونَ دُولَةُ أَيْنَ اللَّغَيْنِيَاءِ مِنكُمُ وَمَا ءَانكُمُ الرَّسُولُ فَخُدُوهُ وَمَا نَهَ لَكُمْ عَنْهُ فَاننَهُواْ وَاتَقُواْ اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾

:

١٧ - قوله تعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ عِسْكِينًا وَيَتِّيمًا وَأَسِيرًا ﴾ (الإنسان: ٨)

:

١٨- قوله تعالى: ﴿ كُلَّا أَبُل لَا تُكُرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴾ (الفجر: ١٧)

:

١٩- قوله تعالى: ﴿ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴾ (البلد: ١٥)

.

٠٢٠ قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعِدْكَ يَتِيمًا فَاوَىٰ ﴾ (الضحى: ٦)

٢١- قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا نَقْهَرُ ﴾ (الضحى: ٩)

•

٢٢- قوله تعالى: ﴿ فَذَالِكَ الَّذِي يَدُعُ ٱلْمَيْتِ ﴾ (الماعون: ٢)

هذا على سبيل الإجمال، وثمة وقفات عند بعض هذه الآيات فمن ذلك ما يلي:

: من أجَلِّ المظاهر على عناية الإسلام باليتيم ما نجده من تناول شؤونه والحديث عنه في السور المكية، ومن المعلوم أن كثيرا من الأحكام لم تنزل إلا في المدينة، فعلى ذلك تكون بداية العناية باليتيم قبل نزول كثير من الأحكام وقبل التكاليف الشرعية، وهذا فيه إشارة إلى أهمية هذا الصنف ووجوب العناية به، ويتبين ذلك في الآيات التالية حيث ربط بين زجر اليتيم ودعّه، وبين إنكار البعث والجزاء، مما يصور عظم الإساءة إلى اليتيم وازدرائه.

حيث جعل ازدراءه وإهمال شأنه وعدم الاكتراث به آية واضحة من آيات التكذيب بيوم الدين، قال تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِي يُكَدِّبُ بِٱلدِّينِ ۚ ۚ فَذَالِكَ ٱلَّذِي يَدُعُ ٱلۡيَيۡمِ ﴾ (الماعون: ١- ٢)

: ومن تلك الصور أيضا أنه جعل الوصية به والإحسان إليه إحدى الوصايا العشر التي لم تنسخ في ملة من الملل، والتي بدأها الله بقوله لرسوله و في في في الله على الله بقوله لله بقوله لله بقوله لله في في في الله بقوله بقوله الله بقوله بقول

⁽١٠) انظر أحكام اليتيم في الفقه الإسلامي ص٢٤.

⁽١١) أخرجه مسلم في كتاب الزهد / باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم ٢٢٨٧/٤.

⁽١٢) أخرجه الإمام أحمد في المسندا /٢٠٤عن عبد الله بن جعفر، وأخرجه أبو داود مختصراً انظر سنن أبي داود كتاب الترجل / باب حلق الرأس ٤٠٩/٤، وأخرجه النسائي في كتاب الزينة /باب حلق رؤوس الصبيان ١٨٢/٨ وقال الألباني: صحيح، انظر صحيح سنن النسائي ١٠٦٣/٣.

:

هناك بعض الآيات التي نصت على وجوب إكرام اليتيم، نشير إليها بشيء من التفصيل:

﴿ كُلَّ أَبُل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْمِيسَمَ ﴾

قال ابن جرير الطبري في تفسير هذه الآية: (واختلف أهل التأويل في المعنى بقوله: ﴿ كُلّا ﴾ في هذا الموضع وما الذي أنكر بذلك فقال بعضهم: أنكر جل ثناؤه أن يكون سبب كرامته من أكرم كثرة ماله، وسبب إهانته من أهان قلة ماله. ثم أخرج عن قتادة قال قوله تعالى: ﴿ وَأَمّا إِذَا مَا اَبْنَكَنُهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَقَدُرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَقَدُرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَقَدُرَ عَلَيْهِ مِنْ أَهْرَى مَا أسرع ما كفر ابن آدم ؟ يقول الله جل ثناؤه: كلا إني لا أكرم من أكرمت بكثرة الدنيا، ولا أهين من أهنت بقلتها، ولكن إنما أكرم من أكرمت بطاعتي، وأهين من أهنت لمعصيتي. وقال آخرون: بل أنكر جل ثناؤه حمد الإنسان ربه على نعمه دون فقره وشكواه الفاقة وقالوا: معنى الكلام: ﴿ كُلّا ﴾ أي لم يكن ينبغي أن يكون هكذا ولكن كان ينبغي أن يحمده على الأمرين جميعا، على الغنى والفقر. ثم قال ابن جرير وأولى القولين في ذلك بالصواب: القول الذي ذكرناه عن قتادة لدلالة قوله تعالى: ﴿ بَلُ لاَ تُكُرِمُونَ ٱلْمِيتَهُ ﴾ والآيات التي بعدها.

فقوله تعالى: ﴿ بَل لَا تُكُرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴾ يقول تعالى ذكره: بل إنما أهنت من أهنت من أجل أنه لا يكرم اليتيم، فأخرج الكلام على الخطاب فقال: بل لستم تكرمون اليتيم فلذلك أهنتكم)(١٣).

وقال الزمخشري: ﴿ كُلّا ﴾ ردع للإنسان عن قوله. ثم قال: بل هناك شر من هذا القول وهو أن الله يكرمهم بكثرة المال فلا يؤدون ما يلزمهم فيه من إكرام اليتيم بالتفقد والمبرة وحض أهله على طعام المسكين ويأكلونه أكل الأنعام ويحبونه فيشحون به) (١٤).

و قال ابن عباس المعنى: لم ابتله بالغنى لكرامته على، ولم أبتله بالفقر لهوانه على، فقد يوسع على الكافر لا لكرامته ويقتر على المؤمن لا لهوانه ثم إنه تعالى لما حكى من أقوالهم تلك الشبهة فكأنه قال: بل لهم فعل هو شر من هذا القول، وهو أن الله تعالى يكرمهم بكثرة المال، فلا يؤدون ما يلزمهم فيه من إكرام اليتيم فقال: ﴿ بَلُ لَا لَهُ وَعُوهُ: ثُكُرُمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴾. واعلم أن ترك إكرام اليتيم على وجوه:

: ترك بره وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحَنَّشُونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴾ (الفجر: ١٨)

: دفعه عن حقه الثابت له في الميراث وأكل ماله، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ وَتَأْكُلُوكَ ٱلتُّرَاثَ التُّرَاثَ التُّرَاثَ التَّرَاثَ التَّرَاثَ التَّرَاثَ التَّرَاثَ التَّرَاثَ التَّرَاثَ اللَّهُ الله الإشارة بقوله تعالى: ﴿ وَتَأْكُلُوكَ ٱلتَّرَاثَ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّالَّاللَّالَا اللَّهُ اللَّلْمُ اللَّا اللَّهُ اللَّالَا اللَّهُ اللَّالَا اللَّهُ الل

⁽١٣) انظر جامع البيان عن تأويل القرآن ١٥/ ١٨٢.

⁽١٤) انظر الكشاف للزمخشري ٢١١/٤.

: أخذ ماله منه وإليه الإشارة بقوله: ﴿ وَتَجْبُونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمَّا ﴾ (الفجر: ٢٠) أي تأخذون أموال اليتامي وتضمونها إلى أموالكم (١٥).

: ﴿ أَلَمْ يَجِدُكَ يَتِيمًا فَنَاوَىٰ ﴾ (الضحى: ٦)

فمن إكرام الله لنبيه صلى الله عليه وسلم أن آواه وأيده ونصره وأظهره على عدوه.

قال ابن جرير قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَجِدُكَ يَتِيمًا فَخَاوَىٰ ﴾ يقول تعالى ذكره معددا على نبيه صلى الله عليه وسلم نعمه عنده، ومذكره آلاءه قِبَلَهُ: ألم يجدك يا محمد ربك يتيما فآوى.

يقول: يجعل لك مأوى تأوي إليه ومنزلا تنزله (١٦).

ومن المعلوم أن أباه قد توفي وهو حمل في بطن أمه، وقيل بعد أن ولد عليه السلام ثم توفيت أمه آمنة بنت وهب وله من العمر ست سنين، ثم كان في كفالة جده عبد المطلب إلى أن توفي، وله من العمر ثمان سنين، فكفله عمه أبو طالب، ثم لم يزل يحوطه وينصره ويرفع من قدره ويوقره ويكف عنه أذى قومه، بعد أن ابتعثه الله على رأس أربعين سنة من عمره. هذا وأبو طالب على دين قومه من عبادة الأوثان، وكل ذلك بقدر الله وحسن تدبيره، إلى أن توفي أبو طالب قبل الهجرة بقليل، فأقدم عليه سفهاء قريش وجهالهم فاختار الله له الهجرة من بين أظهرهم، إلى بلد الأنصار من الأوس والخزرج، كما أجرى الله سنته على الوجه الأتم الأكمل، فلما وصل إليهم آووه ونصروه وحاطوه وقاتلوا بين يديه

رضي الله عنهم أجمعين وكل هذا من عناية الله به وكلاءته له (١٧).

وقيل في معنى الآية: ألم يجدك يتيما صغيرا فقيرا حين مات أبواك ولم يخلفا لك مالا ولا مأوى ، فجعلت لك مأوى تأوي إليه ، وضمك إلى عمك أبي طالب حتى أحسن تربيتك وكفاك المئونة (١٨).

: ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا نَقْهَرُ ﴾

قال مجاهد: (لا تحقر اليتيم وقد كنت يتيما)(١٩) وقال الفراء: (لا تقهره على ماله فتذهب بحقه)(٢٠). وكذا كانت العرب تفعل في أمر اليتامي تأخذ أموالهم وتظلمهم حقوقهم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسن

⁽١٥) انظر التفسير الكبير للفخر الرازي ١٧١/٣١.

⁽١٦) انظر جامع البيان عن تأويل القرآن ١٥/٢٣٢

⁽۱۷) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣١٥/٧.

⁽١٨) انظر معالم التنزيل للبغوي١٥٦/٨.

⁽١٩) نفس المرجع السابق ٤٥٧/٨.

⁽٢٠) انظر معاني القرآن للفراء ٢٧٤/٣.

إلى اليتيم ويبره ويوصي باليتامى و عن عبد الله بن أبي أوفى قال: (كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتاه غلام فقال: غلام يتيم وأخت لي يتيمة وأم لي أرملة، أطعمنا مما أطعمك الله وأعطاك الله مما عنده

حتى ترضى.قال: ما أحسن ما قلت يا غلام، اذهب يا بلال فأتنا بما كان عندنا فجاء بواحدة وعشرين تمرة، فقال: سبع تمرات لك، وسبع لأختك وسبع لأمك، فقام إليه معاذ بن جبل فمسح رأسه وقال: جبر الله يتمك، وجعلك خلفا من أبيك، وكان من أبناء المهاجرين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قد رأيتك يا معاذ وما صنعت، قال رحمته.قال: لا يلي أحد منكم يتيما فيحسن و لايته ويضع يده على رأسه إلا كتب الله له بكل شعرة حسنة ومحا عنه بكل شعرة سيئة ورفع له بكل شعرة درجة)(١١). وقال الراغب في المفردات: ﴿ فَأَمَّا ٱلْمِيتِمَ فَلاَنعَهُمْ ﴾ أي لا تُذلِلْ، وأقهره سلط عليه من يقهره)(٢١).

: ﴿ أَرَءَ يُتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ مِاللِّينِ ١ فَذَالِكَ ٱلَّذِي يَدُعُ ٱلْيَدِيمَ ﴾ قال ابن

جرير: (يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِبُ بِٱلدِّينِ ﴾ أرأيت يا محمد الذي يكذب بثواب الله وعقابه فلا يطيعه في أمره ونهيه، وأخرج عن ابن عباس قال: الذي يكذب بحكم الله عز وجل وقوله: ﴿ فَذَلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُ اللّهِ عَنْ اللّهُ عَنْ اللّهِ عَنْ اللّهِ عَنْ اللّهِ عَنْ اللّهِ عَنْ اللّهِ عَنْ اللّهُ عَنْ عَنْ عَنْ عَنْ اللّهُ عَنْ عَنْ اللّهُ عَنْ اللّهُ عَنْ عَلّهُ عَنْ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَا اللّهُ عَلَا الللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلْمُ اللّهُ عَلْمُ اللّهُ عَلَى اللللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلْمُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الللللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَّمُ الللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى

أما سبب نزول: قوله تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴾ (الماعون: ١) قال مقاتل والكلبي: نزلت في العاص بن وائل السهمي، وقال ابن جريج: كان أبو سفيان ابن حرب ينحر كل أسبوع جزورين فأتاه يتيم فسأله شيئا، فقرعه بعصا، فأنزل الله تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۚ اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى: ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ اللهِ عَلَى اللهِ عَلَيْنِ اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللّهِ عَلَى اللهِ ع

ومعنى يدع اليتيم: أي يدفعه بعنف وهذا الدفع يحتمل أن يكون عن إطعامه والإحسان إليه أو عن ماله وحقوقه، وهذا أشد، والذي لا يحض على طعام المسكين لا يطعمه من باب أولى وهذه الجملة هي جواب أرأيت، لأن معناها أخبرني فكأنه سؤال وجواب، والمعنى: انظر الذي يكذب بالدين تجد فيه هذه الأخلاق القبيحة

⁽٢١) انظر تفسير الوسيط للواحدي ١١/٤، والحديث أخرج الإمام أحمد طرفا منه، انظر المسند ٣٨٢/٤.

وأخرجه البزار بتمامه وقال: لا نعرفه مرفوعا إلا من هذا الوجه، وفا ئد، أحد الرواة ضعيف انظر كشف الأستارعن زوائد البزار على الكتب الستة ٣٨٦/٢

⁽٢٢) انظر المفردات للراغب الأصفهاني كتاب القاف ص ٤١٤.

⁽۲۳) انظر جامع البيان للطبري ١٥/١٥.

⁽٢٤) انظر أسباب النزول للواحدي ص ٥٠٢.

والأعمال السيئة وإنما ذلك لأن الدين يحمل صاحبه على فعل الحسنات وترك السيئات فمقصود الكلام ذم الكفار وأحوالهم (٢٥٠).

ومعنى قوله هذا توقيف وتنبيه لتتذكر نفس السامع كل من يعرفه بهذه الصفة، والدين الجزاء ثوابا وعقابا، والحساب هنا قريب من الجزاء، وقوله تعالى: ﴿ فَذَالِكَ اللَّهِ عَدُمُ اللَّهِ عَنَ اللَّهِ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ال

(والاستفهام هنا مستعمل في التعجيب من حال المكذبين للجزاء، وما أورثهم التكذيب من سوء الصنيع. فالتعجيب من تكذيبهم بالدين ما تفرع عليه من دع اليتيم وعدم الحض على طعام المسكين، وقد صيغ هذا التعجيب في نظم مشوق لأن الاستفهام عن رؤية من ثبتت له صلة الموصول يذهب بذهن السامع مذاهب شتى من تعرف المقصد بهذا الاستفهام، فإن التكذيب بالدين شائع فيهم فلا يكون مثار التعجب فيرقب السامع ماذا يُرد بعده وهو قوله تعالى: ﴿ فَذَالِكَ اللَّذِي يَدُعُ ٱلْكِينِ عَنْ التمكن. وأصل ظاهر الكلام أن يقال: أرأيت الذي يكذب بالدين فيدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين. والإشارة إلى الذي يكذب بالدين باسم الإشارة لتمييزه أكمل تمييز حتى تتبصر السامع فيه وفي صفته، أو لتنزيله منزلة الظاهر الواضح بحيث يشار إليه، والفاء لعطف الصفة الثانية على الأولى لإفادة تسبب مجموع الصفتين في الحكم المقصود من الكلام.

وذلك شأنها في عطف الصفات إذا كان موصوفها واحدا... فمعنى الآية عطف صفتي: دع اليتيم، وعدم إطعام المسكين على جرم التكذيب بالدين، وهذا يفيد تشويه إنكار البعث بما ينشأ عن إنكاره من المذام، ومن مخالفته للحق، ومنافيا لما تقتضيه الحكمة من التكليف، وفي ذلك كناية عن تحذير المسلمين من الاقتراب من إحدى هاتين الصفتين بأنهما من صفات الذين لا يؤمنون بالجزاء) (٢٧).

:

لقد حفظ القرآن حقوق اليتامى التي ورثوها من آبائهم ولم يهمل أولئك الذين تركهم آباؤهم فقراء ولا عائل لهم، بل أوصى بهم وحث على العناية بهم، وخصهم بالذكر مع كونهم يدخلون ضمن الفقراء والمساكين الذين أوجب لهم الزكاة والصدقات، ولذلك وردت آيات أفردهم الله بوصفهم وخصهم بالذكر دلالة على تأكد

⁽۲۵) انظر تفسير ابن جزى الكلبي ص٨٦٠.

⁽٢٦) انظر المحرر الوجيز لابن عطية ١٦/ ٣٧٠ وهي قراءة شاذة.

⁽٢٧) انظر التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور ٥٦٤/٣٠.

حقهم ووجوب رعايتهم، وأنهم أحوج إلى مديد العون لهم، وأولى من غيرهم من الفقراء، وذلك لضعفهم الشديد أولا، وأيضا يضاف إلى ضعفهم أنهم لا يستطيعون التكسب لصغرهم وإن أول من يلزم بالنفقة على اليتامى أقرباؤهم الأغنياء، وذلك لأن صلة الرحم واجبة

ومن صلة الرحم الإنفاق على القريب المحتاج (٢٨). ولذا فهم يدخلون دخولا أوليا في وصية القرآن بذي القربى. وقد عد القرآن الكريم مواساتهم ومد يد العون لهم من أعظم وجوه البر فمن ذلك:

: قول على الله وَالْمَوْمِ الْآَوْرِ الْآَوْرِ الْآَوْرِ الْآوَرِ الْآَوْرِ الْآَوْرِ الْآخِرِ وَالْمَغْرِبِ وَالْكِنَّ الْبِرِّ مَنْ ءَامَنَ بِاللّهِ وَالْمَوْرِ الْآخِرِ وَالْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَالْكِنَّ الْبِيلِ وَالسَّآبِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَالْمَلْتِكِ وَالْكِنْ السَّبِيلِ وَالسَّآبِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَالْمَلْتِ وَالْكِنْ السَّبِيلِ وَالسَّآبِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَالْمَلَوْقُونِ وَهِ الرِّقَابِ وَالْمَلَوْقُونَ وَءَاتَى النَّاكُوةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَنهَدُولًا وَالصَّبِرِينَ فِي الْبَأْسَآءِ وَالطَّرَآءِ وَحِينَ الْبَأْسُ أَوْلَتِهِ كَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأَلْكَالِينَ هُولُولُ الْمَالَ عَلَى مُنْ اللّهِ وَاللّهُ وَالْمَلْوَقُونَ ﴾ والبقرة : ١٧٧)

والبراسم جامع للطاعات، وأعمال الخير المقربة إلى الله تعالى، والبرضد الإثم فدل على أنه اسم جامع لجميع ما يؤجر عليه الإنسان (٢٩).

وفي قوله تعالى: ﴿ عَلَىٰ حُبِهِ ، ﴾ دلالة على شدة حرصهم على الإنفاق في هذه الوجوه المذكورة ومن بينها الإنفاق على اليتيم.

: كما ورد أيضا الحث على الإنفاق على اليتامى في قوله تعالى: ﴿ يَسْتَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۚ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِنْ خَيْرِ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّكِيلِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرِ فَإِنَّ ٱللّهَ بِعِهِ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة: ٢١٥)

ويقال إن الإنفاق في هذه الآية لا يراد به الصدقة عند الموت، وإنما يراد به النفع في الدنيا والإيثار بما يتقرب به الإنسان إلى الله تعالى، فأخبر الله تعالى: أن من قصد ذلك ينبغي له أن يبر بذلك المذكورين في هذه الآية (٣٠).

وقوله تعالى: ﴿ مِنْ خَبْرٍ ﴾ يتناول القليل والكثير وبدأ في المصرف بالأقرب فالأقرب، ثم بالأحوج فالأحوج فالأحوج ففي ترتيب الآية أن أولى الناس بمعروف الإنسان أقاربه، ثم يأتي عقبه اليتامى، لأنهم أولى بالمواساة من غيرهم.

⁽٢٨) انظر تنظيم الإسلام للمجتمع لمحمد أبي زهرة ص ١٢٣.

⁽٢٩) انظر التفسير الكبير للفخر الرازي ٣٧/٥.

⁽٣٠) انظر تفسير الوسيط للواحدي ١٨/١.

⁽٣١) انظر البحر المحيط لأبي حيان ١٤٢/٢.

: ومن ضمن الآيات التي حث القرآن فيها على حق اليتامى قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسَمَةَ أَوْلُواْ ٱلْقُرْبِيَ
وَٱلْمُنَكِينَ وَٱلْمَسَكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنَهُ وَقُولُواْ لَهُدً قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ (النساء: ٨)

فإن اليتامى إذا حضروا قسمة التركة تتوق نفوسهم وتتطلع إلى الأخذ من هذا المال، فرعاية لهم وعناية بهم أمر الله أن يعطوا منها شيئا، والأمر للاستحباب، تطييبا لأنفسهم (٣٢).

: ومما ورد في إطعام اليتيم قوله تعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأُسِيرًا ﴾.

قال ابن جرير: (يقول تعالى ذكره: كان هؤلاء الأبرار يطعمون الطعام على حبهم إياه وشهوتهم له، وأخرج عن مجاهد قال: وهم يشتهونه) (٣٣). وقيل: ﴿ وَيُعْلِمِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِهِ ﴾ يعني على قلته وشهوته وحاجته ﴿ مِسْكِينَا ﴾ هو الطائف بالأبواب ﴿ وَيَقِيمَا وَأُسِيرًا ﴾ يعني من أسر من دار الشرك (٤٠٠). وورد أن الآية نزلت في رجل من الأنصار أطعم في يوم واحد مسكينا ويتيما وأسيرا، وقيل: نزلت في علي رضي الله عنه وفاطمة (٥٠٠). وقال القرطبي:

(والصحيح أنها نزلت في جميع الأبرار ومن فعل فعلا حسنا فهي عامة)(٢٦)

من رحمة الله بعباده أن اختار أفضل أنبيائه ورسله يتيما، وفي ذلك دلالة واضحة أن اليتم ليس عيبا يعير به من وقع فيه، وليس عارا ولا نقيصة ولا نكالا من الله حاشاه عن ذلك سبحانه وتعالى، ولكن هذا قضاء من الله وقدر لحكمة يعلمها سبحانه، ولو كان الحال كما يظن أهل الجاهلية لما وقع ذلك لأفضل الخلق خلقا وخلقا.

فيجب على المجتمع بأسره أن يرفع من شأن اليتيم ويعلي قدره عند الناس، فلا يظلمونه ولا يأنفون منه ولا يسيئون إليه، بل على الضد من ذلك يواسونه في نفسه وماله، ويحسنون إليه ويرحمونه ويرفقون به، تأسيا بحال النبى صلى الله عليه وسلم حيث خاطبه ربه جل وعلا بقوله: ﴿ أَلَمْ يَجِدُكَ يَتِيمًا فَا وَى ﴾ (الضحى: ٦)

⁽٣٢) انظر معالم التنزيل للبغوي ١٧٠/٢ ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٥٥/١.

⁽٣٣) انظر جامع البيان للطبري ١٤/ ٢٠٩.

⁽٣٤) انظر بحر العلوم للسمرقندي ٤٣٠/٤.

⁽٣٥) انظر معالم التنزيل للبغوي ٢٩٤/٨، وقد ضعف ذلك ابن حجر في الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف وقال: قال عنه الحكيم الترمذي هذا حديث مزوق مفتعل لايروج إلا على أحمق جاهل ورواه ابن الجوزي في الموضوعات انظر الشافي الكاف ملحق تفسير الكشاف ١٨٠/٤.

⁽٣٦) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٩/١٢٨.

فالله سبحانه قد آوى نبيه وأحاطه برعايته ورفع قدره وكف عنه أذى قومه ولذا كان صلى الله عليه وسلم أول من أمر بعدم قهر اليتيم بقوله: ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَيْمَ فَلَا نَقَهُر ﴾ فكونه صلى الله عليه وسلم أول من يخاطب في هذا الشأن وبقرآن يتلى ويتعبد لله به إلى يوم القيامة، أكبر دلالة على الاهتمام بهذا الشأن وتعظيم أمر اليتامى، وأمته تابعة له في هذا الخطاب.

وفي قوله سبحانه: ﴿ فَأَمَّا ٱلْمِتِيمَ فَلَانَقَهُمْ ﴾ جعل الشكر هنا مناسبا للنعمة المشكور عليها، وقدم ﴿ ٱلْمِتِيمَ ﴾ للاهتمام بشأنه، أي: فكما آواك ربك وحفظك من عوارض النقص المعتاد لليتيم فكن أنت مكرما للأيتام ومواسيا لهم ورفيقا بهم. ومعنى القهر: هو الغلبة والإذلال ويكون بالفعل: كالدع والتحقير.

ويكون بالقول: كالقهر والإهانة والشتم وغيره مما يساء إلى اليتيم بلفظه ويكون أيضا بالإشارة: كعبوس الوجه ونحوه (٢٧).

ومما يؤكد وجوب الإحسان إلى اليتامي والعناية بهم:

: ما ذكره الله في القرآن عن بني إسرائيل وأن ذلك مما أخذ عليهم في ميثاقهم، وكان أمرا مفروضا عليهم، وفي هذا دليل على أن الإحسان إلى اليتامى كان موضع اهتمام منذ القدم وحقوقهم محفوظة عبر الأمم والأجيال، وما هذا إلا لعظم شأنهم عند الله ولكونهم يمثلون شريحة كبيرة في المجتمعات:

١- قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْ نَا مِيثَنَقَ بَنِي ٓ إِسْرَءِ يلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللّهَ وَبِالْوَلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى الْقُرْبَى وَالْيَسَكِينِ وَقُولُوا لِلنّاسِ حُسَنًا وَأَقِيمُوا الصَّكَوْةَ وَءَاثُوا الزّكَوْةَ ثُمّ تَوَلَّيْتُمْ إِلّا قَلِيلًا مِنْتَكُمْ وَأَنتُم مُعْرِضُونَ ﴾ وألمسكيينِ وَقُولُوا لِلنّاسِ حُسَنًا وَأَقِيمُوا الصّكوّةَ وَءَاثُوا الزّكوةَ ثُمّ تَوَلَّيْتُمْ إِلّا قَلِيلًا مِنْتَكُمْ وَأَنتُم مُعْرِضُونَ ﴾ ومما يلاحظ هنا أنه لما كان الإحسان إلى اليتامى تكليفا شاقا على النفوس وقلما يرغب الناس فيه كانت مرتبته عند الله عظيمة ، فجاء حقه بعد حق الوالدين وذي القربى (٢٨).

٢- قوله تعالى: ﴿ وَاعْبُدُوا اللّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ عَشَيْعًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنَا وَبِذِى الْقُرْبَى وَالْمَسَكِينِ وَالْجَارِ وَاعْبُدُوا اللّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ عَشَيْعًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنَا وَبِذِى الْقُرْبَى وَالْمَسَكِينِ وَالْجَارِ اللّهَ وَالْمَسَكِينِ وَالْجَارِ اللّهَ اللّهِ اللّهَ اللّهُ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَحُورًا ﴾ النساء: ٣٦

قال الطاهر ابن عاشور: وجملة ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ تذييل لجملة الأمر بالإحسان إلى من سماهم بذم موانع الإحسان إلى هم الغالبة على البشر، والاختيال والتكبر افتعال مشتق من الخيلاء، يقال: خال الرجل خولا وخالا، والفخور: الشديد الفخر بما فعل وكلا الوصفين منشأ للغلظة والجفاء فهما

⁽٣٧) انظر التحرير والتنوير لابن عاشور ١/٣٠ ٤٠

⁽٣٨) انظر التفسير الكبير للرازي ١٦٧/٣

ينافيان الإحسان المأمور به، لأن المراد الإحسان في المعاملة وترك الترفع على من يظن به سبب يمنعه من الانتقام، ومعنى نفي محبة الله تعالى: نفي رضاه (٣٩) و تقريبه عمن هذا وصفه. وهذا تعريض بأخلاق أهل الشرك، لما عرفوا به من الغلظة والجفاء، فهو في معنى التحذير من بقايا الأخلاق التي كانوا عليها) (١٠٠).

٣- وقوله تعالى في سورة النساء: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِسَاءَ قُلُ اللّهَ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَ وَمَا يُتّلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَكِي فِي النِسَاءَ اللّهِ يَعْبُونَ الْنَسَاءَ اللّهِ يَعْبُونَ اللّهَ يَعْبُونَ الْنَسَاء اللّهِ يَعْبُونَ اللّه يَعْبُونَ عَنْ اللّه يَعْبُونَ عَلْمُ اللّه يَعْبُونَ اللّه يَعْبُونَ اللّه يَعْبُونَ اللّه يَعْبُونَ اللّه يَعْبُونَ اللّه يَعْبُونَ عَلْمُ اللّه يَعْبُونَ اللّه يَعْبُونُ اللّه يَعْبُونَ اللّه يَعْبُونُ اللّه يَعْبُونُ اللّه يَعْبُونَ اللّه يَعْبُونَ اللّه يَعْبُونُ اللّه يُعْبُونُ اللّه يَعْبُونُ اللّه يُعْبُونَ اللّه يَعْبُونَ اللّه يُعْبُونُ اللّه يُعْبُونُ اللّه يُعْبُونُ اللّه يُعْبُونُ اللّه يُعْبُونُ اللّه يَعْبُونُ الللّه يَعْلُونُ اللّه يُعْلُونُ اللّه يُعْلِلْ اللّه يُعْبُونُ اللّه يُعْ

وهذا ترغيب في الإحسان إلى اليتامي وتكميل لبيان مراتب معاملتهم (١١).

: أماما ورد في السنة: فقد كان صلى الله عليه وسلم قدوة لأمته ومعلما لهم في أقواله وأفعاله بإحسانه إلى اليتامى ورأفته ورحمته بهم، وترغيب أمته على العناية باليتامى وبيان عظم منزلة من ساهم في هذا المجال، حيث قال صلى الله عليه وسلم: (أنا وكافل اليتيم في

الجنة هكذا) وقال بأصبعيه السبابة والوسطى (٢٤٠).

وأخرج الترمذي عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من قبض يتيما بين المسلمين إلى طعامه وشرابه أدخله الله الجنة البتة إلا أن يعمل ذنبا لا يغفر له (٤٣).

⁽٣٩) هذا تأويل من المؤلف عفا الله عنه وهذا منهج الأشاعرة في تأويل الصفات، والواجب إثبات صفة المحبة لله كما أثبتها لنفسه سبحانه وتعالى في قوله: ﴿ يَتَأَيُّهُا اللَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَذَ مِنكُمْ عَن دِينِدِ عَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِغَوْمِ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ أَذَلَةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَةٍ عَلَى الكَفْدِينَ يُجَهِدُونَ فِي سَبِيلِ السّبَانَ وَلَا يَنْ وَلَكُ وَاللَّهُ وَرَبِعُ عَلِيمٌ ﴾ المائدة: ٥٤ هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة.

⁽٤٠) انظر التحرير والتنوير٥١/٥.

⁽٤١) انظر تفسير المنار لمحمد رشيد رضا ٥٤٥/٥.

⁽٤٢) أخرجه البخاري انظر فتح الباري كتاب الأدب / باب فضل من يعول يتيما ١٠/٤٣٦.

⁽٤٣) أخرجه الترمذي في سننه كتاب البر والصلة / باب ماجاء في رحمة اليتيم وكفالته ٢٠٢٠، وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي ص ٢١٧

وفي هذا الثواب العظيم أكبر حافز للنفوس المتطلعة إلى معالي الأمور، حيث إن هذا الثواب لم يرد له مثيل في أي عبادة من العبادات و في هذا رفع لمستوى اليتامى في المجتمع.

أما في جانب التحذير والزجر من الاعتداء على الأيتام أو تضييع حقوقهم: فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (اللهم إني أحرج حق الضعيفين اليتيم والمرأة)قال المحقق محمد فؤاد عبد الباقي إسناده صحيح ورجاله ثقات. ومعنى (أحرج): من التحريج أو الإحراج أي: أضيق على الناس في تضييع حقهما وأشدد عليهم في ذلك (١٤٠).

:

ورد في السنة عدة أحاديث تدل على فضل كفالة اليتيم ومن ذلك: قوله صلى الله عيه وسلم كما في حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: قال رسول الله في: (أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا) وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما (٥٠٠). وكذلك ما أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنة) وأشار مالك بالسبابة والوسطى (٢٠١) (له أو لغيره) فالذي له أن يكون قريبا له كجده وأمه وجدته وأخيه وأخته وعمه وخاله وعمته وخالته وغيرهم من أقاربه، والذي لغيره أن يكون أجنبيا. وفي سنن أبي داود عن عوف بن مالك الأشجعي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أنا وامرأة سفعاء الخدين كهاتين يوم القيامة، وأومأ يزيد بالوسطى والسبابة: امرأة آمت من زوجها ذات منصب وجمال حبست نفسها على يتاماها حتى بانوا أو ماتوا (٧٤).

وأخرج أبو يعلى في مسنده عن علي بن زيد قال سمعت زرارة بن أوفى يحدث عن رجل من قومه يقال له أبو مالك، أو ابن مالك سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من ضم يتيما بين مسلمين في طعامه وشرابه حتى يستغني عنه، وجبت له الجنة البتة)ومن أدرك والديه أو أحدهما، ثم لم يبرهما، ثم دخل النار فأبعده

⁽٤٤) أخرجه ابن ماجه في سننه في كتاب الأدب / باب حق اليتيم ١٢١٣/٢، وأخرجه الحاكم في المستدرك ١٣/١ وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وقال الألباني في صحيح سنن ابن ماجه حسن أنظر ٢٩٨/٢، وزمز له في السلسلة الصحيحة ١٢/٢ ح(١٠١٥) وقال: هو كما قال الحاكم والذهبي لولا عجلان لم يحتج به مسلم وإنما أخرج له في التابعات فهو حسن الإسناد، وأخرجه البغوى في شرح السنة ٤٣/١٦.

⁽٤٥) أخرجه البخاري من كتاب الأدب باب فضل من يعول يتيما ٧٦/٧/٣

⁽٤٦) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم٢٢٨/٣

⁽٤٧) أخرجه أبو داوود في كتاب الأدب باب في فضل من عال يتيما ٣٥٦/٥، وقال الجطابي في معالم السنن أخرجه الترمذي وقال هذا حديث حسن صيح.

الله، وأيما مسلم أعتق رقبة مسلمة كانت فكاكه من النار (^^). فهذه الأحاديث تدل على فضل كفالة اليتيم، قال ابن حجر في فتح الباري قال ابن بطال: حق على من سمع هذا الحديث أن يعمل به، ليكون رفيق النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة، ولا منزلة في الآخرة أفضل من ذلك، وفي الحديث إشارة إلى أن بين درجة النبي صلى الله عليه وسلم وكافل اليتيم قدر تفاوت مابين السبابة والوسطى (٩٠).

:

لقد استوعب المسلمون قديما وحديثا أوامر الله وتوجيهاته بالنسبة للأيتام، فقاموا بذلك خير قيام، سواء بكفالتهم وتوفير سبل الراحة لهم، أم بتوفير أموالهم وتثميرها لهم، أو ببيان حقوقهم أو بدراسة أو ضاعهم، فقد ألفت الكتب الخاصة بذلك، وأجريت الدراسات وعقدت المقارنات بينهم وبين أطفال الملاجئ ودور الحضانة وغيرها، التي يأوي إليها اللقطاء ومن لا عائل لهم في شتى المجتمعات دور اللايتام خاصة تقوم برعايتهم وتوفير سبل الراحة لهم.فنجد في العصر الأول أن الصحابة رضوان الله عليهم قد بادروا إلى كفالة الأيتام، تطبيقا عمليا لتعاليم القرآن، فقاموا بذلك خير قيام، امتثالا لأمر الله سبحانه وتعالى، وطلبا للأجر المترتب على ذلك. فمن الصحابة الذين كفلوا الأيتام: أبو بكر ورافع بن خديج، وقدامة بن مظعون، وأبو سعيد الخدري، وعروة بن الزبير، وأسعد بن زرارة، وعائشة بنت الصديق وأم سليم، وغيرهم كثير ثم تبعهم التابعون على ذلك وأتباعهم إلى يومنا الحاضر. ومن أشهر الأوقاف لرعاية الأيتام قديما، ما نقل في مآثر صلاح الدين الأيوبي أنه أمر بعمارة مكاتب ألزمها معلمين لكتاب الله عز وجل، يعلمون أبناء الفقراء والأيتام خاصة، ويجري عليهم الجراية الكافية لهم، ويقصد بالجراية كل ما يحتاجون من مأكل ومشرب وملبس وأدوات دراسية وغيرها(١٥) ومن ذلك أيضا مكتب السبيل الذي أنشأه السلطان الظاهر بيبرس بجوار مدرسته وقرر لمن فيه من أيتام المسلمين الخبز في كل يوم، بالإضافة إلى الكسوة في فصلي الشتاء والصيف.وكذلك أنشأ السلطان قلاوون مكتبا لتعليم الأيتام ورتب لكل طفل بالمكتب جراية في كل يوم، وكسوة في الشتاء وأخرى في الصيف.ومن ذلك أيضا: أحد أمراء دمشق في القرن السابع الهجري وهو الطواشي ظهير الدين مختار وقد أوقف مكتبا للأيتام على باب قاعة دمشق ورتب لهم الكسوة (٢٥٠).

⁽٤٨) أخرجه أبو يعلى في مسند ه انظر مسند أبي يعلى الموصلي٢ /٢٢٧ ، وقد حسن إسناده الهيثمي في مجمع الزوائد، انظر مجمع الزوائد ٤١/٨/٤

⁽٤٩) انظر فتح الباري كتاب الأدب باب فضل من يعول يتيما ١٠ ٤٣/١٠.

⁽٥٠) انظر كتاب أطفال بلا أسر، للدكتور، أنس محمد قاسم.

⁽٥١) انظر كتاب أطفال بلا أسر، للدكتور عبد الله السدحان.

⁽٥٢) انظر البداية والنهاية لابن كثير ١٤/٧٨.

فأول دار أنشئت هي الدار التي أ نشأها الحجاج الهنود بالمدينة النبوية عام ١٣٥٢هـ، ثم تبعها دار أخرى في مكة المكرمة قام بإنشائها مدير الأمن العام آنذاك مهدي بك المصلح، وافتتحها الملك عبد العزيز عام ١٣٥٥هـ، ثم تلتها دار الأيتام بالرياض عام ١٣٥٧هـ. ثم أنشئت دار لليتيمات في جدة عام ١٣٧٥هـ وأخرى في الرياض باسم مبرة الكريمات عام ١٣٧٦هـ.

ويوجد حاليا بالمملكة عدد من دور الأيتام موزعة في عدد من محافظات المملكة وهي خاصة بالذكور، وإليك إشارة إلى أماكن وجودها:

- ١- دار التربية للبنين بالمدينة النبوية ١٣٥٢هـ
- ٢- دار التربية الاجتماعية للبنين بمكة المكرمة ١٣٥٥هـ
 - ٣- دار التربية الاجتماعية للبنين بالرياض ١٣٥٧هـ
 - ٤- دار التربية الاجتماعية للبنين ببريدة ١٣٧٦ هـ
 - ٥- دار التربية الاجتماعية للبنين بالجوف ١٣٧٦هـ
 - ٦- دار التربية الاجتماعية للبنين بأبها ١٣٧٦ هـ
 - ٧- دار التربية الاجتماعية للبنين بالدمام ١٣٧٦هـ
 - ٨- دار التربية الاجتماعية للبنين بحائل ١٤٠٢ هـ
 - ٩- دار التربية الاجتماعية للبنين بشقراء ١٤٠٣هـ
 - ١٠- دار التربية الاجتماعية للبنين بجدة ١٤٢٣هـ
 - أما الدور الخاصة بالفتيات فهي كما يلي:
 - ١- دار التربية الاجتماعية للبنات بالرياض ١٣٨٣ هـ
 - ٢- دار التربية الاجتماعية للبنات بجدة ١٣٨٣ هـ
 - ٣- دار التربية الاجتماعية للبنات بالدمام ١٣٨٣ هـ
 - ٤- دار التربية الاجتماعية للبنات بأبها ١٤٢٣هـ

كما أن هناك عدد من دور الحضانة الخاصة لهم منها: دار بالرياض ١٣٩٢هـ. ودار بالدمام ١٣٩٨هـ. ودار بالدمام ١٣٩٨هـ. ودار بالرس ١٤٠٤هـ.ودار بالمدينة النبوية ١٤٢٣هـ. (٥٥)

⁽٥٣) انظر أطفال بلا أسر للدكتور السدحان ص ١١٣.

هذه الدور خاصة لمن يسمون باللقطاء وهم الذين لا يعرف آباؤهم.

أما الأيتام الذين هم بين أسرهم فتتم رعايتهم وهم داخل البيوت سواء كانت بيوت آبائهم أو بيوت أحد أقربائهم.

ولهم جمعيات خاصة بهم ترعى أحوالهم ومن تلك الجمعيات:

١- الجمعية الخيرية لرعاية الأيتام بمنطقة الرياض ولها عدة فروع

أ) فرع شمال الرياض ب) فرع جنوب الرياض

ج) فرع شرق الرياض د) فرع غرب الرياض

ه) فرع الخرج

وقد بلغ عدد الأيتام الذين تكفلهم الجمعية بفروعها في عام١٤٢٧هـ ٢٠٣٤٦ يتيم. وهذا العدد يتجدد حسب الحاجة.

۲- مؤسسة الأميرة هيا العساف يوجد بها فرع لرعاية الأيتام، وقد كتبت لهم مرتين بطلب معلومات عن اسم هذه الدار والعدد الذي تقوم برعايتهم، ولكن مع الأسف لم يصلني رد قبل إنهاء البحث.

٣- الجمعيات الخيرية المنتشرة بجميع محافظات المملكة تقوم برعاية الأيتام الموجودين بتلك المحافظات.وقد بلغ عدد تلك الجمعيات في هذا العام ١٤٢٨هـ ٣٦٢ جمعية خيرية.

٤- هيئة الإغاثة الإسلامية بالمملكة ولها ثمانية عشر مكتبا منتشرة داخل محافظات المملكة، وهي تقوم برعاية عدد كبير من الأيتام، وقد وصل عدد الأيتام الذين كفلتهم الهيئة في عام ١٤٢٧ هـ داخل المملكة ١٠٥١ يتيم.

وفي خارج المملكة:

أ) أيتام تتم كفالتهم لدى أسرهم ٦٩٢١٠ يتيم.

ب) أيتام تتم كفالتهم في دور خاصة بهم ٦٣٩٨ يتيم.

وقد صرح الأمين العام لهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية بالمملكة الدكتور: عدنان بن خليل باشا: بأن الهيئة تقوم حاليا بكفالة ٩٢٠٠٠ يتيم ويتيمة ومن المتوقع بأن يصل هذا العدد قريبا إلى ٢٥٠٠٠٠ يتيم ويتيمة تقدم لهم كل الخدمات الغذائية والكسائية والصحية والتعليمية والتربوية بجانب الأنشطة الترفيهية (١٥٠٠).

_

⁽٥٤) صرح بذلك في جريدة الندوة يوم الاربعاء ٢٢٨/٤/٢٢هـ عدد(١٤٧٥٧)٥٠٠، وذلك بمناسبة الاحتفال بيوم اليتيم العالمي.

:

:

قال تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَا نُقَسِطُواْ فِي ٱلْمِنْكَىٰ فَأَنكِمُواْ مَا طَابَ لَكُمْ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَثَ وَرُبَكَم ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا نُعَدِلُواْ فَوَحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَنْكُمْ ۚ ذَلِكَ أَدْنَىۚ أَلَّا تَعُولُواْ ﴾ (النساء: ٣)

أخرج البخاري عن عروة بن الزبير أنه سأل عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى: ﴿ وَإِنّ خِفْتُمُ أَلّا نُقَسِطُوا فِي النّيكَوَى ﴾ قالت: يا بن أختي هذه اليتيمة تكون في حجر وليها تشاركه في ماله فيعجبه مالها وجمالها فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقها، فيعطيها مثل ما يعطيها غيره، فنهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن، ويبلغوا بهن أعلى سنتهن في الصداق، وأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن، قال يونس بن يزيد قال ربيعة في قول الله: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمُ أَلّا نُقَسِطُوا فِي النّيكَوَى ﴾ قال يقول: اتركوهن فقد أحللت لكم أربعا (٥٥٠).

قال أبو جعفر: (وقال آخرون بل معنى ذلك: النهي عن نكاح ما فوق الأربع حذرا على أموال اليتامى أن يتلفها أولياؤهم، وذلك أن قريشا، كان الرجل منهم يتزوج العشر من النساء، والأكثر والأقل، فإذا صار معدما مال على مال يتيمه الذي في حجره، فأنفقه أو تزوج به، فنهوا عن ذلك وقيل لهم: إن أنتم خفتم على أموال أيتامكم أن تنفقوها فلا تعدلوا فيها من أجل حاجتكم إليها لما يلزمكم من مؤن نسائكم، فلا تجاوزوا فيما تنكحون من عدد النساء على أربع، وإن خفتم أيضا من الأربع ألا تعدلوا في أموالهم فاقتصروا على الواحدة أو على ما ملكت أيمانكم.

وقال آخرون: معنى ذلك: فكما خفتم في اليتامى فكذلك فتخوفوا في النساء أن تزنوا بهن ولكن انكحوا ما طاب لكم من النساء، وقال آخرون بل معنى ذلك: وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى اللاتي أنتم ولاتهن فلا تنكحوهن، وانكحوا أنتم ما أحل لكم منهن.

ثم قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بتأويل الآية قول من قال تأويلها: وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فكذلك فخافوا في النساء، فلا تنكحوا منهن إلا مالا تخافون أن تجوروا فيه منهن من واحدة إلى أربع.فإن خفتم الجور في الواحدة أيضا فلا تنكحوها، ولكن عليكم بما ملكت أيمانكم فإنه أحرى ألا تجوروا عليهن) (٥٦).

⁽٥٥) انظر فتح الباري كتاب التفسير/ باب (وإن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامي) ٨/ ٢٣٩.

⁽٥٦) انظر جامع البيان للطبري ٢٣٢/٣.

ومعنى الخوف هنا: قال جماعة من المفسرين: معناه أيقنتم وعلمتم؛ والخوف وإن كان في اللغة بمعنى الظن الذي يترجح وجوده على عدمه فإنه يأتي بمعنى اليقين و العلم. والصحيح أنه على بابه من الظن لا من اليقين ؛ التقدير من غلب على ظنه التقصير في القسط لليتيمة فليعدل عنها (٥٠٠).

وقال الطاهر بن عاشور: (اشتمال هذه الآية على كلمة ﴿ آلِيَنَهُنَى ﴾ يؤذن بمناسبة الآية للآية السابقة، بيد أن الأمر بنكاح النساء وعددهن في جواب شرط الخوف من عدم العدل في اليتامي مما خفي وجهه على كثير من علماء سلف الأمة، إذ لا تظهر مناسبة أي ملازمة بين الشرط وجوابه واعلم أن في الآية إيجازاً بديعاً إذ أطلق فيها لفظ يتامي في الشرط وقوبل بلفظ النساء في الجزاء فعلم السامع أن اليتامي هنا جمع يتيم وهي صنف من اليتامي في قوله السابق ﴿ وَمَا تُوَالُهُمُ ﴾ وعلم أن بين عدم القسط في يتامي النساء، وبين الأمر بنكاح النساء، ارتباطا لا محالة وإلا لكان الشرط عبثا، وبيانه ما في صحيح البخاري (١٥٠): أن عروة بن الزبير سأل عائشة عن هذه الآية فقالت: يا ابن أختي هذه البتيمة تكون في حجر وليها تشركه في ماله ويعجبه مالها وجمالها، فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقها فلا يعطيها مثل ما يعطيها غيره، فنهوا عن أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن ويبلغوا بهن أعلى سنتهن في الصداق فأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء غيرهن ثم إن الناس استفتوا رسول الله بعد هذه الآية فأنزل الله قولـه تعـالى: ﴿ وَيَسْتَمُونَكُ فِي ٱلنِسَاء في القيرة على النساء غيرهن أن ينكحوا من رغبوا في مالها وجمالها من يتامي النساء إلا سيمته حين تكون قليلة المال والجمال فنهوا عن أن ينكحوا من رغبوا في مالها وجمالها من يتامي النساء إلا الناس مما يعلمون من أحوالهم وتكون قد جمعت إلى حكم حفظ حقوق اليتامي في أموالهم الموروثة حفظ حقوقه في الأموال التي يستحقها البنات اليتامي من مهور أمثالهن.

وموعظة الرجال بأنهم لما لم يجعلوا أواصر القرابة شافعة للنساء اللاتي لا مرغب فيهن لهم فيرغبون عن نكاحهن، فكذلك لا يجعلون القرابة سببا للإجحاف بهن في مهورهن، وقولها ثم إن الناس استفتوا رسول الله: معناه استفتوه طلبا لإيضاح هذه الآية، أو استفتوه في حكم نكاح اليتامى، ولم يهتدوا إلى أخذه من هذه الآية فنزل قوله ويَستَعُتُونكَ في النِّسَاء في وَمَا يُتَلَى عَلَيْكُمُ فِي النِّسَاء في يَسَمَى النِّسَاء في زمن نزول هذه السورة)(٥٩).

⁽٥٧) انظر أحكام القرآن لابن العربي ١/٣١٠

⁽٥٨) انظر فتح الباري كتاب التفسير/ باب (وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامي) ٢٣٨/٨.

⁽٥٩) انظر التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٢٢/٤.

ومعنى إيتاء اليتامى أموالهم هو جعلها لهم خاصة ، وعدم أكل شيء منها بالباطل أي أنفقوا عليهم من أموالهم حتى يزول يتمهم بالرشد.. والمقصود في هذه الآية ظاهر وهو المحافظة على مال اليتيم وعدم هضم شيء منه لأن اليتيم ضعيف لا يقدر على حفظه والدفاع عنه (١٠٠).

وقول تعالى: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتَلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَبِ فِي يَتَنَمَى ٱلنِّسَآءِ النِّسَآءِ النِّسَآءِ اللَّهُ يَفْتِيكُمْ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَانِ وَأَن تَفُومُواْ لِلْيَتَنَمَى بِٱلْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهُ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴾ (النساء: ١٢٧)

ولعل هذا الاستفتاء حدث حين نزول الآيات السابقة ، فذكر حكمه عقبها معطوفا وهذا الاستفتاء حصل من المسلمين بعد أن نزل قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمَ أَلَّا نُقَسِطُوا فِي ٱلْيَنَهَىٰ فَٱنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِّنَ ٱللِّسَاء : ٣)

وأحسن ما ورد في تفسير هذه الآية ما رواه البخاري عن عروة ابن الزبير عن عائشة (١١). فالمراد: ويستفتونك في أحكام النساء إذ قد علم أن الاستفتاء لا يتعلق بالذوات فهو مثل قوله: ﴿ حُرِّمَتُ عَلَيْكُمُ أُمَّهَ لَكُمُ اللهُ أَمَّهَ لَكُمُ اللهُ النساء إذ النساء: ٢٣) وأخص الأحكام بالنساء أحكام ولايتهن وأحكام معاشرتهن، وليس المقصود هنا ميراث النساء إذ لا خطور له بالبال هنا، وقوله:

﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمُ فِيهِنَ ﴾ (النساء: ١٢٧) وعد باستيفاء الإجابة عن الاستفتاء. وهو ضرب من تبشير السائل المتحير بأنه قد وجد طلبته، وذلك مثل قولهم على الخبير سقطت. وقوله تعالى: ﴿ سَأُنَبِنُكَ بِنَأُويلِ مَالَمُ تَسْتَطِع عَلَيْ وَصَبْرًا ﴾ (الكهف: ٧٨)

وتقديم اسم الجلالة للتنويه بشأن هذه الفتيا. وقوله تعالى: ﴿ وَمَا يُتَلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ عطف على اسم الجلالة ، أي ويفتيكم فيهن ما يتلى إسنا دمجازي لأن ما يتلى دال على إفتاء الله فهو سبب فيه ، فآل المعنى إلى: قل الله يفتيكم فيهن بما يتلى عليكم في الكتاب ، والمراد بذلك ما يتلى على إفتاء الله فهو سبب فيه ، فآل المعنى إلى: قل الله يفتيكم فيهن بما يتلى عليكم في الكتاب ، والمراد بذلك ما يتلى عليهم من أول السورة وما سيتلى بعد ذلك فإن التذكير به وتكريره إفتاء به مرة ثانية وما أتبع به من الأحكام إفتاء أيضا ... ولحذف حرف الجر بعد ﴿ وَرَعْ عَبُونَ ﴾ هنا موقع عظيم من الإيجاز وإكثار المعنى ، أي ترغبون عن نكاح بعضهن ، وفي نكاح بعض آخر ، فإن فعل رغب يتعدى بحرف (عن) للشيء الذي لا يُحَب وبحرف (في) للشيء المحبوب ، فإذا حذف حرف الجر احتمل المعنيين إن لم يكن بينهما تناف ، وذلك قد شمله قوله في الآية المتقدمة ﴿ وَإِنْ خِفْتُمُ أَلّا نُقَسِطُوا فِي النّينَهُ فَانَكِمُوا ﴾ وأشار بقوله هنا ﴿ وَالْمُسْتَضَعَفِينَ مِنَ الْمِلْدَنِ ﴾ إلى قوله هنالك ﴿ وَاتُولُ وَاتُولُ وَاللّا في اللّا في اللّا في الله عنالك ﴿ وَاتُولُ اللّا في وَاللّا في اللّا في اللّا في اللّا في اللّا في اللّا في الله عنال و وَالنّا في اللّه في اللّه في اللّه عنال و وَالنّا و واللّه هنا و واللّه في اللّه عنالك ﴿ وَاللّهُ اللّه واللّه في اللّه و واللّه واللّه و واللّه الله واللّه و واللّه واللّه و واللّه واللّه و واللّه و

⁽٦٠) انظر تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار ٤/ ٣٤٢

⁽٦١) وقد سبقت الإشارة إليه أول هذا المبحث، انظر التحرير والتنوير ٢٢٣/٤، وانظر أضواء البيان للشنقيطي ٢٦٦٧.

ٱلْيَنَكَىٰ أَمُواَلُهُمْ وَلَا تَنَبَدَ لُوا ٱلْخَيِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُواْ أَمُولُكُمْ إِلَىٰ أَمُولِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ (النساء: ٢) ﴿ وَلَا تُوَقُولُواْ السُّفَهَاءَ أَمُولُكُمُ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ (النساء: ٥) وأشار بقوله : ﴿ وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَنَكَىٰ اللّهُ لَكُو قِينَا وَأَرْدُقُوهُمْ فِيهَا وَأَكْسُوهُمْ وَقُولُواْ الْمُمْ قَوْلًا مَعُهُواً ﴾ (النساء: ٥) وأشار بقوله : ﴿ وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَنَكَىٰ بِالْقِسْطِ ﴾ (النساء: ٢٧)

والذي يتلى عليهم في الضعيفين: المرأة واليتيم هو ما تقدم في أول السورة وأن الله يذكرهم بتلك الآيات المفصلة ليتدبروها ويتأملوا معانيها ثم يعملوا بها، إذ قد جرت طباع البشر أن يتغافلواعن دقائق الأحكام والعظات التي ترجعهم عن أهوائهم وتؤنبهم على اتباع شهواتهم.

قال تعالى: ﴿ وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَكَى بِاللَّهِ اللَّهِ أَي يفتيكم أن تقوموا لليتامى من هؤلاء النساء والولدان المستضعفين بالقسط.

بأن تهتموا بهم اهتماما خاصا وتعنوا بشأنهم ويجري العدل في معاملتهم على أكمل الوجوه وأتمها، فإن ذلك هو الواجب الذي لا هوادة فيه، ولا خيرة في شأنه ثم رغبهم في العمل بما فيه فائدة لليتامى، وحبب إليهم النّصفة

⁽٦٢) انظر التحرير والتنوير ٥/ ٢١٢.

فقال تعالى: ﴿ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرِ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيكُ ﴾ أي وما تفعلوه من الخير لليتامى فهو مما لا يعزب عن علمه، وهو مجازيكم به ولا يضيع عنده شيء منه (٦٣). قال ابن العربي: تعلق أبو حنيفة بقوله (في اليتامى) في تجويز نكاح اليتيمة قبل البلوغ. وقال مالك والشافعي: لا يجوز ذلك حتى تبلغ وتستأمر ويصح إذنها (١٤)

:

وفيه مطلبان: الأول: امتحان الذكر، والثاني: امتحان الأنثى:

: قال الله تعالى: ﴿ وَ اَتُوا الْيَنكَى اَمُواكُمُ وَلا تَبَدّ لُوا الْخِيبَ وَلا تَأْكُوا اَمُوكُمُ إِلَهُ اَلَا الله عليه وسلم (يتيم أبي الله عليه وسلم (يتيم أبي الأعراف ١٢٠ ولا سحر مع السجود فكذلك لا يتم مع البلوغ ، وكان يقال للنبي صلى الله عليه وسلم (يتيم أبي الأعراف) استصحابا لما كان. ﴿ وَ الوَ أَيُ الله عليه وسلم الله عليه وسلم الله والله الله الله الله عليه وسلم الله عليه وسلم الله والأوصياء نزلت في قول مقاتل والكلبي: في رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم ، فلما بلغ اليتيم طلب المال فمنعه عمه ، فنزلت ، فقال العم: نعوذ بالله من الحوب الكبير! ورد المال فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (من يوق شح نفسه ورجع به هكذا فإنه يحل داره) يعني جنته ، فلما قبض الفتى المال أنفقه في سبيل الله ، فقال عليه السلام: (ثبت الأجر وبقي الوزر) فقيل كيف يا رسول الله ؟ فقال: ثبت الأجر للغلام وبقي الوزر على والده لأنه كان مشركا) (٥٠٠).

وإيتاء اليتامي أموالهم يكون بوجهين:

1- إجراء الطعام والكسوة ما دامت الولاية، إذ لا يمكن إلا ذلك لمن لا يستحق الأخذ الكلي والاستبداد كالصغير والكبير والسفيه.

٢- الإيتاء بالتمكن وإسلام المال إليه، وذلك عند الابتلاء والإرشاد، وتكون تسميته مجازا المعنى: الذي كان يتيما، وهو استصحاب الاسم كقوله: ﴿ وَأُلْقِى ٱلسَّحَرَةُ سَيَعِدِينَ ﴾ أي الذين كانوا سحرة (٢٦٠). وقيل المعنى في قوله: ﴿ وَاتُوا ٱلْيَنَكُمَ آَمُولُهُم ﴾ إما أن يراد باليتامى الصغار وبإيتائهم الأموال أن لا يطمع فيها الأولياء والأوصياء وولاة السوء وقضاته ويكفوا عنها أيديهم الخاطفة حتى تأتي اليتامى إذا بلغوا سالمة غير محذوفة، وإما أن يراد الكبار تسمية

⁽٦٣) انظر تفسير المراغي ١٧١/٥.

⁽٦٤) انظر أحكام القرآن لابن العربي ٢١٠/١

⁽٦٥) ذكر ذلك الواحدي في أسباب النزول ص١٣٦ بدون إسناد وعزاه للكلبي ومقاتل.

وانظر الجامع لأحكام القرآن ٥/٨. والبحر المحيط ٣/ ١٥، والكشاف للزمخشري ٢٤٢/١.

⁽٦٦) انظر الجامع لأحكام القرآن ٨/٥.

لهم يتامى على القياس، أو لقرب عهدهم إذا بلغوا بالصغر، كما تسمى الناقة عشراء بعد وضعها، على أن فيه إشارة إلى أن لا يؤخر دفع أموالهم إليهم عن حد البلوغ ولا يمطلوا إن أونس منهم الرشد (٢٠٠). وقال ابن العربي: قوله ﴿ وَءَاتُوا ﴾ معناه: وأعطوا، أي مكنوهم منها واجعلوها في أيديهم، وذلك لوجهين: أحدهما: إجراء الطعام والكسوة ؛ إذ لا يمكن إلا ذلك لمن لا يستحق الأخذ الكلي والاستبداد. الثاني: رفع اليد عنها بالكلية وذلك عند الابتلاء الإرشاد)(٢٠٠).

: قوله تعالى: ﴿ وَٱبْنَالُواْ ٱلْمِنْكَى حَتَى إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِكَاحَ فَإِنْ ءَانَسَتُم مِنْهُمُ رُشُدًا فَٱدْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمُولُهُمْ ﴾ قال الطبري: (يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿ وَٱبْنَلُواْ ٱلْمِنْكَى ﴾ واختبروا عقول يتاماكم في أفهامهم، وصلاحهم في أديانهم، وإصلاحهم أمسوالهم)(١٩٠) ﴿ حَتَى إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِكَاحَ ﴾ يعنى: إذا بلغوا الحلم ﴿ فَإِنْ ءَانَسَتُم مِنْهُمُ رُشُدًا ﴾ أي وجدتم منهم وعرفتم واختلف أهل التأويل في معنى الرشد هنا فقال بعضهم: معنى الرشد في هذا الموضع: العقل والصلاح في الدين، وقال آخرون معنى ذلك: صلاحا في دينهم، وإصلاحا لأموالهم، وقال آخرون: بل ذلك العقل خاصة.

قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال عندي بمعنى الرشد في هذا الموضع: العقل وإصلاح المال لإجماع الجميع على أنه إذا كان كذلك لم يكن ممن يستحق الحجر عليه في ماله، و َحَوْزِ ما في يده عنه، وإن كان فاجرا في دينه وإذا كان ذلك إجماعا من الجميع، فكذلك حكمه إذا بلغ وله مال في يدي وصي أبيه، أو في يد حاكم قد ولي ماله لطفولته، واجب عليه تسليم ماله إليه إذا كان عاقلا بالغا مصلحا لماله غير مفسد، لأن المعنى الذي به يستحق أن يولى على ماله الذي هو في يده هو المعنى الذي به يستحق أن يمنع يده من ماله الذي هو في يد ولى، فإنه لا فرق بين ذلك...

وقوله سبحانه: ﴿ فَأَدْفَعُوا ۚ إِلَيْهِمْ أَمُولُكُمْ ﴾ يعني بذلك تعالى ذكره: ولاة أموال اليتامى يقول لهم: فإذا بلغ أيتامكم الحلم، فأنستم منهم عقلا وإصلاحا لأموالهم، فادفعوا إلهم أموالهم، ولا تحبسوها عنهم)(٧٠).

قال الطاهر بن عاشور: قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ ءَانَسَتُمْ مِّنَهُمُ رُشَدًا ﴾ شرط ثان مقيد للشرط الأول المستفاد من ﴿ إِذَا بَلَغُواْ اَلذِّكَاحَ ﴾ وهمو وجوابه جواب ﴿ إِذَا ﴾ ولذلك قرن بالفاء ليكون نصا في الجواب وتكون ﴿ إِذَا ﴾ نصا في الشرط، فإن جواب ﴿ إِذَا ﴾ مستغن عن الربط بالفاء لولا قصد التنصيص على الشرطية.

⁽٦٧) انظر الكشاف للزمخشري ٢٤٢/١، وأضواء البيان١/٣٦٥.

⁽٦٨) انظر أحكام القرآن لابن العربي ٣٠٨٣/١

⁽٦٩) قال البغوي: نزلت في ثابت بن رفاعة وفي عمه. انظر تفسير البغوي ١٦٥/٢، وأسباب النزول للواحدي ص١٣٧، وذكره بنحوه ابن حجر في الإصابة وقال هذا مرسل ورجاله ثقات، انظر الإصابة ١٩٢/١.

⁽٧٠) انظر جامع البيان للطبري ٢٥٣/٤/٣. وأحكام القرآن للجصاص ٢٢/٢

وجاءت الآية على هذا الترتيب لتدل على أن انتهاء الحجر إلى البلوغ بالأصالة، ولكن بشرط أن يعرف من المحجور الرشد، وكل ذلك قطع لمعاذير الأوصياء من أن يمسكوا أموال محاجيرهم عندهم مدة لزيادة التمتع بها.ويتحصل من معنى اجتماع الشرطين في الكلام هنا إذ كان بدون عطف ظاهر أو مقدر بالقرينة، أن مجموعهما سبب لتسليم المال إلى المحجور فلا يكفي حصول أحدهما ولا نظر إلى الذي يحصل منهما ابتداء والآية أيضا صريحة في أنه إذا لم يحصل الشرطان معا البلوغ والرشد، لا يدفع المال للمحجور، واتفق على ذلك عامة علماء الإسلام، فمن لم يكن رشيدا بعد بلوغه يستمر عليه الحجر. ولم يخالف في ذلك إلا أبو حنيفة.قال: ينتظر سبع سنين بعد البلوغ فإن لم يؤنس منه الرشد أطلق من الحجر.

وهذا يخالف مقتضى الشرط من قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ ءَانَسَتُم مِنَهُم رُشُدًا ﴾ لأن أبا حنيفة لا يعتبر مفهوم الشرط. وهو أيضا يخالف القياس إذ ليس الحجر إلا لأجل السفه وسوء التصرف فأي أثر للبلوغ لولا أنه مظنة الرشد.وإذا لم يحصل مع البلوغ فما أثر سبع السنين في تمام رشده. وحكم الآية شامل للذكور والإناث بطريق التغليب، فالأنثى اليتيمة إذا بلغت رشيدة دفع مالها إليها)(١٧).

والبلوغ يكون بأحد خمسة أشياء (٧١) ثلاثة يشترك فيها الرجال والنساء:

الأول: الاحتلام لقوله ﷺ: (رفع القلم عن ثلاثة عن الصبي حتى يحتلم) (٧٣).

الثاني: استكمال خمس عشرة سنة، أخذ ذلك من الحديث الثابت في الصحيحين عن ابن عمر قال: (عرضت على النبي على يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة فلم يجزني، وعرضت عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة فأجازني)(١٤٠).

الثالث: الإنبات ويدل لذلك ما رواه الإمام أحمد عن عطية القرظي قال:

⁽٧١) انظر التحرير والتنوير ٤/ ٢٥٣.

⁽٧٢) انظر زاد المسير لابن الجوزي ١٥/٢، والجامع لأحكام القرآن ٥/٤٣.

⁽٧٣) أخرجه أبو داود عن علي رضي الله عنه انظر سنن أبي داود كتاب الحدود / باب في المجنون يسرق أو يصيب حدا ٤/ ٥٦٠. وأخرجه الدارمي في الترمذي عن علي رضي الله عنه انظر سنن الترمذي كتاب الحدود / باب ما جاء فيمن لا يجب عليه الحد ٢٧١٤. وأخرجه الدارمي في سننه عن عائشة رضي الله عنها، انظر سنن الدارمي كتاب الحدود / باب رفع القلم عن ثلاثة ١٧١/٦. وأخرجه ابن ماجه في سننه عن عائشة رضي الله عنها، انظر سنن ابن ماجه كتاب الطلاق/ باب طلا ق المعتوه والصغير والنائم ١/ ٦٥٨. وأخرجه النسائي في سننه كتاب الطلاق / باب من لا يقع طلاقه من الأزواج ٢٥٥٦ وقال الألباني: ورد من حديث عائشة وعلي وأبي قتادة الأنصاري، وهو صحيح، انظر صحيح سنن النسائي ٢٧٣/١، وإرواء الغليل ٤/٢.

⁽٧٤) أخرجه البخاري في كتاب الشهادات/ باب بلوغ الصبيان وشهاداتهم ١٥٨/٣، ومسلم في كتاب الإمارة / باب سن البلوغ ١٤٩٠/٢.

(عرضنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم قريظة ، فكان من أنبت قتل ومن لم ينبت خلي سبيله ، فكنت فيمن لم ينبت فخلى سبيلى...) (٥٧).

ثالثا: ومن ذلك قصة موسى مع الخضر، وذلك أنه لما كان الضعف وصفاً متأصلاً في اليتامى وسنةً من سنن الله سبحانه وتعالى تولى بذاته سبحانه حفظ حقوقهم والدفاع عنهم، وتوعد من اعتدى عليها، وذلك عام في الخليقة حتى قبل وجود هذه الأمة وقبل نزول القرآن، ومما يدل على ذلك ما قصه الله عز وجل في سورة الكهف لما ذكر خبر موسى مع الخضر في قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا لَلْهِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَعْتَهُ كَنَرُ لَكُما وَيُسْتَخْرِهَا كَنزهُ مَا رَحْمَةً مِّن رَبِكَ وَمَا فَعَلْنُهُ عَنْ أَمْرِى ذَلِكَ تَأُويلُ مَالَمُ فَسَطِع عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ فَمَا وَمَا فَعَلْنُهُ عَنْ أَمْرِى ذَلِكَ تَأُويلُ مَالَمُ فَسَطِع عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾

وأما الرابع والخامس: فتختص بالنساء وهي: الحيض والحبل فإذا حاضت المرأة بعد استكمال تسع سنين يحكم ببلوغها. وكذلك إذا ولدت يحكم ببلوغها قبل الوضع بستة أشهر لأنها أقل مدة الحمل (٧٦) وقال القرطبي: (ولم يختلف العلماء في أنه بلوغ، وأن الفرائض والأحكام تجب بهما) (٧٧).

أخرج البخاري قصة موسى مع الخضر وفيه: (فقام الخضر فأقام الجدار بيده فقال له موسى: قوم أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا لو شئت لاتخذت عليه أجرا) (١٨٨). ففي هذه القصة بيَّن الخضر لموسى أنه إنما فعل ذلك لأن الجدار كان لغلامين يتيمين وكان أبوهما صالحا وكان تحته كنز لهما، وأراد الله رعاية منه سبحانه لحقهما وحفظا لمالهما وإكراما لصلاح أبيهما إقامة هذا الجدار، فأمره بذلك العمل، حتى إذا بلغا رشدهما وجداه محفوظا تحت الجدار، ولو ترك حتى يسقط الجدار لخرج الكنز من تحته وتلقفته الأيدي وفات الغلامين حقهما منه وهذا رحمة من الله عز وجل لهذين الغلامين بحفظ حقهما بأمر الخضر بإقامة الجدار (٢٩١). فانظر إلى رحمة الله بذينك الغلامين كيف ساق الله لهما الخضر يخوض البحار ويتجاوز القفار حتى يقيم لهما ذلك الجدار حتى يبقى لهما المال إلى وقت بلوغهما فيستلماه كاملا بعد رشدهما.

⁽٧٠) انظر المسند ٣٨٣/٤، وسنن أبي داود كتاب الحدود / باب في الغلام يصيب الحد ٥٦١/٤، و قال الألباني في صحيح سنن أبي داود: صحيح، انظر ٣٨٣/٣. وسنن الترمذي كتاب السير/ باب في النزول على الحكم وقال: هذا حديث حسن صحيح، انظر سنن الترمذي ١٤٥/١، والدارمي في السير/ باب حد الصبي متى يقتل ٢٢٣/٢.

⁽۲۷) انظر معالم التنزيل ۱۹۲/۲، و زاد المسير۱۵/۲

⁽٧٧) انظر الجامع لأحكام القرآن٥/٥٥

⁽٧٨) انظر فتح الباري كتاب التفسير/ باب(فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا) ١٠/٨

⁽٧٩) انظر تفسير الكبير للفخر الرازي ١٦٢/٢١ ، ورح المعاني للألوسي١٢/٥

ومنهج القرآن في رعاية ضعفاء المجتمع ص١٧٦

:

قال البغوي: (والابتلاء يختلف باختلاف أحوالهم فإن كان ممن يتصرف في السوق فيدفع الولي إليه شيئا يسيرا من المال وينظر في تصرفه، وإن كان ممن لا يتصرف في السوق فيختبره في نفقة داره، والإنفاق على عبيده وأجرائه)(^^.).

وقيل: هو أن يتأمل الوصي أخلاق يتيمه، ويستمع إلى أغراضه، فيحصل له العلم بنجابته والمعرفة بالسعي في مصالحه وضبط ماله، والإهمال لذلك فإذا توسم الخير قال علماؤنا وغيرهم: لا بأس أن يدفع إليه شيئا من ماله يبيح له التصرف فيه، فإن غّاه وحسن النظر فيه فقد وقع الاختبار، ووجب على الوصي تسليم جميع ماله إليه. وإن أساء النظر فيه وجب عليه إمساك ماله عنده، وليس في العلماء من يقول أنه إذا اختبر الصبي فوجده رشيدا ترتفع الولاية عنه، وأنه يجب دفع ماله إليه وإطلاق يده في التصرف لقوله تعالى: ﴿ حَتَى إِذَا بَلَغُوا النِّكاحَ ﴾

وقال جماعة من الفقهاء: إن الغلام يرد إليه النظر في نفقة الدار شهرا، أو يعطى شيئا نزرا يتصرف فيه، ليعرف كيف تدبيره وتصرفه، وهو مع ذلك يراعيه لئلا يتلفه، فإن أتلفه فلا ضمان على الوصي، فإذا رآه متوخيا سلم إليه ماله وأشهد عليه (٨١).

ويتحقق اختباره بتفويض التصرف إليه بالبيع والشراء ليعلم هل يغبن أولا، ولأنه عاقل مميز محجور عليه، فصح تصرفه بإذن وليه كالعبد، وفارق غير المميز فإنه لا تحصل المصلحة بتصرفه لعدم تمييزه ومعرفته ولا حاجة إلى اختباره، لأنه قد علم حاله (٨٢).

:

والمرأة تختبر في أمر بيتها وحفظ متاعها وغزلها واستغزالها فإذا رأى حسن تدبيرها وتصرفها في الأمور مرارا يغلب على القلب رشدها دفع المال إليها (^{۸۳)}. وقيل: والجارية يرد إليها ما يرد إلى ربة البيت من تدبير بيتها والنظر فيه في الاستغزال والاستقصاء على الغزالات في دفع القطن وأجرته واستيفاء الغزل وجودته، فإن رآها رشيدة سلم إليها مالها وأشهد عليها، وإلا بقيت تحت الحجر حتى يؤنس رشدها (^{۸٤)}.

⁽۸۰) انظر معالم التنزيل ١٦٥/٢.

⁽٨١) انظر الجامع لأحكام القرآن ٣٤/٥. وأحكام القرآن لابن العربي ٢٠٠١

⁽٨٢) انظر المغنى لابن قدامة ٦٤٧/٦.

⁽۸۳) انظر معالم التنزيل ١٦٥/٢.

⁽٨٤) انظر الجامع لأحكام القرآن ٧٤/٥

:

:

إن الدين الإسلامي يحفظ على المسلم ماله كما يحفظ عليه نفسه وعرضه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) (٥٠٠) فمال المسلم مما أمر الله باحترامه ومنع من الاعتداء عليه، وورد الوعيد في القرآن الكريم في عدة آيات على من اعتدى على مال اليتيم وخصه دون غيره بجمع من الآيات الكريمة لترعاه وتذب عنه بشتى الوسائل والأساليب، تدبيرا له وذودا عنه، وسبب هذا هو طمع فئة من الناس في مال اليتامى لضعفهم وعدم من يقوم بالدفاع عنهم، لأن مظنة الاعتداء عليه غالبا تكون من وليه وهو أقرب الناس إليه، فبمن يستنجد وبمن يستجير، ولذا جاء القرآن بأوامره ونواهيه وترغيبه وترهيبه، واضعا التشريعات الدقيقة المحكمة التي تكفل لليتيم ماله وتحفظه له كاملا وتمنع كل حيلة أو أسلوب يؤدي إلى ضياعه أو سلب شيء منه، كما سنرى في الآيات التالية بيان ذلك:

: ﴿ وَءَاتُوا ٱلْيَنكَعَ آمُولَكُمْ وَلا تَبَدّلُوا ٱلْجَيتَ بِالطّيِّ وَلا تَأْكُواْ أَمُولَكُمْ إِلَى آمُولِكُمْ إِلَهُ كَان حُوبًا كَبِيرًا ﴾ (النساء: ٢) قال ابن جرير: بعد أن ساق أقوال السلف فيها وأولى الأقوال في تأويل هذه الآية قول من قال تأويل ذلك: ولا تتبدلوا أموال أيتامكم أيها الأوصياء الحرام عليكم، الخبيث لكم. فتأخذوا رفائعها وخيارها وجيادها بالطيب الحلال لكم من أموالكم وتجعلوا الردئ بدلا منه (٨١).

واختلفوا في هذا التبدل، قال سعيد بن المسيب والنخعي والزهري والسدي كان أولياء اليتامى يأخذون الجيد من مال اليتيم ويجعلون مكانه الردئ، فربما كان أحدهم يأخذ الشاة السمينة من مال اليتيم ويجعلون مكانه الردئ، فربما كان أحدهم بدرهم، فنهوا عن ذلك. وقوله تعالى: ﴿ وَلاَ تَأْكُواْ أَمُولُكُمْ إِلَىٰ وَيَعْلَى اللهِ وَلاَ تَأْكُواْ أَمُولُكُمْ إِلَىٰ اللهِ وَيُعِلَى مكانه الزيف ويقول درهم بدرهم، فنهوا عن ذلك. وقوله تعالى: ﴿ مَنْ أَنصَارِى إِلَى اللهِ ﴿ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ أي: مع أموالكم كقوله تعالى: ﴿ مَنْ أَنصَارِى إِلَى اللهِ ﴿ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ أي: إنها عظيما (٨٠٠).

وقوله تعالى: ﴿ وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمُولَكُمُم إِلَىٰ آَمُولِكُم ﴾ نهي ثالث عن أخذ أموال اليتامى وضمها إلى أموال أوليائهم، فيتسق في الآية أمر ونهيان: أمروا أن لا يمنعوا اليتامى من مواريثهم، ثم نهوا عن اكتساب الحرام، ثم نهوا عن الاستيلاء على أموالهم أو بعضها، والنهي والأمر الأخير تأكيدان للأمر الأول، والأكل استعارة للانتفاع المانع من انتفاع الغير وهو الملك التام، لأن الأكل هو أقوى أحوال الاختصاص بالشيء لأنه يحرزه في داخل جسده، ولا مطمع في إرجاعه وضمن ﴿ تَأْكُلُوا لَهُ معنى تضموا فلذلك عدي بإلى أي: لا تأكلوها بأن تضموها إلى أموالكم.

⁽٨٥) انظر صحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب/ باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله ١٩٨٦/٣.

⁽٨٦) انظر جامع البيان ٢٢٩/٤/٣.

⁽۸۷) انظر معالم التنزيل ۲/۱۲۰

وليس قيد ﴿ إِلَىٰ أَمُولِكُمْ ﴾ محط النهي، بل النهي واقع على أكل أموالهم مطلقا سواء كان للآكل مال يضم اليه مال يتيمه أم لم يكن، ولكن لما كان الغالب وجود أموال للأوصياء، وأنهم يريدون من أكل أموال اليتامى التكثر، ذكر هذا القيد رعيا للغالب، ولأنه أدخل في النهي لما فيه من التشنيع عليهم حيث يأكلون حقوق الناس مع أنهم أغنياء، على أن التضمين ليس من التقييد بل هو قائم مقام نهيين (٨٨).

قال الطبري: ومعنى قوله ﴿إِسُرَافًا ﴾ يعني: بغير ما أباحه الله لكم، ﴿ وَبِدَارًا ﴾ ومبادرة، وهو مصدر من قول القائل: بادرت هذا الأمر مبادرة وبدارا، وإنما يعني بذلك جل ثناؤه: ولاة أموال اليتامى: يقول لهم: لا تأكلوا أموالهم إسرافا يعني: ما أباح الله لكم أكله، ولا مبادرة منكم بلوغهم، وإيناس الرشد منهم حذرا أن يبلغوا فيلزمكم تسليمه إليهم (٨٩).

وقيل المعنى: ﴿ وَلاَ تَأْكُوها َ إِسْرَافا ﴾ عطف على ﴿ وَاَبْلُوا الْمِنْكَى ﴾ باعتبار ما اتصل به من الكلام في قوله ﴿ وَلاَ تَأْكُوا اَمْوَلُكُمْ ﴾ النّسَتُم مِنْهُم رُشُكًا... ﴾ الآية وهو تأكيد للنهي عن أكل أموال اليتامى الذي تقدم في قوله ﴿ وَلا تَأْكُوا آمَولُكُمْ إِلَى آمَولُكُمْ ﴾ وتنفضيح لحيلة كانوا يحتالونها قبل بلوغ اليتامى أشدهم وهي: أن يتعجل الأولياء استهلاك أموال اليتامى قبل أن يتهيئوا لمطالبتهم ومحاسبتهم فيأكلوها بالإسراف في الإنفاق، وذلك أن أكثر أموالهم في وقت النزول كانت أعيانا من انعام وقر وحب وأصواف فلم يكن شأنها مما يكتم ويختزن، ومما يعسر نقل الملك فيه كالعقار، فكان أكلها هو استهلاكها في منافع الأولياء وأهليهم، فإذا وجد الولي مال محجوره جَشع إلى أكله بالتوسع في نفقاته ولباسه ومراكبه وإكرام سمرائه مما لم يكن ينفق فيه مال نفسه، وهذا هو المعنى الذي عبر عنه بالإسراف، فإن الإسراف الإفراط في الإنفاق والتوسع في شؤون اللذات وانتصب ﴿ إِسْرَافًا ﴾ على الحال، أو على النيابة عن المفعول المطلق، وأيا ما كان فليس القصد تقييد النهي عن الأكل بذلك، بل المقصود تشويه حالة الأكل والبدار مصدر بادره، وهو مفاعلة من البدر، وهو العجلة إلى الشيء، بدره عجله، وبادره عاجله، والمفاعلة هنا قصد منها تمثيل هيئة الأولياء في إسرافهم في أكل أموال محاجيرهم عند مشارفتهم البلوغ، وتوقع الأولياء سرعة إبّانه، بحال من يبدر غيره إلى غية والآخر يبدر إليها فهما يتبادرانها كأن المحجور يسرع إلى البلوغ ليأخذ ماله، والوصي يسرع إلى أكله لكيلا يجد

⁽۸۸) انظر التحرير والتنوير ٢٢١/٤

⁽٨٩) انظر جامع البيان للطبري ٢٥٣/٤/٣ ، وأحكام القرآن للجصاص ٢٣/٢ وأحكام القرآن لابن العربي ١٣٢٣.

اليتيم ما يأخذ منه، فيذهب يدَّعي عليه، ويقيم البينات حتى يعجز عن إثبات حقوقه، فقوله تعالى: ﴿ أَن يَكُبُرُوا ﴾ في موضع المفعول لمصدر المفاعلة (٩٠٠).

ومما يؤكد حرص الإسلام على حماية تلك الأموال ختام الآية بقوله سبحانه ﴿ فَإِذَا دَفَعْتُم ٓ إِلَهُم ٓ أُمُولَهُم فَأَشَّهِدُوا عَلَيْهِم ۗ وَكُفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾.

وقوله تعالى ﴿ فَأَشَّهِدُواْ عَلَيْهِمْ ﴾ هذا أمر من الله تعالى للأولياء أن يشهدوا على الأيتام إذا بلغوا الحلم وسلموا إليهم أموالهم لئلا يقع من بعضهم جحود وإنكار لما قبضه وتسلمه.

ثم قال تعالى: ﴿ وَكُفَّى بِأَللَّهِ حَسِيبًا ﴾ أي وكفى بالله محاسباً وشاهداً ورقيباً على الأولياء في حال نظرهم للأيتام وحال تسليمهم لأموالهم هل هي كاملة موفرة أو منقوصة مبخوسة، مروج حسابها مدلس أمورها ؟ الله أعلم بذلك كله (١٠).

: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمُولَ ٱلْيَتَنَمَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَازًا وسَيَصْلَوْكَ سَعِيرًا ﴾

(النساء: ١٠)

قال ابن كثير: أي إذا أكلوا أموال اليتامى بلا سبب فإنما يأكلون ناراً تتأجج في بطونهم يوم القيامة. وقال السدي: يبعث آكل مال اليتيم يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه ومن مسامعه وأنفه وعينيه، يعرفه كل من رآه بآكل مال اليتيم (٩٢).

ومعنى الآية أنهم حين يأكلون أموال اليتامى قد أكلوا ما يفضي بهم إلى جهنم وعلى هذا فعطف جملة ﴿ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ عطف مرادف لمعنى جملة ﴿ يَأْكُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ﴾ ويجوز أن يكون اسم النار مستعارا للألم بمعنى أسباب الألم فيكون تهديدا بعذاب دنيوي أو مستعارا للتلف لأن شأن النار أن تلتهم ما تصيبه، والمعنى إنما يأخذون أموالاً في مصائب تعتريهم في ذواتهم وأموالهم كالنار إذا تدنو من أحد فتؤلمه وتتلف متاعه.

فيكون هذا تهديدا بمصائب في الدنيا على نحو قوله تعالى ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَوْا ﴾ (البقرة: ٢٧٦) ويكون عطف جملة ﴿ وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا ﴾ جاريا على ظاهر العطف من اقتضاء المغايرة بين المتعاطفين، فالجملة الأولى تهديد بعذاب في الدنيا، والجملة الثانية وعيد بعذاب الآخرة (٩٣٠).

: ﴿ وَلَا نَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغُ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِّ لَا نُكِيِّفُ نَقْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ وَإِذَا قُلْتُمُ فَأَعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْيَى ۗ وَبِعَهْ دِ اللَّهِ أَوْفُواْ ذَالِكُمْ وَصَّنَكُمْ بِهِ ـ لَعَلَكُمُ تَذَكَّرُونَ ﴾.

لا شك أن النهي عن مجرد قربانها أبلغ من النهي عن تناولها أو أكلها لأنه يتناول النهي عن المقدمات والوسائل التي يمكن أن يتوصل بها إلى التعرض لتلك الأموال بأى وجه من الوجوه.

⁽٩٠) انظر التحرير والتنوير ٢٤٤/٤.

⁽٩١) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٠٦/٢.

⁽٩٢) انظر تفسير القرآن العظيم ٢/ ٢١٠.

⁽٩٣) انظر التحرير والتنوير ٤/٤٥٢.

فمعنى قوله تعالى ﴿ وَلَا نَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ ﴾ هذا نهي عن القرب الذي يعم جميع وجوه التصرف وفيه سد الذريعة ﴿ إِلَّا بِأَلِّي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ أي الخصلة التي هي أحسن في حق اليتيم، ولم يأت: إلا بالتي هي حسنة، بل جاء بأفعل التفضيل مراعاة لمال اليتيم لأن الطمع فيه أكثر لضعفه وقلة مراعاته (١٤) ووجه تخصيص حق اليتيم في ماله بالحفظ أن ذلك الحق مظنة الاعتداء عليه من الولي وهو مظنة انعدام المدافع عنه، لأنه ما من ضعيف عندهم إلا وله من الأقارب والموالي من يدفع عنه إذا استجاره أو استنجده، فأما اليتيم فإن الاعتداء عليه إنما يكون من أقرب الناس إليه، وكان الأولياء يتوسعون في أموال أيتامهم، ويعتدون عليها، ويضيعون الأيتام لكيلا ينشؤوا نشأة يعرفون بها حقوقهم، ولذلك قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَجِدُكَ يَتِيمًا فَاَوَىٰ ﴾ لأن اليتيم مظنة الإضاعة، فلذلك لم يوص الله تعالى بمال غير اليتيم لأن صاحبه يدفع عن نفسه ، أو يستدفع بأوليائه ومنجديه (٩٥).

: ﴿ وَلَا نَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْمُنْتِمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغُ ٱشُدَّةً أَوْقُواْ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَكَاكَ مَشْعُولًا ﴾

(الإسراء: ٣٤) هذا من أهم الوصايا التي أوصى الله بها في هذه الآيات وهي الوصية العاشرة، لأن العرب يستحلون أموال اليتامي لضعفهم عن التفطن لمن يأكل أموالهم وقلة نصيرهم لإيصال حقوقهم، فحذر الله المسلمين من ذلك لإزالة ما عسى أن يبقى في نفوسهم من أثر من تلك الجاهلية (٩٦٠). ولما نهى عن قتل الأنفس أتبعه بالنهي عن إتلاف الأموال، لأن أعز شيء بعد النفوس الأموال، وأحق الناس بالنهي عن إتلاف أموالهم هو اليتيم، لأنه لصغره وضعفه وكمال عجزه يعظم ضرره بإتلاف ماله فلهذا السبب خصهم الله تعالى بالنهى عن إتلاف أموالهم (٧٠).

: ﴿ وَيَسْتَكُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَنَكَىٰ قُلُ إِصْلاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لِأَغْنَ تَكُمُّ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزُ حَكِيمٌ ﴾ (البقرة: ٢٢٠).

أخرج أبو داود عن ابن عباس لما أنزل الله عز وجل: ﴿ وَلَا نَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا مِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ و ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمُولَ ٱلْيَتَهَيٰ ظُلْمًا ﴾ انطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه وشرابه من شرابه، فجعل يفضل من طعامه فيحبس له حتى يأكله أو يفسد، فاشتد ذلك عليهم، فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل: ﴿ وَيَسْتَكُونَكَ عَنِ ٱلْمِتَكَيَّ قُلُ إِصْلاَحٌ ۖ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانَكُمْ ﴾ فخلطوا طعامهم بطعامه وشرابهم بشرابه (٩٨).

⁽٩٤) انظر البحر المحيط لأبي حيان ٢٥٢/٤.

⁽٩٥) انظر التحرير والتنوير ١٦٤/٨.

⁽٩٦) انظر التحرير والتنوير ١٥/٧٩.

⁽٩٧) انظر التفسير الكبير للفخر الرازي ٢٠٤/٢٠

⁽٩٨) انظر سنن أبي داود كتاب الوصايا باب مخالطة اليتيم في طعامه ٢٩١/٣، وقال عنه الألباني: حسن، انظر صحيح سنن أبي داود ٢/٥٥٤. وأخرجه النسائي عن ابن عباس انظر سنن النسائي كتاب الوصايا باب ما للوصيي من مال اليتيم إذا قام عليه ٢٥٦/٦، وانظر صحيح السنن ٢٥٦/٦.

وأخرجه الحاكم في المستدرك عن ابن عباس وقال: هذا حديث صحيح ولم يخرجاه ووافقه الـذهبي انظر المستدرك ١٠٣/٢. وانظر أحكام القرآن للجصاص ١ /٣٣٠

فبالنظر إلى السبب نجد أن الإجابة بعد السؤال مباشرة جاءت بقوله ﴿ قُلُ إِصَّلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ ﴾ أي أن الإسلام يريد الإصلاح لليتامى بأي شكل من الأشكال، فهنا لما كان عزل طعامه عن طعام وليه يسبب له نوعا من الخسارة والنقص جاء الأمر بالمخالطة لكى يوفر ولو جزءا يسيرا من ماله.

وقوله ﴿ وَاللّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ﴾ لأن المقصود من الإخبار بعلم الله الإخبار بترتب آثار العلم عليه، وهذا إشارة إلى أن ما فعله بعض المسلمين من تجنب التصرف في أموال اليتامى تنزه لا طائل تحته، لأن الله يعلم المتصرف بصلاح والمتصرف بغير صلاح، وفيه أيضا ترضية لولاة الأيتام فيما ينالهم من كراهة بعض محاجيرهم ضربهم على أيديهم في التصرف المالي وما يلاقون في ذلك من الخصاصة، فإن المقصد الأعظم هو إرضاء الله تعالى لا إرضاء المخلوقات (١٩٩).

:

ذكر ابن قدامه في المغني قال: ويتجر الوصي بمال اليتيم ولا ضمان عليه، والربح كله لليتيم. فإن أعطاه لمن يضارب له به فللمضارب من الربح ما وافقه الوصي عليه.أي أن لولي اليتيم أن يضارب بماله، وأن يدفعه إلى من يضارب له به ويجعل له نصيبا من الربح أبا كان، أو وصيا، أو حاكما، أو أمين حاكم، وهو أولى من تركه. وممن رأى ذلك ابن عمر، والنخعي والحسن بن صالح، ومالك، والشافعي وأبو ثور وأصحاب الرأي، ويروى إباحة التجارة به عن عمر، وعائشة، والضحاك. ولا أعلم أحدا كرهه، إلا ما روي عن الحسن، ولعله أراد اجتناب المخاطرة به. ولأن خزنه أحفظ له، والذي عليه الجمهور أولى، لما روى عبد الله بن عمرو بن العاص، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من ولي يتيما له مال فليتجر له ولا يتركه حتى تأكله الصدقة) (۱۱۰۰ وروي ذلك عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو أصح من المرفوع. (۱۱۰۱ ولأن ذلك أحظ للمولى عليه، لتكون نفقته من فاضله وربحه، كما يفعله البالغون في أموالهم وأموال من يعز عليهم من أولادهم (۱۰۰۱).

(۱۰۲) انظر المغنى لابن قدامه ٦/٣٣٨.

⁽٩٩) انظر التحرير والتنوير ٢/٣٥٧.

⁽١٠٠) أخرج ذلك الترمذي في سننه في باب ما جاء في زكاة مال اليتيم.وقال قال أبو عيسى.وإنما روي هذا الحديث من هذا الوجه وفي إسناده مقال لأن المثنى بن الصباح يضعف في الحديث انظر تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ٢٩٦/٣.

وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى باب من تجب عليه الصدقة وقال: وروي عن مندل بن علي عن أبي إسحاق الشيباني عن عمرو بمعناه، والمثنى ومندل غير قويين انظر سنن البيهقي ١٧٠/٤، وأخرجه الدارقطني في سننه عن عمرو بن العاص انظر التعليق المغنى على سنن الدارقطني ١١٠٠٢. وقال ابن حجر في تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير: هذا الحديث عند الترمذي، والدارقطني والبيهقي من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو به، وفي إسنادهم المثنى بن الصباح وهو ضعيف، وقال مهنا: سألت أحمد عنه فقال: ليس بصحيح يرويه المثنى عن عمرو انظر تلخيص الحبير لابن حجر ١٥٧/١. وقال عنه الألباني في ضعيف الصغير ضعيف انظر ضعيف الجامع الصغير وزيادته للألباني ص ٣٢٠

⁽١٠١) أخرج ذلك البيهقي عن عمر وقال وهو الصحيح وله شواهد انظر السنن الكبرى للبيهقي بابتجارة الوصي بمال اليتيم أو إقراضه ٢/٦، وقال الدارقطني في العلل وحديث عمر أصح انظر العلل الواردة في الأحاديث النبوية للدارقطني ١٥٦/٢.

فقد قال الترمذي (۱۰۳): اختلف أهل العلم في هذا الباب، فرأى غير واحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في مال اليتيم زكاة منهم: عمر وعلي (۱۰۸) وعائشة وابن عمر (۱۰۰) وبه يقول مالك (۱۰۱) والشافعي (۱۰۷) وأحمد (۱۰۸) وإسحاق وقالت طائفة من أهل العلم: ليس في مال اليتيم زكاة، وبه يقول سفيان الثوري وعبد الله بن المبارك (۱۰۹).

والراجح والله أعلم: وجوب زكاة مال اليتيم، لقوة أدلة هذا القول.

:

قال تعالى: ﴿ وَٱبْنَلُواْ الْيَنَمَى حَتَى إِذَا بَلَغُواْ النِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسَتُم مِنْهُمُ رُشَدًا فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمُولَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَاَ إِسْرَافَا وَبِدَارًا أَن يَكُبُرُواْ وَمَن كَانَ عَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفٌ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلُ بِٱلْمَعُرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمُولَهُمْ فَأَشْمِدُواْ عَلَيْمِمْ وَكُفَى بِاللّهِ حَسِيبًا ﴾ يَكُبُرُواْ وَمَن كَانَ عَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفٌ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلُ بِٱلْمَعُرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُم إِلَيْهِمْ أَمُولَهُمُ فَأَشْمِدُواْ عَلَيْمِمْ وَكُفَى بِاللّهِ حَسِيبًا ﴾ (النساء: ٦)

(۱۰۳) انظر سنن الترمذي كتاب الزكاة باب ما جاء في زكاة مال اليتيم ٣٢/٣

⁽١٠٤) أخرج عبد الرزاق في المصنف الأثر عن على انظر مصنف عبد الرزاق ٢٧/٤ ، ومصنف ابن أبي شيبه ١٤٩/٣.

⁽١٠٥) أثر ابن عمر أخرجه عبد الرزاق في المصنف انظر ٢٩/٤، وابن أبي شيبة في المصنف انظر٣/٣٤١.

⁽١٠٦) أخرج مالك في الموطأ عن عمر بن الخطاب انه قال (اتجروا في أموال اليتامى لا تأكلها الزكاة) وأخرج أيضا عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه أنه قال: كانت عائشة تليني وأخالي يتيمين في حجرها فكانت تخرج من أموالنا الزكاة، انظر الموطأ /٢٥١٨، و انظر نصب الراية للزيلعي ٣٣٣/٢.

⁽١٠٧) قال الشافعي في الأم باب الزكاة في أموال اليتامى: وسواء كل مال اليتيم من ناض وماشية و زرع وغيره، فما وجب على الكبير البالغ فيه الزكاة وجب على الصغير فيه الزكاة والمعتوه، وكل حر مسلم وسواء في ذلك الذكر والأنثى، انظر كتاب الأم ٢٨/٢.

⁽١٠٨) وهذا القول هو الذي رجحه الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله في الشرح الممتع على زاد المستقنع انظر ٢٨/٦، وانظر الكافي لابن قدامة ٩٤/٢.

⁽۱۰۹) ورد ذلك عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن البصري وهو مذهب أبي حنيفة، وانظر كتاب الحجة على أهل المدينة لمحمد بن الحسن الشيباني ٢٠٨١. وأخرج ذلك الدارقطني في سننه عن ابن عباس بلفظ لا تجب على مال الصغير زكاة حتى تجب عليه الصلاة، وقال: فيه ابن لهيعه لا يحتج به انظر سنن الدارقطني في سننه عن البيهقي في السنن الكبرى كتاب الزكاة باب من تجب عليه الصلاة وقال: ينفرد بإسناده ابن لهيعه وهو لا يحتج به انظر السنن الكبرى ١٠٨/٤، وانظر أحكام اليتيم في الفقه الإسلامي ص ٥٠٥، وقال الشوكاني في السيل الجرار: ولا يخفى عليك أن غير المكلف مرفوع عنه قلم التكليف فلابد من دليل يدل على استحلال جزء من ماله وهو الزكاة، ولم يرد في ذلك إلا عمومات يصلح ما ورد في رفع القلم عن غير المكلف لتخصيصها، يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم شيء في خصوص ذلك يصلح للتمسك به، ولا حجة في فعل بعض الصحابة، والأموال معصومة بعصمة الإسلام فلا يحل استباحة شيء منها بمجرد ما لا تقوم به الحجة، ولا سيما أموال الأيتام التي ورد في التشديد في أمرها ما ورد، انظر السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار ٢٠/٢. وقال صديق حسن خان: والحق الذي لا محيص عنه أنها لا تجب في مال الصبي، والمرفوع في هذه المسألة لم يثبت، والموقوف لا حجة فيه، وحكم الصبي في جميع الفرائض من الصلاة والصوم والزكاة واحد لم يخص منها شيء دون شيء، انظر تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير لابن حجر ١٥٨/٢.

الشاهد من الآية قوله تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفٌ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلُ بِٱلْمَعُرُوفِ ﴾ قال البغوي في تفسيره: ﴿ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفٌ ﴾ أي ليمتنع من مال اليتيم فلا يرزأه قليلا ولا كثيرا والعفة الامتناع ممالا يحل ﴿ وَمَن كَانَ فَقِيرًا ﴾ محتاجا إلى مال اليتيم وهو يحفظه ويتعهده فليأكل بالمعروف. ثم أخرج بسنده عن عروة بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه أن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إني فقير وليس لي شيء ولي يتيم ؟ فقال: (كل من مال يتيمك غير مسرف ولا مبادر ولا متأثل) (١١٠٠).

واختلفوا في أنه هل يلزمه القضاء ؟ فذهب بعضهم إلى أنه يقضي إذا أيسر وهو المراد من قوله: ﴿ فَلْمَأْكُلُ بِٱلْمَعُرُوفِ ﴾ فالمعروف القرض أي: يستقرض من مال اليتيم إذا احتاج إليه فإذا أيسر قضاه، وهو قول مجاهد وسعيد بن جبير.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه "إني أنزلت نفسي من مال الله تعالى منزلة مال اليتيم إن استغنيت استعففت وإن افتقرت أكلت بالمعروف فإذا أيسرت قضيت "(١١١).

وقال الشعبي: لا يأكله إلا أن يضطر إليه كما يضطر إلى الميتة.

وقال قوم لا قضاء عليه (١١٢).

وقال الشافعي: ليكف عن أكله بسلف، أو غيره (١١٣٠).

وأخرج سعيد بن منصور عن مجاهد قال: يستلفه فإذا أيسر رده (١١٤).

⁽١١٠) أخرجه أبو داود في كتاب الوصايا، باب مالولي اليتيم أن ينال من مال اليتيم ٢٩٢/٣ وقال الألباني: في صحيح سنن أبي داود: حسن صحيح، انظر صحيح سنن أبي داود ٥٥٥/٢ وأخرجه النسائي في سننه في كتاب الوصايا باب ما للوصي من مال اليتيم إذا قام عليه.

انظر سنن النسائي ٢٥٦/٦، وانظر صحيح سنن النسائي لللأ لباني قال (حسن صحيح)٧٧٩/٢ وأخرجه ابن ماجه في سننه كتاب الوصايا باب قوله (ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف)٢٠٠/٢، وأخرجه البغوي في شرح السنه باب ما لولي اليتيم ٣٠٥/٨، وزادالحافظ ابن حجر نسبته لابن خزيمة وابن الجارود وابن ابي حاتم وقال: إسناده قوي انظرفتح الباري كتاب التفسير١٨/٨.

⁽۱۱۱) هذا الأثر عن عمر أخرجه الطبري من طريق حارثه بن مصرف عن عمر انظر جامع البيان٢٥٥/٤/٣. و ذكره النحاس في الناسخ والمنسوخ انظر ١٤٨/٢ وأخرجه سعيد بن منصور في سننه عن يرفأ مولى عمر عن عمر رضي الله عنه وقال عنه محقق السنن سنده ضعيف وهو صحيح لغيره بمجموع طرقه انظر سنن سعيد ابن منصور ١٥٣٨/٤

وعزاه ابن كثير في تفسيره إلى سعيد بن منصور وقال هذا إسناد صحيح انظر تفسيرالقرآن العظيم لابن كثير٢٠٦/

⁽١١٢) انظر معالم التنزيل للبغوي ١٦٨/٢، وقال ابن العربي والصحيح أنه لا يقضى انظرأحكام القرآن لابن العربي ١٦٢٦/٣.

⁽١١٣) انظر أحكام القرآن للشافعي ١٩٥/١

⁽۱۱٤) انظر سنن سعيد بن منصور وقال عنه المحقق سنده صحيح ١١٥٤/٣ ، وانظر الناسخ والمنسوخ للنحاس ١٤٩/١ وانظر تفسير مجاهد ص١٦٧.

وقال ابن الجوزي: وفي الأكل بالمعروف أربعة أقوال(١١٥٠):

: أنه الأخذ على وجه القرض، وهذا مروي عن عمر، وابن عباس وابن جبير وأبي العالية، وعبيدة وأبى وائل، ومجاهد ومقاتل

- : الأكل بمقدار الحاجة من غير إسراف، وهذا مروى عن ابن عباس والحسن، وعكرمة، وعطاء والنخعي وقتادة والسدي.
- : أنه الأخذ بقدر الأجرة إذا عمل لليتيم عملا ، وروي عن ابن عباس وعائشة وهي رواية أبي طالب وابن منصور، عن أحمد رضى الله عنه.
- : أنه الأخذ عند الضرورة، فإن أيسر قضاه، ومن لم يوسر، فهو في حل، وهذا قول الشعبي واختلف في كيفية الأكل بالمعروف فقال عطاء وعكرمة ، يأكل بأطراف أصابعه ولا يسرف ولا يكتسي منه ، ولا يلبس الكتان ولا الحلل، ولكن ما سد الجوعة ووارى العورة.

وقال الحسن وجماعة: يأكل من تمر نخيله ولبن مواشيه، وقال الكلبي: المعروف: ركوب الدابة وخدمة الخادم، وليس له أن يأكل من ماله شيئا(١١٦).

وقال أبو قلابة ﴿ فَلَيَّأَكُلُ بِٱلْمَعُوفِ ﴾ (النساء: ٦) مما يجنى من الغلة فأما المال الناض (١١٧٠) فليس له أن يأخذ منه شيئا قرضا ولا غيره (١١٨) وأخرج سعيد بن منصور عن ابن عباس أن رجلا سأله قال: إن في حجري يتيما أفأشرب من اللبن قال: إن كنت ترد نادها(١١٩)، وتلوط حوضها(١٢٠).وتهنأ جرباها(١٢١) فاشرب غير مضر بنسل، ولا ناهك في حلب (١٢٢).

⁽١١٥) انظر زاد المسير ١٦/٢.

⁽١١٦) انظر جامع البيان للطبري ٢٥٧/٤، وسنن سعيد بن منصور ١١٥٥/٣، ومعالم التنزيل للبغوي ١٦٨/٢ والناسخ والمنسوخ للنحاس ١٥٠/٢

⁽١١٧) النض: الدرهم الصامت، والناض: من المتاع: ما تحول ورقا أو عينا الأصمعي: اسم الدراهم والدنانير عند أهل الحجاز الناض والنض وإنما يسمونه ناضا إذا تحول عينا بعد أن كان متاعا انظر اللسان مادة نضض٧٧٣٣٧.

⁽١١٨) انظر الناسخ والمنسوخ للنحاس٢/١٥٠

⁽١١٩) ند البعير أي شرد على وجهه انظر النهاية في غريب الحديث والأثر٥/٥٣.

⁽۱۲۰) أي تطينه وتصلحه المرجع السابق ٤/٧٧

⁽١٢١) أي تعالج جرب إبله بالقطران، المرجع السابق ٧٧٧/٥

⁽١٢٢) أي غير مبالغ فيه ، يقال نَهَكْتُ الناقة حلبا أَنْهَكُها إذا لم تبق في ضرعها لبنا ، نفس المرجع السابق ١٣٧/٥.

ورجح ابن جرير أن المراد بالمعروف في الآية: أكل مال اليتيم عند الضرورة والحاجة إليه على وجه الاستقراض منه فأما على غير ذلك الوجه، فغير جائز له أكله، وذلك أن الجميع مجمعون على أن والي اليتيم لا يملك من مال يتيمه إلا القيام بمصلحته (١٢٣).

وأخرج البخاري عن عائشة رضى الله عنها

في قوله ﴿ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْ كُلِّ بِٱلْمَعُرُوفِ ﴾ (النساء: ٦) أنها نزلت في مال اليتيم إذا كان فقيرا أنه يأكل منه مكان قيامه عليه بمعروف(١٢٤)

•

أخرج الطبري عن ابن عباس رضي الله عنه قال لما نزل قوله تعالى: ﴿ وَلَا نَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْمَيْتِهِ إِلَّا بِأَلَيْ هِيَ الله عنه قال لما نزل قوله تعالى: ﴿ وَلَا نَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْمَيْتِهِ إِلَّا بِأَلَيْ هِيَ الْحَدُنُ ﴾ و ﴿ إِنَّ ٱلَذِينَ يَأْكُونَ أَمُولَ ٱلْمُتَكَى ظُلُمًا إِنَّمَا يَأْكُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وسَيَصْلُونَ سَعِيرًا ﴾ انطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه، وشرابه من شرابه، فجعل يفضل الشيء من طعامه، فيحبس له حتى يأكله أو يفسد، فاشتد ذلك عليهم، فذكروا ذلك لرسول الله ، فأنزل الله عز وجل ﴿ وَيَسْتَلُونَكَ عَنِ ٱلْمِتَكَمِّ قُلُ إِصَلاحٌ مُلَمُ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخُونَكُمْ ﴾ افخلطوا طعامهم بطعامهم وشرابهم بشرابهم أهراهم.

وقيل في معنى المخالطة: ﴿ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ ﴾ هذه إباحة المخالطة أي وإن تشاركوهم في أموالهم وتخلطوها بأموالكم في نفقاتكم ومساكنكم وخدمكم ودوابكم فتصيبوا من أموالهم عوضا من قيامكم بأمورهم وتكافؤهم

(۱۲۳) انظر جامع البيان للطبري ٢٦٠/٤.

⁽١٢٤) انظر فتح الباري كتاب التفسير باب (ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف)٢٤١/٨ وانظر المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة ٣٦٥/١.

⁽١٢٥) انظر جامع البيان للطبري ٢٧٠/٢ ومعالم التنزيل للبغوي ٢٥٤/١.

وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/٥٥/ وكذا أخرجه الإمام أحمد في المسند ٥/١٤٠، وأبو داود في كتاب الوصايا باب مخالطة اليتيم في الطعام٢٩١/٣ والنسائي في الكبرى كتاب الوصايا باب ما للوصي من مال اليتيم إذا قام عليه ١١٣/٤.

وكذا أخرجه في المجتبى. كتاب الوصايا باب ماللوصي من مال اليتيم إذا قام عليه ٢٥٦/٦ ، وقال الألباني في صحيح سنن النسائي "حسن" انظر صحيح سنن النسائي للألباني ٢٧٩/٢.

وانظر المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة ٢٦٦/١ وقال المحقق وهذا السبب لا يخلو من ضعف ولعله يتأيد بسياق الآية وبقول الجمهور من السلف والخلف.

وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٣١٨ وقال هذا حديث صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

وذكره السيوطي في لباب النقول في أسباب النزول وعزاه لأبي داود والنسائي والحاكم انظر ص٤٢، وانظر كتاب تفسير القرآن لابن المنذر ص٥٨٦.

على ما تصيبون من أموالهم ﴿ فَإِخْوَانُكُمْ ﴾ أي فهم إخوانكم والإخوان يعين بعضهم بعضا ويصيب بعضهم من أموال بعض على وجه الإصلاح والرضا(١٢٦).

وقال ابن قتيبه: ﴿ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ ﴾ فتواكلوهم ﴿ فَإِخْوَنُكُمْ ﴾ فهم إخوانكم، حكمهم في ذلك حكم إخوانكم من المسلمين ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ﴾ أي: من كان يخالطهم على جهة الخيانة والإفساد لأموالهم، ومن كان يخالطهم على جهة التنزه والإصلاح(١٢٧٠). وقال ابن عباس والمخالطة: أن يشرب من لبنك، وتشرب من لبنه، ويأكل من قصعتك، وتأكل من قصعته ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِــَدُ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ﴾ يريد: المتعمد أكل مال اليتيم، من المتحرج الذي لا يألو الإصلاح (١٢٨) ووصف الإصلاح بـ ﴿ لَهُمْ ﴾ دون الإضافة إذ لم يقل إصلاحهم لئلا يتوهم قصره على إصلاح ذواتهم لأن أصل إضافة المصدر أن تكون لذات الفاعل أو ذات المفعول فلا تكون على معنى الحرف، ولأن الإضافة لما كانت من طرق التعريف كانت ظاهرة في عهد المضاف فعدل عنها لئلا يتوهم أن المراد إصلاح معين.. والمقصود هنا: جميع الإصلاح لا خصوص إصلاح ذواتهم، فيشمل إصلاح ذواتهم وهو في الدرجة الأولى ويتضمن ذلك إصلاح عقائدهم وأخلاقهم بالتعليم الصحيح، والآداب الإسلامية، ومعرفة أحوال العالم، ويتضمن إصلاح أمزجتهم بالمحافظة عليهم من المهلكات والأخطار والأمراض وبمداواتهم، ودفع الأضرار عنهم بكفاية مؤنهم من الطعام واللباس والمسكن بحسب معتاد أمثالهم دون تقتير ولا سرف، ويشمل إصلاح أموالهم بتنميتها وتعهدها وحفظها. ولقد أبدع هذا التعبير، فإنه لو قيل إصلاحهم لتوهم قصره على ذواتهم فيحتاج في دلالة الآية على إصلاح الأموال إلى القياس، ولو قيل: قل تدبيرهم خير، لتبادر إلى تدبير المال فاحتيج في دلالتها على إصلاح ذواتهم إلى فحوى الخطاب. فالمعنى: إصلاح أمورهم خير من إهمالهم أي أفضل ثوابا وأبعد عن العقاب. والمخالطة: مفاعلة من الخلط وهو جمع الأشياء جمعا يتعذر معه تمييز بعضها عن بعض فيما زاد له فمنه خلط الماء بالماء. وهو هنا مجاز في شدة الملابسة والمصاحبة والمراد بذلك ما زاد على إصلاح المال والتربية عن بعد فيشمل المصاحبة والمشاركة والكفالة والمصاهرة إذ الكل من أنواع المخالطة(١٢٩).

⁽١٢٦) انظر معالم التنزيل للبغوي ٢٥٤/١، وجامع البيان للطبري ٢٧٢/٢.

وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/٥٥٨.

⁽١٢٧) انظر تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص٨٣

⁽١٢٨) انظر زاد المسير لابن الجوزي ٢٤٤/١ وفتح القدير للشوكاني ٢٣٣/١

⁽١٢٩) انظر التحرير والتنوير ٢/٦٥٦.

:

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أَوْلُوا ٱلْقُرْبِي وَٱلْيَنَكَىٰ وَٱلْمَسَكِينُ فَٱرَزُقُوهُم مِّنَهُ وَقُولُوا لَهُمْ مَوْنَهُ وَوَلُوا لَهُمْ مَوْنَهُ وَالْمَعْرُوفَا ﴾. للعلماء في هذه الآية ثلاثة أقوال: فمنهم من قال: إنها منسوخة، ومنهم من قال: هي محكمة واجبة، ومنهم من قال: هي محكمة على الندب والترغيب والحض.

فممن روي عنه أنها منسوخة: ابن عباس وسعيد بن المسيب، أخرج ذلك الطبري عن ابن عباس وسعيد بن المسيب قال: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسَّمَةَ أُولُوا ٱلْقُرْبَى وَٱلْيَنَكَى ﴾ إلى قول ﴿ قَوْلاً مَعْرُوفًا ﴾ وذلك قبل أن تنزل الفرائض، فأنزل الله تبارك وتعالى بعد ذلك الفرائض فأعطى كل ذي حق حقه، فجعلت الصدقة فيما سمى المتوفى (١٣٠٠).

أنها محكمة واجبة وهذا مروي عن مجاهد أخرج ذلك الطبري عنه قال: هي واجبه على أهل الميراث ما طابت به أنفسهم (١٣١) وعن الزهري أخرج ذلك الطبري عنه (١٣٢)

أنها محكمة وتؤول قوله على الندب وممن قال بذلك: ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وعطاء والحسن والزهري والشعبي ويحيى بن يعمر وعروة (١٣٣٠).

⁽١٣٠) انظر جامع البيان٤/٢٦٤، والناسخ والمنسوخ للنحاس ١٥٦/٢. ونواسخ القرآن لابن الجوزي ص٢٥٦، والسنن الكبرى للبيهةي ٢٦٧/٦، وقال الدكتور سليمان اللاحم في تحقيق الناسخ والمنسوخ للنحاس: إن الأثر عن ابن عباس ضعيف انظر ١٥٦/٢. وقال ابن حجر في الفتح: وجاءت روايات عن ابن عباس من أوجه ضعيفة عن ابن أبي حاتم وابن مردويه أنها منسوخة نسختها آية الميراث، وصح ذلك عن سعيد بن المسيب وهو قول القاسم بن محمد وعكرمة وغير واحد، وبه قال الأئمة الأربعة وأصحابهم انظر فتح الباري كتاب التفسير ٢٤٢/٨

⁽١٣١) انظر جامع البيان للطبري ٢٦٣/٤ ، والناسخ والمنسوخ للنحاس ١٦٠/٢.

ونواسخ القرآن لابن الجوزي ص٥٣٥ وسنن سعيد بن منصور ١١٦٨/٣. وتفسير سفيان الثوري ص٨٩.

⁽١٣٢) انظر جامع البيان للطبري ٢٦٤/٤، والناسخ والمنسوخ للنحاس ١٦١/٢.

⁽١٣٣) أخرج ذلك البخاري عن ابن عباس انظر فتح الباري كتاب التفسير ٢٤٢/٨.

وأخرجه الطبري عن ابن عباس وعبيدة وسعيد بن جبير، والحسن والزهري، والشعبي ويحيى بن يعمر انظر جامع البيان ٢٦٣/٤ وأخرجه الطبري عن ابن عباس وعبيدة وسعيد بن جبير، والحسن ١٧٠/٢، وزاد المسير ٢٠/٢. وأحكام القرآن للجصاص ٧١/٢ ونواسخ القرآن لابن الجوزي ص٢٥٣، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤٩/٥.

أن الآية محكمة والأمر على الندب رجح ذلك الطبري والنحاس وابن الجوزي، والبغوي وابن حجر (١٣٤)

والسبب والله أعلم أن التركة حق مالي للورثة فلا يجوز أن يسلب شيء منه دون إذنهم ولولا قوة الرحمة والرأفة بهؤلاء من ذوي القربي غير الوارثين واليتامي والمساكين لما جاز أخذ هذا الشيء اليسير من مال الورثة.

ومعنى قول ه ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسَمَةَ ﴾ يعني قسمة الميراث ﴿ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبِيَ ﴾ المذين لا يرثون ﴿ وَٱلْيَنْكَي وَمَعْنَى عَلَيْهِ اللَّهِ مِنَا لَهُ مَ مِنْهُ ﴾ أي: فارضخوا لهم من المال قبل القسمة.قال الحسن: كانوا يعطون التابوت والأواني ورثّ الثياب والمتاع والشيء الذي يستحيا من قسمته.

وروى محمد بن سيرين أن عبيدة السلماني قسم أموال الأيتام فأمر بشاة فذبحت فصنع طعاما لأهل هذه الآية، وقال لولا هذه الآية لكان هذا من مالي (١٣٥).

والسر والله أعلم في إعطائهم شيئا من التركة وهم ليسوا من الورثه: أنه ربما يسري الحسد إلى نفوسهم، فينبغي التودد إليهم واستمالتهم بإعطائهم قدرا من هذا المال هبة أو هدية أو إعداد طعام لهم يوم القسمة ليكون في هذا صلة للرحم وشكرا للنعمة (١٣٦).

والأدب الذي يرشد إليه الكتاب في هذا المقام هو اعتبار أن هذا المال رزق ساقه الله إلى الوارثين عفوا بغير كسب منهم ولا سعي فلا ينبغي أن يبخلوا به على المحتاجين من ذوي القربى واليتامى والمساكين من أمتهم ويتركوهم يذهبون منكسري القلب مضطربي النفس، ومنهم من يكون الحرمان مدعاة حسده للوارث، وأما القول المعروف فهو تطيب به نفوس هؤلاء المحتاجين عندما يأخذون ما يفاض عليهم، حتى لا يثقل على عزيز النفس منهم ما يأخذه ويرضى الطامع في أكثر مما أعطى بما أعطى فإن من الفقراء من يظهر استقلال ما ناله واستكثار ما نال سواه فينبغي أن يلاطف مثل هذا ولا يغلظ له بالقول (١٣٧).

:

إن من رحمة الله باليتامى ومزيد عنايته بهم أن خصص لهم جزءا معلوما من الغنيمة وآخر من الفيء وذلك لشدة حاجتهم وعدم قدرتهم على الكسب وحتى لا يكون لأحد عليهم منة في معاشهم فيكونون عالة على المجتمعات التي يعيشون فيها.

⁽١٣٤) انظر جامع البيان للطبري ٢٦٥/٤، والناسخ والمنسوخ للنحاس ١٥٩/٢، ونواسخ القرآن لابن الجوزي ص٢٥٥ وفتح الباري لابن حجر ٢٤٢/٨، ومعالم التنزيل للبغوي ١٧٠/٢.

⁽١٣٥) انظر جامع البيان للطبري ٢٦٨/٤، ومعالم التنزيل للبغوي٢/١٧٠، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥٠/٥.

⁽١٣٦) انظر تفسير المراغي ١٩٢/٢.

⁽١٣٧) انظر تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار ٢٩٧/٤.

: حقه من الغنيمة قال تعالى: ﴿ وَأَعْلَمُواْ أَنَمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمْكُ، وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى الْقُرْدَى وَاللَّهَ عَلَى وَاللَّهُ عَلَى حَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْنَقَى الْجَمْعَانِّ وَاللَّهُ عَلَى حَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْنَقَى الْجَمْعَانِّ وَاللَّهُ عَلَى حَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْنَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى حَبْلِ شَيْءٍ وَاللَّهُ عَلَى حَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْنَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى حَبْلِ شَيْءٍ وَاللَّهُ عَلَى حَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْنَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى حَبْلِ شَيْءٍ وَاللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى عَلَى اللَّهُ عَلَى عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللْعَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللْعَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللْعَلَى اللْعَلَى اللَّهُ عَلَى اللْعَلَى اللَّهُ عَلَى اللْعَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللْعُلَالِقُولُولُولُولُولُولُولُولُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللْعَلَى اللَّهُ عَلَى اللْعَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللْعَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللْعَلَى اللَّهُ عَلَى الللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى

: هي ما أخذ من الكفار من الأموال عن طريق الحرب والقتال (١٣٨).

: من أقوال العلماء من المفسرين والفقهاء أن قوله سبحانه: ﴿ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَمُهُ ﴾ هو افتتاح كلام على سبيل التبرك وإضافة هذا المال إلى نفسه لشرفه، وليس المراد منه أن سهما من الغنيمة لله مفردا. فإن الدنيا والآخرة كلها لله عز وجل، وهو قول الحسن وقتادة وعطاء وإبراهيم والشعبي، قالوا سهم الله وسهم الرسول واحد، والغنيمة تقسم خمسة أخماس أربعة أخماسها لمن قاتل عليها، والخمس لخمسة أصناف كما ذكر الله عز وجل: ﴿ وَلِلرّسُولِ وَلِذِى اللّهُ رَبّى وَ الْمَسَكِينِ وَ البّيلِ ﴾ (١٣٩ واليتامي والمساكين لا يعطون إلا إذا كانوا فقراء، ففائدة تعيين خمس الخمس لكل صنف من هؤلاء ألا يحاصرهم فيه غيرهم من الفقراء، والشأن في اليتامي في الغالب أن لا تكون لهم سعة في المكاسب فهم مظنة الحاجة ولكنها دون الفقر فجعل لهم حق في المغنم توفيرا عليهم في إقامة شؤونهم، فهم من الحاجة المالية أحسن حالا من المساكين، وهم من حالة المقدرة أضعف حالا منهم، فلو كانوا أغنياء بأموال تركها لهم آباؤهم فلا يعطون من الخمس شيئا (١٠٠٠).

: الفيء قال الله تعالى: ﴿ مَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ، مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرِّىٰ وَٱلْمَسَكِينِ
وَأَئِنِ ٱلسَّبِيلِ كَى لَا يَكُونَ دُولَةُ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمُّ وَمَا ءَانكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُدُوهُ وَمَا نَهَكُمُّ عَنْهُ فَاننَهُواْ وَاتَقُواْ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
ٱلْمِقَابِ ﴾

: هو كل مال دخل على المسلمين من غير حرب ولا إيجاف خيل ولا ركاب (١٤١).

فقد جعل الله لليتامى من هذا الفيء جزءاً خاصا بهم ينفردون به عن غيرهم وذلك لضعفهم وقلة حيلتهم وحتى لا يكون المال دولة بين الأغنياء منهم، وتولى ذلك بنفسه سبحانه فلم يكل قسمته إلى أمير ولا إلى حاكم،

⁽١٣٨) انظر جامع البيان للطبري ٢/٦، ومعالم التنزيل للبغوي٣/ ٣٥٧، والجامع لأحكام القرآن١/٨١

⁽١٣٩) انظر جامع البيان للطبري٢/٦، ومعالم التنزيل للبغوي ٣٥٧/٣.

وكتاب الأموال لحميد بن زنجويه ١٠٣/١، والجامع لأحكام القرآن ٨/ ١٠.

وأضواء البيان للشنقيطي ٣٦٥/٢.

⁽١٤٠) انظر التحرير والتنوير١٢/٢، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ص٣٢١

⁽۱٤۱) انظر جامع البيان للطبري ٢/٦، ومعالم التنزيل للبغوي ٣٥٧/٣، وكتاب الأموال لحميد بن زنجويه ٩٠/١، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٣٢٠/٣، وأضواء البيان للشنقيطي ٣٥٢/٢.

وكل هذا والله أعلم ضمانا لحق هؤلاء الضعفة ومن معهم. وقد اختلف العلماء في تخميس مال الفيء فذهب بعضهم إلى أنه يخمس، فخمسه لأهل الغنيمة، وأربعة أخماسه للمقاتلة وللمصالح، وذهب الأكثرون إلى أنه لا يخمس بل مصرف جميعه واحد، ولجميع المسلمين فيه حق، قرأ عمر بن الخطاب: ﴿ مَّا أَفَاءَ اللّهُ عَلَى رَسُولِهِ عِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَى ﴾ حتى بلغ ﴿ لِلْفُقَرَاءِ ٱلْمُهَاجِرِينَ ٱلّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيكرِهِم وَأَمُولِهِم الله وله في هذا الفيء حق إلا ما ملكت أيمانكم (١٤٢).

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والحمد لله الذي وفق وأعان على إكمال هذا البحث الذي أسأل الله جل وعلا أن يكون خالصا لوجهه الكريم، ونافعا لكاتبه ولمن قرأه.

ومن أهم النتائج التي توصلت إليها ما يلي:

- ١- قدم العناية باليتامى قدم البشرية ، كما جاء في آية البقرة في أخذ الميثاق على بني إسرائيل ، وكما في قصة موسى مع الخضر في سورة الكهف.
 - ٢- أن وصف اليتم ليس عيبا ولا منقصة لمن وقع عليه، فصفوة الخلق صلى الله عليه وسلم نشأ يتيما.
 - ٣- استيعاب آيات القرآن لجميع أحوال اليتيم البدنية والاجتماعية والمالية وأحوال النكاح.
- ٤- وكذلك استيعاب السنة لرعاية وحماية اليتيم، سواء في أقواله صلى الله عليه وسلم، أو أفعاله، أو أوامره وتحذيراته.
- ٥- امتثال السلف والخلف أمر الله وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم في العناية باليتامى والقيام بشؤونهم خير قيام.
- 7- عظم الأجر المرتب على كفالة اليتيم، وهو مرافقة الرسول صلى الله عليه وسلم في الجنة، وشبه ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم (كهاتين) وأشار بالسبابة والوسطى، وهذا الأجر لم يرد مثله في أي عبادة من العبادات.
 - ٧- حرمة الأموال والوعيد الشديد لمن اعتدى عليها وخاصة إذا كانت أموال يتامى.
 - حرص الإسلام على إيجاد التكافل بين أفراد وطبقات المجتمع.

⁽١٤٢) انظر معالم التزيل للبغوى ٧٤/٨، والسنن الكبرى للبيهقي ٦/ ٣٤٦.

وجامع البيان للطبري ٢٤/ ٣٧، وقد حسن إسناده الألباني في إرواء الغليل موقوفا على عمر.

انظر إرواء الغليل ٥/٨٤.

- [1] أحكام القرآن: له محمد بن إدريس الشافعي دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٣٩٥هـ
- [۲] أحكام القرآن: للجصاص أبو بكر أحمد بن على الرازي الجصاص دار الكتاب العربي.
- [٣] أحكام القرآن: لـ أبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان.
- [٤] أحكام اليتيم في الفقه الإسلامي: لـ عبد الله ملا رجب رسالة ماجستير دار أطلس للنشر والتوزيع الرياض.
 - [0] أسباب النزول: لأبي الحسن على بن أحمد الواحدي نشر دار القبلة للثقافة الإسلامية ٤٠٤هـ.
- [7] الإصابة: لـ أحمد بن علي بن محمد العسقلاني المعروف بابن حجر دار العلوم الحديثة الطبعة الأولى ١٣٢٨هـ
 - [٧] أطفال بلا أسر: للدكتور عبد الله بن ناصر السدحان مكتبة العبيكان.
 - [٨] أطفال بلا أسر: للدكتور أنس محمد قاسم مركز الإسكندرية للكتاب الطبعة الأولى ١٩٩٨م
- [9] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: لـ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي طبع الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد
- [١٠] إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل: لـ محمد ناصر الدين الألباني المكتب الإسلامي بيروت الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ.
 - [١١] الأم: للشافعي محمد بن إدريس طبع دار المعرفة بيروت.
- [۱۲] بحر العلوم: لـ أبي الليث نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى
 - [١٣] البحر المحيط: لأبي حيان محمد بن يوسف دار الفكر الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ
 - [12] البداية والنهاية: للحافظ إسماعيل بن عمربن كثير دار المعارف بيروت الطبعة الثالثة ١٩٧٩م
 - [10] التحرير والتنوير: لدمحمد الطاهر بن عاشور لم يذكر اسم الناشر.
- [17] تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: لـ محمد بن عبد الرحمن المباركفوري دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ
 - [۱۷] التعليق المغني على سنن الدار قطني: له على بن عمر الدار قطني طبع في مطبعة فالكن باكستان
 - [١٨] تفسير القرآن العظيم: لـ إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقى دار الأندلس لبنان الطبعة الرابعة ١٩٨٣م
 - [١٩] تفسير ابن جزي: لـ محمد بن أحمد بن جزي الكلبي دار الكتاب العربي بيروت لبنان ١٤٠٣هـ
 - [٢٠] التفسير الكبير: للفخر الرازي محمد بن عمر القرشي الملقب فخر الدين الرازي مكتبة المعارف الرياض.

- [٢١] تفسير المراغى: أحمد بن مصطفى المراغى دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان الطبعة الثانية ١٩٨٥م
 - [٢٢] تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار: لد محمد رشيد رضا دار المعرفة بيروت الطبعة الثانية.
- [٢٣] تفسير الوسيط في تفسير القرآن المجيد: له على بن أحمد الواحدى دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ
- [٢٤] تفسير القرآن لا بن المنذر: لـ أبي بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر دار المآثر المدينة النبوية الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ
- [٢٥] تفسير سفيان الثوري: لـ سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري دار الكتب العلمية توزيع دار الباز مكة المكرمة الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ
 - [٢٦] تفسير غريب القرآن: لابن قتيبة عبدالله بن مسلم بن قتيبة دار الكتب العلمية بيروت ١٢٩٨هـ
 - [٢٧] تفسير مجاهد: للإمام مجاهد بن جبر دار الفكر الإسلامي الحديثة الطبعة الأولى ١٤١٠هـ
- [٢٨] تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الصغير: لـ ابن حجر أحمد ابن على العسقلاني دار المعرفة بيروت لبنان.
 - [٢٩] تنظيم الإسلام للمجتمع: لدمحمد أبو زهرة دار الفكر العربي.
 - [٣٠] تهذيب اللغة: لـ أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري دار القومية العربية للطباعة ١٣٨٤هـ
- [٣١] تيسير الكريم الرحمن بتفسير كلام المنان: للسعدي عبد الرحمن بن ناصر تحقيق عبد الرحمن اللو يحق الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
- [٣٢] الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي دار إحياء التراث العربي بيروت لننان ١٤٠٥هـ
 - [٣٣] جامع البيان عن تأويل القرآن: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري دار الفكر بيروت لبنان ١٤٠٥هـ
 - [٣٤] جمهرة اللغة: لابن دريد أبي بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري دار صادر بيروت لبنان
 - [٣٥] الحجة على أهل المدينة: لأبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني عالم الكتب بيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ
- [٣٦] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي دار إحياء التراث العربي ط ١٤٠٥/٤هـ
 - [٣٧] زاد المسير في علم التفسير: لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي المكتب الإسلامي ١٣٨٤هـ.
- [٣٨] سلسلة الأحاديث الصحيحة: للألباني محمد ناصر الدين الدار السلفية للنشر والتوزيع الكويت الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ.
 - [٣٩] سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدى دار الدعوة تركيا
 - [٠٤] سنن ابن ماجه: للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني دار الدعوة

- [٤١] سنن سعيد بن منصور: دار الصميعي الرياض الطبعة الأولى ١٤١٤هـ
- [٤٢] سنن الترمذي: لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة دار الدعوة تركيا.
- [٤٣] سنن البيهقي الكبرى: لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي دار المعرفة بيروت عن الطبعة الأولى بحدر آباد ١٣٤٤هـ
 - [٤٤] سنن النسائي: المجتبى أحمد بن شعيب بن على الخراساني دار الدعوة.
 - [20] سنن النسائي الكبرى: أحمد بن شعيب النسائي دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤١١هـ
 - [2] سنن الدارمي: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي دار الدعوة
- [٤٧] السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار: محمد بن علي الشوكاني دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٣٠٥هـ
- [٤٨] شرح السنة: لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي تحقيق شعيب الأرناؤوط وزهير الشاويش بدون ذكر الطبعة
 - [٤٩] الشرح الممتع على زاد المستقنع: للشيخ محمد بن صالح العثيمين مؤسسة آسام الطبعة الرابعة ١٦١١هـ
 - [٠٥] صحيح البخارى: محمد بن إسماعيل البخارى دار الدعوة تركيا
- [01] صحيح سنن أبي داود: محمد ناصر الدين الألباني الناشر مكتب التربية العربي لدول الخليج الرياض الطبعة الأولى 1٤٠٥هـ.
- [07] صحيح سنن ابن ماجه: للألباني محمد ناصر الدين مكتب التربية العربي لدول الخليج الطبعة الثالثة المدين مكتب التربية العربي للمدين مكتب التربية العربي المدين مكتب التربية العربي المدين الم
- [07] صحيح سنن النسائي: محمد ناصر الدين الألباني الناشر مكتب التربية العربي لدول الخليج الرياض الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ
 - [02] صحيح مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج دار الدعوة تركيا
 - [00] ضعيف الجامع الصغير وزيادته: محمد ناصر الدين الألباني المكتب الإسلامي الطبعة الثالثة ١٤١٠هـ
- [07] العلل الواردة في الأحاديث النبوية: للدارقطني أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني دار طيبة الرياض الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ
- [0۷] فتح الباري لشرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني نشر رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد الرياض
 - [٥٨] فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن على الشوكاني دار المعرفة بيروت.

- [09] الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري دار المعرفة بيروت
- [٦٠] الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف: للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ملحق بتفسير الكشاف دار المعرفة بيروت
- [71] الكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل: لموفق الدين عبد الله بن قدامة المقدسي المكتب الإسلامي الطبعة الثانية الامام 1899هـ
- [٦٢] كتاب الأموال: لحميد بن زنجويه مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية الرياض الطبعة الأولى
- [٦٣] كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية ٤٠٤هـ
- [٦٤] لباب النقول في أسباب النزول: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي دار إحياء العلوم بيروت الطبعة الأولى ١٩٧٨م
 - [70] لسان العرب: محمد بن مكرم بن على بن منظور دار صادر بيروت الطبعة الأولى ١٤١٠هـ
 - [77] المبسوط: للسرخسي أبي بكر محمد بن أبي سهل الطبعة الثانية دار المعرفة بيروت.
- [٦٧] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: للقاضي أبي محمد عبد الحق ابن غالب بن عطية دار الكتاب الإسلامي القاهرة
- [٦٨] المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة: د. خالد بن سليمان المزيني دار ابن الجوزي الدمام الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ
- [79] المستدرك على الصحيحين: للحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي دار الكتاب العربي بيروت
 - [٧٠] مسند الإمام أحمد أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل دار الدعوة تركيا
- [٧١] مسند أبي يعلى الموصلي أحمد بن على بن مثنى التميمي، دار الثقافة العربية بيروت الطبعة الأولى ١٤١٢هـ
- [٧٢] المصنف في الأحاديث والآثار: للحافظ أبي بكر بن أبي شيبة الدار السلفية بمبي الهند الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ
- [٧٣] المصنف: للحافظ الكبير أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني المكتب الإسلامي بيروت الطبعة الثانية
 - [٧٤] معالم التنزيل: لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي دار طيبة للنشر والتوزيع الرياض ١٤٠٩هـ

- [٧٥] معجم مقاييس اللغة: لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا دار الجيل بيروت الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
 - [٧٦] معانى القرآن: لأبي زكريا يحي بن زياد الفراء عالم الكتب بيروت الطبعة الثانية ١٩٨٠م.
- [۷۷] المغني: لموفق الدين عبد الله بن موفق المقدسي هجر للطباعة والنشر والتوزيع تحقيق الدكتور عبد الله التركي وعبد الفتاح الحلو .
- [٧٨] المفردات في غريب القرآن: لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت.
- [٧٩] منهج القرآن في رعاية ضعفاء المجتمع: د عماد زهير حافظ الطبعة الأولى ١٣١٤هـ شركة المدينة للطباعة بجدة
 - [٨٠] الموطأ: للإمام مالك بن أنس دار الدعوة تركيا.
- [٨١] الناسخ والمنسوخ في كتاب الله عز وجل: لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى
- [A7] نصب الراية لأحاديث الهداية: لأبي محمد عبد الله بن يوسف الحنفي الزيلعي طبع المجلس العلمي الطبعة الثانية.
- [AT] النهاية في غريب الحديث والأثر: مجد الدين المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير دار الفكر للطباعة والنشر بيروت.
- [٨٤] نواسخ القرآن: لأبي الفرج عبد الرحمن بن على بن الجوزي الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ طبع المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية.

The Rights of Orphans in The Holy Quran

A. O. M. AL-Sehebani

Sharing Teachor in the Qur, an and its sciences Department the college of share, ah and Islamic studies

Qassim University

(Received 10/10/1428H.; accepted for publication 2/11/1428H.)

Abstract. This research consists of an intro duction, a present ation, three cheptera, a con clusion and two appendixes: the first is about the advantages of the tratement of an orphan, the se cond is about the Kinjdom's efforts in the field of the tratement of an orphan, then the index.

- Presentation: is about the importance of the subject and the causes of choice it.

-chapter one: has five parts:

Part one is about the definition of the word "orphan" in language and in religion (shareah) and the difference be tween the orphan and the founding child.

Part two: is about the care of an orphan child in IsLam (the word orphan was repeated 23 times in 12 surah in the holy Quraan) and it was also mentioned many times in (Hadeath).

Part three is ebout how to be generous with the orphans.

Part four is about giving and feeding the the orphans

Part 5 is about how to console the orphan.

Chaptar two has three parts:

Pant 1 abaut the marri age of an orphan girl..

Part 2 abaut the time when the orphan 's pro pe rty should ba

Returned to him. (has two cases)

case 1 If the orphan is male-

Case 2 If the orphan is female.

Chapter three: has five parts:

Part 1: is about the rule of how to invest the orphan 's pro perty.

I see thaf it is better to invast the orphan 's property inorder to not be reduced or be finishe d before the orphan be comes olcler enough.

Part 2: is about:

Does the responser have to tate From the orphan 's possessions?

The answer: He can talce if he is needy or poor but not too much

Parl 3 is about the rule of the partnership with the orphan 's possessions.

Part 4: is about:

The or phan 's right in heritage.

Part 5: is aboyt:

The orphan 's right in booty and cap tyre.

The Conclusion: is about the main results of the re. sear sh.

 $Finally\, {\it `the index}.$

(/) - () ()

yosf11@.gawab.com :

. بسم الله والحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله ، القصد من هذا البحث بيان حقيقة النور في لغة العرب ، ثم استقصاء ورود لفظ النور في القرآن الكريم في مكيّه ومدنيه ، معرفاً ومنكراً ، حيث بلغ تسعة وأربعين موضعاً ، تناولته هذه الدراسة موضعاً موضعاً ، تبين من خلالها أن لفظ النور في كتاب الله شمل النور الحسي الذي يساعد على الإبصار كنور الشمس والقمر ، والمعنوى وهو ما يعقل بعين البصيرة كنور الهداية والطاعة ، كما أنه شمل النور الدنيوى والأخروى ،

وقد اقتضت هذه الدراسة تقسيم لفظ النور حسب وروده في القرآن الكريم إلى ستة فصول اتضح من خلالها أن النور حقيقته الضياء والاستنارة، وأنه اسم من أسماء الله الحسنى ومن صفاته العليا، وأنه جاء إطلاقه على القرآن العظيم وغيره من الكتب المنزلة، وعلى النبي الكريم والدين القويم، وأن النور في الحقيقة هو نور الإيمان والهداية والعلم والطاعة.

هذا وقد أظهرت هذه الدراسة مدى أهمية البحث بلفظ من الألفاظ المتعددة المعنى مما حواه كتاب الله ، واهتمام المفسرين بذلك ، كما أظهرت هذه الدراسة ما اشتمل عليه كتاب الله من أسرار بلاغية ، ونكات بديعية ، ولطائف خفية ، فمن تدبر كتاب الله ، وتأمل آياته زاده ذلك إيماناً ويقيناً وشوقاً ومحبة في قلبه ، وفتح عليه من العلوم الشيء العظيم ، وهذا سرٌ من أسرار الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم ، والله الموفق وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليمًا كثيرًا.

فإن القرآن العظيم لا تنقضي عجائبه، ولا تنتهي معارفه، فمعينه لا ينضب، وعطاؤه لا ينفد، علومه تتجدد، وفيضه يتدفق، كلما تدبره المسلم وأمعن النظر فيه زاده ذلك إيماناً ويقيناً وشوقاً ومحبة في قلبه، وفتح عليه من العلوم الشيء العظيم.

وأهل العلم يتدبرون آياته، ويستخرجون حكمه، ويستنبطون أحكامه، ويكشفون ما قد يخفى من ألفاظه ومعانيه ويظهرون أسراره الكامنة وكنوزه المغمورة.

والقرآن الكريم كثيرًا ما يورد ألفاظاً متفقة في لفظها مختلفة في معناها، حتى إن بعضها ليصل إلى معاني كثيرة. ومن هذه الألفاظ لفظ النور الذي تعددت معانيه، فقد جاء في كتاب الله على في مواضع مختلفة وآيات عديدة بإطلاقات متعددة، فجاء لفظ النور على أنه اسم من أسماء الله الحسنى، وأنه صفة من صفاته العليا، ووصف على باطلاقات متعددة، فجاء لفظ النور على أنه اسم من أسماء الله الحسنى، وأنه صفة من صفاته العليا، ووصف بدلك، ولا كتبه المنزلة، بل خص بهذا الوصف القرآن الكريم، ووصف به رسوله الكريم، وسمى شرعه القويم بذلك، ولا ريب أن هذه أمور مختلفة جاءت بلفظ واحد وهو لفظ النور، مما قد يشكل أمره على الكثير، فكان هذا الأمر دافعاً قوياً حفزني على استقصاء وجمع الآيات القرآنية التي تحدثت عن هذا الموضوع، ثم الوقوف معها، وكشف ما فيها من أسرار وهدايات.

وثمة أمر آخر وهو أن هذا الموضوع بحاجة إلى دراسته دراسة تفسيرية فأحببت أن أشارك في هذا المضمار وأغوص في أعماق هذا الكتاب المعجز، فاستعنت بالله تعالى على بحث هذا الموضوع بتقصي مواطنه التي ورد فيها لفظ النور في كتاب الله وبيان معانيه وما ذكره المفسرون تجاهه، وهو عمل جليل متعلق بكتاب الله أقدمه خدمة لهذا الكتاب العظيم، وإسهاماً في إبراز شيء من جوانبه وتجلية لأسراره وهداياته هذا وقد جعلت البحث في مقدمة وقهيد وستة مباحث وخاتمة.

أما : ففيها أهمية البحث وسبب الكتابة فيه، وخطته والمنهج المتبع.

وأما ففيه معنى النور في لغة العرب والمراد به اصطلاحاً.

ثم بعد ذلك المباحث الستة مرتبة على النحو التالي:

: حقيقة النور الضياء والاستنارة.

- : الله نور السموات والأرض.
- : القرآن الكريم هو النور المبين.
 - : الرسول ﷺ نور يُهتدي به.
 - : دين الله هو النور المبين.
- : النور نور الإيمان والهداية والعلم والطاعة.

ثم بعد ذلك ، وفيها أهم نتائج البحث.

هذا وقد كان منهجي في دراسة هذا الموضوع على النحو التالي:

- : أورد في كل مبحث آيات النور المتعلقة به، ثم أبين معناها ووجه الدلالة منها مع إبراز ما فيها من الأسرار البلاغية واللطائف الدقيقة مما تلفت إليه الآيات ويذكره علماء التفسير.
 - : عزو الآيات إلى سورها بذكر اسم السورة ورقم الآية.
 - : تخريج الأحاديث و الآثار من مصادرها مع الحكم عليها ما أمكن.
 - : تعريف الأعلام غير المشهورين تعريفاً موجزاً.
 - : توثيق أقوال أهل العلم من مصادرها.
 - : وضع فهرس للمصادر والمراجع

آمل أن أكون قد وفقت في الإسهام في خدمة كتاب الله، وفي إبراز شيء من هداياته، وأن أكون جمعت فيه ما تفرق وقربت منه ما بعد، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال ابن فارس: « النون والواو والراء أصل صحيح يدل على إضاءة واضطراب وقلة ثبات، ومنه النور والنار سميا بذلك من طريقة الإضاءة، ولأن ذلك يكون مضطرباً سريع الحركة، وتنورت النار تبصرتها - ثم قال والذي قلناه في قلة الثبات: امرأة نَوَارٌ أي: عفيفة تنُورُ، أي تنفر من القبيح ». اهد (۱).

وما ذكره ابن فارس يفيد أن كلمة النور تدور على معان:

⁽١) معجم مقاييس اللغة (٣٦٨/٥)، وابن فارس: أبوالحسين أحمد بن فارس الرازي من أئمة اللغة والأدب، توفي سنة ٩٥هـ، انظر: البداية والنهاية لابن كثير (٣٥٨/١١)، بغية الوعاة (٣٢٥/١).

أولها: الإضاءة، فيقال: أضاء الشيء أي: أنار واستنار إذا وضُح وبان، والنور هو الذي يبين الأشياء ويُري الأبصار حقيقتها.

وفي القاموس المحيط: «النُّور: الضياء، نار وأنار واستنار ونوَّر وتنوَّر». اهـ (٢)

ثانيها: الاضطراب، وذلك أن النور والإضاءة والإنارة فيه سرعة الحركة والتحرك، ومنه قولهم: نارت الفتنة تنور، إذا وقعت وانتشرت فهي نائرة، فإذا أطفئت سكنت.

ثالثها: قلة الثبات، والنُّوار النُّفَار، ونرته وأنرته نفرته، وبقرة نوار تنفر من الفحل، وامرأة نوار، أي: عفيفة تنفر من كل قبيح وريبة. (٣)

وجاء في لسان العرب: «النُّورُ: الضياءُ، والنور ضد الظلمة، نار وأنار لازم ومتعدٍ وأنار المكانَ وضع فيه النور، والمنار العلم وما يوضع بين الشيئين من الحدود ».اهـ (١٠)

وهذا الكلام مع شدة إيجازه إلا أنه يكشف عن أمور:

أولها: أن النور ضد الظلمة ، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾. (٥)

وإنما ذكر الظلمات بصيغة الجمع والنور بصيغة الإفراد لتعددها واختلاف أجناسها، ولأن الحق واحد والباطل كثير. (٦)

ثانيها: أن فعل النور لازم ومتعدٍ، تقول: نار السِّراجُ فأنار المكانَ.

ثالثها: أن المنار بمعنى المعلم لظهوره وتميزه عن غيره، ففي الحديث: أن النبي ﷺ قال: «لعن الله من غُيَّر منار الأرض »، (٧) أي: أعلام حدودها، (٨)

ومنار الإسلام معالمه وشرائعه، ومنارة المسجد مئذنته التي يؤذن عليها، ويتميز بها عن غيره، ونَور الشجر إزهاره من الإنارة، يقال نورت الشجرة وأنارت إذا أخرجت نورها وهو زهرُها وخضرتها، وذلك لظهوره وسطوعه. (٩)

⁽٢) القاموس المحيط ص٦٢٨.

⁽٣) انظر: الصحاح (٨٣٨/٢)، المصباح المنير (٢/ ١٣٠)، القاموس المحيط ص٦٢٨.

⁽٤) لسان العرب.(٥/ ٢٤٠)

⁽٥) سورة الأنعام، الآية(١).

⁽٦) انظر: الكشاف (٣/٢)، التفسير الكبير (١٥١/١٢).

⁽٧) رواه مسلم في صحيحه ٣ /١٥٦٧ برقم(١٩٧٨).

⁽٨) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي١٤١/١٣٠

⁽٩) انظر: اللسان(٥/٢٤٣).

ويوضح الراغب الأصفهاني أن النور ضربان: معنوي وحسي، كما يبين أنه أيضاً ضربان دنيوي وأخروي، ومنه ما هو عام، ويؤيد ما يقوله بشواهد من القرآن الكريم فيقول: «النور الضوء المنتشر الذي يعين على الإبصار، وذلك ضربان: دنيوي وأخروي، فالدنيوي ضربان: ضرب معقول بعين البصيرة وهو ما انتشر من الأمور الإلهية كنور العقل ونور القرآن، ومحسوس بعين البصر، وهو ما انتشر من الأجسام النيرة كالقمرين والنجوم والنيرات، فمن النور الإلهي قوله تعالى: ﴿ قَدَّ جَاآءَكُم مِن اللّهِ نُورٌ وَكِتَبٌ مُّبِينُ ﴾ (١٠٠).

ومن المحسوس الذي بعين البصر نحو قوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءٌ وَٱلْقَمْرَ نُورًا ﴾ ، (١١) وتخصيص الشمس بالضوء والقمر بالنور من حيث إن الضوء أخص من النور، ومما هو عام فيهما قوله: ﴿ وَجَعَلَ ٱلظُّمُتِ وَٱلنُّورَ ﴾ (١٢)

ومن النور الأخروي قوله: ﴿ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِم وَبِأَيْمَنِهِم ﴾ ، (١٣) والمنارة مفعلة من النور أو من النار كمنارة السراج أو ما يؤذن عليه، ومنار الأرض أعلامها، والنوار النفور من الريبة وقد نارت المرأة تنور نوراً ونواراً، ونور الشجر ونواره تشبيهاً بالنور، والنور ما يتخذ للوشم يقال نورت المرأة يدها، وتسميته بذلك لكونه مظهراً لنور العضو » اهر (١٤).

وجاء في تعريف النور اصطلاحاً « أنه كيفية تدركها الباصرة أولاً ، وبواسطتها سائر المبصرات ». (١٥) وعرفه بعضهم بقوله: « النور هو اسم للكيفية العارضة من الشمس والقمر والنار على ظواهر الأجسام الكثيفة كالأرض». (١٦)

:

حقيقة النور الضياء والاستنارة، وهو عبارة عن الضوء المنتشر الذي يعين على الإبصار وهو ما تحدثه الأجسام النيرة كالشمس والقمر والنجوم والنار ونحوها مما يضيء ويشع بنوره، والآيات القرآنية في كتاب الله عَلَى تشير إلى تلك الحقيقة، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيّاتَهُ وَٱلْقَمَرُ نُورًا ﴾، (١٧)

⁽١٠) سورة المائدة، الآية (١٥).

⁽١١) سورة يونس، الآية(٥).

⁽١٢) سورة الأنعام، الآية (١).

⁽١٣) سورة الحديد، الآية (١٢).

⁽١٤) المفردات ص٥٣٠. والراغب الأصفهاني: الحسين بن المفضل، أديب مفسر لغوي، عاش ببغداد وتوفي سنة (٥٠٢)، انظر: سير أعلام النبلاء(١٨/١٨)، معجم المفسرين (١٥٨/١).

⁽١٥) التعريفات للجرجاني ص.٢٤٦

⁽١٦) كشاف اصطلاحات الفنون (٢١١/٤).

⁽١٧) سورة يونس، الآية(٥).

الـ شمس جعلـت ضياء، أي: ذات ضياء أو مـضيئة، والـضياء: النــور الـساطع القـوي، لأنـه يـضيء للرائي، والقمر جعل نوراً، أي: ذا نور أو منوِّر، والنور: الشعاع المستفاد من الضوء، وقيل: الضياء ما يضئ الأشياء، والنور هو المبين لما يخفى.

وإنما خصت الشمس بالضياء، لأنها أعظم جرماً ولأن الضياء له سطوع ولمعان وحرارة وتوهج، وهو المناسب للنهار الذي فيه الحركة والعمل، بخلاف القمر فقد خص بالنور، لأن النور يشمل القوي والضعيف، ولأن نور القمر مستفاد من الشمس وهو المناسب لليل الذي فيه الهدوء والسكن، (١١٠) ولذا وصف الله الله الشمس بأنها سراج في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِهِنَ ثُورًا وَجَعَلَ الشَّمَس بأنها سراج في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ اللَّهَ مَن فِيهَا سِرَاجًا وَهَا عَلَ اللَّهُ السَّمِس بأنها الذي يوقد بفتيلة في الزيت سِرَاجًا ﴾ (٢١٠) والسراج: المصباح الزاهرُ نورُه الذي يوقد بفتيلة في الزيت فيضيء إضاءة بليغة، ووصف الشمس بذلك من التشبيه البليغ، والغرض منه تقريب المشبّه من إدراك السامع، فإن السراج كان أقصى ما يستضاء به في الليل، وكان من مقتضى هذا التشبيه شدة الإضاءة مع شدة الحرارة والتلهب، (٢٢) وقوله: ﴿ وَهَاجًا ﴾ ، الوهاج المتلألىء المضيء، أي: سراجاً وقاداً شديد الإضاءة، (٢٣) وأما القمر فقد وصف في الآيات السابقة بالإنارة: ﴿ وَهَكَمَرًا مُزِيرًا ﴾ ، ﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِهِنَ ثُورًا ﴾ أي: ينير الأرض ضوؤه إنارة مفيدة، يستنير به الساري ويتبدد به الظلام.

والنور ضربان: دنيوي وأخروي، والدنيوي ضربان: حسي ويكون بعين البصر، وهو ما ينتشر من الأجسام النيرة كالشمس والقمر والنجوم التي هي مصابيح السماء والنار وغيرها مما يستنار به ويستضاء مما يخلقه الله على ومعنوي ويكون بعين البصيرة وهو ما ينتشر من الأمور الإلهية كنور الإيمان والطاعة والهدى والعلم والقرآن والحكمة.

فمن الآيات التي شملت النوعين الحسي والمعنوي ما يلي:

ا - قال تعالى: ﴿ الْحَـمَدُ بِللّهِ اللّذِي خَلَقَ السّمَنوَتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ النَّالُمُتِ وَالنُّورَ ﴾ (٢٤). فالنور في الآية شامل للنوعين الحسى كنور النهار والشمس والقمر والنجوم ونحوها والمعنوى، ونور العلم والإيمان واليقين، والطاعة والهداية.

⁽١٨) انظر: فتح القدير (٢٥/٢)، روح المعاني (١١/٦٧)، التحرير والتنوير (١١/٩٤).

⁽١٩) سورة الفرقان، الآية (٦١).

⁽٢٠) سورة نوح، الآية (١٦).

⁽٢١) سورة النبأ،الآية (١٣).

⁽۲۲) انظر: التحرير والتنوير (۲٤/۳۰).

⁽٢٣) انظر: المفردات للراغب ص٧٢٥

⁽٢٤) سورة الأنعام، الآية (١).

وقدمت الظلمات على النور لتقدم العدم على الحدوث، وجمعت الظلمات وأفرد النور لتعددها واختلاف أجناسها، ولأن الحق واحد والباطل كثير، مع ما فيه من رعاية حسن المقابلة بين الجملتين، السموات والأرض، والظلمات والنور. (٢٥)

٢- قال تعالى: ﴿ اللّهُ نُورُ السّمَورَتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ عَكِيشًكُوةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي نُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كُوكَبُّ الْمُورِهِ مَن دُرِّيَّ يُومَةُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَرَكَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيَّ وُلَوْ لَمْ تَمْسَسَهُ نَارٌ نُورُ عَلَى نُورٍ بَهْدِى اللهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءٌ وَيَضْرِبُ اللّهُ اللّهُ إِنْكُلُ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٢٦)

والآية تشمل النور المحسوس المشهود بالأبصار الذي استنارت به أقطار السموات والأرض، والنور المعقول المشهود بالبصائر والقلوب الذي اهتدى به أهل السموات والأرض، فهو سبحانه وتعالى النور وحجابه النور به استنارت السموات والأرض، وبنوره استنار العرش والكرسي والجنة والشمس والقمر والنجوم، فهو منور السموات والأرض، وكتابه نور وشرعه نور والإيمان به نور، وبنوره اهتدى الحيارى الضالون إلى طريقهم، وإنما أضيف النور إلى السموات والأرض لكمال شيوعه وغاية شموله (٢٠٠) وللآية وقفة أخرى في المبحث التالي يتضح من خلاله ما فيها من معانى ودلالات.

٣- قال تعالى: ﴿ مَثُلُهُمْ كَمَثُلِ الَّذِى اَسْتُوقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتَ مَا حَوَلَهُ، ذَهَبَ اللَّهُ يُتُوهِمْ وَرَبَّكُمْمْ فِي ظُلُمُتَ لِلَّ يَبْحِرُونَ ﴾ (٢٨)، الآية في سياق بيان حقيقة أوصاف المنافقين، أجملت صفاتهم المتقدمة بضرب مثل محسوس مشاهد وهو النار في إضاءتها، لأنه أقرب في إيصال المعاني إلى الأذهان، وهو نور الإيمان الذي استوقدها من غيره، فلما ينتفعوا به، فمثلهم المطابق لما كانوا عليه كمثل الذي استوقد ناراً وهو في ظلمة عظيمة، استوقدها من غيره، فلما أضاءت النار ما حوله ونظر المحل الذي هو فيه وانتفع وقرت بها عينه، فبينما هو كذلك، إذ ذهب الله بنوره وبقي في ظلمة عظيمة ونار محرقة، فتعددت عليه الظلمات، ظلمة الليل، وظلمة السحاب، وظلمة المطر، والظلمة الحاصلة بعد النور فكيف تكون حاله؟ فكذلك هؤلاء المنافقون استوقدوا نور الإيمان من المؤمنين، ولم تكن صفة لهم فانتفعوا بها في حقن دمائهم، وسلامة أموالهم، فبينما هم على ذلك إذ هجم عليهم الموت، فسلبهم الانتفاع بذلك النور، وحصل لهم كل هم وغم وعذاب، فأصبحوا في ظلمات ظلمة القبر، وظلمة الكفر، وظلمة النفاق والمعصية، ثم نار جهنم.

⁽۲۵) انظر: الكشاف (۳/۲)، التفسير الكبير(۱۵۱/۱۲)، إرشاد العقل السليم(۱۲۱/۲)، تيسير الكريم الرحمن ص (۲۵۰). (۲۵) سورة النور، الآية (۳۵).

⁽٢٧) انظر: إرشاد العقل السليم (١١٨/٤)، تيسير الكريم الرحمن ص٥٦٨

⁽٢٨) سورة البقرة ، الآية (١٧).

ومعنى وقود النار إضرامها حتى تشع ويرتفع لهبها، وتنكيرها للتفخيم، وأما إضاءتها فهو ارتفاع شعاعها وسطوع لهبها، وإنما جمع المضمير في: ﴿ مَا حَوْلَهُ ، ﴾ مراعاة المشبه وهو المنافقون، دون المشبه به وهو المستوقد تأكيداً للغرض الأصلي وهو ذهاب نور الإيمان منهم.

واختيار لفظ النور عوضاً عن النار، للتنبيه على الانتقال من التمثيل إلى الحقيقة ليدل على أن الله أذهب نور الإيمان من قلوب المنافقين، فعبر بالنور لأنه المقصود من الاستيقاد، و جمع الظلمات لإفادة شدة الظلمة وتعددها. (٢٩)، فهذا النور الدنيوي بنوعيه الحسي والمعنوي، وأما النور الأخروي فقد أشارت إليه الآيات القرآنية في مواضع من كتاب الله على :

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَيِأْيَمَنِهِ بُشَرَيكُمُ ٱلْيُومَ جَنَتُ بَعَرِي مِن تَعْنِهَ ٱلْأَبْهُرُ خَلِدِينَ فِيهَا أَلْاَبُهُمْ وَاللَّهُ عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهُمْ اللَّهُ الْفَرْدُ ٱلْعَظِيمُ اللَّ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَفِقُونَ وَٱلْمُنَفِقَاتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱنظُرُونَا نَقْنِسٌ مِن نُورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَٱلْتَيسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم فِيلُهُمْ أَنْفُونَ وَٱلْمُنَفِقَاتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱنظُرُونَا نَقْنِسٌ مِن نُورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَٱلْتَيسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم فِيلُهُمْ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّالِمُ اللَّاللَّالَةُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّاللَّالَةُ الللَّهُ ال

الآيتان في بيان ما يحصل للمؤمنين والمؤمنات من الثواب، وما يحصل للمنافقين والمنافقات من الحرمان، فمما يحصل لعباد الله وأوليائه من المؤمنين والمؤمنات يوم القيامة من الثواب ومما يمن به على عليهم أن يبشروا بأعظم بشارة وهو فوزهم بجنات النعيم وأن يهبهم النور التام الذي يسعى بين أيديهم وبأيمانهم حينما تكور الشمس ويذهب ضوءها، ويخسف القمر ويذهب نوره، ويصير الناس في ظلمة وقد نصب الصراط على متن جهنم، هنالك يسعى المؤمنون والمؤمنات بنورهم، وهو بين أيديهم وبأيمانهم، كل على قدر إيمانه.

أما المنافقون والمنافقات فإنهم إذا رأوا نور المؤمنين يمشون به وهم قد طفئ نورهم وبقوا في الظلمات حائرين، طلبوا من المؤمنين أن يمهلوهم لينالوا من نورهم حتى ينجوا من العذاب، فيقال لهم تهكماً بهم: ارجعوا إلى النور الذي وراءكم، أو إلى الدنيا، فيضرب بينهم بحاجز منيع، باطنه مما يلي المؤمنين فيه الرحمة والنجاة والنور، وظاهره مما يلي المنافقين فيه العذاب والهلاك والظُلمة. (٢١)

وهـذا الـنور نـور حقـيقي، وإضاءة واسـتنارة حقيقية للمـؤمنين والمؤمنات، حـينما يكـون النـاس في ظلمة، وإضافته إليهم تقتضي أنه خاص بهم لا يشاركهم فيه غيرهم، وهو أثر من آثار إيمانهم وأعمالهم الصالحة التي هي نور معنوي، وقوله: ﴿ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَنِهِم ﴾، أي: أمامهم ومن جميع جهاتهم، وهو يفيد دنوه

⁽٢٩) انظر: الكشاف (٧٤/١)، التفسير الكبير (٧٥/١)، تيسير الكريم الرحمن ص٤٤، التحرير والتنوير (٧٥/١).

⁽۳۰) سورة الحديد، الآيتان (۱۲- ۱۳).

⁽٣١) انظر: إرشاد العقل السليم (٢٧٦/٥)، تيسير الكريم الرحمن ص ٨٣٩.

منهم والتصاقه بهم، وتخصيص الأيمان مع أن المراد كلا اليدين للتشريف، والتعبير بالسعي دليل على سعي صاحبه، وإلا لانفصل عنه وتركه.

وفي قوله: ﴿ بُشَرَنكُمُ ٱلْمَوْمَ ﴾ ، التفات من ضمير الغيبة إلى ضمير المخاطب ، تكريماً لهم وعناية بهم ، وقوله: ﴿ أَنظُرُونَا نَقْنَيِسْ مِن نُورِكُمْ ﴾ ، فيه دلالة على إسراع المؤمنين بنورهم وأنهم قد طلبوا منهم المهلة ، والاقتباس من القبس وهو الشعلة ، دليل على عظم نورهم ، وقوله: ﴿ قِيلَ ٱرَّجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَٱلْتَهِسُوا نُورًا ﴾ ، أسلوب تهكم وسخرية واستهزاء ، مقابلة باستهزائهم بالمؤمنين في الدنيا. (٣٢)

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ أَوْلَتِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَّ وَالشُّهَدَآهُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجُرُهُمْ وَنُورُهُمْ ﴾ (٢٦)

فمن حقق الإيمان بالله وأقرَّ بوحدانيته وآمن برسله واتَّبع ما جاءوا به من عند ربهم، وهذا يشمل الإيمان بجميع شرائع الدين الظاهرة والباطنة، وجمع بين هذه الأمور فأولئك هم الصديقون، الذين مرتبتهم فوق مرتبة عموم المؤمنين، ودون مرتبة الأنبياء، وإنما جمع الرسل تعريضاً بأهل الكتاب الذين يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض، والصديق مبالغة في المصدق، واسم الإشارة للتنويه بشأنهم وللتنبيه على أن المشار إليهم استحقوا ذلك من أجل تلك الصفات.

⁽٣٢) انظر: نظم الدرر (١٩/ ٢٧٤)، روح المعاني (١٧٦/٢٧)، التحرير والتنوير (٣٨٠/٢٧).

⁽٣٣) سورة التحريم، الآية (٨).

⁽٣٤) انظر: المفردات للراغب ص١٤٧ ، نظم الدرر(٢٠٤/٢٠)، روح المعاني (٢٨/ ١٦١).

⁽٣٥) انظر: ملاك التأويل (١٠٧١/٢).

⁽٣٦) سورة الحديد، الآية (١٩).

وقوله: ﴿ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبَّهُمْ ﴾، الواو إما عطف على ما قبله، أي: وهم الشهداء على الأمم يوم الجزاء، وإما استئناف، خبر عن الشهداء في سبيل الله وما لهم من الثواب، وهو يدل على علوهم وقربهم من الله، والآية محتملة. (۳۷)

فهؤلاء الموصوفون بتلك الصفات، هم الموعودون بالأجر العظيم والنور التام الذي يسعى بين أيديهم وبأيمانهم، يستضيئون به على قدر أعمالهم، وإضافته إليهم تكريم لهم، وفيه دلالة على أنه خاص بهم لا يشاركهم فيه غيرهم.

قىال تعىالى: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَرِتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ عَيِشْكُوةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي نُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْبَكُ دُرِّيٌّ يُوفَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَكَرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا عَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيَّءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَاذُّ ثُوْرٌ عَلَى فُورٍ ۖ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِءَمَن يَشَآخُ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمَّالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ، (٣٨) الله نور السموات والأرض ، به استنارت السموات والأرض وما فيهما ، فهو سبحانه نور، وحجابه نور، وكتابه نور، وشرعه نور، وهدايته نور منه سبحانه، والنور صفة من صفاته عَجَك قائم به، ومنه اشتق له اسم النور الذي هو أحد الأسماء الحسني (٢٩)، ففي الحديث: « لك الحمد أنت نور السموات والأرض

فالآية شملت النور المحسوس المشهود بالأبصار الذي استنارت به أقطار السموات والأرض، والنور المعقول المشهود بالبصائر والقلوب الذي اهتدي به أهل السموات والأرض، فهو سبحانه وتعالى منوِّر السموات والأرض، وإنما أضيف النور إلى السموات والأرض لكمال شيوعه وغاية شموله .(١١)

«ثم ضرب الله ﷺ لهذا النور ومحله وحامله ومادته مثلاً بالمشكاة وهي الكوة في الحائط غير النافذة، مَثَلُ الصدر، وفي المشكاة زجاجة صافية صفاء الكوكب المضيء إضاءة الدُّر، وهي مَثَلُ القلب، وشُبِّه القلب بالزجاجة بجامع الصفاء والرقة والصلابة.

⁽٣٧) انظر: معالم التنزيل (٢٩٨/٤)، التفسير الكبير (٢٣٢/٢٩)، تيسير الكريم الرحمن ص٠٨٤.

⁽٣٨) سورة النور، الآية (٣٥).

⁽٣٩) انظر: مختصر الصواعق المرسلة (٢٠٢/٢)..

⁽٤٠) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٣/١) برقم (١١٢٠)، ومسلم في صحيحه (٥٣٢/١) برقم (١٢٨٨).

⁽٤١) انظر: إرشاد العقل السليم(٤/١١)، تيسير الكريم الرحمن ص٥٦٨

وهذه الزجاجة فيها مصباح وهو النور الذي في الفتيلة وهي حاملته، ومادة هذا النور هو زيت قد عصر من زيتونة في أعدل الأماكن تصيبها الشمس أول النهار وآخره فزيتها من أصفى الزيوت حتى إنه ليكاد من صفائه يضيء بلا نار، فهذه مادة نور المصباح الحقيقي، كذلك مادة نور المصباح المعنوي الذي في قلب المؤمن هو من شجرة الوحي التي هي من أعظم الأشياء بركة وهي أوسط الأمور وأعدلها، فهذه مادة مصباح الإيمان في قلب المؤمن». (٢٤٠)

وهذا الزيت مع شدة صفائه يكاد يضيء من نفسه قبل أن تمسه النار، فإذا مسته النار أضاء إضاءة بليغة، نور على نور، نور من إشراق الزيت على نور من إشعال النار، وقلب المؤمن كذلك، يضيء بفطرته السليمة فإذا جاءه المهدى ازداد نوراً على نور، والله يهدي لنوره ويوفق لاتباع شرعه وتدبر كتابه من يشاء من عباده ممن يعلم منه قبول الحق والإذعان إليه، وإنما ضرب الله هذا المثل للناس لأجل أن يعقلوا عنه أمثاله وحكمه، فإن ضرب الأمثال سبب في توضيح الأحكام وتبيين الأشياء وتقريب المعاني للأذهان. (٣٤)

وأضاف النور إلى السموات والأرض لأحد معنيين: إما للدلالة على سعة إشراقه، وانتشار إضاءته حتى تضيء له السموات والأرض، وإما أن يراد أن أهل السموات والأرض قد استضاءوا بنوره واهتدوا به، وفي إبهام الشجرة في قوله: ﴿ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَرَكَةٍ وَيَتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾ ووصفها بالبركة ثم الإبدال عنها أو بيانها تفخيم لشأنها.

وقوله: ﴿ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾ أي: ضاحية للشمس لا يظلها جبل ولا شجر ولا يحجبها عنها شيء من حين تطلع إلى أن تغرب، وذلك أحسن لزيتها، ومن ثم خصت شجرة الزيتون لأن لب ثمرتها الزيت الذي تشتعل به المصابيح، وخص هذا الدهن لمزيد إشراقه مع قلة الدخان. (١٤٠)

وإذا كان يوم القيامة وذهبت الأنوارُ الموجودة، فالشمس عند ذلك تكور، والقمر يخسف، والنجوم تندثر، وأصبح الناس في ظلمة حينها تشرق الأرضُ بنور ربها وتضيء، وذلك عندما يجيء الرحمن على فيرز لفصل القضاء بين خلقه،

وقال تعالى: ﴿ وَأَشَرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِنْبُ وَجِأْيَ ۚ بِٱلنَّبِيِّنَ وَالشُّهَدَآءِ وَقُضِى بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾، (٥٤)

⁽٤٢) الوابل الصيب ص١١٦ بتصرف يسير.

⁽٤٣) انظر: تفسير القرآن العظيم ٥٨/٦، تيسير الكريم الرحمن ص٥٦٨

⁽٤٤) انظر: الكشاف (٢٤١/١)، أنوار التنزيل (٢٤١/١)، روح المعاني (١٦٨/١٨).

⁽٤٥) سورة الزمر، الآية (٦٩).

وإنما جيء بالماضي في الأفعال: ﴿ وَأُشْرَقَتِ، وَوُضِعَ، وَجِاْىَءَ، وَقُضِىَ ﴾، لأنه محقق الوقوع، والكتاب: صحائف العباد، وإفراده قصد به الجنس. (٧٠)

:

القرآن الكريم كتاب هداية للخلق جميعاً، ختم الله رهج به ما سبقه من الكتب وأودع فيه ما يحتاجه العباد لإصلاح حياتهم، عقيدة وشريعة وآداباً وسلوكاً، فكان حقاً نوراً مضيئاً، أنار للناس طريقهم نحو السعادة الحقّة، واستضاءت به الدنيا بعد الظلمات، واستنارت به العقول بعد الجهالة، قال تعالى: ﴿ الرَّ كِتَبُ أَنزَلْنَهُ إِلَيْكَ لِلنَّاسُ مِنَ ٱلظُّلُمُنَ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَييدِ ﴾. (١٨)

هذا وقد وردت الآيات القرآنية في وصف القرآن بأنه نور مبين، نور من عند الله، والله نور السموات والأرض، وقد سماه الله نوراً لأنه أشبه النور في إيضاح المطلوب باستقامة حجته وبلاغة كلامه، وبإرشاده إلى الخصال القويمة.

قال تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَنُ مِن رَّيِّكُم وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُم نُورًا مُبِينًا ﴾ ((1) فأخبر عَجَلَّ الناس عموماً ، أنه قد جاءهم الحق من ربهم وأنهم قد جاءتهم البراهين القاطعة التي تقيم عليهم الحجة وتوضح لهم المحجة بما بعث به نبيه محمداً ﷺ، وشرع به شرعه القويم ، والنور المبين هو القرآن الكريم لوقوع نور الإيمان في قلوب أهله ، ولكونه سبباً في إخراج الناس من ظلمات الكفر والضلال والجهل إلى نور الإيمان والمداية والعلم واليقين ، فهو نيّر بنفسه منير لغيره ، كالنور الحسي. (٥٠)

وإنما غاير بين الفعلين: ﴿ جَاءَكُمُ ﴾ و ﴿ وَأَنزَلْنَا ﴾ ، لبيان أن الشرع برهان قاطع إنما جاء لإقامة الحجة على الخلق، وأن القرآن أُنزل لهدايتهم وتبصيرهم، فأسنده إليه ﷺ بطريق الالتفات لكمال تشريفه، وإنزاله إليهم من غير ذكر المنزل إليه وهو الرسول. ﷺ لكمال اللطف بهم والمبالغة في الإعذار.

⁽٤٦) انظر: جامع البيان (٢٢/٢٤)، تفسير القرآن العظيم (١١٨/٧)، تيسير الكريم الرحمن ص٧٢٩

⁽٤٧) انظر: التحرير والتنوير (٦٨/٢٤).

⁽٤٨) سورة إبراهيم، الآية (١).

⁽٤٩) سورة النساء، الآية (١٧٤).

⁽٥٠) انظر: التفسير الكبير (١١/١١)، إرشاد العقل السليم (١/ ٨٢٦)، روح المعاني (٢/٦).

والتنوين في: ﴿ بُرْهَنُ ﴾ للتفخيم، والتصريح بذكر لفظ الربوبية مع إضافته إلى ضمير المخاطبين ﴿ مِّن رَّيِكُمْ ﴾ لإظهار اللطف بهم والإشعار بأن مجيء ذلك لتربيتهم.(٥١)

وقال تعالى: ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِ ء وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِى ٓ أُنِلَ مَعَهُۥ أُولَتِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ ، (٢٥) والآية تعليم لكيفية اتباعه ﴿ وبيانُ لعلو رتبة متبعيه ، الفائزين بكل مطلوب الناجين من كل مرهوب ، بعد بيان نعوت الجليلة في الآية نفسها: ﴿ الَّذِينَ يَتَبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّيِّيَ ٱلْأُمِّى ٱلَّذِي يَجِدُونَهُ مَكُنُوبًا عِندَهُم فِي ٱلتَّورَكةِ وَالله وهو القرآن الكريم فهم الموعودون بهذا الوعد الكريم.

وفي هذه الآية سمى الله رهج كتابه العزيز نوراً، وسبب ذلك أن بيانه في القلوب كبيان النور، ولأنه ظاهر بنفسه مُظهر لغيره، أو لكونه مظهراً للحقائق كاشفاً عنها، وإنما أمر باتباع النور لأنه بمعنى الاقتداء بما ورد في القرآن الكريم، شُبه حال المقتدي بهدي القرآن بحال الساري في الليل إذا رأى نوراً قد لاح له اتبعه، لعله يجد عنده نجاة وسلامة من أضرار السير، فالاتباع يكون للاقتداء، والنور يكون للقرآن، لأن الشيء الذي يكون طريقاً لبيان الحق والرشد يشبه بالنور. (٥٣)

وإنما قال: ﴿ ٱلَّذِى آُنُولَ مَعَهُۥ ﴾ ، وهو قد أنزل إليه ، لأنه أنزل مع نبوته وظهر بظهورها. (نه) وقال تعالى: ﴿ فَكَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَاسُولِهِ وَ النُّورِ ٱلَّذِى ٓ أَنزَلْنَا ﴾. (٥٥)

الفاء فصيحة تفصح عن شرط قد حذف ثقة بظهوره، أي:إذا كان الأمر كذلك فآمنوا بالله الذي له الإحاطة الكاملة بكل شيء وقد سمعتم ما سمعتم من شؤونه على ورسوله البشير النذير، وكتابه المنزل عليكم وهو القرآن الكريم، فإنه بإعجازه بين بنفسه مبين لغيره، وإنما سماه الله نورًا، لأن النور ضد الظلمة، وهذا الكتاب الذي أنزله الله على وغيره مما أنزل من الكتب، وما فيه من الأحكام والشرائع والأخبار أنوار يُهتدى بها في ظلمات الجهل المدلهمة، والالتفات إلى نون العظمة لإبراز العناية بشأن المنزل، ولزيادة الترغيب فيه. (٢٥٠)

⁽٥١) انظر: إرشاد العقل السليم (١/٨٢٦)، روح المعاني (٢/٦).

⁽٥٢) سورة الأعراف، الآية(١٥٧).

⁽٥٣) انظر: روح المعاني (٨٢/٩)، تيسير الكريم الرحمن ص٣٠٥، التحرير والتنوير (٩/١٣٨).

⁽٥٤) انظر: الكشاف (١٦٦/٢).

⁽٥٥) سورة التغابن، الآية (٨).

⁽٥٦) انظر: أنوار التنزيل(٤٩٩/٢)، روح المعاني(١٢٣/٢٨)، تيسير الكريم الرحمن ص٨٦٦، التحرير والتنوير(٢٨/٢٨)

وقال في وصف القرآن الكريم: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنَ أَمْرِنَا مَا كُنتَ يَدْرِى مَا الْكِتَبُ وَلَا الْهِرَان، وإنما سمي نُورًا بَهْ بِي مِن شَاء مِن شَاء مِن الله على القرآن، وإنما سمي القرآن روحاً، لأن الروح يحيا بها الجسد، والقرآن تحيا به القلوب والأرواح، وأيضاً تحيا به مصالح الدنيا والدين، لما فيه من الخير الكثير والعلم الغزير، وهو نعمة من الله على على رسوله وعباده المؤمنين، من غير سبب منهم، ولهذا قال: ﴿ مَا كُنتَ يَدْرِى مَا الْكِتَبُ وَلَا الْإِيمَانُ ﴾، أي: ليس لك دراية به ولا علم بأخبار الكتب السابقة، ولا إيمان وعمل بالشرائع الماضية قبل نزوله عليك، لكن جاءك هذا الكتاب الذي جعله الله نوراً يُستضاء به في ظلمات الكفر والبدع والأهواء المردية والجهالات، وتُعرف به الحقائق، ويُهتدى به إلى الصراط المستقيم، والتنوين في: ﴿ رُوحًا ﴾، ﴿ نُورًا ﴾ يفيد التعظيم، أي: روحاً عظيماً ونوراً عظيماً. (٥٥)

وإذا تأملنا ما تقدم من الآيات الواردة وجدنا أن الله رجح قد وصف كتبه بأنها نور، نيرة بنفسها منيرة لغيرها، نور يهتدي بها المهتدون، ويأتم بها السالكون، وتعرف بها الأحكام، ويميز بها بين الحلال والحرام، والحق والباطل، وتنير في ظلمات الجهل،

فجاء في وصف كتابه التوراة المنزل على رسوله موسى السَّكُ بأنه نور، قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَكَةَ فِيهَا هُدَى وَنُورٌ ﴾ ، (٥٩) هدى يهدي إلى الإيمان والحق ويعصم من الضلالة، ونور يستضاء به في ظلمات الجهل والحيرة والشكوك، ويزيل الشبهات ويدفع الشهوات، وتعرف به الحقائق. (٦٠)

ولما زعم اليهود وغيرهم أن الله ما أنزل على بشر من شيء وهم بذلك ما قدروا الله حق قدره، ولا عظموه حق عظمته، لأنه قدح في حكمته بأنه ترك عباده هملاً، من غير شريعة ولا رسالة، يسيرون عليها لينالوا بها السعادة والكرامة والفلاح، رد الله عليهم ملزماً لهم بفساد قولهم، وقررهم بما به يقرون، على وجه التشنيع والإنكار بقوله: ﴿ قُلُ مَنَ أَنزَلَ ٱلْكِتَبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدَى لِلنَاسِ ﴾، (١٦) وهو التوراة المنزلة على موسى السلام، فيها نور العلم والإيمان والطاعة والسعادة، وفيها الهداية من الضلالة والشبهات والشكوك، والهداية إلى الصراط المستقيم علماً وعملاً. (١٢)

⁽٥٧) سورة الشورى، الآية (٥٢).

⁽٥٨) انظر: روح المعاني (٥٨/٢٥)، تيسير الكريم الرحمن ص٧٦٢ التحرير والتنوير (١٥١/٢٥).

⁽٥٩) سورة المائدة الآية (٤٤).

⁽٦٠) انظر: تيسير الكريم الرحمن ص٢٣٢

⁽٦١) سورة الأنعام، الآية (٩١).

⁽٦٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (٣٠٠/٣)، تيسير الكريم الرحمن ص٢٦٤

وكما وصف كتابه التوراة بأنه نور وهدى وصفه بأنه ضياء يضئ للناس طريقهم فيستبصرون به، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرَقَانَ وَضِيكَاءَ وَذِكُرًا لِلْمُنْقِينَ ﴾ (٦٣)

وزاد في وصفه أيضاً بأنه فرقان لأنه يفرق به بين الحق والباطل، وضياء لغاية وضوحه فيتوصل به إلى طرق الهداية وسبل النجاة في معرفة الله عَجْكُ ومعرفة الشرائع، وأنه ذكر أي: تذكرة وموعظة، وذكر ما يحتاجون إليه في دينهم ومصالحهم، وشرف ومكانة لهم.(١٤)

وقال في وصف كتابه الإنجيل المنزل على رسوله عيسى ابن مريم الطَّلِينَ ﴿ وَءَاتَيْنَهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ﴾ . (٥٠) هدى يهدي من الضلالة إلى الصراط المستقيم، ونور لما فيه من الإيضاح وحسن بيان في العلم والطاعة والإيمان، يضئ للهداة طريقهم ويكشف عنهم المشكلات والشبهات، والتنكير في الوصفين للتفخيم. (٦٦)

بل وصف سائر كتبه المنزلة والتي جاءت بها الرسل بأنها نور، نيرة بنفسها منيرة لغيرها، قال تعالى: ﴿ فَإِن كَذَبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلُ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِالْبَيِّنَتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَبِ الْمُنِيرِ ﴾. (١٧)

وقال تعالى: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِيكِ مِن قَبِلهِمْ جَآءَتُهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَتِ وَبِٱلزَّبُرُ وَبِٱلْكِتَبِٱلْمُنِيرِ ﴾ (١٦٠) فرسل الله جاءوا أقوامهم بالمعجزات الباهرات والحجج الواضحات، والكتب المنزلة التي هي نور بها تنكشف الظلمات، وتنجلي المدلهمات.

وهاتان الآيتان جاءتا في موضعين مختلفين فاختلف أسلوبهما من حيث اقتران الباء وعدمه، فقد اقترنت الباء في آية فاطر وتجردت في آية آل عمران، لأن الثانية في سياق زعم اليهود ألا تقبل معجزة رسول إلا معجزة قربان تأكله النار، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُوْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِينَا بِقُرَّبَانِ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ﴾. (١٩٠)

فقيل في التفرد ببهتانهم: قد كُذبت رسل جاء كل واحد منهم بأنواع المعجزات، فترك إعادة الباء إشارة إلى أن الرسل قد جاءوا بالأنواع الثلاثة.

⁽٦٣) سورة الأنبياء (٤٨).

⁽٦٤) انظر: التفسير الكبير (١٧٨/٢٢).

⁽٦٥) سورة المائدة، الآية (٤٦).

⁽٦٦) انظر: إرشاد العقل السليم (٦٥/٢).

⁽٦٧) سورة آل عمران، الآية (١٨٤).

⁽٦٨) سورة فاطر ، الآية (٢٥).

⁽٦٩) سورة آل عمران، الآية (١٨٣).

يوسف بن عبدالعزيز بن عبدالله الشبل

وأما آية فاطر فهي في مقام تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم فذكر ابتلاء الرسل بتكذيب أممهم على اختلاف أحوال الرسل، فمنهم الذين أتوا بالآيات، ومنهم من أتى بالزبر والمواعظ، ومنهم من جاء بالكتاب المنير و الشرائع، فذكر الباء إشارة إلى توزيع أصناف المعجزات على أصناف الرسل. (٧٠)

فتبين أن القرآن العظيم نور وكتب الله المنزلة نور، يهتدي به المهتدون، ويأتم به السالكون، وتعرف به الأحكام، ويميز به بين الحلال والحرام، وتنير في ظلمة الجهل، ولما ذم الله في من يجادل ويخاصم بالباطل ليدحض به الحق ويقلد أثمة الضلال بيَّن أن جدالهم في الله بعد ظهور الأدلة أمر مستغرب، ويزيده غرابة وبشاعة إذا كان لا يقوم على دليل ولا معرفة، ولا هدى مرشد، ولا وحي منير يستندون عليه يظهر لهم الحق وينير القلب والعقل (۱۷).

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمِ وَلَا هُدَى وَلَا كِنَابٍ مُّنيرٍ ﴾ (٧٧).

فتلك حجج باطلة ومجادلة ساقطة لكونها لا تعتمد على علم ولا هدى ولا كتاب تستنير به.

紫

الرسول ﴿ هو السفير من الله ﴿ آلَ عباده وحامل وحيه ، ومهمته إبلاغ الرسالة وإخراج الناس من ظلمات الجهل والضلال إلى نور العلم والهداية ، ودعوتهم إلى الخير ، قال تعالى في بيان رسالة موسى ﴿ وهو أحد رسل الله : ﴿ وَلَقَدُ أَرْسَكُنَا مُوسَى بِعَايَدِينَا ٓ أَنَ أَخْرِجُ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمُنتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ . (٢٧)

فوظيفة الرسول الله الخلق وإنارة الطريق لهم وإزالة الظلمات وكشف الشبهات لما معه من النور والعلم والبيان، كما قال تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهُدِى ٓ إِلَىٰ صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ ﴾.(٢٠)

هذا وقد وردت الآيات القرآنية في وصف الرسول ﷺ بأنه نور يشرق ويضيء للناس طريقهم، نور قد جاء من عند الله وسراج منير، قال تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَبُ مُّبِينُ ﴾، (٥٥) فالنور هو الرسول ﷺ أنار الله به الحق، والكتاب المبين هو القرآن العظيم بيّن في نفسه مبين للحق، (٢٦)

⁽۷۰) انظر: التحرير والتنوير(۲۲ /۲۹۸).

⁽٧١) انظر. جامع البيان(١٧/ ٩٢)، تيسير الكريم الرحمن ص٥٣٣

⁽٧٢) سورة الحج، الآية (٨)، سورة لقمان الآية (٢٠).

⁽٧٣) سورة إبراهيم، الآية (٥).

⁽٧٤) سورة الشورى، الآية (٥٢).

⁽٧٥) سورة المائدة، الآية(١٥).

⁽٧٦) هذا هو الرأي الصحيح في معنى الآية، وعليه جمع من المفسرين، لأن العطف يقتضي المغايرة، وقيل: النور هو القرآن، وقيل هو الإسلام، انظر: التفسير الكبير (١١/١٨٩)

النور في القرآن الكريم دراسة موضوعية

قال ابن جرير الطبري في تفسيره « يقول جل ثناؤه لهؤلاء الذين خاطبهم من أهل الكتاب: ﴿ قَدَ جَاءَكُم ﴾ ، يا أهل التوراة والإنجيل ، ﴿ مِّرَ اللهِ يَعْنِي بالنور: محمدًا الذي أنار الله به الحق ، وأظهر به الإسلام ومحق به الشرك ، فهو نور لمن استنار به ، يبين الحق ، ومن إنارته الحق تبيينُه لليهود كثيرًا مما كانوا يخفون من الكتاب ، وقوله: ﴿ وَكِتَابُ مُبِينُ ﴾ ، يقول جل ثناؤه: قد جاءكم من الله تعالى النور الذي أنار لكم به معالم الحق ، وكتاب مبين ، يعني: كتابًا فيه بيان ما اختلفوا فيه بينهم من توحيد الله ، وحلاله وحرامه ، وشرائع دينه ، وهو القرآن الذي أنزله » .اه (٧٧)

وتقديمُ الجار والمجرور ﴿ مِن اللهِ ﴾ على الفاعل ﴿ نُورٌ ﴾ للمسارعة إلى بيان كون المجيء من جهته ﷺ وللتشويق إلى الجائي، وتنوين ﴿ نُورٌ ﴾ للتفخيم. (٧٨)

وكما وصف القرآن الكريم الرسول محمداً ﷺ بالنور وصفه أيضاً بأنه سراج منير يضيء لمن استضاء بضوئه، كما يضيء السراج الوقاد ظلمة المكان، قال تعالى في وصف نبيه ﷺ: ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى اللّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾ (٧٩). داعياً يدعو الخلق إلى عبادة ربهم بأمره وقدرته، وسراجا يضئ للخلق يستضيئون بالنور الذي جاء هم به من عند الله.

قال ابن سعدي: «كونه سراجاً منيراً، وذلك يقتضي أن الخلق في ظلمة عظيمة لا نور يهتدى به في ظلماتها، ولا علم يستدل به في جهالاتها حتى جاء الله على بهذا النبي الكريم ، فأضاء الله به تلك الظلمات، وعلم به من الجهالات، وهدى به ضُلالاً إلى الصراط المستقيم، فأصبح أهل الاستقامة قد وضح لهم الطريق، فمشوا خلف هذا الإمام وعرفوا به الخير والشر، وأهل السعادة من أهل الشقاوة، واستناروا به، لمعرفة معبودهم، وعرفوه بأوصافه الحميدة، وأفعاله السديدة، وأحكامه الرشيدة » اهد. (٨٠)

ولما كان المقام مقام دعوة وإرشاد إلى الهداية واستنارة من الظلمات وُصف ﷺ بأنه سراج، والسراج المصباح الزاهر نورُه الذي يوقد بفتيلة في الزيت فيُضيء إضاءة بليغة، وهذا الوصف من التشبيه البليغ، والقصد منه تقريب

⁽۷۷) جامع البيان(٦/ ١٠٤).

⁽٧٨) انظر: إرشاد العقل السليم (٢٧/٢).

⁽٧٩) سورة الأحزاب، الآية (٤٦).

⁽٨٠) تيسير الكريم الرحمن.ص٦٦٧ وابن سعدي: عبدالرحمن ابن ناصر السعدي من علماء القصيم برع في فنون شتى وألف مؤلفات عديدة، توفي سنة ١٣٧٦هـ. انظر: مشاهير علماء نجد ص(٢٩٢)، معجم الفسرين (٢٧٩/١).

يوسف بن عبدالعزيز بن عبدالله الشبل

المشبَّه من إدراك السامع، فإن السراج كان أقصى ما يستضاء به في الليل وكان من مقتضى هذا التشبيه شدة الإضاءة ولذا وصفت الشمس بالسراج كما في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾. (٨١)

و لما كان من السُرُج ما لا يضيء جاء التأكيد بقوله: ﴿ مُّنِيرًا ﴾ ولأن التصريح به يفيد أنه ينير على من اتبعه ليسير في أعظم ضياء، ومن تخلف عنه كان في ظلمات مدلهمة. (٨٢)

:

اختار الله ﷺ الإسلام ديناً، وفضله على جميع الأديان، وأنزل به كتابه وأرسل به رسوله ﷺ بشيراً ونذيراً لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.

ودين الإسلام هو الدين الذي لا يقبل الله غيره وهو الدين الكامل الشامل لكل ما يحتاج إليه البشر في عباداتهم ومعاملاتهم وأحوالهم الصالح لكل زمان ومكان، هذا وقد وردت الآيات القرآنية في وصف هذا الدين بأنه نور، نور من عند الله، وإنما سماه الله نوراً، لأن هذا الدين الذي بعث الله به محمداً شمشتمل على بيان الحق من الباطل في أحكامه وأخباره، وعلى الأمر بكل مصلحة نافعة للقلوب والأرواح والأبدان من إخلاص الدين لله وحده، ومحبة الله وعبادته، والأمر بمكارم الأخلاق ومحاسن الشيم والأعمال الصالحة والآداب النافعة، وهذه كلها نور للعباد يستنيرون بها في حياتهم ويخرجون بها من ظلمات الجهل والضلال(٨٣)، كما قال تعالى: ﴿ أَوْمَن كَانَ مَيْ مَا كَانُوا عَمْ مَاكُونَ الظُّلُمُتِ لَيْسَ بِخَارِجِ مِنْها كَذَاكِ نُرِينَ لِلْكَنْفِينَ مَا كَانُوا يعْ مَلُوث ﴾ . (١٨٠)

والقرآن الكريم يكشف عمَّا يكنِّه أعداء الإسلام من اليهود والنصارى ومن شاكلهم من المشركين من الممالاة والتألب على هذا الدين، ومحاولة إطفاء هذا النور بتكذيبهم وبأقاويلهم التي لا مستند لها، قال تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُواْ نُورَ اللَّهِ بِأَفَوْهِهِم وَيَأْبِكَ اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَفِرُونَ ﴾ (٥٥)

ونور الله دينه وشرعه الذي أنار به الدنيا، وانقشعت به الظلمة، وانتشر في الآفاق حتى أنارت به قلوب العباد، وهذا تمثيل لحالهم في محاولة إبطال دين الله وشرعه بحال من يريد أن ينفخ في نور عظيم ليطفئه ويذهب أضواءه، كمن يريد إبطال نور الشمس بنفخه فيها، وليس له ذلك، وهذا أسلوب تهكم بهم وسخرية، وشرع الله

⁽٨١) سورة نوح، الآية (١٦).

⁽۸۲) انظر: روح المعاني (۲۲/ ٤٦)، التحرير والتنوير (۲۲/ ۵۵).

⁽۸۳) انظر: تيسير الكريم الرحمن ص٣٣٥

⁽٨٤) سورة الأنعام ، الآية (١٢٢).

⁽٨٥) سورة التوبة ، الآية (٣٢).

النور في القرآن الكريم دراسة موضوعية

هوالنور الباهر الذي لا يمكن لجميع الخلق لو اجتمعوا على إطفائه أن يطفئوه، لأن الله ﷺ أراد إظهاره وإتمامه بانتشاره على الأديان كلها. (٨٦)

قال تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُواْ نُورَ اللَّهِ بِأَفَوْهِهِمْ وَيَأْبِكَ اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ, وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾.(١٧٠)

وفي هذه جيء باللام في: ﴿ لِيُطْفِئُوا ﴾ ، والغرض هو تأكيد معنى الإرادة ، كقولك : جئتك لإكرامك ، وجيء بالجملة الاسمية : ﴿ وَاللَّهُ مُتِّمُ نُورِهِ ۦ ﴾ ، لإفادة ثبات تمام النور ودوامه ، فكأن هذه الآية نتيجة لما أخبر في آية التوبة بأنه يأبى إلا إتمام نوره (٨٨).

:

المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسله وصدقوا بما جاءت به الرسل وانقادت جوارحهم له هم أولياء الله وصدقوا بما جاءت به الرسل وانقادت جوارحهم له هم أولياء الله والمولوه فلا يبغون عنه بدلاً، واتخذوه ولياً ونصيراً، فتولاهم والمحلل والمعاصي والجهل إلى نور الإيمان والهداية والطاعة والعلم، قال تعالى: ﴿ الله وَلِيُّ اللَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم وَ وَالضلال والمعاصي والجهل إلى نور الإيمان والهداية والطاعة والعلم الشيطان وحزبه الذي كان يعدهم ويمنيهم المواعيد والكاذبة والأماني الخادعة، فلما تولوه من دون الله كان لهم ولياً فأخرجهم من نور الإيمان والهداية والطاعة والعلم الى ظلمات الكفر والضلال والمعاصي والجهل فكان ذلك سبباً في أن مصيرهم إلى النار وجزاءهم الخلود فيها، (١٠٠)

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا ۗ أُولِيكَا وُهُمُ ٱلطَّاعُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَتِ ۗ أُولَيَهِكَ أَصْحَبُ ٱلنَّارِ ۗ هُمْ فِيهَا خَلِدُونَ ﴾ ، (١٩)

وهذا النور العظيم نور الإيمان بالله وبأسمائه وصفاته والعلم به، و الهداية إلى صراطه المستقيم والطاعة والعبودية والخضوع له ﷺ، ومن يُوفق إليه فإن الله يوفقه بإرادته وتوفيقه لسلوك سُبُل النجاة والسلامة من العذاب ويوصله إلى دار السلام وهي الجنة، ويجنبه ظلمات الكفر والجهل والضلال والمعاصي(١٢٠).

⁽٨٦) انظر: إرشاد العقل السليم (٥٤٥/٢)، تيسير الكريم الرحمن ص٣٣٥، التحرير والتنوير (١٧١/١٠).

⁽٨٧) سورة الصف، الآية (٨).

⁽۸۸) انظر: الكشاف(٤/٥٢٥)، نظم الدرر(٣٠/٢٠).

⁽٨٩) سورة البقرة، الآية (٢٥٧).

⁽٩٠) انظر: جامع البيان(١٥/٣)، تيسير الكريم الرحمن ص١١١

⁽٩١) سورة البقرة، الآية (٢٥٧).

⁽٩٢) انظر: معالم التنزيل (١/١١)، تيسير الكريم الرحمن ص١١١

يوسف بن عبدالعزيز بن عبدالله الشبل

قال تعالى: ﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضُوانَهُ, سُبُلَ ٱلسَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَاتِ إِلَى ٱلنَّورِ بِإِذَنِهِ ﴾ والضمير في: ﴿ بِهِ ﴾ عائد على الرسول ﴿ أو القرآن الكريم أوعليهما (١٠٠) ، الوارد في قوله تعالى: ﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّرَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَبُ مُبِينُ ﴾ ، (٥٠) فمن اهتدى بهدى الله واتبع رضاه وفقه لسلوك سُبُل النجاة والسلامة من العذاب وأوصله إلى دار السلام، وأخرجه من الظلمات إلى النور.

ولا ريب أن الرسول الكريم ﴿ وهو السراج المنير سبب لإخراج الناس من ظلمات الجهل والضلال والكفر والمعاصي إلى نور الإسلام والعلم والهداية، كما قال تعالى: ﴿ الْمَرْ كِتَنْبُ أَنْزَلْنُهُ إِلَيْكَ لِنُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَتِ إِلَى نور الإسلام والعلم والمهداية، كما قال تعالى: ﴿ الْمَرْ كِتَابُ أَنْزَلْنُهُ إِلَيْكَ لِنُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَتِ اللهِ النَّوْرِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَطِ ٱلْعَزِرْ ٱلْحَمِيدِ ﴾. (٩٦)

قال ابن جرير الطبري: « أي: لتهديهم به من ظلمات الضلالة والكفرِ، إلى نور الإيمان وضيائه، وتُبصِّر به أهل الجهل والعمى سُبُل الرشاد والهدى » اهـ. (٩٧)

يهديهم النبي بهذا القرآن الكريم والذكر الحكيم، ويخرجهم من ظلمات الجهل والضلال والمعاصي إلى نور الإيمان والمهداية والطاعة، قال تعالى: ﴿ رَسُولًا يَنْلُواْ عَلَيْكُوْءَ اينتِ ٱللّهِ مُبَيِّنَتِ لِيُخْرِجَ ٱلّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّلِحَتِ مِنَ ٱلظُّامُنتِ إِلَى اللّهُ مِنْ الطُّامُةِ وَعَمِلُواْ الصَّلِحَتِ مِنَ ٱلظُّامُةِ إِلَى اللّهُ وَمِنْ اللّهُ وَعَمِلُواْ الصَّلِحَتِ مِنَ ٱلظُّامُةِ إِلَى اللّهُ وَمِنْ اللّهُ وَاللّهُ وَمُؤْمِنَا وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَالّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّه

وإنما خص المؤمنين بالإخراج تخصيصاً لهم واهتماماً بشأنهم وإن كان الإخراج لعموم الناس. (١٠٠)
وقال تعالى: ﴿ هُو اللّذِى يُنْزِلُ عَلَى عَبْدِهِ عَايَتِ بِيّنَتِ لِيُخْرِمَكُم مِّنَ الظُّلُمَتِ إِلَى النُّورُ وَإِنَّ اللَّه بِكُو لَرَّ وُقْ رَّحِيمٌ ﴾. (١٠٠)
وهذا من لطفه ورأفته وعنايته أيضاً بالمؤمنين أن أنزل عليهم الآيات البينات والدلائل الساطعات على عبده ونبيه و خيرته من خلقه ، ليخرج الناس من ظلمات الجهل والضلال والكفر والمعاصي إلى نور الإيمان والطاعة والهداية. (١٠٠١)

⁽٩٣) سورة المائدة ، الآية (١٦).

⁽٩٤) انظر: فتح القدير (٢ /٢٣)

⁽٩٥) سورة المائدة، الآية (١٥).

⁽٩٦) سورة إبراهيم، الآية (١).

⁽۹۷) جامع البيان(۱۳/۱۳).

⁽٩٨) سورة الطلاق، الآية (١١).

⁽۹۹) انظر: التحرير والتنوير (۲۸/۲۸).

⁽١٠٠) سورة الحديد، الآية (٩).

⁽١٠١) انظر: تيسير الكريم الرحمن ص ٨٣٨

النور في القرآن الكريم دراسة موضوعية

ومن لطفه ورحمته على أنه لما أرسل رسوله موسى الناس الله الآيات الواضحات والمعجزات الباهرات وكان ذلك سبباً في إخراج قومه من ظلمات الكفر والجهل والضلال إلى نور الطاعة والإيمان والعلم والهداية. (١٠٢)

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدُ أَرْسَكُنَا مُوسَى بِنَايَدِنَآ أَنَ أَخْرِجُ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النَّورِ وَذَكِّرَهُم بِأَيْدِمِ النَّهِ اللهِ النَّورِ. بِأَيْدِمِ النَّهِ اللهِ النور.

ومن لطفه وإحسانه ﷺ أن جعل من صلاته وثنائه على عباده وأوليائه المتقين، ومن صلاة ملائكته ودعائهم لهم ما يكون سبباً في إخراجهم من ظلمات الجهل والضلال والمعاصي إلى نور الإيمان والعلم والطاعة، وهذا لا شك أنه من أعظم النعم التي أنعم الله بها على عباده الصالحين الطائعين، تستدعي منهم شكرها، والإكثار من ذكر الله الذي لطف بهم ووفقهم لهذا الفضل العظيم،

قال تعالى ﴿ هُوالَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمُلَتَهِكُنُهُ لِيُخْرِعَكُمْ مِنَ الظَّلُمُتِ إِلَى النَّورُ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ (''') وفعل المضارع: ﴿ يُصَلِّى ﴾ يفيد التجدد والاستمرار ، كما أن إخراج المؤمنين من الظلمات إلى النور ، وهم في نور الإيمان والطاعة للاستزادة ، كما قال تعالى: ﴿ وَيَزِيدُ اللهُ النَّيْكِ اَهْتَدَواْ هُدَى ﴾ ('''') فمن اهتدى بهدى الله انشرح صدره للإسلام واطمأن قلبه لمعرفة ربه وانقاد لطاعته فأصبح على نور وبصيرة ويقين واهتداء بنور الإسلام ، قال تعالى: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ اللهِ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُو عَلَى نُورِ مِن زَبِّهِ قَوْمُلُ لِلْقَلَسِيَةِ قُلُومُهُم مِن ذِكْرِ القيقِ واهتداء بنور الإسلام ، وإنما ولم يذكر القلب الذي فيه ليدل على شدته وكثرته التي اتسعت فملأت ذكر شرح الصدر باستضاءته بنور الإيمان ولم يذكر القلب الذي فيه ليدل على شدته وكثرته التي اتسعت فملأت الصدر فضلاً عن القلب ، أما القسوة فقد ذكر فيها القلب ليدل على فساده ، وأنه بفساده فساد البدن كله ، وإسناد شرح الصدر إلى الله يَجَلِّلُ دليل على أن ذلك بإرادته وتوفيقه وأنه خير ، بخلاف قسوة القلب فإنها شر محض ، وكان مقتضى المقابلة أن يعبر بالضيق وإنما وصفهم بقسوة القلوب لأن ذلك يفيد عدم قبول شيء بحلاف الضيق فإنه مشعر بقبول شيء ولو قليلاً ، (۱۰۰۰)

⁽١٠٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (٤٧٨/٤).

⁽١٠٣) سورة إبراهيم،الآية (٥).

⁽١٠٤) سورة الأحزاب، الآية (٤٣).

⁽١٠٥) سورة مريم، الآية (٧٦).

⁽١٠٦) انظر: جامع البيان (١٣/٢٢)، تيسير الكريم الرحمن ص٦٦٧، التحرير والتنوير(٢٢ /٥٠).

⁽١٠٧) سورة الزمر، الآية (٢٢).

⁽۱۰۸) انظر: نظم الدرر (۱۲/۶۸۵)، روح المعاني (۲۵۷/۲۳)، التحرير والتنوير (۳۷۹/۲۳).

يوسف بن عبدالعزيز بن عبدالله الشبل

ولما نادى على المؤمنين عموماً وأمرهم بلزوم تقواه والإيمان برسوله بين أثر ذلك وهو حصول الكفلين، وهما الأجران العظيمان، لا يعلم قدرهما إلا الله وحصول النور من العلم والهدى والطاعة الذي يمشي عباده المتقون به في ظلمات الجهل والضلال والمعاصي وزيادة على ذلك نور الآخرة عندما يسعى بين أيديهم وبأيمانهم، وحصول مغفرة الذنوب وتكفير السيئات،

قال تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهُا الّذِينَ اَمَمُوا التّقُوا اللّهَ وَعَلَيْ مِسُولِهِ وَوَلَيْمَ مِعْوَلِهِ وَوَلَيْ مِن رَحْمَتِه وَوَيَحَمْ اللّهِ اللّه الله الكتاب نظراً لسياق الآيات، والأجران لإيمانهم بالأنبياء السابقين وبمحمد ﷺ، وقيل: الخطاب لعموم المؤمنين، وهو الظاهر لتصدير الآية بندائهم، والأجران فضل وإكرام. والتعبير ب: ﴿ تَمْشُونَ بِهِ ع ﴾ تشبيهٌ لحالهم في العلم والهدى بحال قوم يمشون في طريق بليل يخشون التيه والضلال، فيعطون نوراً يستضيئون به فيبصرون فيأمنون الضلال (۱۱۰۰، وهذا النور العظيم هو نور الإيمان بالله وبأسمائه وصفاته، ونور العلم به ﷺ من هذا النور فاستنار قلبه ونور العلم به ﷺ من هذا النور فاستنار قلبه من العذاب، والوصول إلى دار السلام، وأن يسلم صاحبها من ظلمات الكفر والجهل والضلال والمعاصي، من العذاب، والوصول إلى دار السلام، وأن يسلم صاحبها من ظلمات الكفر والجهل والضلال والمعاصي، وهذا النور ليس لكل أحد، بل هو فضل الله يؤتيه من يشاء، كما قال تعالى: ﴿ وَمَن لَدُ يَعْمَلُ اللّهُ مُؤلَّ فَمَا لللهُ مِن العذاب الله بنور الإيمان والهداية والعلم، والسعادة فهو يستضئ بهذا النور، ويمشي به بين الناس متبصراً في أموره مهتدياً لسبيله، عالماً بسبل النجاة سالكاً لها مبتعداً عن طرق الغي والضلال، فهل يستوي هذا بمن هو في ظلمات الجهل والضلال والمعاصي منغمساً فيها قلد مبتعداً عن طرق الغي واظلمت عليه المسالك؟

قال تعالى: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْـتًا فَأَحْيَـيْنَهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِ عِفِ ٱلنَّاسِ كَمَن مَّ ثَلُهُۥ فِي ٱلظَّلُمَـٰتِ لَيْسَ جِخَارِجٍ مِّنْهَا ً كَذَالِكَ زُيِّنَ لِلْكَنفِرِينَ مَا كَانُوا مَعْمَلُوك ﴾ (١١٢)،

فأن سأل سائل: لم يسلك هؤلاء المسالك المظلمة، طرق الغي والمعاصي والضلال؟ ومن يرضى أن يبقى في هذه الظلمات؟ فالجواب هو قوله تعالى: ﴿ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَنْفِرِينَ مَا كَانُوا لَ يَعْمَلُونَ ﴾، أي: أن الشيطان زين

⁽۱۰۹) سورة الحديد، الآية (۲۸).

⁽١١٠) انظر: روح المعاني (١٢٣/٢٧)، تيسير الكريم الرحمن ص٨٤٣، التحرير والتنوير(٢٧/٢٧).

⁽١١١) سورة النور، الآية (٤٠).

⁽١١٢) سورة الأنعام ، الآية (١٢٢).

النور في القرآن الكريم دراسة موضوعية

لهم أعمالهم وحسن لهم القبائح حتى صارت لهم صفة لازمة لا تنفك عنهم أبداً. (۱۱۳)، فلا يستوي من هو على نور من ربه ومن هو منغمس في ظلمات الضلال والردى، كما لا يستوي الأعمى والبصير، قال تعالى: ﴿ قُلُ هَلَ مَلَ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَى وَٱلْبَصِيرُ أَمَّ هَلَ شَـنَـتَوِى ٱلظُّمُنَ وَٱلنُّورُ ﴾، (۱۱۵)، وقال تعالى: ﴿ وَلَا ٱلظُّلُمَتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴾، (۱۱۵)

قال ابن جرير الطبري في تفسير آية الرعد: «يقول تعالى ذكره: وهل تستوي الظلمات التي لا ترى فيها المحجة فتسلك، ولا يرى فيها السبيل فيركب، والنور الذي تبصر به الأشياء، ويجلو ضوؤه الظلام؟ يقول: إن هذين - لا شك- لغير مستويين، فكذلك الكفر بالله إنما صاحبه منه في حَيرة يضرب أبدًا في غمرة لا يرجع منه إلى حقيقة، والإيمان بالله صاحبه منه في ضياء يعمل على علم بربه، ومعرفة منه بأن له مثيبًا يثيبه على إحسانه ومعاقبًا يعاقبه على إساءته ورازقًا يرزقه ونافعًا ينفعه» اهـ. (١١٦)

أحمد الله حمدًا كثيرًا أن يسر لي كتابة هذا البحث وإتمامه بعونه وتوفيقه، وأسأله جلت قدرته أن ينفع به.

هذا وإن لفظ النور من الألفاظ التي وردت في القرآن الكريم وتعددت معانيه وهذا الأمر مما قد يشكل على الكثير، فكانت هذه الدراسة من جمع ونقل وبيان سبيلاً إلى كشف هذه الألفاظ المتفقة في ظاهرها والمتداخلة والمتداخلة، والوصول إلى معانيها المختلفة بشيء من النظر والتأمل والتدبر فيما ورد منها في كتاب الله عجلًا.

ويمكن أن أوجز أبرز ما توصلت إليه في هذا البحث من نتائج في النقاط التالية:

أولاً: أن النور في لغة العرب يدور على معان أشهرها: الإضاءة التي تعين على الإبصار، وسرعة التحرك، والاضطراب، والنفور من الشيء، وأنه يقابل الظلمة.

ثانيا: أن لفظ النور جاء في القرآن الكريم منكراً ومعرفاً في تسعة وأربعين موضعاً، تقصتها هذه الدراسة موضعاً.

ثالثاً: أن النور في وروده في كتاب الله رضي النور الحسي الذي يساعد على الإبصار كنور الشمس والقمر، والمعنوي وهو ما يعقل بعين البصيرة كنور الهداية والطاعة.

⁽١١٣) انظر: نظم الدرر(٢٥٢/٧)، تيسير الكريم الرحمن ص٢٧١.

⁽١١٤) سورة الرعد، الآية (١٦).

⁽١١٥) سورة فاطر، الآية (٢٠).

⁽۱۱٦) جامع البيان (۱۳/ ۸۹).

يوسف بن عبدالعزيز بن عبدالله الشبل

رابعاً: أن النور بنوعيه الحسي والمعنوي كما أنه يكون في الدنيا كذلك يكون في الدار الآخرة، فيسعى المؤمنون بنورهم في عرصات يوم القيامة وعلى الصراط.

خامساً: اجتمع لكلمة النور في القرآن الكريم من المعاني ما يقرب من العشرة، تناولتها هذه الدراسة في ستة فصول، اتضح من خلالها أن النور حقيقته الضياء والاستنارة، وأن النور اسم من أسماء الله كالله الحسنى ومن صفاته العليا، وأنه وصف للقرآن العظيم وغيره من الكتب المنزلة، وهو أيضاً من صفات نبينا الكريم وصفات ديننا القويم، وأن النور في الحقيقة هو نور الإيمان والهداية والعلم والطاعة.

سادساً: أن النور في هذه المعاني أغلبه معنوي، أي أنه بمعنى نور البصيرة مما يحمل معنى الهدى والعلم والطاعة والإيمان والسعادة وانشراح الصدر وهوالأجدر بالأهمية والتأمل.

هذا وقد أظهرت هذه الدراسة مدى أهمية البحث بلفظ من الألفاظ المتعددة المعنى مما حواه كتاب الله، واهتمام المفسرين بذلك، كما أظهرت هذه الدراسة شيئاً مما اشتمل عليه كتاب الله من أسرار بلاغية، ونكات بديعية، ولطائف خفية لا تنفد ولا تنحصر، فمن تدبر كتاب الله العظيم، وتأمل آياته زاده ذلك إيماناً ويقيناً وشوقاً ومحبة في قلبه، وفتح عليه من العلوم الشيء العظيم، وهذا سرٌ من أسرار الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، وختاماً أحمد الله جل جلاله على ما يسَّر وسهَّل، وأسأله أن يغفر زللي وتقصيري، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

- [1] إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبوالسعود بن محمد العمادي، ت عبدالقادر أحمد عطا، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط۲، ۱٤۰۲هـ.
- [۲] أنوار التنزيل وأسرار التأويل: عبدالله بن عمر البيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٨٠٤٠هـ.
 - [٣] البحر المحيط: أبوحيان محمد بن يوسف الأندلسي: دار الفكر، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٣هـ.
 - [٤] البداية والنهاية: إسماعيل بن عمر بن كثير، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٠٧هـ.
- [0] بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت محمد أبوالفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت، لبنان.
 - [7] التحرير والتنوير: محمد الطاهر ابن عاشور، نشر: الدار التونسية، ١٩٨٤م.
 - [۷] التعريفات: للشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٠٨هـ.

النور في القرآن الكريم دراسة موضوعية

- [۸] تفسير القرآن العظيم: إسماعيل بن عمر بن كثير، ت: سامي السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع الرياض السعودية، ط١، ١٤١٨هـ.
 - [9] التفسير الكبير (مفاتيح الغيب): محمد بن عمر الرازي، دار إحياء التراث، لبنان.
- [10] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبدالرحمن بن ناصر السعدي، ت عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مكتبة العبيكان ط٢ ١٤٢٤هـ.
 - [11] جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمد بن جرير الطبري، دار المعارف، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ.
- [۱۲] روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني: الشهاب محمود بن عبدالله الآلوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط٤، ١٤٠٥هـ.
 - [١٣] سير أعلام النبلاء: محمد بن أحمد الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٢٦٠٦هـ
 - [12] شرح صحيح مسلم: يحيى بن شرف النووي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- [10] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري، ت: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط٤، ١٩٩٠م.
- [17] صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري، ت: سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، دار الفكر ١٤١٤هـ.
- [۱۷] صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج النيسابوري، ت محمد فؤاد عبدالباقي نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء، السعودية، ١٤٠٠هـ.
- [١٨] فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير: محمد بن علي الشوكاني، مكتبة المعارف، الرياض.
 - [١٩] القاموس المحيط: محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٦هـ.
 - [۲۰] كشاف اصطلاحات الفنون: محمد على التهانوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٨هـ.
- [۲۱] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٠٧هـ.
 - [۲۲] لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٠هـ.
 - [٢٣] مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة: لابن القيم، اختصار: محمد ابن الموصلي، دار الفكر.
 - [٢٤] مشاهير علماء نجد وغيرهم: عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، دار اليمامة، ط٢ ١٣٩٤هـ.
 - [70] المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي: أحمد محمد الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.

يوسف بن عبدالعزيز بن عبدالله الشبل

- [٢٦] معالم التنزيل: الحسين بن مسعود البغوي، ت خالد العك، مروان سوار، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٧هـ.
 - [۲۷] معجم الفسرين: عادل نويهض، م نويهض الثقافية، لبنان، ١٤٠٩هـ.
- [٢٨] معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم: الراغب الحسين بن المفضل الأصفهاني، ت نديم مرعشلي، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- [۲۹] معجم مقاییس اللغة: أحمد بن فارس بن زكریا، ت، عبد السلام هارون، دار الجیل، بیروت، لبنان، ط۱، ۱٤۱۱ه.
- [٣٠] ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي، ت سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٣م.
- [٣١] نظم الدر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط٢، ١٤١٣هـ.
- [٣٢] الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب: لابن القيم، ت إسماعيل الأنصاري نشر، رئاسة إدارات البحوث العلمية، الرياض.

النور في القرآن الكريم دراسة موضوعية

The meanings of Brightness in the Holy Qur'an

Yousof ebn Abdulaziz Al Shebel

The assistant proph of the Qur'an and its Sciences, Imam Muhammad ibn Saud Islamic University
Faculity of Islamic Religion Basics
E: Mail: yosf11@.gawab.com

(Received 9/3/1429H; accepted for publication 3/6/1429H)

Abstract. This search entitled "Contemplations in the verses of Al Nour" I meant identification of the truth of Al Nour in the Arabic language, and the saying of Al Nour in the Holy Quraan in either Makkah or Madinah ,definitely and indefinitely , it mentioned for fourty nine place , and I studied it in my study one by one , and I found that the saying "Al Nour" in the Holy Quraan concluded the material light that help ones to see as the Sun light and moon light , and incorporeally what is understood by the eye of truth as the light of the obeying and proselyte , and it conclude both the worldly and immortality

And the study needed to divide the saying Al Nour according to how it mentioned in the Holy Quraan to six chapters, we discovered that the truth of Al Nour imply in the light and enlighten and name of the God's name and His highly specifications and also called it on the holy quraan and other Holy books and on the Prophet Mohammed and on the righteous religion, and that the truth of Al Nour that is the light of believing in God, proselyting, knowledge and obeying.

Also the study discovered the importance of saying of the multiuse saying that concluded in the Holy Quraan and caring of the explainers for that, and also the study discovered what the Holy Quraan included from the secrets of the ephebic, and witticisms of rhythms and hidden affabilities. and who contemplate in the holy Quraan and his verses increase his believing in God, certitude, adoring and loving in his heart and open the window of the great knowledge to him and this one of the Holy quraan ephebic secrets, Allah bless us and peace upon the prophet Mohamed.

(/) - () ()

(//)

. يتكون البحث من مقدمة بينت فيها أهمية الموضوع وأنه يعالج مشكلة تهدد حياة المجتمع وعزته، ويرتبط بالعقيدة الإسلامية.

وأسباب اختياري له وذكرتُ جملة من الأسباب من أهمها:

١- انتشار بعض المفاهيم الخاطئة عن التوكل.

٢- اعتناء القرآن الكريم به وذكره في أكثر من سبعين موضعاً.

وبينت منهجي في البحث مكونة من مقدمة بينت فيها أهمية الموضوع وسبب اختياري له ومنهجي العلمي وخطة أسير عليها بينت فيها أنني قسمتُ بحثي إلى ثلاثة فصول وخاتمة وفهارس.

: تحدثت عن حقيقة التوكل من خلال أربعة مباحث.

: معنى التوكل لغة واصطلاحاً، وأن التوكل في اللغة مأخوذ من وكل أي اعتمد، واصطلاحاً هناك عدة تعاريف من أهمها: قول ابن رجب: هو صدق اعتماد القلب على الله في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة.

: بيان أصول التوكل وفيه ثلاثة مطالب:

: فضيلة التوكل في القرآن والسنة.

: أصول التوكل وأنه يقوم على ثلاثة أصول وهي التوحيد، الاستغاثة، العيادة

: الفرق بين التوكل والتواكل وذكرتُ أن التواكل هو الاعتماد على المخلوق وبينتُ أن التوكل يزيد وينقص وذكرت عوامل ذلك.

حكم التوكل وأنه واجب، وحكم التواكل وأنه محرم.

: لوازم التوكل وفيه مبحثان:

: الأخذ بالأسباب وأنه من مقومات التواكل ولوازمه وحكم الأخذ بها.

: التفويض وهو روح التوكل ولبه، والفرق بين التوكل والتفويض.

: منزلة المتوكلين وفيه ثلاثة مباحث:

: اقتران التوكل بالقيم والمثل العليا مثل الإيمان، وأسماء الله الحسنى، والعيادة والتقوى، والصبر، والعزيمة، والعمل الصالح، والحكم والجهاد.

: آثار التوكل في الدنيا والآخرة.

في الدنيا على الفرد من إحياء قلبه وطمأنينته والقوة والعزيمة والشجاعة والتواضع والقدرة على الشيطان والرزق.

في الآخرة في الجنة بغير حساب.

الحمد لله رب العالمين، حمداً كثيراً كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

وبعد: فإن أعظم ما يبذله الإنسان ما كان في معرفة الله سبحانه ومعرفة ما أوصى به إلى رسوله الكريم - صلى الله صلى الله عليه وسلم - ، وإن أعظم العلوم وأفضلها، ما كان متصلاً بكتاب الله تعالى وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - .

وإن من شعب الإيمان، التي ينبغي للمسلم أن يتمسك بها، ويحافظ عليها بحيث تظهر في سلوكه " فضيلة التوكل على الله "، وذلك لما لها من الأهمية في حياة الفرد والمجتمع ولاهتمام القرآن الكريم بها، قال تعالى: ﴿ وَعَلَى اللهُ وَلَيْتَوَكِّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١).

وخاطب نبيه - صلى الله عليه وسلم - بقوله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلُ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ (٢)

وجاء في صفات المؤمنين أنهم على ربهم يتوكلون فقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتُ عُلَيْتُ مَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَجِلَتُ عُلَيْمَ مَ اللَّهُ وَاللَّهُ وَالَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُو

ولذلك كان من الأهمية، أن يعرف المؤمن حقيقة التوكل ومقوماته ومستلزماته ومنزلة أهل التوكل في الدنيا والآخرة، وأن الأنبياء والمرسلين هم القدوة الحسنة في هذه الفضيلة السامية.

ويزيد في الأهمية لهذا البحث أنه كشف الشبهات والآراء الخاطئة حول هذه القضية والتي كانت سبباً في انحراف بعض الناس عن حقيقة هذا المقام المحمود واعتقدوا أن التوكل هو ترك الأسباب، وظنوا بصنيعهم هذا أنهم في غاية التوكل، وهم في الحقيقة في غاية التواكل.

وهناك على النقيض تماماً من أولئك، وآخرون اعتقدوا أن بذل الأسباب وحده كاف لقضاء حوائجهم.

وهكذا ضاعت هذه الفضيلة السامية بين الإفراط والتفريط مما أوجب إبراز هذه الفضيلة في بحث مستقل لتعم الفائدة الناس جميعاً.

فكان هذا الجهد المتواضع حسب قدرتي وإمكاناتي متوخياً فيه الصواب، فإن أصبت فمن الله وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان.

^{. : ()}

^{. : ()}

^{. : ()}

- ١- انتشار بعض المفاهيم الخاطئة عن موضوع "التوكل " عند بعض الناس.
- ٢- اعتناء القرآن الكريم بهذا الموضوع، مما يدل على أهميته حيث إنه ذكر في كثير من السور القرآنية حتى
 بلغت الآيات التي تتحدث عنه حوالي سبعين آية.
 - ٣- ارتباط قضية التوكل بإيمان الإنسان مباشرة.
 - ٤- تزويد المكتبة الإسلامية بهذا اللون من الدراسة القرآنية المتخصصة في التفسير الموضوعي.
- ١- قيمته العلمية حيث إن المادة العلمية جُمعت واستُنبطت من مصادر ومراجع أساسية وهامة سواء في التفسير أو الحديث أو كتب اللغة.
- حيوية هذا البحث واحتياج الناس إليه، إذ يعالج مشكلة تهدد حياة المجتمع وعزته وكرامته، إن هم
 ابتعدوا عن التوكل على الله.
 - " ارتباط موضوع " التوكل " بالعقيدة الإسلامية ارتباطاً مباشراً.
- ٤- مناقشته لبعض الشبهات والآراء الخاطئة التي ألصقت "بالتوكل" والرد عليها بالأدلة الشرعية والبراهين
 العلمية.
- ١- جمعت الآيات القرآنية التي تتحدث عن موضوع "التوكل "على الله وصنفتها حسب موضوعاتها وموقعها في فصول البحث.
 - جعلت الآيات القرآنية بين أقواس وأشرت في الحاشية إلى اسم السورة ورقم الآية.
 - ٣- نقلت أقوال المفسرين حول الآيات.
- ٤- المسائل المختلف فيها كنت أذكر أقوال العلماء المختلفة وأدلتهم ثم أرجح حسب ما ظهر لي، مع ذكر
 الأدلة من الكتاب والسنة ومناقشة أدلة الآراء الأخرى.
 - ٥- استعنت بالأحاديث الشريفة، مع تخريج الأحاديث والإشارة في الحاشية إلى مواطن وجود الحديث.
 - ٦- قمت بترجمة بعض الاعلام ممن ليس لهم شهرة.

قمت بتقسيم بحثى هذا إلى مقدمة، وثلاثة فصول رئيسية، وخاتمة، وفهارس.

حقيقة التوكل، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: معنى التوكل لغةً واصطلاحاً.

المبحث الثاني : بيان التوكل، وأصوله، وأنواعه، ومكانته. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيان فضيلة التوكل في القرآن والسنة.

المطلب الثاني: بيان أصول التوكل وأنواعه.

المبحث الثالث: التواكل والتوكل.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الفرق بين التوكل والتواكل.

المطلب الثاني: التوكل يزيد وينقص

المطلب الثالث: حكم التوكل والتواكل.

مقومات التوكل، ويتكون من مبحثين:

المبحث الأول: الأخذ بالأسباب.

المبحث الثاني: " التفويض " وفيه ثلاث نقاط هامة.

الفصل الثالث: منزلة التوكل والمتوكلين، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: اقتران التوكل بالقيم الروحية والمثل العليا.

المبحث الثاني : ومكانة المتوكلين بين أهل الإيمان وصفاتهم التي امتازوا بها.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مكانة المتوكلين بين أهل الإيمان.

المطلب الثاني: صفات المتوكلين.

المبحث الثالث: الآثار الحميدة لفضيلة التوكل في الدنيا والآخرة. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: آثار التوكل في الدنيا.

المطلب الثاني: آثار التوكل في الآخرة.

وأخيراً خاتمة للبحث تتحدث عن أهم النتائج التي توصلت إليها وفيها، نتائج عامة، ونتائج خاصة.

واستكمالاً للبحث وإتماماً للفائدة أتبعت الخاتمة بفهرس المصادر والمراجع.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: معنى التوكل لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني : بيان فضيلة التوكل وأصولها وأهميتها.

المبحث الثالث: التوكل والتواكل.

التوكل مشتق من الفعل (وكل) أصل صحيح يدل على اعتماد غيرك في أمرك (١٤). و " وَكُلَ بالله " و " يَكِلُ " و " وَكلاً " بمعنى استسلم إليه.

و" الوكيل اسم من أسماء الله تعالى الحسنى، وهو المقيم الكفيل بأرزاق العباد (٥٠). وقال الفراء: "الوكيل "الكافي.

وقال ابن قتيبة: هو الكفيل، ووكيل الرجل في ماله هو الذي كَفِلَهُ له وقام به (٦).

وجاء في اللسان (٧) أيضاً أن " الوكيل " بمعنى الكفيل وهي على وزن فعيل بمعنى مفعول.

وقال ابن الأنباري الوكيل: بمعنى الحافظ.

وأيد ذلك الزجاج (^).

و"الوكيل" تعنى الجريء الذي يقوم بما وكّل به على أحسن وجه دون مراخاة أو تهاون في الأمر المُوْكَل إليه (٩٠).

و "للوكيل" إطلاقات ودلائل عدة في القرآن الكريم، ذكر ذلك المفسرون من عدة أوجه:

١- تطلق كلمة "الوكيل " ويراد بها الحفيظ (١٠٠ مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ (١١٠).

٢- تطلق أيضاً ويراد بها الرب (١٢): حيث حكى ذلك ابن الأنباري: في قوله تعالى: ﴿ أَلَّا تَنَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلًا ﴾(١٣).

. /

. / :

- ٣- المسيطر: في قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلِ ﴾ (١٤).
- ٤- الشهيد (١٥٠): قوله تعالى حكاية على لسان يعقوب عليه السلام : ﴿ قَالَ ٱللَّهُ عَلَى مَانَقُولُ وَكِلُّ ﴾ (١٦٠).
 - ٥- الناصر (١٧): أي ناصرٌ له ومعين
 - ٦- الرقيب (١٨): وهو المطلع على جميع الأمور.قال تعالى: ﴿ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلِ ﴾ (١٩)
- ٧- المانع: كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَكُفَن بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ (٢٠)، أي مانعاً كما قال صاحب الكشاف (٢١).

قال الإمام أحمد في حقيقة التوكل: " التوكل عمل القلب ومعنى ذلك أنه عمل قلبي ليس بقول اللسان ولا عمل الجوارح ولا هو من باب العلوم والإدراكات " (٢٢).

وعرفه الحسن البصري فقال: "التوكل على الله هو الرضا بفعل الله سبحانه وتعالى "(٢٣).

وعرَّفه البيهقي فقال: " التوكل هو طمأنينة القلب وسكونه إلى موعود الله تعالى (٢٤).

وقال ابن رجب: " هو صدق اعتماد القلب على الله في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها " (٢٥٠).

وقال ابن حجر: ": هو قطع النظر عن الأسباب بعد تهيئة الأسباب " (٢٦).

 ولخص ابن القيم حقيقة التوكل فقال: " التوكل هو اعتماد القلب على الله وحده فلا يضره مباشرة الأسباب مع خلو القلب من الاعتماد عليها والركون إليها، كما لا ينفعه قوله: توكلت على الله، مع اعتماده على غير الله وركونه إليه وثقته به (۲۷).

وقال الألوسي (٢٨): " التوكل " هو إظهار العجز والاعتماد على الغير والاكتفاء به في فعل ما يحتاج إليه وهو لا يكون إلا على الله سبحانه ولا ينافي الأخذ بالأسباب بل يكون بمراعاتها مع تفويض الأمر إلى الله في كل أمر "(٢٩).

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيان فضيلة التوكل في القرآن والسنة.

المطلب الثاني: بيان أصول التوكل وأنواعه.

(

لقد اعتنى القرآن الكريم بـ " فضيلة التوكل " اعتناءً كبيراً ؛ لأنها من أهم الأمور والقضايا في القرآن الكريم، حيث جاءت الآيات مقسمة كالتالى:

- ١- آيات تأمر النبي على بالتزام التوكل.
- ٢- آيات تتحدث على لسان الأنبياء السابقين والتزامهم بفضيلة التوكل على الله.
 - ٣- آيات تُبيّن أن التوكل من شأن المؤمنين.
 - ٤- آيات توضح أن الله يحقق أمل المتوكلين.
- آيات تُبيِّن أن الله وحده هو أهل التوكل وأنه سبحانه حسب من يتوكل عليه وأنه يحب المتوكلين ولا
 يُخيِّب رجاءهم.
 - : الآيات التي جاء فيها الأمر للنبي على بالتزام هذه الفضيلة:
 - ١- ﴿ فَأَعْرِضْ عَنَّهُمْ وَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ (٢٠٠.

. () : : ()

! :

. : ()

. : ()

٢- وأمره الحق تبارك وتعالى أن يعبد الله ويتوكل عليه. قال تعالى: ﴿ فَأَعَبُدُهُ وَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ ﴾ (٣١). : آيات تتحدث عن الأنبياء السابقين والتزامهم بفضيلة التوكل أثناء دعوتهم إلى الله وحث أقوامهم على التخلق بهذه الفضيلة: قال تعالى: ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَنُوَكَ لَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا شُجُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَكَ عَلَىٰ مَاۤ ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَّكِّل ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (٣٢). ولقد تحدث القرآن عن توكل إبراهيم الطِّيِّكُ والذين كانوا معه في طريق الهدى فقال تعالى: ﴿ رَبُّنَا عَلَيْكَ تَوَكُّنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (٣٣) وأيضاً شعيب العَلَيْثُلاً. قال تعالى حكاية على لسان شعيب الطِّيِّكُ : ﴿ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِأَللَّهِ عَلَيْهِ تَوْكَلُتُ وَإِلَيْهِ أُنبِبُ ﴾ (٢٠٠). وأيضاً يعقوب العَلَيْ الْأَرْ. قال تعالى حكاية على لسان يعقوب العَلَيْ : ﴿ إِنِ ٱلْحُكُمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَّكِلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (٣٥). وكذلك نوح العَلَيْهُلَّا. قال تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ فُوجٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ، يَتَقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِعَايَنتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ ﴾ : آيات تُبيَّين أن التوكل من شأن المؤمنين: قال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكِّلِ ٱلْمُتَوِّكِلُونَ ﴾ (٣٧). وقال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤِّمِنِينَ ﴾ (٢٨).

. : : : : :

وقال تعالى: ﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتُوَّكُّلُونَ ﴾ (٢٩). : آيات توضح أن الله سبحانه يحقق الخير الوفير لمن توكل عليه. قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلُ عَلَى ٱللَّهِ فَهُو حُسْبُهُوَ ﴾ أن الله يحفظ المتوكلين من الشيطان وأنه ليس للشيطان عليهم من سبيل. قال تعالى: ﴿ إِنَّهُ لِيُسَلَّهُ سُلْطَنُّ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ ((أ) وأن الله يحب المتوكلين. قال تعالى: ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكُّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (٤٢). وردت فضيلة التوكل في أحاديث نبوية شريفة. حيث ورد عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لو أنكم توكلتم على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا) (٢٤٠٠). وبَيَّنَ ﷺ أن من صفات الذين يدخلون الجنة بغير حساب "التوكل على الله". قال: قال رسول الله ﷺ: (يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون) (١٤). وكان على يذكر هذه الفضيلة في دعائه كثيراً. حيث جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول: (اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت) (٥٠).

بيان أصول التوكل: التوكل على الله يقوم على ثلاثة أصول وهي:

- : لأن التوكل جاء مرتبطاً بإفرادِه سبحانه في الألوهية والربوبية ، حيث اتضح ذلك في القرآن الكريم في مواطن عدة منها:
- ١- قوله تعالى: ﴿ ذَالِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لآ إِلَهَ إِلَّا هُوَّ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (٢٤٠).
- ٢- قال تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوَاْ فَقُلُ حَسْبِي ٱللَّهُ لَاۤ إِلَهُ ۚ إِلَّا هُوَّ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُو رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (٧٠). الخطاب هنا لرسول الله ﷺ وهو عام لجميع المسلمين (٢٨).

إن هاتين الآيتين من الآيات تعنى إخلاص التوحيد لله والصدق في العمل ثم التوكل عليه في تحقيق النتائج ؟ لأنه صاحب الألوهية والربوبية المتفرد بهما، وهو على كل شيء قدير (٤٩).

ولقد وضح الشيخ رشيد رضا أن: " التوكل على الله تعالى، أعلى مقامات التوحيد، الذي أقام به أمور العالم " (٥٠٠).

: ومن آيات الإيمان الكامل بالتوكل على الله الاستغاثة والاستعانة بالله وحده ولا سيما في الشدائد كما فعل جمهور المؤمنين مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في بدر وذكرهم بما مَنّ عليهم من الاستجابة لهم.

قال تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَأَسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾ [(٥١)

ولقد أرشد الله عباده المؤمنين إلى الاستعانة به دون من سواه في قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ مَنْتُهُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِيثُ ﴾ (٥٠).

: التوكل هو ثمرة التوحيد الخالص لله سبحانه واختصاصه بالعبادة دون غيره، كما تدل عليه الآيات الكرعة.

بِغَنفِلٍ عَمَّا

: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَأَعْبُدُهُ وَتَوَك	نال تعا (۵۳) ﴾		ر ت ع م
	:	(
	:	()
/	:	()
. : :	:	()
. :		()
	:	()
	:	()
	:	()

وقال تعالى: ﴿ قُلْ هُو رَبِّي لَآ إِلَهَ إِلَّا هُو عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٍ ﴾ (نه). وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أَنِيبُ ﴾ (٥٥).

ففي الآية الأولى جاءت لترتيب الأمر بالعبادة والتوكل، وفي تأخير الأمر بالتوكل عن الأمر بالعبادة تنبيه على أن التوكل لا ينفع دون الإتيان بالعبادات " (٢٥٠).

وبهذا البيان تعلم أنه لا منافاة بين التوحيد والتوكل وبين الأخذ بالأسباب.. بل الكمال والأدب في الجمع بينهما (٥٠٠).

:

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الفرق بين التوكل والتواكل.

المطلب الثاني: زيادة التوكل ونقصانه.

المطلب الثالث: حكم التوكل والتواكل.

:

" التوكل والتواكل كلمتان متشابهتان في اللفظ، لكنهما متفاوتتان في المعنى متناقضتان في القصد والسلوك مختلفتان في الشرع والعقل.

ويتضح لك هذا الاختلاف والبعد الشاسع بينهما في المعنى من خلال تعريف كل منهما.

فالتوكل يكون بالقيام بالأحكام الشرعية، والأخذ بالأسباب التي أحلها الله بعد اللجوء إلى الله والاعتماد عليه، وبدون الأخذ بالأسباب تكون دعوى التوكل جهلاً بالشرع وفساداً في العقل.

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلُ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ (٥٨).

وقال تعالى: ﴿ فَأَمْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّذَقِهِۦ ۚ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ (٥٩).

		•	:	(,
		:		(,
:				(,
	:			(,
		:		(,
			:	(,

أما التواكل: " فكلمته مستنبطة من تواكل القوم إذا اتكل بعضهم على بعض في فعل أمر معين، والواكل البليد الجبان العاجز الذي يكل أمره إلى غيره (٦٠٠).

وبذلك يكون التواكل: هو الاعتماد على المخلوقين بالتخلي عن الأسباب وانتظار النتائج منهم مع الانقطاع عن السعى اعتماداً على أن الله تكفل برزق المخلوقات.

والذي يترك الأسباب التي أمر الله بها استغناءً بالتوكل عنها، فهذا عين العجز والتواكل والتفريط، معتمداً على أن الرزق يطلب صاحبه كما يطلبه أجله فهذا فهم خاطئ وعجز وتفريط "(١١).

وبذلك التعريف الواضح البين لكل من التوكل والتواكل يتضح الفارق بينهما في الآتي (٦٢٠):

- 1- أن التوكل صفة محمودة وباب من أبواب الإيمان الصحيح، وأما التواكل فهو صفة مذمومة ومن أعمال الشيطان.
 - التوكل أمر به القرآن الكريم في العديد من الآيات والتواكل يحاربه الإسلام وينهى عنه.
- ۳- التوكل من سمات الأنبياء وعباد الله المؤمنين، والتواكل من شعار الكسالي ووصف لجند إبليس
 اللعين.
 - ٤- التوكل دواء وشفاء، والتواكل، مرض وعجز وقعود.
- ٥- التوكل وسيلة للرقى، وإعمار للدنيا بجد ونشاط وسعي متواصل.أما التواكل فهو سبب التخلف والانحطاط، وإهمال للعقل والفكر.

•

أن التوكل مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالإيمان، وكما أن الإيمان يزيد وينقص، فإن التوكل يزيد بفعل الطاعات وينقص بارتكاب الآثام أيضاً.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتُ عَلَيْهِمْ ءَايَنَهُ. زَادَتْهُمْ إِيمَننَا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتُوكُونَ ﴾ (١٣).

فالآية نص قاطع على زيادة الإيمان بالطاعات وفعل العبادات والتوكل على الله من أعظم وأجمع أنواع العبادات، لذلك فهو شرط من شروط تحقيق الإيمان.

· ()
· ()
· ()
· ()

```
قال تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَقَوْمِ إِن كُنتُمْ اللَّهِ مَامَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُسْلِمِينَ ﴾ (١٤).
حيث جاء في التفسير: " كأنه يقول للمسلم حال إسلامه: إن كنت من المؤمنين بالله فعليه توكل في جميع
                               أمورك، وكلما كان قوياً بإيمانه كان نور التوكل أسطع في القلب وأعظم نوراً "(١٥٠).
                 وجعل ابن القيم التوكل على الله شرطاً في الإيمان، فدلَّ على انتفاء الإيمان عند انتفائه (٢٦).
وبرهن المحاسبي (٦٧) فقال: " التوكل محض الإيمان، والتوكل يزيد وينقص بفعل الطاعات كما أن الإيمان
                                               يزيد وينقص، والناس يتفاضلون في التوكل على قدر اليقين " (٦٦٨).
من خلال ذلك العرض المقتضب تبين أن التوكل يزيد وينقص وهناك عوامل لزيادة التوكل ونقصانه
                                                                                              نوضحها في الآتي:

 ١- معرفة الله وأسمائه وصفاته (٦٩).

٢- فعل الطاعات. إن ازدياد فعل الطاعات من العبد لخالقه يزيده تقرباً من الله، وكلما كان العبد قريباً من
                     الله، كان توكله أقوى إلى أن يحبه الله بفعل الطاعات قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوِّكِلِينَ ﴾ (٧٠٠).

 ٣- الكسب الحلال والبعد عن المحرمات (١٧).

: ذكر أبو طَالب المكي (٧٢) في كتابه "قوت القلوب" (٧٣) العوامل التي تنقص
                                                                                       التوكل نلخصها في الآتي:
                                                                                             . /( )
```

- ١- اكتساب الشبهات وارتكاب المحرمات.
- ٢- التسخط للقدر وعدم التسليم بقضاء الله وقدره، إذا لم يؤته بما يفرح ويرضى.
 - ٣- ارتكاب الذنوب والآثام واتباع الشيطان.
 - ٤- أن يكون متوكلاً على صحة جسمه ودوام عافيته.

فبهذه العوامل مجتمعة يزيد توكل الإنسان وينقص بحسب ابتعاده وقربه منها.

:

: جاء في وجوب التوكل على الله وفرضه آيات كثيرة في سور متعددة من القرآن الكريم منها:

قوله تعالى : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلَيْتَوَكُّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (٧٤).

وقوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (٥٧).

وقوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلَيْتَوَكِّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (٧٦).

قال بعض المفسرين: " ولما كان لا كافي إلا الله ولا قادر على كل شيء سواه ولا عالم بشيء غيره كان التوكل على غيره باطلاً وشركاً " (٧٧).

ومما يوجب التوكل على الله قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَقَوْمِ إِن كَنْتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنْتُم مُسْلِمِينَ ﴾ (٧٧).

"وحاصله إن كنتم آمنتم بالله فيجب عليكم التوكل عليه سبحانه فافعلوه واتصفوا به إن كنتم مستسلمين له تعالى ... فعلق التوكل بالتصديق بعد تعليقه بالاسلام، لأن الجزاء معلق بالشرط.." (٧٩).

وأكد الله سبحانه وجوب التوكل عليه بقوله تعالى: ﴿ إِن يَنصُرُكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۗ وَإِن يَغَذُلُكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنَا بَعْدِهِ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكِّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١٠٠).

وفي الآية تشريف للمؤمنين لإيجاب التوكل عليهم .

. :	:	: :	:	()
			. :	
			. :	()
		:	:	()
			. :	()
		. /	:	()
			. :	()

: التواكل: كما علمنا هو تعطيل الأخذ بالأسباب والعجز والقعود وشل لحركة الفرد والمجتمع، أملاً في أن تمطر السماء ذهباً وفضة. وهذا العجز والكسل منافٍ للعقل والشرع. حيث قال رسول الله ﷺ: (اللهم إني أعوذ بك من الكسل، والعجز، والبخل)(١٨٠٠. ولقد نهى رسول الله ﷺ عن مثل هذا العجز الذي هو التواكل ؛ لأنه منافٍ للشرع ولممارسته ﷺ لجميع الأسباب الظاهرة التي أحلها الله، سواء في بيته أو في غزواته أو دعوته إلى الله. فسيرة رسول الله على العملية تشجب أقوال المتواكلين وتدحض حججهم الباطلة. قال ﷺ : (الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني)(٨٠٠). وأمر ﷺ بالتزام طريق التوكل الصحيح بما فيه دحض للتواكل والمتواكلين حيث روي عن علي بن أبي طالب - رضى الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قالوا: ألا نتكل ؟ قال: " اعملوا فكل ميسر فأما من أعطى واتقى، الآية " (٨٣). : " أنه حرام وليس من الدين ؛ لأنه مخالف لنصوص القرآن والسنة والإجماع، ويؤدي إلى الفوضى، وسوء التدبير، وعدم العدالة " (١٤٠). و فيه ميحثان: المبحث الأول: الأخذ بالأسباب. المبحث الثاني : التفويض. هذا المبحث يعتبر ركناً أساسياً في مقومات التوكل على الله ولوازمه. قال تعالى: ﴿ فَإِذَا عَنَهُتَ فَتَوَكَّلُ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (٥٥). : : () : : :

. / ()

ويتكون هذا المبحث من نقاط رئيسية وهي كالآتي:

- : التوكل والأخذ بالأسباب.
- : نظرة الناس إلى الأسباب.
 - : حكم الأخذ بالأسباب.

:

التوكل هـ و الأخـذ بالأسباب كما جـاء في قولـه تعـالى: ﴿ وَشَاوِرُهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ۚ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوكَلَلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (٨٦٠).

دلت الآية على أنه ليس التوكل أن يهمل الإنسان نفسه وإلا لكان الأمر بالمشاورة منافياً للأمر بالتوكل، بل التوكل هو أن يراعي الإنسان الأسباب الظاهرة (٨٧) التي شرعها الله للإنسان ليصل إلى المطلوب

إن الله سبحانه وتعالى أمر باتخاذ الأسباب، دون الاعتماد عليها في الكثير من الآيات القرآنية.

وأمر بإعداد العدة عند ملاقاة الأعداء، لكي نرهبهم ونكسر شوكتهم.

كما أمر الله سبحانه وتعالى مريم - عليها السلام - .

فقال تعالى: ﴿ وَهُزِّي ٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ شُنقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾ (٨٨).

وحينما ندرس سيرة الأنبياء من خلال الآيات القرآنية نجدهم جميعاً أخذوا بالأسباب وهم أئمة المتوكلين على الله.

فنوح العَلَيْلُ صنع بيده السفينة له ولقومه، فأنجاهم الله بها.

وداود السَّكِّكُ صنع الدروع لاستعمالها في طرد الأعداء.

							:		()
				•	/			:	()
								:	()
/ ()								()
				•		/		:	()

انقسم الناس في نظرتهم إلى الأسباب والأخذ بها إلى درجات ومراتب، فمنهم من أخطأ في تصوره وقعد عن الأخذ بالأسباب، ومنهم من غالى في الأسباب حتى تعلق قلبه بها فخرج عن حقيقة التوكل، ومنهم من فهم حقيقة التصور الإياني في الأخذ بالأسباب، فعمل وسعى متوكلاً عليه، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتُوَّكُلُ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسَّبُهُ وَ ﴾ (٩١) وهم كالآتي:

- ١- المتوكلون.
- ٢- المتواكلون.

إن الحكم على القيام بالأسباب أو تركها يتوقف على نوعية الأسباب حيث إنها تنقسم إلى أربعة أنواع، وإليك هذه الأنواع والحكم على كل منها وهي كالآتي

- : وهي تتمثل في الأسباب التي تدفع الضرر سواء عن الفرد أو الجماعة، فإنها لا يجوز تركها، كما لا يجوز النوم والعدو يسعى فساداً في الأرض، فكل ذلك منهى عنه، ومن تركها باسم أنه متوكل فعليه إثم ويحاسب على تقصيره في مثل هذه الأسباب التي هي من طاعة الله، فمن قصر فيها فهو كمن قصر في طاعة ربه ويحاسب ومن أداها على أكمل وجهها فله الأجر الأوفى عند الله تبارك وتعالى (٩٢).
- : ننظر إلى السبب الذي فيه الإباحة، إن كان القيام به يضعف التوكل على الله يكون تركه أولى، وإن لم يضعف القلب فتكون مباشرته من باب أولى والله أعلم.
- : وهي كالفصد والحجامة والذهاب إلى الطبيب، فتركها لا يناقض التوكل عند بعض العلماء، ولكن الذي نصره الأغلبية من العلماء هو الذي نؤيده في الأسباب المظنونة، أن التداوي أفضل وأن الأدوية أسباب مسخرة بإذن الله تعالى.

حيث روى أسامة بن شريك قال: (قالت الأعراب: يا رسول الله ألا نتداوى ؟ قال: نعم يا عباد الله تداووا فإن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء أو قال دواءً إلا داءاً واحداً ، قالوا : يا رسول الله وما هو ؟ قال : الهرم) (٩٣).

: وهي تتمثل في الكي وغيره، قال البعض إنه يخرج من التوكل ؛ لأن النبي ﷺ وصف المتوكلين بأنهم لا يكتوون، وقال: قال رسول الله ﷺ: (من اكتوى أو استرقى فقد برئ من التوكل) (٩٠٠).

وقد حمل بعض العلماء قوله: "لا يكتوون" على الفعل الذي كانوا يفعلونه في الجاهلية، وعليه فالنهي في الحديث يكون عن الفعل في الجاهلية، ولأن النبي الله كان يرقي الرقية بآيات من القرآن بعد نزول المرض وقد كوى أسعد بن زراره (٩٥٠).

: :

لقد عرف الإمام الغزالي (٩٦) التفويض فقال: " التفويض هو إرادة أن يحفظ الله عليك مصالحك فيما لا تأمن فيه الخطر " (٩٧).

وقال ابن القيم: " التفويض هو روح التوكل ولبه وحقيقته وهو إلقاء الأمور كلها إلى الله وإنزالها به طلباً واختياراً " ^(٩٨).

ولقد ذكر التفويض في كتاب الله الكريم في موضع واحد.

قال تعالى: ﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمُ ۚ وَأُفْرِضُ أَمْرِى إِلَى ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُا بِٱلْعِبَادِ ﴾ (١٠٠٠).

فالآية الكريمة تذكر بأن مؤمن آل فرعون هُدد من قبل قومه بالقتل، ففوض أمره إلى الله؛ لأنه على الحق المبين، وخوفهم بقوله (فستذكرون ما أقول لكم) حيث تحداهم بأنهم إن أعرضوا عن أمره فسيندمون حين يرون العذاب الأليم إما في الدنيا، وإما في الآخرة.

ثم لجأ في دفع كيدهم ومكرهم وتخويفهم إلى فضل الله بتفويض أمره إليه. ثم علل تفويضه الأمر إلى الله بأن الله عليم بأحوال الناس بصير بالعباد (١٠١).

. : ()
. : ()
. : ()
. - / - / :
. - / ()
. / ()
. : ()
. / : : ()

:

لقد ذُكِرَ التَّفويضُ في كتاب الله بقوله تعالى: ﴿ وَأُفْرَضُ أَمْرِي ٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ (١٠٢٠).

وذكر في الحديث في مواضع قليلة منها:

أن رسول الله على قال: (اللهم إني أسلمت وجهي إليك وفوضت أمري إليك) (١٠٣).

ورغم ذلك فإن بعض العلماء قال إن التفويض أشمل من التوكل ؛ لأنه ألطف إشارة وأوسع معنى من التوكل، لأن التوكل يأتي بعد وقوع السبب، أما التفويض فإنه قبل وقوعه وبعده وهو عين الاستسلام لله والتوكل شعبة من شعب التفويض، والمفوض يتبرأ بالكامل من الحول والقوة ويفوض الأمور إلى الله وعليه يكون التفويض أعظم من التوكل.

والبعض الآخر من العلماء، قال إن التوكل فوق التفويض، وهو الراجح ؛ لأن القرآن مملوءً بالأمر بالتوكل، وأخبرنا عن رسل الله وأوليائه وصفوة المؤمنين بأن حالهم التوكل.

والتوكل قد يكون قبل السبب وأثناءه وبعده، فلقد كان رسول الله ﷺ، يتوكل عند الخروج من البيت للاكتساب وغيره.

وبذلك يتضح أن التوكل أعم وأشمل من التفويض (١٠٤)، والله أعلم.

:

يوجد ثلاثة مواضع تواجه المفوّض في حياته وهي كالتالي:

١- موضع يعلم الإنسان يقيناً أنه فساد وباطل بدون شك، كالكفر، والبدعة، والمعصية، فلا سبيل إلى التفويض في ذلك.

٢- موضع واضح وضوح الشمس أنه صلاح وخير كالجنة، والإيمان، والإحسان وغير ذلك، فهذه
 الأمور لا موضع للتفويض فيها.

٣- موضع لا يعلم الإنسان يقيناً أنَّ له فيه خيراً وصلاحاً أو شراً وفساداً فهذا يكون موضع التفويض كمن أراد أن يحج نفلاً وقد سمع في مكة بعض الأمراض فهذا مكان التفويض على طلب تيسيره من الله، إن كان فيه الخير والنفع وهذا على سبيل المثال لا الحصر (١٠٠٠).

. : () . () . / : ()

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: اقتران التوكل بالقيم الروحية والمثل العليا.

المبحث الثاني : آثار التوكل في الدنيا والآخرة.

:

إن القرآن الكريم ربط بين التوكل على الله وبين قيم الإسلام العليا ومثله وأخلاقه النبيلة، وهذا الربط يعتبر أداة من أدوات القرآن الكريم الرائعة في توضيح المعاني وتسهيلها على الناس وتثبيتها في نفوسهم ؛ وذلك لأنه قرن التوكل بالمعانى الروحية الآتية:

جاء في قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَنُ ءَامَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَّكُّنا ﴾ (١٠٦).

وقوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١٠٧).

وجاء حكاية على لسان موسى السَّكِ قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَقَوْمِ إِن كُنْكُمْ ءَامَنْكُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُواْ إِن كُنْكُم مُسْلِمِينَ ﴾ (١٠٨).

جاء هذا الربط بين الإيمان والتوكل ليعطي دليلاً على أن التوكل على الله لا يمكن فصله عن الإيمان بل هو بالنسبة للإيمان كالروح بالنسبة للجسد، مما يدل على أهمية التوكل في حياة المسلمين (١٠٩).

_

لقد ربط القرآن الكريم بين التوكل على الله وبين أسماء الله الحسنى في آيات كثيرة ، مما يبين لنا أهمية ومكانة التوكل ، لذا فسره بعض الأثمة " بأن التوكل يعتبر هو المعرفة بالله لتعلقه بأسماء الله الحسنى وبقدر معرفة العبد لله يصح له مقام التوكل فكلما كان بالله أعرف كان توكله عليه أقوى " (١١٠).

وجاء التوكل مرتبطاً بأسماء الله في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلُ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزُ حَكِيمٌ ﴾ (١١١).

						:	(
						:		
						:		
	:		:			:		
				/				
					•	:	()

وجاء التوكل أيضاً مرتبطاً باسمه تبارك وتعالى: " الوكيل ": قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ (١١٢).

كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ حَسَّبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ (١١٣). وهو القيم بأرزاق العباد وحقيقته أنه سبحانه يستقل بالأمر الموكول إليه فهو الكافي لمن توكل عليه وصدق في توكله (١١٤).

لقد جاء التوكل مقروناً بالعبادة في آيات منها قوله تعالى: ﴿ فَأَعْبُدُهُ وَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ ﴾ (١١٥).

التوكل بدون العبادة لا يجدي نفعاً ويكون من التمنى الكاذب، والعبادة ذاتها لا تكمل إلا بالتوكل ؛ لأن به يكمل التوحيد والإخلاص لله (١١٦).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّاكَ نَمْنُهُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِيثُ ﴾ (١١٧)، حيث إنها تربط بين العبادة والتوكل، إذ الاستعانة هي عين التوكل الذي هو ثمرة التوحيد، واختصاص الله بالعبادة دون شريك له في الملك والتشريع (١١٨٠).

مثل قوله تعالى: ﴿ وَأَتَّقُواْ اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَّكُلُ ٱلْمُؤْمِنُونَ } (١١٩٠).

وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُ. مَخْرَجًا ۞ وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسَّبُهُۥ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ (١٢٠).

جُمع بين الصبر والتوكل في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّمْ يَنَوِّكُلُونَ ﴾ (١٢١).

. : (

: :

. : () . : : ()

_

مثل قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (١٢٢).

ثمرة الآية وجوب التمسك بمكارم الأخلاق وخصوصاً لمن يدعو إلى الله تعالى ويأمر بالمعروف (١٢٣).

_

في قوله تعالى حكاية على لسان شعيب - عليه السلام - : ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَاحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا وَإِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَاحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا وَإِنَّهِ أَنِيبُ ﴾ (١٢٤).

لا ريب أن إصلاح المجتمع بالعمل الصالح لا يتحقق إلا بالتوكل على الله.

_

في مثل قوله تعالى: ﴿ إِنِ ٱلْحُكُمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَّكِّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (١٢٥)

_

جُمع بين التوكل والجهاد في قوله تعالى: ﴿ إِذْ هَمَّت ظَآبِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُهُمَأُ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتُوكَّلِ اللَّهِ فَلْيَتُوكَّلِ اللَّهِ فَلْيَتُوكَّلِ اللَّهِ فَلْيَتُوكَّلِ اللَّهِ فَلْيَتُوكُلُ اللَّهِ فَلْيَتُوكُ اللَّهُ وَلِيهُ اللَّهُ وَلِيهُ إِنَّا اللَّهُ وَلِيهُ اللَّهُ وَلِيهُ اللَّهُ وَلِيهُ اللَّهُ وَلَيْهُمُ اللَّهِ فَلْيَتُوكُلُ اللَّهُ وَلِيهُ اللَّهُ وَلَيْهُمُ اللَّهُ وَلِيهُ اللَّهُ اللَّهُ وَلِيهُ اللّهُ وَلَيْهُ اللَّهُ وَلِيهُ اللَّهُ وَلَيْكُولُ اللَّهُ وَلِيهُ اللَّهُ وَلَيْهُ اللَّهُ وَلَيْكُولُ اللَّهُ وَلِيهُ اللَّهُ وَلَيْهُ اللَّهُ وَلَا لَهُ وَلِيهُ اللَّهُ وَلَا لَهُ إِلَيْهُ وَلَّهُ اللَّهُ وَلَا لَهُ اللَّهُ وَلَا لَهُ اللَّهُ اللَّهُ وَلَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّه

وقوله تعالى: ﴿ إِن يَنصُرُكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَغَذُلَكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنَ بَعْدِهِ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتُوكَّكُم ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١٢٧).

:

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: آثار التوكل في الدنيا.

المطلب الثاني: آثار التوكل في الآخرة.

. : ()

. ()

. : ()

. : (

. : ()

:

: له آثار إيجابية بالنسبة للفرد في بناء شخصيته المتوازنة خلقاً وديناً، وهذه الآثار هي

كالآتي:

- : من آثار التوكل على الله هو إحياء قلب المتوكل، وتوجيهه نحو فعل ما فيه الخير، وترك ما فيه النام .

قال تعالى: ﴿ قَالَ لَا تَخَافًّا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ (١٢٨).

- : التوكل على الله يملأ النفس المؤمنة طمأنينة وسكينة، وإذا اطمأن قلب المؤمن وسكنت نفسه، فلا يتحسر على الماضي باكياً، ولا يلقى الحاضر بجزع، ولا يخاف المستقبل ؛ لأنه أخذ بالأسباب وتوكل على الله بعد أن عمل جهده.

وقد حدثنا القرآن الكريم عن قصة أم مؤمنة أوحى الله إليها.

قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَاۤ إِلَى ٓ أُمِّر مُوسَىٓ أَنَ أَرْضِعِيةٍ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَالْقِيهِ فِ ٱلْمَيِّرِ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَخَافِقُ وَلَا تَعَالَى اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا تَعَالَى اللّهُ وَاللّهُ فَا مُنْ اللّهُ وَاللّهُ وَلّا لَمُواللّهُ وَاللّهُ وَالْمُواللّهُ وَاللّهُ وَاللّ

- التوكل يبعث في نفس المؤمن القوة والعزيمة والثبات.

قال تعالى: ﴿ قُل لَن يُصِيبَ نَاۤ إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا هُو مَوْلَننا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكِّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١٣٠). وبهذا التصور الاعتقادي لحقيقة التوكل، يستطيع المتوكل على الله أن يقف أمام أعتى الناس جبروتاً. قال تعالى: ﴿ فَإِذَا عَنَهُ تَ فَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ ٱلمُتَوكِّلِينَ ﴾ (١٣١).

- : إن التوكل الصادق يبعث في النفس المؤمنة روح الشجاعة والإقدام، وعدم الخوف من الموت والرغبة في الاستشهاد من أجل إعلاء كلمة الإسلام، فالحياة بيد الله يمنحها لمن يشاء من عباده، لذلك لا يخاف المتوكل من البشر، لأنه يأوي إلى ركن شديد، ولأنه يتمسك بحبل الله المتين الذي لا يلين وبالتالي يندفع للإقدام والمجاهدة بقوة تعاند العوائق وتقتحم العقبات (١٣٢).

ولنا في هود - عليه السلام - ، وبمن آمن معه أسوة حسنة ؛ لأنهم توكلوا على الله العزيز الحكيم.

. : ()

. : ()

. : ()

. - : ()

قال تعالى: ﴿ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا نُنظِرُونِ ١٠٠٠ إِنِّي تَوَكَّلُتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمُّ مَّا مِن دَآبَةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذًا بِنَاصِيئِهَا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (١٣٣). : إن التوكل على الله يبعث في النفس الشجاعة والإقدام، فهو أيضاً يبعث على التواضع والرحمة بخفض الجناح للمؤمنين. قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمُّ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكٌ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرُهُمْ فِي ٱلْأَمْرُ فَإِذَا عَرْمُتَ فَتَوكُّلُ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوكِّلِينَ : التوكل على الله يمنح المؤمن من القوة ما يستطيع به أن يقهر سلطان الشيطان. قال تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ أَسُلُطُنُّ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنُنَّ وَكَفَى بِرَيِّكَ وَكِيلًا ﴾ (١٣٥). قال بعض المفسرين (١٣٦): إن نفي سلطان الشيطان مشروط بأمرين هما: أ - الإعان. ب- التوكل. : قال تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَةِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْنَقَرَهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلُّ في كِتَبٍ مُّبِينٍ ﴾ (١٣٧). : للتوكل آثارٌ في حياة المجتمع المسلم، ومن هذه الآثار: : إن الله سبحانه وتعالى يحب التوابين ويحب المتطهرين ، كما أنه يحب المتوكلين ، وهذه الخصال يمتاز بها أبناء المجتمع المسلم. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوِّكِلِينَ ﴾ (١٣٨). : قال بعض السلف (١٣٩): "جعل الله لكل عمل جزاء من جنسه وجعل جزاء التوكل عليه نفس كفايته لعبده.فقال تعالى: ﴿ وَمَن يَتُوكُّلُ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَحَسَّبُهُ وَ ١٤٠٠).

: قال تعالى: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٤١).

فنوح- عليه السلام- أنجاه الله ومن معه في الفلك، وأغرق القوم الكافرين بالطوفان.

ولقد انتصر المؤمنون في بدر مع أنهم كانوا قلة في العدد والعدة.

قال تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِذَّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَتِ كَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ (١٤٢١).

ويوم حنين اغتر المؤمنون بكثرتهم مما أدى إلى نقص في توكلهم على الله، فأذاقهم شيئاً من الهزيمة.

قال تعالى: ﴿ لَقَدُ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيُوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثُرَتُكُمْ فَكُمْ تُغَنِ عَنكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيُوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثُرَتُكُمْ فَكُمْ تَغْنِ عَنكُمُ اللَّهُ فِي مَا رَحُبَتُ ثُمَّ وَلَيْتُم مُّذَهِرِينَ ﴾ (١٤٢٥).

:

إذا ظهرت آثار التوكل على الفرد والمجتمع فإن الله سيرضى عنه، ومن رضى الله عنه وأحبه فإنه يفوز بدخول الجنة بإذن الله بغير حساب، وذلك جزاء المتوكلين العاملين بمقتضى الإيمان في هذه الحياة.

وأعدَّ الله للمتوكلين الصابرين الذين يعملون الصالحات غرفاً تجري من تحتها الأنهار.

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ لَنُبُوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرُفًا تَجَرِى مِن تَعَیْهَ ٱلْأَنْهَدُ خَالِدِینَ فِهَا ْنِعْمَ ٱجْرُ ٱلْعَامِلِینَ اللَّهِ اللَّهُ اللَّذِینَ صَبَرُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ یَنُوَکُلُونَ ﴾ (۱۱۱).

وأن ما أعده الله في الآخرة للمؤمنين المتوكلين عليه فهو خير وأبقى.

قال تعالى: ﴿ فَمَا أُوتِيتُم مِن شَيْءٍ فَنَنْعُ ٱلْحَيَوْةِ ٱلدُّنِّيأَ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَكَ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (١٤٥٠).

وجاء قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ حَسَّبُنَا ٱللَّهُ وَيَعْمَ ٱلْوَكِيلُ اللَّهُ وَيَعْمَ ٱلْوَكِيلُ اللَّهُ وَاتَّبَعُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَمُمْ سُوَّهُ وَأَتَّبَعُواْ رَضُونَ ٱللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلِ عَظِيمٍ ﴾ (١٤٦٠).

· : ()
· : ()
· : ()
· : ()

إن القرآن الكريم اعتنى بـ " فضيلة التوكل " اعتناءً كبيراً تبين من خلال ورود هذه الفضيلة في آيات كثيرة من سور القرآن الكريم.

وأيضاً ركّزت السنة النبوية المطهرة على التحلي بـ " فضيلة التوكل " في الكثير من الأحاديث الشريفة، وأمر الله التزامها وبين مكانتها، وأوضح منزلة المتوكلين في الدنيا والآخرة.

تلك الفضيلة التي ظهرت نتائجها الطيبة، ومن هذه النتائج ما هو عام مستخلص من مجمل البحث، وما هو خاص مستنبط من خلال كل فصل لوحده، وهي كالتالي:

1- أن التوكل على الله يكسب صاحبه شخصية قوية العزيمة والإرادة، لا تعرف الجبن والخور، والدعة، والحيرة، والتردد، فيقدم المتوكل معتمداً على الله في سائر أعماله يبتغي وجه الله وتحقيق مرضاته، فهو لا يحزن ولا يغتم لما أصابه، ولا يؤلمه التفكير في المستقبل، وبذلك يكون المتوكل على الله أسعد الناس حالاً، وأصلحهم بالاً، وأشجعهم عقلاً وقلباً.

7- إذا تمكنت فضيلة التوكل من نفوس أبناء الأمة، تبعتها سائر الفضائل الأخرى وذلك لارتباط هذه الفضيلة بسائر الفضائل الإسلامية كالصبر، والحلم، والشجاعة، والعفو وغير ذلك من الفضائل الخلقية ومما لا شك فيه، أنه حينما كانت الأمة الإسلامية تمتاز بصفة التوكل على الله، وظهرت هذه الفضيلة في حياة المسلمين أصبحوا أكثر الناس شجاعة، وكرماً، وصبراً، وحلماً، ومعرفة، وعلماً، فتمكنوا من سيادة العالم وقيادته مدة من الزمن تقرب من ألف عام.

حينما يتوكل الإنسان على الله حق التوكل، فإن الله سبحانه وتعالى يبارك لهذا الإنسان في عمله،
 فيجنى الثمرة ويشعر بحلاوتها لوجود بركة التوكل على الله، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكِّلُ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَحَسَّبُهُ وَ ﴾ (١٤٧).

إذا انحرفت الأمة الإسلامية عن مفهوم التوكل على الله، وأصبحت تعتمد على الشرق أو الغرب،
 حتماً سيصيبها التخلف في شتى ميادين الحياة، والتاريخ شاهد على ذلك.

ولنعلم جيداً أن السلف الصالح - رضوان الله عليهم - يوم أن كانوا على الله متوكلين ولمنهجه مطبقين سادوا العالم وساسوه بسياسة الإسلام، وأنه في الوقت الحاضر، لا يمكن أن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، فإذا اعتصمنا بالله وتوكلنا عليه واقتفينا أثر الرسول على سننهض بعون الله، كما نهض السلف الصالح، وإن وعد الله لصادق بنصر المتوكلين.

. : (

قال تعالى: ﴿ إِن يَنصُرُكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَغَذُلُكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنَ بَعْدِهِ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ اللَّهِ فَلْيَتَوَكِّلِ اللَّهِ فَلْيَتَوَكِّلِ اللَّهِ فَلْيَتَوَكِّلِ اللَّهِ فَلْيَتَوَكِّلِ اللَّهِ فَلْيَتَوَكِّلِ اللَّهِ فَلْيَتَوَكِّلِ اللَّهِ فَلْيَتَوَكُلُ اللَّهِ فَلْيَتَوَكِّلُ اللَّهِ فَلْيَتَوَكِّلُ اللَّهِ فَلْيَتُوكُلُ اللَّهِ فَلْيَتَوَكُلُ اللَّهِ فَلْيَتَوَكُلُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ أَلِي اللَّهِ فَلْيَتَوَكُلُ اللَّهِ فَلَيْتُوكُمُ اللَّهُ فَلَيْتَوَكُلُ اللَّهِ فَلْيَتَوَكُلُ اللَّهُ فَاللَّهُ فَلَا عَالِمُ اللَّهُ فَلَيْتُوكُمُ اللَّهُ فَلَا عَاللَّهُ اللَّهُ فَلَا عَالِمَ اللَّهُ فَلَا عَالِمَ اللَّهُ فَلَا عَالِمَ اللَّهُ فَلَا عَالِمَ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ فَلَا عَاللَّهُ اللَّهُ اللَّالَا اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ا

اف أن " فضيلة التوكل " فضيلة إسلامية فرضها الله على عباده ، لما لها من الأهمية بين سائر الفضائل
 الأخرى ؛ لكى تصلح حياتهم وتطمئن نفوسهم لقدر الله وقضائه.

قال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (١٤٩٠).

٢- ارتباط " فضيلة التوكل " بعقيدة الإيمان فكلما كان الإنسان في توكله على الله قوياً ، كانت عقيدته قوية وسليمة من الشرك.

قال تعالى: ﴿ ذَلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَنَهَ إِلَّا هُوَّ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (١٥٠٠.

٣- أظهر البحث، أن التوكل يزيد وينقص عند الأشخاص، كما أن الإيمان يزيد وينقص.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَنْتُهُ، زَادَتُهُمْ إِيمَنْنَا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَعَلَى وَبِهِمْ وَإِذَا تُلِيَتُ عَلَيْهِمْ ءَايَنْتُهُ، زَادَتُهُمْ إِيمَنْنَا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَعَلَى وَبِهِمْ وَإِذَا تُلِيَتُ عَلَيْهِمْ ءَايَنْتُهُ، زَادَتُهُمْ إِيمَنْنَا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَعَلَى وَلِيهِمْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ ءَايَنْتُهُ، زَادَتُهُمْ إِيمَنْنَا وَعَلَى رَبِّهِمْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ عَايَنْتُهُ، زَادَتُهُمْ إِيمَانَا وَعَلَى رَبِّهِمْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهِمْ عَلِيْهُمْ عَلِي وَلِيهِمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلِيكُونَ كَلْ وَلَهُ لَكُولُونَ كُلُونُ كَهُونَا لَهُ عُلِيْهُ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهِمْ عَلِيْهِمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهِمْ عَلِيكُونَ كَهُ وَلَا عَلَيْهُمْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْكُ وَيَهِمْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ عَلَيْهُمْ عَلَيْكُمُ وَا عَلَيْكُمُ وَالْمُؤْمِلِهِمْ عَلَيْكُمُ وَالْمُؤْمِنُ كُولُونَا لَهُ عَلَيْكُونَ كَالْمُؤْمُ وَالْمُؤْمِنَا عَلَيْكُونَا لَهُ عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمُ وَالْمُؤْمِلِ عَلَيْكُمُ وَالْمُؤْمِلُونَ عَلَيْكُمُ وَالْمُؤْمِلِكُولُونَا لِمُؤْمِلُونَ لَلْهُ عَلَيْكُمُ مُعْلِكُمُ عَلَيْكُمُ والْمُعُلِمُ وَالْمُعُلِمُ عَلَيْكُولُونَا عَلَيْكُمُ مُعْلِكُمُ وَالْمُؤْمِلُونَا عَلَيْكُمُ عَلَيْكُمْ مُعْلِكُمُ وَالْمُعْلِمُ عَلَيْكُولُونَا عِلْمُ عَلَيْكُمُ مُعِلَى مُعِلَمُ عَلَيْكُومُ مُعِلِكُمُ وَالْمُؤْمِلُولُولُكُوا عَلَيْكُمُ لَعُلُولُكُمُ وَالْ

- ٤- اتضحت الفروق الشاسعة بين التوكل والتواكل بعد تعريف كل منهما، وتوضيح حكمهما، وحَدَّرَ من الانزلاق في التواكل ؛ لأن فيه إهداراً لطاقات الإنسان ومقدراته وتعطيلاً لحياة المجتمع بأسره.
- ٥- أثبت البحث أن التوكل يُمكِّنُ عقيدة الإسلام في النفوس ويعمل على تثبيتها، وذلك عن طريق توضيح المعرفة بالله وأسمائه وصفاته، والحث على التوكل على الله في سائر الأعمال، لما للمتوكلين من الأجر العظيم في الدنيا والآخرة.
- 7- يشجع الإنسان ويحثه على حب العمل والتحرك لكسب الرزق الحلال والعمل على بناء المجتمع، وإعمار الأرض بتحقيق الخلافة الإسلامية فيها.
 - ٧- كشف البحث أن التوكل يحث على العمل ويحارب التسول، والبطالة، والقعود عن العمل.
- ٨- جاء " التوكل " مرتبطاً بالقيم الروحية والمثل العليا في مواطن عدة من سور القرآن الكريم، لكسب هذه الفضيلة أهمية بين سائر الأخلاق الإسلامية.

. : ()

. : (

. : ()

- ٩- توصل البحث إلى أن التوكل له الأثر الكبير على الفرد في إصلاح نفسه، وإحياء قلبه، وجعله عنصراً إيجابياً في المجتمع.
 - ١ للجهاد في سبيل الله العلاقة القوية بفضيلة التوكل على الله.
- ١١- التوكل صفة أساسية لجميع الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهم الذين ينبغي
 أن يُتخذوا القدوة والأسوة الحسنة في توكلهم على الله وفي سائر صفاتهم الحميدة.
- 11- كشف البحث عن بعض الشبهات الباطلة التي أُلصقت بالتوكل ووضح زيفها، وعمل على تعريتها وإبطالها بالحجة والبيان المستند إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأنها ليست من التوكل في شيء.
- [۱] أدب النفوس: لأبي عبد الله حارث بن أسد المحاسبي، دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا، ط ١٤٠٤هـ، دار الجيل، بيروت.
- [۲] الأربعون الصغرى: للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد نور المراغي، ط (لا يوجد)، إحياء التراث الإسلامي، الدوحة، قطر.
 - [٣] الأعلام: لخير الدين الزركلي، الطبعة الثالثة والسادسة.
- [٤] أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المسمى بتفسير البيضاوي: تأليف الإمام ناصر الدين أبي سعيد عبدالله الشيرازي البيضاوي، (١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م)، دار الفكر.
 - [0] الإيمان وأثره في حياة الإنسان: للدكتور/حسن الترابي، ط: ٢، منشورات العصر الحديث.
- [7] تفسير التحرير والتنوير: تأليف الشيخ / محمد الطاهر بن عاشور، طبعة الدار التونسية للنشر سنة ١٩٨٤م، تونس.
 - [۷] تفسير القاسمي، المسمى محاسن التأويل: تأليف: محمد جمال الدين القاسمي، ط١ (١٣٧٦هـ- ١٩٥٧م)، دار احياء الكتب العربية.
- [۸] تفسير القرآن الحكيم، الشهير باسم "تفسير المنار": للشيخ محمد عبده، تأليف: السيد محمد رشيد رضا، الطبعة الرابعة، مكتبة القاهرة.
- [9] تفسير القرآن العظيم: للإمام إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، ط (١٤٠٣هـ ١٩٨٣م)، طبعة دار المعرفة، بيروت.

- [١٠] تفسير المراغى: تأليف: أحمد مصطفى المراغى، ط: ٣ (١٣٩٢هـ ١٩٧٤م).
- [11] التفسير الوسيط للقرآن الكريم: تأليف: الدكتور/ محمد سيد طنطاوي، ط (١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م)، مطبعة السعادة.
- [۱۲] جامع البيان في تأويل آي القرآن، المسمى تفسير الطبري: تأليف: أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ط ١ (١٤٢٢هـ، طبعة القاهرة، تحقيق د. عبد الله التركي.
 - [١٣] جامع العلوم والحكم: تأليف: ابن رجب الحنبلي، دار المعرفة، بيروت.
- [12] الجامع لأحكام القرآن، المسمى بتفسير القرطبي: لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت.
- [10] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصفهاني، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.
- [17] الرزق الحلال وحقيقة التوكل على الله: للحارث بن أسد المحاسبي، تحقيق محمد عثمان الخشت، مكتبة القرآن، القاهرة.
- [۱۷] الروح: لشمس الدين أبي عبدالله بن قيم الجوزية ، ط: ١ (١٤٠٢هـ ١٩٨٢م) طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت.
- [۱۸] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى: لشهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، ط ٣ (١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م)، طبعة دار الفكر، بيروت.
- [19] زاد المسير في علم التفسير: تأليف: الإمام أبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن الجوزي القرشي البغدادي ط٣ (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م)، المكتب الإسلامي.
- [۲۰] سنن ابن ماجه: للحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني، حقق نصوصه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبدالباقي، ط (لايوجد)، دار إحياء التراث العربي.
- [۲۱] سنن الترمذي: للإمام الحافظ، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، حققه وصححه: عبدالرحمن محمد عثمان، ط: ۲ (۱٤۰۲هـ ۱۹۸۳م)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت.
- [٢٢] سير أعلام النبلاء: للإمام أبي عبدالله شمس الدين محمد الذهبي، ط: ١ (١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م)، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- [٢٣] شذرات الذهب في أخبار من ذهب: الأبي الفلاح عبدالرحمن عبدالحي بن العماد الحنبلي، ط: (لا يوجد)، المكتب التجاري، بيروت.

- [٢٤] صحيح البخاري: لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، ط (١٩٧٩م)، المكتبة الإسلامية استانبول، تركيا.
 - [٢٥] صحيح مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري: حققه ورقمه: محمد فؤاد عبدالباقي ط (١٣٧٤هـ- ١٩٥٧ م)، دار إحياء التراث العربي.
- [٢٦] طبقات الصوفية: لأبي عبدالرحمن محمد بن الحسين بن محمد السلمي، تحقيق: نور الدين نثربيه، ط: ١ (١٣٧٢هـ ١٩٥٣هـ)، مطابع دار الكتاب العربي بمصر.
 - [۲۷] عقيدة المؤمن: لأبي بكر جابر الجزائري، ط: ٤ (١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م)، دار الشروق، جدة.
 - [٢٨] فتح الباري: للإمام ابن حجر العسقلاني، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.
- [٢٩] فتح القدير، الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير: تأليف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، طبعة دار المعرفة، بيروت.
- [٣٠] فتح المجيد شرح كتاب التوحيد: للشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط: (لا يوجد)، المكتبة الثقافية، بيروت.
- [٣١] الفخر الرازي، المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب: للإمام محمد الرازي فخر الدين ابن ضياء الدين عمر، المشتهر بخطيب الرى طبعة دار الفكر.
- [٣٢] الفوائد لابن قيم الجوزية: تخريج وحواشي أحمد راتب عرموش، ط (١٣٩٩هـ ١٩٧٩م)، دار النفائس.
 - [٣٣] قوت القلوب في معاملة المحبوب: لأبي طالب المكي، ط (لا يوجد)، مصطفى البابي الحلبي.
- [٣٤] الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: تأليف: أبي القاسم جارالله محمود بن عمر الزمخشرى، ط: دار المعرفة، بيروت.
 - [٣٥] لسان العرب: لابن منظور، ط: (لا يوجد)، دار المعارف.
- [٣٦] مختصر من تفسير الطبري: تأليف محمد بن حماد التجيبي، تحقيق محمد حسن الزفيتي، دار القلم، بيروت، ط الأولى.
- [۳۷] مختصر منهاج القاصدين: للإمام أحمد بن قدامة المقدسي، خرَّج أحاديثه وعلَّق عليه: عبدالله الليثي الأنصاري، ط (١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م)، دار الفكر، بيروت.
- [٣٨] مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: لابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط (١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م) السنة المحمدية، القاهرة.

- [٣٩] مسند الإمام أحمد بن حنبل ويهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: ط: (لا يوجد)، دار صادر، بيروت.
- [٤٠] المعجم الوسيط: تأليف: لجنة مكونة من أربع مؤلفين مجمع اللغة العربية ، إحياء التراث العربي، قطر.
- [13] معجم مقاييس اللغة: لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ضبط: عبدالسلام هارون، ط: (لا يوجد)، دار الكتب العلمية، إيران قم.
 - [٤٢] منار الإسلام: العدد التاسع، السنة التاسعة، رمضان (١٤٠٤هـ ١٩٨٤م)، شهر يونيه.
- [٤٣] منهاج العابدين ومعه الكشف والتبيين وبداية الهداية: لأبي حامد الغزالي، حققها وعلق عليها: الشيخ محمد محمد جابر، ط: (لا يوجد).
 - [٤٤] نزهة المجالس ومنتخب النفائس: للشيخ عبدالرحمن الصفوي، ط: (لا يوجد)، المكتبة الشعبية، بيروت.
- [23] وفيات الأعيان: لأبي العباس أحمد بن خلكان، حققه: د/ إحسان عباس، دار صادر بيروت عام ١٣٩٨هـ.

Dependence on Allah in the Light of Quran

Sulaiman Bin Hamad Al-Saqri

Assistant professor at quranic studies department, College of Shareaa and religion principles, AL-Qassim University

(Received 21/1/1429H.; accepted for publication 15/4/1429H.)

Abstract. The research formed of introduction clarify the topic's importance, it treats a problem threat society and related to doctrine.

The causes to chose this topic is:

- 1- the spread of mistaken concepts about trust in god.
- 2- quran attention to this and mentioned more than seventy place.

I clarified my methodology in research which is formed of introduction clarifies the topic importance, the cause behind choosing it and my scientific method, and a plan show that I divided my research to five chapters, conclusion and reference.

First chapter:I mentioned the trust in god reality through four themes.

First themes: the meaning of trust literally and ideology , the trust literally derived from depend , ideology: there are many definitions , the most important is: saying of ibn ragab: is the trust of dependence of heart on Allah in calling for interests and red of harms in matters of life and hereafter.

Second theme: show principles of dependence, divided into three topics.

The first topic: virtue of independence in the quran and sunnah.

The second topic: principles of independence, it builds on three principles which is monotheism, seeking support and worship.

The third topic: the difference between independence and submit , I mentioned that submit is the dependence on creature , I clarified that independence increase and decrease , and I mentioned the factors behind this.

The fourth topic: the rule of independence , it is obligatory , and dependence on creatures is prohibited the second chapter: independence prerequisites , two researches

The first: take causes into mind, it is of independence elements.

The second: delegacy is the soul of independence, the difference between independence and delegacy.

The third chapter: the place of independents. in three researches.

The first: association of independence with virtues and high morals such as belief, the most gracious names of Allah, worship and piety, patience, good work and strive.

The second: results of independence in life and hereafter.

- 1- in life , give determination , strength , humbleness and vivid of heart and get over Satan.
- 2- in hereafter , inter paradise.

Then the conclusion, I clarified the results of research and indexes of topics references.

(/) - ()

. - (// // // // //

. الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.. أما بعد:

فإن الإقرار في الشريعة يعد أقوى وسائل الإثبات؛ لأن المقر يخبر عن نفسه وهو غير متهم فيما يخبر به عن نفسه، والإقرار في الشريعة شأنه شأن أي حكم شرعي آخر لابد من تحقق شروطه وانتفاء موانعه

حتى يصلح لترتب آثاره عليه، وكما أن له شروطا وموانع فله أركان، ومن أركانه: الحق المقربه، والحق المقربه أنواع، فهناك حق يجب الإقراربه، وإذا أقربه لزمه ولا يصح الرجوع عنه كحقوق الله عز وجل التي لاتدرأ بالشبهة، وكحقوق الآدميين لأنها مبنية على المشاحة، وأما حقوق الله عز وجل التي تدرأ بالشبهة فلا يجب الإقراربها ؛ لأنها مبنية على الستر والدرء بالشبهة، وإذا أقربها فهل يشترط للحكم بإقراره بقاؤه على الإقرار فيكون رجوعه مسقطاً للعقوبة عنه، أو أن رجوعه غير معتبر، ثم بينت ماينبغي للقاضي مع المقر وهل يلقنه الرجوع في هذا النوع أولا، وما الحكم لو ثبت الإقرار بالبينة ثم رجع عنه، أو ثبت الفعل نفسه بالبينة بعد أن أقربه ثم رجع عن إقراره، كما أن هناك نوعاً ثالثاً من الحقوق وهو مااجتمع فيه الحقان فيكون الرجوع مؤثراً في أحدهما دون الآخر، هذه القضايا عالجها البحث وبينت أراء الفقهاء فيها وما ترجح عندي، ، وأموراً أخرى لها علاقة بالرجوع عن الإقرار بينتها في البحث موازناً بين أراء الفقهاء مع ذكر أدلة كل قول وبيان الراجح ، والله الموفق.

الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره وأستهديه وأتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .. أما بعد:

فلقد حرصت الشريعة على إيصال الحقوق إلى أهلها متى ما ثبت الحق بوسيلة من وسائل الإثبات الشرعية (۱)، وأقوى هذه الوسائل هو الإقرار ؛ لأنه إخبار عن النفس ، وقد استقر في النفوس أن الإنسان لا يخبر عن نفسه إلا بما هو حق ، فلا يكذب على نفسه ، لكن اشترط الفقهاء للإقرار حتى يصلح الاعتماد عليه شروطاً منها ما هو محل اتفاق (۲) ، ومنها ما هو محل خلاف (۳) ، ومنها شروط تختص ببعض الحقوق دون بعض ، وهو شرط مختلف فيه الاستمرار على الإقرار وعدم الرجوع عنه وهذا شرط يختص ببعض الحقوق دون بعض ، وهو شرط مختلف فيه ويتعلق به أحكام متنوعة ولم أجد فيما أمكنني الاطلاع عليه من بحث جميع الأحكام المتعلقة بهذا الموضوع (١) فرغبت في بحث جميع مسائله على وجه التفصيل ، وتظهر أهميته في أنه يتعلق بأقوى وسيلة من وسائل الإثبات فهو شرط من شروطها في بعض الأحوال كما سيتبين من خلال البحث.

وأيضاً: كثيراً ما يقر الجاني عند التحقيق معه ثم إذا وصل إلى مجلس القضاء غير أقواله ورجع عن إقراره فيعاد التحقيق معه وتطول المسألة ويصعب أخذ الحق منه. وقد سألني بعض الإخوة من القضاة عن حكم هذه المسألة وأن هذا مما يكثر وقوعه. فكان هذا البحث مساهمة منى في بيان حكم هذا الموضوع.

وقد عنونته: بالرجوع عن الإقرار بالحقوق في الفقه الإسلامي.

وقد سلكت في بحثي له المنهج الآتي:

أولاً: الاقتصار في البحث على المذاهب الأربعة، وربما أضفت رأي أهل الظاهر أحياناً، مع ذكر أقوال الصحابة والتابعين وفقهاء السلف.

⁽١) كالشهادة والإقرار ونحوهما.

⁽٢) مثل اشتراط العقل.. انظر بدائع الصنائع ٢٢٢/٧ والخرشي٢٦/١٦، ونهاية المحتاج٥/٥٦و٦٦والمغني٢٦٢/٧.

⁽٣) مثل البلوغ والاختيار. انظر بدائع الصنائع ٢٢٢/٧- ٢٢٣ والخرشي ٤٢٩/، ونهاية المحتاج ٦٦/٥ و٦٧ والمغني ٢٦٢/٧.

⁽٤) اطلعت على بحث في مجلة العدل العدد الحادي عشر- السنة الثالثة- رجب١٤٢٢هـ، للشيخ راشد بن فهد آل حفيظ بعنوان: (الرجوع عن الإقرار بما يوجب حداً) وقد بحث فيه مسألة واحدة وهي مسألة الرجوع عن الإقرار بحد الزنا ذكر أقوال الفقهاء وأدلتهم ومناقشاتها ولكن لم يستوف جميع العناصر المتعلقة بالموضوع.

ثانياً: ترتيب الأقوال ترتيباً زمنياً مبتدئاً برأي الحنفية ومن وافقهم، ثم المالكية ومن وافقهم وهكذا، ولم أترك هذا الترتيب إلا فيما ندر لسبب، كأن أجد المسألة منصوصاً عليها عند بعض الفقهاء ولم ينص عليها غيرهم، فأبدأ بالمذهب الذي نص على حكم المسألة، ثم أخرج من أقوال الفقهاء الآخرين ما يناسب حكم المسألة.

ثالثاً: أذكر القول ثم أذكر عقب كل قول أدلته من الكتاب والسنة والإجماع والقياس إلى آخره، ثم أذكر عقب كل دليل ما ورد عليه من المناقشات والجواب عنها حتى أصل إلى الرأى الراجح في المسألة.

رابعاً: أعزو الآيات إلى سورها وأخرج الأحاديث والآثار من مصادرها، فإن كان الحديث أو الأثر في الصحيحين أو في أحدهما اقتصرت عليه ؛ إذ الغرض معرفة صحة الحديث والأثر، وإن لم يكن فيهما فإني أذكر من رواه من غير استقصاء، وأورد ما ذكره أهل العلم في الحكم عليه.

خامساً: ترجمت لغير المشهورين من الأعلام الوارد ذكرهم في البحث أما المشهورون من الصحابة والتابعين، والفقهاء فلم أترجم لهم خشية الإطالة.

سادساً: عرفت بالمصطلحات التي تحتاج إلى تعريف.

سابعاً: اعتمدت على المراجع الأصلية لكل مذهب فلا أنقل قولاً لمذهب إلا من كتب فقهاء المذهب. ثامناً: ذيلت البحث بفهارس للمراجع وآخر للموضوعات.

وقد قسمت البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث:

أولاً: المقدمة في أهمية الموضوع وأسباب الكتابة فيه ومنهج البحث وخطته.

ثانياً: التمهيد: في شرح مفردات العنوان، وبيان الأصل في حجية الإقرار.

ثالثاً: موضوعات البحث:

: رجوع المقر عن إقراره بما يوجب حقاً خالصاً لله تعالى، وصفته، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: رجوع المقر بالزنا، وفيه أربعة فروع:

الفرع الأول: حكم رجوع المقر بالزنا.

الفرع الثاني: صفة الرجوع عن الإقرار بالزنا.

الفرع الثالث: وقت جواز رجوع المقر بالزنا عن الإقرار وسقوط الحدّ به.

الفرع الرابع: إتمام الحد بعد الرجوع عن الإقرار.

المطلب الثاني: الرجوع عن الإقرار بالردة.

: الرجوع عن الإقرار بما فيه حق لله وحق للآدمي، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الرجوع عن الإقرار بالسرقة، وفيه فرعان:

الفرع الأول: رجوع المقر بالسرقة قبل الشروع في الحد.

الفرع الثاني: رجوع عن المقر بالسرقة بعد أن قطع جزء من المفصل.

المطب الثاني: الرجوع عن الإقرار بقطع الطريق.

: التعريض للمقر بالرجوع.

: رجوع المقرّ عن إقراره مع ثبوت الفعل عليه بالبينة.

: الرجوع عن الإقرار بحق آدمي وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الرجوع عن الإقرار بحق غير مالي، وفيه ثلاثة فروع:

الفرع الأول: الرجوع عن الإقرار بالقتل العمد.

الفرع الثاني: الرجوع عن الإقرار بالقذف.

الفرع الثالث: الرجوع عن الإقرار بالنسب.

المطلب الثاني: الرجوع عن الإقرار بحق مالي.

رابعاً: الخاتمة في نتائج البحث.

.

الرجوع لغة: مصدر من باب رجع يرجع رجوعاً ورجعي، ورجعاناً بضمهما انصرف، والشيء عن الشيء وإليه رجعاً ومرجعاً كمقعد ومنزل صرفه ورده كأرجعه.

والرجوع: العود إلى ماكان عليه مكاناً أو صفة أوحالاً، ويقال: رجع إلى مكانه وإلى حالة الفقر أو الغنى، ورجع إلى الصحة أو المرض أو غيره من الصفات، ورجع عن الشيء تركه (٥).

والرجوع اصطلاحاً: أكثر الفقهاء لايتعرضون لتعريف الرجوع عن الإقرار، ولاتجد في شيء من كتبهم تعريفاً له مع أنهم تكلموا عن مسائله بالتفصيل، ولعل السبب يرجع إلى ظهور معناه؛ واكتفاء منهم بذكر ما يكون رجوعاً وما لايكون، فمن تعاريفه:

العود إلى الكلام السابق بالنقض (٦).

⁽٥) القاموس المحيط ٢٨/٣، ولسان العرب ١٠٧/، والكليات ٤٧٨- ٤٧٩.

⁽٦) كشاف اصطلاح الفنون للتهانوي ٥٦٨/٣.

ونوقش: بأنه غير جامع وغير مانع، أما كونه غير جامع فلأنه قصر الرجوع على الكلام بينما الرجوع كما يكون عن الكلام يكون عن فعل من الأفعال.

وأيضاً: فليس الرجوع في كل الأحوال يكون نقضاً للكلام السابق، كما لو اجتهد حاكم مجتهد في مسألة لا نص فيها ولا إجماع، وحكم باجتهاده، ثم تغير اجتهاده في هذه المسألة بعد ذلك، فإنه يجب الرجوع عن اجتهاده السابق فيما يستقبل إلى اجتهاده الجديد والحكم بمقتضاه، ولكنه لا يجب عليه نقض حكمه السابق ؛ فإن الاجتهاد لا ينقض بالاجتهاد فهنا وجد الرجوع في المسألة مع أنه ليس فيها نقض للحكم.

٢- وقيل: هو نقض التصرف والعود إلى الحال الأول^(٧).

وهذا التعريف أعم من التعريف الأول ؛ لأن التصرف يكون قولياً ويكون فعليا، وهو يتناول ما صدر من شخص وما صدر من أكثر.

لكن يرد عليه: أنه عرف الرجوع بالنقض، والرجوع لا يكون نقضاً في كل الأحوال، ويدخل فيه الفسخ ؛ فإنه نقض للتصرف وليس برجوع، إذ الفسخ يختص برفع العقود ونقضها، أي رفع العقد الصادر من طرفين، بل الفسخ يكون نقضاً للعقد اللازم وإطلاقه على رفع العقد الجائز بطريق المجاز (١٠) بينما الرجوع يطلق على رفع العقد اللازم والجائز، والرجوع لا يختص برفع العقود الصادرة من طرفين، فقد يكون نقضاً للتصرف السابق الصادر من إرادة واحدة كالرجوع عن الإقرار، والرجوع عن الشهادة، كما أن الرجوع لا يختص بالرفع والنقض ؛ فرجوع المشتري على البائع بأرش العيب القديم رجوع وليس بنقض وفسخ لعقد البيع (٩).

۳- وقيل: العدول عن الشيء بعد وقوعه (۱۱).

واعترض عليه بأنه غير جامع ؛ إذ لا يدخل فيه رجوع المشتري على البائع بالأرش (١١) لأجل العيب في المبيع، ورجوع الوكيل على الموكل بالثمن بعد ما دفع الوكيل ثمن العين المشتراة ونحوها (١٢).

⁽٧) أحكام الرجوع في عقود المعاوضات المالية ٢٥ نقلاً عن معجم لغة الفقهاء لقلعة جي وقنيبي ٢٢٠.

⁽٨) هو القول الذي يدل بتقدير الأصل دون تحقيقه. انظر الواضح في أصول الفقه ١٢٧/١.

⁽٩) المرجع السابق ٢٥- ٢٦.

⁽١٠) المرجع السابق ٢٥ نقلاً عن الرجوع وأحكامه في مجال القضاء للدكتور بندر السويلم (١٦).

⁽۱۱) الأرش من الجراحات: ماليس له قدر معلوم، وقيل هو دية الجراحات، ، والأرش: الذي يأخذه المشتري من البائع إذا اطلع على عيب في المبيع. انظر لسان العرب ١/٨٧، وعند الفقهاء: قسط مابين قيمة الصحة والعيب يؤخذ من الثمن المسمى. انظر كشاف القناع ٢١٩/٣.

⁽١٢) المرجع السابق ٢٧.

٤- وهناك من عرف الرجوع عن الشهادة فقط فقال: هو انتقال الشاهد بعد أداء شهادته بأمر إلى عدم الجزم به دون نقيضه (١٣).

فقوله: (انتقال) مصدر، وانتقال أصله في المحسوسات الخروج من موضع إلى موضع، وقد يطلق في المعاني مثل الرجوع عن قول أو رأي ومنه رجوع الشاهد.

وقوله: (الشاهد) أخرج به غير الشاهد.

وقوله: (بعد أداء شهادته) قيد أخرج به انتقاله قبل الأداء فلا يسمى رجوعاً في ظاهر

الروايات، وظاهر كلام المازري(١٤٠) ولفظه أنه يعتبر رجوعا وعليه تكون هذه اللفظة زائدة في التعريف.

وقوله) : بأمر) يتعلق بالشهادة.

وقوله: (إلى عدم الجزم) متعلق بانتقال.

وقوله: (دون نقيضه) الضمير يعود إلى الأمر.

قال في شرح الحدود: وفي بعض النسخ دون الجزم بنقيضه أي أن الرجوع شرطه الانتقال إلى عدم الجزم بما شهد به لا الانتقال إلى الجزم بنقيض ماشهد به ؛ لأنه لوقيل بالثاني لكان التعريف غير منعكس بصورة الشك إذا عرض له بعد أداء شهادته.) (١٥٥)

فهذا تعريف للرجوع عن الشهادة فهل يمكن أن يصلح تعريفاً للرجوع عن الإقرار؟.

الذي يظهر لي أنه يلتقي مع الرجوع عن الإقرار في بعض الجزئيات دون بعض حيث قد قالوا فيما يعتبر رجوع عن الإقرار: أن جحده بالكلية رجوع، وهروب المحدود المقر رجوع دلالة مع أن ليس فيه جزم بنقيض الإقرار، والرجوع إلى شبهة يعتبر رجوع أيضاً وفي كل ذلك لم يقولوا لابد من الجزم بنقيض الإقرار.

والرجوع عن الإقرار معتبر سواء حصل الإقرار عند قاض أم لا، والرجوع عن الشهادة لايسمى رجوعاً إلا إذا حصل بعد الأداء وهذا لايكون إلا بعد التقاضي.

والذي يظهر لي أن التعريف الذي يقصره على موضوع البحث هو أن يقال في تعريفه: بأنه إبطال اعترافه صريحا أو دلالة.

⁽۱۳) حدود ابن عرفه مع شرحه للمازري ٢٥٥.

⁽١٤) أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي المازري، المعروف بالإمام، فقيه مالكي أخذ عن جماعة من أهل العلم، وتفقه به آخرون، شرح التلقين ليس للمالكية مثله، وشرح البرهان لأبي المعالي، وله غير ذلك توفي سنة٥٣٦هـ. انظر شجرة النور١٢٧- ١٢٨.

⁽١٥) شرح حدود ابن عرفة ٦٥٦.

فالإبطال معناه العود على كلامه السابق بالنقض، والصريح مثل أن يقول رجعت عن إقراري ونحوه مما سيأتي بيانه، والدلالة مثل هرب المرجوم، والله أعلم.

ويلتقي هذا التعريف مع المعنى اللغوي للإقرار في أن كلاً منهما عود إلى ماكان عليه حالاً أو صفة ، وفي كونه ترك للشيء الذي أقر به.

:

الإقرار لغة: الإثبات يقال: قرَّ الشيء إذا ثبت وسكن، وأقره غيره إذا أثبته (١٦٠). وفي المطلع: الإقرار الاعتراف يقال: أقر بالشيء يقر إقراراً: إذا اعترف به فهو مقر، والشيء مقر به (١٧٠).

وشرعاً: الإخبار بما عليه من الحقوق، وهو ضد الجحود. (١١٨)

ويمكن أن يرد على هذا التعريف: أنه غير مانع ؛ إذ يدخل فيه الشهادة، فهي إخبار بما عليه من الحقوق، لكن المخبر غيره.

ولذا عرفه بعضهم بما يخرج الشهادة فقال: هو إخبار عن ثبوت حق للغير على نفسه. (١٩) فقولهم في التعريف "على نفسه" قيد أخرج الدعوى والشهادة. (٢٠)

واعترض عليه: بأنه غير جامع؛ لأن التصرفات إما إثباتات كالبيع والإجارة والهبة، وإما إسقاطات كالطلاق، والعتاق، والعفو عن القصاص، ونحوها، وتعريف الإقرار بأنه إخبار عن ثبوت حق لا يشمل النوع الثاني. (٢١)

وأيضاً: هو غير مانع ؛ إذ يدخل فيه إقرار المكره ؛ فهو إقرار وإن كان غير صحيح والعادة جرت أنهم يعرفون الصحيح والفاسد، كما في البيع وغيره. (٢٢)

-

⁽١٦) القاموس المحيط فصل القاف باب الراء٢/١١٥.

⁽۱۷) المطلع ٤١٤.

⁽١٨) تبيين الحقائق ٢/٥.

⁽١٩) تكملة فتح القدير ٣٣١/٨ ومثله تعريف الحاوي ٤/٧ قال: فحقيقة الإقرار: الإخبار بحق عليه. وحقيقة الشهادة: الإخبار بحق على غيره، قال: فاجتمعا من حيث أن كل واحد إخبار بحق، وافترقا من حيث أن الحق في الإقرار عليه، والحق في الشهادة على غيره.

⁽۲۰) تكملة فتح القدير ۲۸/۳۳.

⁽٢١) المرجع السابق.

⁽٢٢) المرجع السابق.

وعرفه المالكية: بأنه: خبر يوجب حكم صدقه على قائله فقط بلفظه، أو بلفظ نائبه. (٢٢)

فيدخل إقرار الوكيل، وتخرج الإنشاءات كـ "بعت" و "طلقت" ونطق الكافر بالشهادتين، ولازمهما عنها الإخبار ككنت بعت ونحوه، وأسلمت ونحوه، والرواية، والشهادة، وقوله: "زيد زان"؛ لأنه وإن أوجب حكماً على قائله فقط فليس له حكم مقتضى صدقه؛ لأن ما اقتضاه الصدق جلد غيره مائه، والحكم المترتب على قائله ثمانون إن لم يكن صادقاً. (٢٤)

وهذا تعريف للإقرار الصحيح ؟ لأنه هو الذي يوجب حكم صدقه على قائله ، والتعريف ينبغي أن يشمل الصحيح وغيره.

وعرفه الشافعية: بأنه إخبار عن حق سابق على المخبر.

وهذا يخرج الدعوى؛ فإنها إخبار عن حق سابق على غيره، ويخرج الشهادة لأنها إخبار بحق على غيره إن خاصاً، وإن اقتضى شرعاً عاماً وكان عن أمر محسوس فرواية، أو عن أمر شرعي فإن كان فيه إلزام فحكم وإلا ففتوى. (٢٥)

وعرفه الحنابلة: بأنه إظهار المكلف الرشيد المختار ما عليه لفظاً أو كتابة في الأقيس، أو إشارة، أو على موكله، أو موروثه، أو موليه، بما يمكن صدقه فيه وليس بإنشاء. (٢٦)

وهذا أيضا تعريف للإقرار الصحيح فقط ؛ لأنه اشتمل على شروطه.

والذي يظهر لي أن تعريف الشافعية هو أولى هذه التعريفات ؛ وذلك لأنه مع اختصاره فهو في نظري جامع مانع، وهو يشمل الصحيح والفاسد. والله أعلم

:

الحق لغة: مفرد، وجمعه حقوق، والحق من أسماء الله تعالى، وقيل من صفاته، ويطلق الحق على القرآن. والحق ضد الباطل، ويطلق على الأمر المقضى.

ويطلق على العدل، والإسلام، والمال، والملك، والموجود الثابت، والصدق، والموت، والحزم (٢٧٠). أما الحق في اصطلاح الفقهاء:

(٢٣) مواهب الجليل ٢١٥/٧. ، وشرح حدود ابن عرفة ٤٦٥.

⁽٢٤) المرجعان السابقان ، والخرشي ٦/٨٨.

⁽٢٥) نهاية المحتاج ٥/٦٤- ٥٥.

⁽٢٦) المبدع ٢٩٤/١٠ والإقناع مع شرحه كشاف القناع ٢٥٢/٦- ٤٥٣.

⁽۲۷) القاموس المحيط۲۲۱/۳، ولسان العرب١٧٦/٤، والكليات ٣٩٠- ٣٩١.

فإن المتتبع لكتب الفقه يجد أن الفقهاء رحمهم الله لم يعتنوا بتعريف الحق بمعناه العام، وأرجع البعض السبب في ذلك إلى وضوح معناه، واعتماداً على المعنى اللغوي (٢٨).

ويجد المتتبع لاستعمالات الحق أن الفقهاء قد استعملوه استعمالات متعددة فلم يقصروه على مفهوم واحد وهذه الاستعمالات المتعددة مأخوذة من معنى الحق لغة.

فمرة يطلقونه على جميع الحقوق المالية وغير المالية فيقولون حق الله وحق العبد ويريدون أحياناً أخرى مرافق العقار كحق المسيل، وحق الطريق، وأحياناً ماينشاً عن العقد من التزامات غير الالتزام الذي يعتبر حكم العقد كتسليم المبيع ودفع الثمن (٢٩).

ويطلق أحياناً على الحقوق العامة، والحريات مما هو مباح لعامة الناس الانتفاع بموضوعة على سبيل التساوي والاشتراك دون استئثار فيقال: حق التملك وحق التنقل(٢٠٠) ويستعمل في مقابل الأعيان والمنافع المملوكة، ويريدون به المصالح الشرعية التي لا وجود لها إلا باعتبار الشرع كحق الشفعة، وحق الطلاق، وحق الحضانة والولاية وغيرها، وتسمى الحقوق المجردة (٣١).

ومع هذا فهناك من عرفه بتعريف لكنه تعريف قاصر لا يجمع أنواع الحق كلها، وإنما هو تعريف لحق الآدمي. ومن هؤلاء العيني (٣٢) من فقهاء الحنفية فقد عرف الحق: بأنه ما يستحقه الرجل (٣٣).

واعترض على هذا التعريف: بأنه غامض ؛ لأن (ما) لفض عام يشمل الأعيان والمنافع والحقوق المحدودة، وهو أيضاً لفظ مبهم، وأيضاً فالاستحقاق الوارد في التعريف يتوقف على تعريف الحق، وهذا يتوقف على معرفة الاستحقاق فيلزم منه الدور (٣٤) وهو عيب في التعريف (٥٥).

⁽٢٨) الحق ومدى تدخل الدولة في تقييده ١٨٤.

⁽٢٩) الحق ومدى تدخل الدولة للدريني ١٨٥ - ١٨٦

⁽٣٠) حقوق الاختراع والتأليف ١٨.

⁽٣١) حقوق الاختراع والتأليف ١٨.

⁽٣٢) هو: محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين بن يوسف بن محمود بدر الدين العيني، ولد بمصر سنة اثنتين وستين وسبعمائة، ودخل القاهرة، وولي الحسبة مراراً وقضاء الحنفية، له شرح صحيح البخاري، وشرح معاني الآثار، وشرح المداية، وشرح الكنز، وشرح المجمع، وشرح درر البحار، توفي رحمه الله في ذي الحجة سنة خمس وخمسين وثمانمائة. انظر الفوائد البهية ٢٠٧.

⁽٣٣) البناية في شرع الهداية ٣٨٦/٧، والبحر الرائق ١٣٦/٦

⁽٣٤) الدور: توقف كل واحد من الشيئين على الآخر، وله أنواع. انظر الكليات لأبي البقاء الكفوي ٤٤٧.

⁽٣٥) الحق ومدى سلطان الدولة في تقييده فتحى الدريني ١٨٤

أما الفقهاء المعاصرون فقد تعددت تعريفاتهم للحق وقد صنفها بعض الباحثين إلى تصنيفات عديدة (٢٦) ، وأقرب

تلك التعريفات إلى موضوع البحث هو تعريف الشيخ مصطفى الزرقا^(٢٧) للحق بأنه: اختصاص يقرر به الشرع سلطة أو تكليفا^(٢٨).

فهذا التعريف يشمل جميع أنواع الحقوق سواء كانت حقوقاً للله عز وجل أم حقوقاً للآدميين، ويشمل الحقوق المالية وغير المالية.

فكلمة (اختصاص) تبين العلاقة بين الحق وصاحبه، وهذه العلاقة تشمل الحق الذي موضوعه مالي، كاستحقاق الدين الذي في الذمة بأي سبب كان، والذي موضوعه ممارسة سلطة شخصية كممارسة الولي لولايته والوكيل لوكالته، وكلاهما حق لشخص فيجب أن يتناوله التعريف.

وهذه العلاقة لا تكون حقاً إلا إذا اختصت بشخص معين أو بفئة ؛ ليخرج العلاقة التي لا اختصاص فيها، وإنما هي من قبيل الإباحات العامة كالاصطياد ونحوه فلا يعتبر حقا.

وقوله: (يقرر به الشرع) قيد أخرج مالم يعتبره الشرع فلا يمكن اعتباره حقا. وقوله (سلطة أو تكليفاً): لأن الحق تارة يتضمن سلطة، وتارة تكليفاً والسلطة على نوعين: سلطة على شخص، وسلطة على شيء معين فالأول كحق الولاية على النفس، والثاني: كحق الملكية فإنها سلطة على ذات الشيء وكحق التملك، وحق الانتفاع بالأعيان، وحق الولاية على المال.

أما التكليف: فهو دائماً عهدة على إنسان، وهو إما عهدة شخصية كقيام الأخير بعمله، وإما عهدة مالية كوفاء الدين.

وهذا التعريف يشمل بعمومه جميع أنواع الحقوق المدنية، والدينية.

ويشمل الحقوق الأدبية ، وحقوق الولاية العامة في إقرار النظام ، وقمع الإجرام ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والجهاد ، ونشر الدين أو الدعوة ؛ لأن ذلك وأشباهه إما سلطة يختص بها من أثبتها له الشرع ، وإما تكليف بأمر على مكلف به شرعا (٢٩).

⁽٣٦) الحق ومدى سلطان الدولة في تقييده ١٨٨- ١٩٢ - ١٩٣، وحقوق الاختراع والتأليف ٢٢- ٢٦

⁽٣٧) هو مصطفى بن أحمد بن محمد الزرقا، ولد في حلب سنة ١٣٢٢هـ، ونشأ في بيئة إسلامية وأسرة علمية، من مصنفاته: الفقه الإسلامي في ثوبه الجديد، ونظام التأمين والرأي الشرعي فيه، والفعل الضار والضمان فيه، حصل على جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية عام ١٤٠٢هـ. انظر مقدمة كتاب فتاوى مصطفى الزرقا لمجد أحمد مكى.

⁽٣٨) المدخل الفقهي العام ١٠/٣ ، والمدخل إلى نظرية الالتزام العامة في الفقه الإسلامي١٩ - ٢٠ - ٢١.

⁽٣٩) المدخل إلى نظرية الالتزام العامة في الفقه الإسلامي١٩- ٢١.

قسم الفقهاء - رَحِمَهُمُ اللهُ - الحقوق باعتبار من يضاف إليه هذا الحق إلى ثلاثة أقسام:

: حقوق الله - عَزَّ وَجَلَّ - الخالصة، والمراد بها: الحقوق التي ليس لأحد من المكلفين إسقاطها، ولا مدخل للصلح فيها، ولا تستباح بإباحة أحد، وتقوم على المسامحة فيما بين العبد وربه مثل الإيمان، وتحريم الكفر، والعبادات، وغير ذلك.

: حق العبد: وهو ما تعلقت به مصلحة خاصة دنيوية، ويقبل الصلح والإسقاط، والإباحة من صاحبة، وأمثلة هذا النوع كثيرة جداً، منها: المداينات (١٠٠)، وبدل المتلفات، وغير ذلك.

ومِمَّا ينبغي أن يعلم أنه ما من حق للعبد إلاَّ وفيه حق لله تعالى وهو التعبد بامتثال أوامره بإيصال الحقوق إلى مستحقمها.

: الحقوق المشتركة: وهي ما اجتمع فيه حق الله - عَزَّ وَجَلَّ - ، وحق الآدمي ومرة يغلب حق الله - عَزَّ وَجَلَّ - ، ومرة يغلب حق العبد.

ويُمكن تقسيم هذا النوع إلى ثلاثة أقسام:

: ما اختلف في تقديم أحد الحقين على الآخر مثل حد القذف، فمن غلب حق الله تعالى قال: لايسقط بالعفو، ومن غلب حق العبد قال: يسقط بعفوه.

: ما قطع فيه بتقديم حق العبد كجواز التلفظ بكلمة الكفر عند الإكراه.

: ما قطع فيه بتقديم حق الله - عَزَّ وَجَلَّ - فلايتأتى فيه الإسقاط أبداً حتى لحق العبد، وأمثلة ذلك كثيرة منها تحريم الزنا، وإيجاب الحد على مرتكبه، وتحريم المسكرات والمخدرات، وتحريم إضاعة الأموال أو سرقتها، وغير ذلك كثير (١٤).

وهذه الحقوق ترجع في الحقيقة إلى قسمين رئيسيين هما:

- : حق الله المحض، ويلحق به الحق الذي يغلب فيه حق الله عَزَّ وَجَلَّ .
 - : حق العبد ويلحق به ما اشترك فيه الحقان وترجح فيه حق العبد (٢٤).

(٤٠) مثل السلم، وبدل القرض، وثمن المبيع المؤجل ونحو ذلك.

⁽٤١) انظر في هذا: أصول البز دوي وشرحه كشف الأسرار ١٣٤/٤ وما بعدها، والفروق للقرافي ١٤٠/١ الفرق الثاني والعشرون، وتهذيب الفروق مطبوع معه ١٥٥/١، والموافقات للشاطبي ٣١٨/٢، والمنثور في القواعد للزركشي ١٥٥/، ٥٩، ٥٥، وقواعد الأحكام للعز بن عبد السلام ١٢٩/١، ووسائل الإثبات في الشريعة الإسلامية للدكتور محمد الزحيلي ٥٥/١، والانتفاع بأجزاء الآدمي الحي، تأليف عصمت الله عنايت الله ص ٢٧.

⁽٤٢) وسائل الإثبات في الشريعة الإسلامية د. محمدا الزحيلي ٧٧/١.

وكل منهما إما أن يتعلق بالبدن أو بالمال:

فأما ما يتعلق بالبدن فهو على ضربين:

الأول: حق الله. والثاني: حق للآدمي.

فأما حق الله تعالى فمثاله: حد الزنى وشرب الخمر.

وأما حق الآدمي: فكالقصاص وحد القذف.

وحق الله لا يلزمه الإقرار به بل يندب له الستر على نفسه والتوبة (٢٦) لحديث "من أتى من هذه القاذورات شيئاً فليستتر بستر الله فإنه من يبد لنا صفحته نقم عليه كتاب الله (٢٤).

وأما حق الآدمي فيلزمه الإقرار به والتمكين(٥٤).

وأما النوع الذي يتعلق بالمال فعلى ضربين أيضاً.

: حق الله تعالى كالزكوات والكفارات فهذا ليس عليه الإقرار به، وإنما عليه أداؤه من غير إقرار (٢٦).

: حق الآدميين وهو على ستة أضرب:

١- ما كان عيناً كعبد وثوب.

٢- ما كان ديناً كمال في الذمة.

(٤٣) ينظر: البحر الرائق ٣/٥و٥، والحاوي ٨/٧، والمغني ١٩٧/١، والمبدع ١٩٧/١ وفي الآداب الشرعية ١٨٧ قال: (ولا يشترط الإقرار بما يوجب الحد والأولى ستر نفسه إن لم يشتهر عنه وكذا إن اشتهر عند الشيخ وعند القاضي الأولى الإقرار به ليقام عليه الحد.)، أما المالكية فيرون وجوب ستر المرء على نفسه وعلى غيره بدلالة الحديث المذكور في المتن انظر الاستذكار ضمن موسوعة شروح الموطأ ١٦٨/٢، ومواهب الجليل ١٨١/٨، وقيده فيما يتعلق بالستر على الغير بغير المشتهرين وبأن تكون معصية قد مضت وانقضت. مواهب الجليل ١٨٣/٨.

(٤٤) أخرجه مالك في الموطأ كتاب الحدود باب ماجاء فيمن اعترف على نفسه بالزنا٢/٨٥٥ حديث رقم(١٢) قال ابن عبد البر في التمهيد ١٥٣/٢٠: هكذا روى الحديث مرسلا جماعة الرواة للموطأ، ولا أعلمه يستند بهذا اللفظ من وجه من الوجوه، وقد روى معمر عن يحي بن أبي كثير عن النبي عَيَّاتُهُ مثله سواء. انتهى وأخرجه الشافعي ١٤٥/٦، والبيهقي ٣٢٦/٨ من طريق مالك به، وأخرجه الحاكم ٣٢٦/٨ من حديث ابن عمر وصححه ابن السكن وغيره قاله الزرقاني في شرح الموطأ٤//١٤٧ وقال: وقول أبو عمر لا أعلمه موصولاً بوجه قال الحافظ مراده من حديث مالك. انتهى

(٤٥) انظر بدائع الصنائع ٩٦/٧- ٩٧، والتاج والإكليل مع مواهب الجليل ٢٨٩/٨، ومواهب الجليل ٢٩٠/٨، والحاوي ٨/٧، والآداب الشرعية لابن مفلح ٧٨/١.

(٤٦) ليس المراد الاعتراف بوجوب الزكاة ونحوها من الواجبات الشرعية فهذا لابد منه و إنما المراد الإقرار القضائي عند الحاكم ليحكم عليه بها.

- ٣- ما كان منفعة مال كمنافع الإيجارات.
- ٤- ما كان منفعة مباحة في غير مال كالأنجاس المنتفع بها، والكلاب المعلمة.
 - ٥- ما كان من حقوق الأموال كالشفعة.
 - ٦- ما كان من حقوق غير الأموال كالزوجية والقسم. (٧٤)

وهذا النوع كله إن كان مستحقه عالماً به لزم من هو عليه أداؤه من غير إقرار ما لم يقع تنافر فيه، وإن كان غير عالم به لزمه الأمران معاً الإقرار والأداء (١٨).

:

دل على اعتبار الإقرار الكتاب والسنة والإجماع:

أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَقَ النّبِيئِنَ ﴾ إلى قوله قال: ﴿ قَالَ ءَأَقَرَرْتُمْ وَأَخَذَتُمُ عَلَىٰ ذَالِكُمُ إِصَّرِيٍّ قَالُواْ بَلَىٰ ﴾ (٥٠) قَالُواْ أَقْرَرْنَا ﴾ (٤٠) وقال تعالى: ﴿ أَلَسَتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ ﴾ (٥٠) وقال تعالى: ﴿ أَلَسَتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ ﴾ (٥٠) وقال تعالى: شهداء لله ولو على أنفسكم) (٥٠).

قال أهل التفسير: شهادة المرء على نفسه هي الإقرار (٥٣).

(٤٧) الحاوي ٨/٧- وهذا التصنيف لفقهاء الشافعية، ولم أجده لغيرهم، لكن هذا التقسيم له أصل عند بقية الفقهاء يجده المتتبع لكلامهم في مواضع متفرقة من أبواب الفقه، وقد جاء عند الحنفية قول الكاساني رحمه الله عند الكلام على المقر به قال: وأما حق العبد فهو المال من العين، والدين، والنسب، والقصاص والطلاق، والعتاق ونحوها. ابدائع الصنائع ٢٢٣/٧. وانظر ٢٢٨/٧ في حكم الإقرار بالنسب، وص٣٣٦ في الإقرار بالحقوق، وعند المالكية نجد الإشارة إلى أنواع هذه الحقوق عند الكلام على مايصح الإقرار به، وفي أبواب الصلح عند الكلام على الصلح على إقرار وأنه يتصور أن يقر بدين أو عين ويصالح عن ذلك. انظر الشرح الكبير وحاشية الدسوقي علي ٣٩٧٩ وما بعدها. وانظر عند الحنابلة = اكشاف القناع ٢٥٣/١٥ حيث ذكر أن كل مايصح التزامه يصح الإقرار به٢٥٣/٥٤، مع ماذكروه في الإقرار من صحة الإقرار بالعين والدين. كشاف القناع ٣٩٧/٣، وهذا يتعلق بركن من أركان الإقرار وهو المقر به والكلام عليه بالتفصيل يطول ويخرج البحث عن موضوعه.

(٤٨) انظر بدائع الصنائع ٩٦/٧- ٩٠ حيث ذكروا أن من تمام توبة السارق والمحارب رد المال، وذكر المالكية أن التوبة وحدها لاتسقط حقوق الآدميين، ومعنى ذلك أنه لابد من ردها إليهم انظر الذخيرة٣٥٦/١٣، والحاوي ٩/٧، والآداب الشرعية ١٣٠٦ و٧٠و.٧٧

(٤٩) الآية ٨١ من سورة آل عمران.

(٥٠) الآية ١٠٣ من سورة التوبة.

(٥١) من الآية ١٧٢ من سورة الأعراف.

(٥٢) من الآية ١٣٥ من سورة النساء

(٥٣) نهاية المحتاج ٦٥/٥.

وأما السنة: فما روي أن ماعزا أقر بالزنا فرجمه رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤٥) وكذلك الغامدية (٥٥) وقال: 1 وأغد يا أنيس على امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها المراه

فلو لم يكن الإقرار حجة لما طلبه، وأثبت الحدبه، وإذا كان حجة فيما يندرئ بالشبهة ففي غيره من باب أولى (٥٧٠).

وأما الإجماع فإن الأئمة أجمعت على صحة الإقرار. (٥٥)

1- أن الإقرار إخبار على وجه ينفي عنه التهمة والريبة فإن العاقل لا يكذب على نفسه كذبا يضر بها، ولهذا كان آكد من الشهادة، فإن المدعى عليه إذا اعترف لا تسمع عليه الشهادة وإنما تسمع إذا أنكر، ولو كذَّب المدعي بينته لم تسمع، وإن كذب المقر ثم صدقه سمع. (٥٩)

٢- ولأن أكثر الحقوق لايوصل إليها إلا بالإقرار فكانت الضرورة داعية إلى الأخذ به، والحاجة ماسة إلى
 العمل به (٦٠٠).

٣- ولأنه لما لزم الحكم بالشهادة مع احتمالها كان الحكم بالإقرار مع قلة الاحتمال فيه أولى (١٦١).

٤- ولأن الصدق فيما يقربه على نفسه ظاهر فوجب قبوله والعمل به ؛ ذلك أن عقله
 ودينه وطبعه دواعي إلى الصدق زواجر عن الكذب (١٢).

(36) أخرجه البخاري في كتاب الحدود باب لايرجم المجنون والمجنونة ٢١/٨ وباب الرجم بالمصلى ٢٢/٨ ولم يصرح باسم المقر، وجاء مصرحا باسمه في باب هل يقول الإمام للمقر لعلك لمست أو غمزت ٢٤/٨، ومسلم في كتاب الحدود باب من اعترف على نفسه بالزنا حديث(١٦٩٢) ١٣١٩/٢، وماعز هو ماعز بن مالك الأسلمي يقال: إن اسمه عريب وماعز لقب. انظر الإصابة نفسه بالزنا حديث(٧٠٥/١ أنيس الأسلمي كما ذكره في الإصابة ١٣٨/١ وفتح الباري١٧٢/١٢.

(٥٥) أخرجه مسلم في كتاب الحدود باب من اعترف على نفسه بالزنا حديث(١٦٩٥) ١٣٢١/٢.

(٥٦) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الحدود باب الاعتراف بالزنا ٢٤/٨ وأخرجه في مواضع أخرى بلفظه وبمعناه، وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب الحدود باب من اعترف على نفسه بالزنا حديث (١٦٩٨/١٦٩٧) ١٣٢٤/٢.

(٥٧) تكملة فتح القدير ٣٣٣/٨.

(٥٨) المغنى ٢٦٢/٧.

(٥٩) المغنى ٢٦٢/٧.

(٦٠) الحاوي ٧/٤

(٦١) المرجع السابق.

(٦٢) انظر تكملة فتح القدير ٣٣٣/٨.

:

وفيه مطلبان:

:

وفيه أربعة فروع:

:

إذا أقر بما يوجب حقاً لله تعالى لم يخل من إحدى حالين: إما أن يكون هذا الحق مما يندرئ بالشبهة أو لا (١٣). فإذا أقر بحق خالص لله عز وجل يدرأ بالشبهة كحد الزنا وحد الخمر ثم رجع عن إقراره

فهل يقبل رجوعه ويسقط عنه الحد أم لا؟

اختلف الفقهاء رحمهم الله في اعتبار رجوعه على أربعة أقوال:

: أن رجوعه معتبر وإليه ذهب الحنفية (١٤) والمالكية في قول وهي الرواية المشهورة عن الإمام مالك، وهو المذهب (١٥) والمنافعية (١٦) والحنابلة (١٧)، وعليه فيسقط الحد عند الجميع،

(٦٧) المغني ٣٦١/١٢ ونسب القول به لجماعة من التابعين والفقهاء منهم عطاء ويحيى بن يعمر والزهري وحماد وإسحاق.

⁽٦٣) الحق الذي لايندرئ بالشبهة مثل الحق المالي كالزكاة والكفارات ونحوها، وقد يتضمن الإقرار بالحد إقرار بمال كمن أقر بسرقة ثم رجع فهذا تضمن إقراره ماهو حق لله يندرئ بالشبهة وماهو حق للآدمي لايندرئ بها وهو المال.

⁽٦٤) بدائع الصنائع ٢٣٢/٧ والبحر الرائق ٥/٥ وقاعدتهم: يصح الرجوع عن الإقرار بالحدود الخالصة كحد الشرب والسرقة. وانظر ص٥٦.

⁽٦٥) والقول بجواز الرجوع مطلقاً هو رواية عن الإمام مالك وهو قول ابن القاسم وابن وهب وابن عبد الحكم واختارها ابن عبد الحبر وابن العربي وغيرهما: انظر التمهيد ١٥٧/٢٠ و ٢٧، والقبس ضمن الموسوعة ١٦/٢، وبداية المجتهد ٣٤٦/٣، وتبصرة الحكام ٥٧/٢، والتاج والإكليل ٣٩٤/٨، والشرح الكبير ١٣٤٦، والفواكه الدواني ٢٨٥/٢، والشرح الصغير وبلغة السالك ٢٣٣٤ ولم يختلف المالكية أن رجوعه إن كان لشبهة أن الحد يسقط وإن رجع لغير شبهة فقولان: روى ابن رهب ومطرف أنه يقال أي يسقط عنه الحد ، وقاله ابن القاسم وابن وهب وابن عبد الحكم، والمذهب قبول رجوعه مطلقاً على ما لابن القاسم وابن وهب وعبد الحكم، وصحح ابن رشد في المقدمات الحكم، والمذهب قبول رجوعه مطلقاً على ما لابن القاسم وابن وهب وعبد الحكم، وصحح ابن رشد في المقدمات عبد عبوب فيتوب الله عليه، وروى عن مالك أنه لا يقبل منه...

⁽٦٦) فتح العزيز ١٥٣/١١

ولا يسقط المال حيث وجب مال (١٦٨). واستدلوا بما يلى:

الدليل الأول: حديث ماعز: وفيه أن ماعزاً هرب فذكر ذلك للنبي الله فقال: هلا تركوه يتوب فيتوب الله عليه.)(٦٩)

٣٦٧/٢ وما بعدها.

(۷۱) التمهيد ضمن الموسوعة ٠ ٧٨/٢.

(۷۲) المحلى ١١٤٢.

⁽٦٨) عند الحنفية مطلقاً. ، وعند المالكية إنما يجب المال لمن أقر أنه اغتصبها ثم رجع ، ويفهم منه أنه لو أقر أنه زنا بها مطاوعة لم يلزمه المال أيضا قال الدسوقي: (واعلم أن رجوعه عن الإقرار بالزنا إنما يقبل بالنسبة لسقوط الحد لابالنسبة لعدم لزوم الصداق فلا يسقط عنه مهر المغصوبة التي أقر بوطئها برجوعه).

وعند الشافعية حد الزنا من الحقوق الخالصة لله عز وجل فلا يجب المال إلا المكرهة على الزنا فيجب لها مهر المثل وهو رواية عن الإمام أحمد رحمه الله وقدمه في المغني وجزم به ؛ لحديث: (فلها المهر بما استحل من فرجها) أخرجه أبو داود في كتاب النكاح باب في الولي حديث(٢٠٨٣) ٢٦/٢، وابن ماجة حديث (١٨٧٩) كتاب النكاح باب لانكاح إلا بولي، والترمذي في كتاب النكاح باب ما جاء لانكاح إلا بولي حديث(١١٠١) ٤٠٨٠ وقال هذا حديث حسن، وصححه الألباني. انظر صحيح سنن أبى داود ٥٨٤/١)، وعن أحمد رواية أنه لامهر لها إن كانت ثيباً واختاره أبو بكر.

انظر عند الحنفية: المبسوط ١٨٢/٩، والفتاوى الولوالجية ٢٤٢/٢ حيث ذكر قاعدة وهي: أن كل زنا درأ الحد عن الرجل والمرأة أوجب المهر.) وانظر قول المالكية في حاشية الدسوقي ٣١٩/٤، وانظر الحاوي ٢١١/١٣ وروضة الطالبين ٢٨٦/٧ والمغنى ١٨٦/١٠،

⁽٦٩) أخرجه بهذا اللفظ أبو داود في كتاب الحدود باب رجم ماعز بن مالك حديث(٤٤١٩) ٥٧٣/٤ من حديث يزيد بن نعيم بن هزال عن أبيه، وأخرجه أحمد في مسنده ٢١٧/٥، والحاكم ٣٦٣/٤ وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي صحيح، وأخرج الحاكم أيضا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ٣٦٣/٤ قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم: إن ماعزا حين وجد مس الحجارة والموت فر فقال: هلا تركوه. وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وقال الألباني حسن. انظر إرواء الغليل ٣٥٤/٧ وصحيح سنن أبي داود٣/٢٠. ، قال ابن عبد البر: (ثبت من حديث أبي هريرة وجابر ونعيم بن هزّال ونصر بن داهر وغيرهم.) التمهيد ضمن موسوعة الموطأ ٧٨/٧ وانظر المغني ٣٦١/١٢.

⁽٧٠) هو أبو عمر يوسف بن عبد البر بن عبد الله بن محمد النمري الحافظ، له مصنفات كثيرة منها: كتاب الكافي، وكتاب التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد) ولد سنة ٣٦٨هـ وتوفي سنة ٣٤٦هـ. انظر الديباج المذهب

وقد روي عن جابر انه قال: أنا أعلم الناس بأمر ماعز إنما قال رسول الله ﷺ "هلا تركتموه وجئتموني به " ليستثبت رسول الله ﷺ منه فأما لترك الحد فلا (٧٣).

ونوقش أيضاً: بأن رجوعه لو كان معتبرًا لألزم النبي صلى الله عليه وسلم الذين قتلوه بالدية على قتلهم له خطأ (٥٠).

وأجيب: بأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يلزمهم بالدية ؛ لأن هروبه لايدل صراحة على رجوعه فقد يكون من شدة الألم، وعلى تقدير دلالته على الرجوع فإنه لم ينقل أن المستحقين طالبوا بها(٢٧١).

الدليل الثاني: أن الرجوع خبر محتمل للصدق كالإقرار وليس أحد يكذبه فيه فتتحقق الشبهة والحدود تدرأ بالشبهات (٧٧).

ونوقش: بأنه لم يرو عن النبي صلى الله عليه وسلم في درء الحدود بالشبهة شيء يصح لا مسندة ولا مرسلة، وما روي: (ادرءوا الحدود بالشبهات) ((() لا يصح عن النبي الله وإنما هو مروى عن جابر وعمر فقط، ولو صح لكان من يحتج به أول من يخالفه فالحنفية مثلا يقطعون من دخل مع آخر في منزل إنسان للسرقة فلم يتول أخذ شيء ولا إخراجه وإنما سرق الذي دخل فيه فقط فيقطعونهما جميعاً. والمالكية: يحدون المرأة بظهور الحبل فقط

⁽٧٣) أخرجه أبو داود في كتاب الحدود باب رجم ماعز بن مالك حديث (٤٤٢٠) ٥٧٦/٤ ، قال الألباني حسن.. انظر إرواء الغليل ٣٥٤/٧، وصحيح سنن أبي داود٣٠/٣.

⁽٧٤) المحلى ١١٤٢ والحديث أخرجه أبو داود في كتاب الحدود باب رجم ماعز بن مالك حديث(٤٤٢٠) ٥٧٦/٤. وقال الألباني: حسن. انظر إرواء الغليل ٣٥٤/٧، وصحيح سنن أبي داود٣٠/٣.

⁽۷۵) المغنی ۲۱/۱۲.

⁽٧٦) المغنى ٢١/١٢، وعقوبة السارق٣٧٥.

⁽۷۷) انظر تبيين الحقائق7/٦٧.

⁽٧٨) أخرجه البيهقي ٢٣٨/٨ عن علي رضي الله عنه موقوفاً، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ادفعوا الحدود ماوجدتم لها مدفعا) أخرجه ابن ماجه حديث(٢٥٤٥) قل في سبل السلام ٧٨٣: إسناده ضعيف، وأخرج الترمذي (١٤٢٤) 8 ٣٣/٤، والحاكم ٣٣/٤ من حديث عائشة رضي الله عنها بلفظ (ادرؤوا الحدود عن المسلمين مااستطعتم.. وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وفي سبل السلام ٧٨٣قال: ضعيف.

وهي منكرة، وقد تستكره وتوطأ بنكاح صحيح لم يشتهر أو وهي في غير عقلها ويقتلون بدعوى المريض أن فلانا قتله وفلان منكر ولا بينه عليه ويحدون في الخمر بالرائحة وقد تكون رائحة تفاح... الخ(٢٩).

الدليل الثالث: القياس على الشهادة: فإن الشهود إذا رجعوا قبل إقامة الحد سقط. فكذا الإقرار يسقط بالرجوع عنه، و الجامع بينهما أن كلاً منهما بينة يجب بها الحد (٨٠٠).

الدليل الرابع: أن الإقرار بالحد توبة، لم تعرف إلا من قبله، فإذا نزع عنها كان كمن لم يأت بها $^{(1\Lambda)}$ ووجه عدم سقوط المال: أن المال حق آدمي فلم يؤثر رجوعه فيه $^{(\Lambda \Upsilon)}$

: يصح رجوعه إن ذكر وجهاً (أي رجع لشبهة) وهذا رواية عن مالك رحمه الله، وبه قال أشهب (۸۲) وعبد الملك (۱۲۰ والباجي (۸۰، ۸۱).

واستدلوا بمايلي:

ا- قول النبي صلى الله عليه وسلم من أتى من هذه القاذورات شيئا فليستتر بستر الله فإنه من يبد لنا صفحته نقم عليه كتاب الله (۱۸).

(۷۹) المحلى ١١٤٢

(٨٠) التمهيد ضمن الموسوعة ١٥٧/٢٠، والمغنى ٣٦٢/١٢

(۸۱) التمهيد ۲۰/۸۵۱

(۸۲) المبسوط ٩/١٨٢.

- (٨٣) هو: أبو عمر أشهب بن عبد العزيز بن داود القيسي العامري المصري، فقيه مالكي، انتهت إليه رئاسة مصر بعد موت ابن القاسم، خرج عنه أصحاب السنن، توفي سنة ٢٠٤هـ وكانت ولادته سنة ١٤٠هـ. شجرة النور ٥٩.
- (٨٤) أبو مروان عبد الملك بن حبيب السلمي القرطبي الفقيه الأديب الثقة، العالم إمام في الحديث، والفقه، واللغة، والنحو، ألف كتباً كثيرة في الفقه والأدب والتاريخ، منها الواضحة في الفقه والسنن، وكتاب في تفسير الموطأ توفي في ذي الحجة سنة٢٣٨هـ. انظر شجرة النور٧٥.
- (٨٥) هو: أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث الباجي، فقيه مالكي، ولد سنة ٤٠٣هـ وتوفي سنة ٤٧٤هـ، وله مصنفات مشهورة منها: الاستيفاء في شرح الموطأ، واختصره في كتاب المنتقى وله غيره. انظر الديباج المذهب ٢٧٧٧، ٣٨٥.
- (٨٦) القبس ضمن موسوعة شروح الموطأ ١٦/٢٠، والمقدمات ٢٥٥/٣، والمنتقى ١٤٣/٧، والتفريع ٢٢٣/٢، وبداية المجتهد ٢٦٨/٢، والشبح الصغير وبلغة السالك ٢٣/٢٤ والشرح الكبير بهامش الدسوقي ١١٨/٣. ومثال الرجوع لشبهة: أن يقول: أصبت امرأتي حائضاً أو جاريتي فضننت أن ذلك زنا، قال ابن المواز: لم يختلف في هذا أصحاب مالك انتهى. أما إن رجع إلى غير شبهة ففيه روايتان إحداهما أنه لايقبل منه ويحد إلا بأمر يعذر به، والرواية الثانية: وهي الموافقة لقول الجمهور أنه يقبل مطلقاً وهو قول ابن القاسم، وابن وهب، وعبد الحكم، وهو المذهب.

(۸۷) سبق تخریجه فی هامش ٤٤ص١٢.

وجه الاستدلال: أن المقرقد أبدى صفحته فوجبت عقوبته.

٢- قول النبي صلى الله عليه وسلم: واغد ياأنيس إلى امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها.) (٨٨)

وجه الاستدلال: أن الحديث دليل على عدم قبول الرجوع عن الإقرار ؛ لأنه قال أن اعترفت فارجمها، ولم يقل إلا أن ترجع ولا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة.

ويمكن أن يناقش: بأنه يحتمل أن يكون حكم الرجوع كان معروفا لديهم من وقائع أخرى فسكت عن بيانه والله أعلم.

٣- أن الحد مما يسقط بالشبهة، وهذه شبهة مع أن النبي صلى الله عليه وسلم نبه ماعزاً فقال: لعلك قبلت، لعلك نظرت) (٨٩)

٤- قياس الإقرار على الشهادة بجامع أن كلاً منهما معنى يجب به الحد فلم يسقط بإكذابه (٩٠).

ويمكن أن يناقش: بقلب الدليل فيقال: يقاس الإقرار على الشهادة فكما يجوز الرجوع عن الشهادة فكذا الإقرار والجامع أن كلاً منهما بينة.

: أن رجوعه غير معتبر مطلقاً ولا يسقط عنه الحد وبه قال الحسن وسعيد بن جبير وابن أبي ليلى وبه قال عثمان البتي (٩٢) وأهل الظاهر (٩٢).

واستدلوا بما يلى:

١ - قول النبي ﷺ: " من أتى من هذه القاذورات شيئاً فليستتر بستر الله فإنه من يبد لنا صفحته نقم حد الله عليه. (٩٣)
 وجه الاستدلال: أن الحديث نص في أنه لا تأثير للرجوع بعد إبداء الصفحة (٩٤)

ونوقش: بأن الراجع عن إقراره غير مبد لصفحته وإنما يكون مبدياً لها إذا أقام على إقراره (٥٥)،

(۸۸) سبق تخریجه هامش٥٦ ص١٣.

(٨٩) القبس ١٦/٢٠ ، والحديث سبق في هامش ٥٤ ص١٣

(٩٠) المقدمات ٢٥٥/٣، والمنتقى ١٤٣/٧، والتفريع ٢٢٣٣.

(٩١) هو: عثمان بن مسلم البتي أبو عمر البصري، ويقال: اسم أبيه سليمان، عابوا عليه الإفتاء بالرأي توفي سنة ٤٣هـ. انظر تقريب التهذيب ١٤/٢.

(٩٢) انظر المبسوط ٩٤/٩ والتمهيد ٧٠/٢٠ وص٧٦ وروي عن ابن أبي ليلى كقول الجمهور، والمحلى ١١٤١_ ١١٤٢ والمغني ٣٦١/١٢

(۹۳) سبق تخریجه هامش ۶۶ص۱۲.

(۹٤) الحاوى ١٣/١٣

(٩٥) المرجع السابق ١٣/١١٦

٢- أن ماعزاً هـرب فقتلـوه، وروي أنـه قـال: ردونـي إلى رسـول الله شي فـإن قـومي غرونـي مـن نفـسي،
 وأخبرونـي أن رسول الله شي غير قاتلـي، فلم ينزعوا عنه حتى قتلوه (٩٦).

وجه الاستدلال منه: أن النبي ﷺ لو قبل رجوعه لألزمهم ديته (٩٧).

ونوقش: بأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يلزمهم ديته لأن هروبه لم يكن صريحاً في رجوعه (٩٨)

٣ ـ القياس على الإقرار بسائر الحقوق كحق القصاص وحد القذف(٩٩)

ونوقش: بأن حق القصاص حق آدمي وبينه وبين حد الزنا ونحوه مما هو حق لله تعالى فرق من ثلاثة أوجه: أحدهما: أن حقوق الله تعالى تدرأ بالشبهات، وحقوق الآدميين لا تدرأ بها(١٠٠٠).

والثاني: أن عليه في حقوق الآدميين أن يقربها، ولذلك لم يقبل رجوعه فيها، ولا يجب عليه في حقوق الله تعالى إلا التوبة منها: وهو مندوب إلى أن لا يقربها فلذلك قبل رجوعه فيها (١٠١١)،

الثالث: أن حقوق الله تعالى مبناها على المسامحة بخلاف حقوق الآدميين. وأما حق القذف فمحل خلاف هل هو حق آدمي أو هو حق لله فعلى القول بأنه حق آدمي لا يصح الرجوع وعلى القول بأنه حق لله يسقط ومع الاختلاف لا يستقيم القياس.

: يقبل رجوعه قبل الشروع في حده ولا يقبل بعد الشروع فيه وبه قال بعض الشافعية (۱۰۲). وروي عن مالك أنه قال: إن أقيم عليه معظم الحد ثم رجع أتم عليه (۱۰۳).

واستدلوا بما استدل به من قال لا يقبل رجوعه، وهو استدلال أقل من الدعوى والذي دلت عليه السنة في حديث ماعز عدم الفرق والله أعلم.

والذي يترجح عندي هو القول الأول القاضي بصحة الرجوع عن الإقرار بالزنا ؛ لصحة ما استدل به أصحاب القول الأول ولعدم سلامة ما احتج به أصحاب الأقوال الأخرى.

⁽٩٦) الحديث سبق تخريجه في هامش ٧٤ ص١٦.

⁽۹۷) المغنى ۲۲/۱۲.

⁽۹۸) المغنى ۱۲/۲۳.

⁽٩٩) المبسوط ٩٤/٩، والمغنى ٣٦١/١٢.

⁽۱۰۰) الحاوى ۲۱۱/۱۳ والمغنى ٣٦٢/١٢

⁽۱۰۱) المرجعان السابقان.

⁽۱۰۲) الحاوى ۱۳/۲۳.

⁽۱۰۳) التمهيد ۲۰/۱۵۷.

:

الرجوع عن الإقرار بالزنا يتحقق بأمور:

: فإذا قال: كذبت في إقراري، أو قال لم أزن، أو قال

رجعت عن إقراري

فهذه الألفاظ الثلاثة رجوع عن الإقرار صريح ولا يحد عند الحنفية (۱۰۰۱) والقول المعتمد عند المالكية وهو قول ابن القاسم (۱۰۰۰) وابن وهب (۱۰۲۰) وابن عبد الحكم (۱۰۷۰) وبه قال الشافعية (۱۰۸۰) والحنابلة (۱۰۹۰).

ووجهه: أن صدقه محتمل، فيورث ذلك شبهة تدرأ عنه الحد(١١٠٠).

وقال أشهب من المالكية لا يعذر إلا إذا رجع لشبهة وروى هذا عن مالك وبه قال عبد الملك.

ولعل مستنده: أنه مالم يرجع إلى شبهة لايوجد مايدراً عنه الحد فيؤاخذ بإقراره (١١١١).

وصورة الرجوع إلى شبهة: أن يقول وطئت زوجتي في الحيض، أو وقع عقدها فاسداً

فاعتقد أن الوطء المستند لمثل هذا يسمى زنا(١١٢).

قلت: والذي تدل عليه الأدلة التي سبقت أن الرجوع عن الإقرار معتبر مطلقا سواء رجع إلى شبهة أم لا. والله أعلم.

71/// 51- -11-51-- 1:1(1.5)

(١٠٤) انظر بدائع الصنائع ٦١/٧.

(١٠٥) أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم، صاحب الإمام مالك، صحبه عشرين سنة، وتفقه به وبنظرائه، وأخذ عنه جماعة منهم أصبغ وسحنون، توفي سنة ١٩١هـ. انظر شجرة النور٥٨.

(۱۰٦) أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي، الإمام العالم، الجامع بين الفقه والحديث، روى عن أربعمائة عالم منهم الإمام مالك، وبه تفقه، صحبه عشرين سنة له مصنفات منها سماعه من مالك، وموطأه الكبير، وموطأه الصغير، وجامعه الكبير، روى عنه سحنون وابن عبد الحكم، توفي سنة ١٩٧هـ وكانت ولادته سنة ١٢٥هـ انظر شجرة النور ٥٨- ٥٩.

(۱۰۷) انظر الشرح الكبير وحاشية الدسوقي عليه ٣١٨/٤ ٣١٩ والفواكه الدواني ٢٨٥/٢، وابن عبد الحكم هو: أبو محمد عبد الله بن عبد الحكم بن أعين فقيه مالكي، أفضت إليه الرئاسة بمصر بعد أشهب، روى عن مالك الموطأ، وكان من أعلم أصحابه بمختلف قوله، له تآليف منها: المختصر الكبير والأوسط والصغير، ولد بمصر سنة ١٥٥هـ وتوفي سنة ٢١٤هـ. انظر شجرة النور ٥٩.

(۱۰۸) الحاوی ۲۱۲/۱۳

(۱۰۹) المغنى ۲۱/۱۲

(١١٠) انظر حاشية الدسوقي ١٩/٤.

(١١١) لم أجد للمالكية دليلاً لهذا القول فيما اطلعت عليه ولعل ماذكرته هنا هو مأخذ هذا القول.

(١١٢) الشرح الكبير وحاشية الدسوقي عليه ٣١٨/٤، ٣١٩ والفواكه الدواني ٢٨٥/٢

: إذا هرب المحدود فقد اختلفوا هل يكون هروبه رجوعاً أم لا؟ على ثلاثة أقوال:

: أن هروبه يدل على رجوعه فيترك ولا يتبع سواء كان هروبه قبل إقامة الحد عليه أو أثناء إقامة الحد وهو قول الحنفية (١١٣) والقول المعتمد عن المالكية (١١٤) وقول عند الشافعية (١١٥) والحنابلة (١١٦).

واستدلوا بما يلى:

١- أن النبي على قال في حديث ماعز حين هرب من الأحجار: هلا تركتموه لعله أن يتوب فيتوب الله عليه (١١٧٠).

فدل على أن الهرب دليل الرجوع، والرجوع مسقط للحد(١١٨٠).

۲- ولأن هربه مشعر برجوعه (۱۱۹).

: لا يكون هربه رجوعاً لكن يترك ويكف عنه ويسأل عن هروبه فإن كذب إقراره ترك وسواء

كان في أثناء الحد أو قبله وهو قول عند المالكية (١٢٠) وقول عند الشافعية

وهو أصح الوجهين (١٢١).

ووجهه:

١ ـ أن الهرب محتمل أنه للرجوع أو لغيره فيكف عنه احتياطاً فإن رجع وإلا أقيم عليه الحد (١٢٢).

٢ ـ أنه قد صرح بالإقرار ولم يصرح بالرجوع (١٢٣).

٣ ـ وهو دليل على أنه يكف عنه: خبر هروب ماعز وقول النبي ﷺ: فهلا تركتموه (١٢٤).

: أن الهروب إن كان في أثناء الحد فهو كالرجوع يسقط عنه الحد وأما لو كان قبل الشروع في

الحد فلا يسقطه ويتبع لإقامة الحد عليه ما لم يرجع عن إقراره.

(١١٣) بدائع الصنائع ٦١/٧، وتنوير الأبصار مع شرحه الدر المختار مطبوع مع حاشية رد المحتار١٢/٦.

(١١٤) الشرح الكبير بهامش حاشية الدسوقي ٣١٩/٤ والفواكه الدواني ٢٨٥/٢

(١١٥) الحاوي ٢١٢/١٣ وفتح العزيز ٢١/١٥٢-١٥٣

(١١٦) المغنى ٣٦٢/١٢

(۱۱۷) سبق تخریجه هامش ۲۹ ص ۱۵.

(١١٨) انظر بدائع الصنائع ٢١٢/١٣ والحاوي ٢١٢/١٣ والمغنى ٣٦٢/١٢

(١١٩) فتح العزيز ١٥٢/١١)

(١٢٠) حاشية الدسوقي ٤/٣١٩

(۱۲۱) الحاوي ۲۱۳/۱۳ وفتح العزيز ۱۵۲/۱۱ ـ ۱۵۳

(١٢٢) المرجعان السابقان.

(١٢٣) المرجعان السابقان.

(١٢٤) المرجعان السابقان.

وهو قول عند المالكية قاله الشيخ النفرواي (١٢٥) صاحب الفواكه الدواني وقال خلافاً لظاهر كلام خليل (١٢٦).

وفرق بين الحالين: أن الهروب في أثناء الحد يدل على الرجوع لإذاقته العذاب بخلافه قبله(١٢٧).

والذي يترجح عندي هو القول الثاني أن يكف عنه ويسأل عن هربه فإن رجع عن إقراره قبل رجوعه ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لو تركوه لعله يتوب) ولم يقل لعله رجع فهذا يدل على أن الهروب وحده غير كاف ؛ ولأنه قد أقر بالزنا صريحاً فلا يرجع عنه إلا بالصريح. والله أعلم

: لا يخلو جحد الإقرار من إحدى حالتين: الأولى: أن لايثبت إقراره بالبينة، والثانية:

أن يثبت إقراره بالبينة ، فإن لم يثبت إقراره بالبينة فجحده فذلك رجوع عن إقراره فلا يحد وعلى هذا اتفقت المذاهب الأربعة (١٢٨) ، وأما لوشهدت البينة على إقراره (١٢٩) وهو ينكر فقد اختلفوا هل يكون رجوعا أم لا؟ على قولين:

: أن إنكاره يعد رجوعاً وهو قول الحنفية (۱۳۰۰)، والمالكية (۱۳۱۰) وهو قول عند الشافعية (۱۳۲۰) وهو الصحيح من مذهب الحنابلة وهو أصح الروايتين (۱۳۳۰). لكن يضمن المال فيما لو أقر بزنا أوسرقة نص عليه

⁽١٢٥) هو: أبو العباس أحمد بن غنيم بن سالم النفرواي، فقيه مالكي، لازم الشيخ عبد الباقي الزرقاني، والشيخ الخرشي، وتفقه بهما، وأخذ الحديث عنهما، وأخذ عنه جماعة، له مصنفات منها شرح على الرسالة، توفي سنة ١١٢٠هـ. انظر شجرة النور٣١٨.

⁽١٢٦) خليل بن إسحاق الجندي أحد الأثمة الأعلام أخذ عن ابن الحاج صاحب المدخل، وأخذ عنه أعلام منهم بهرام، له تآليف مفيدة منها المختصر المشهور توفي سنة٧٦٧ وقيل ٧٦٩. انظر شجرة النور٢٢٣.

⁽١٢٧) الفواكه الدواني ٢٨٥/٢ والشرح الكبير بهامش حاشية الدسوقي ٣١٩/٤ قال في الشرح الكبير هذا ما ذكره الشارح ومن تبعه وهم عبد الباقي الزرقاني والشيخ احمد الزرقاني كما ذكره الدسوقي في الحاشية

لكن صاحب الشرح ذكر أن المنقول عدم الحد مطلقاً، وصحح الدسوقي أن الهروب لا يسقط الحد لكن يترك ويستفسر فإن كذب إقراره ترك، لا إن كان لمجرد الخوف أو الألم. الدسوقي٤/٣١٩.

⁽١٢٨) انظر البحر الرائق٥/٨، وتنوير الأبصار وشرحه الدر المختار مطبوع مع حاشية رد المحتار٦/١٣، وحاشية رد المحتار عليه٦/١٣

⁽١٢٩) لاتقبل الشهادة على الإقرار عند الحنفية وعند الجمهور تقبل على خلاف وتفصيل في عدد شهود الإقرار. انظر البحر الرائق7/ ، والشرح الكبير وحاشية الدسوقي عليه٤ /١٨٥ ، وفتح العزيز ١ /١٥٢ والإنصاف ١٨٩/١.

⁽١٣٠) البحر الرائق ٨/٦، وتنوير الأبصار وشرحه الدر المختار مطبوع مع حاشية رد المحتار١٣/٦، وحاشية رد المحتار عليه٦١٣٦.

⁽١٣١) المقدمات ٢٥٥/٣، ومواهب الجليل٢٠٦/٨، والمشرح الكبير للدر دير بهامش الدسوقي ٣١٨/٤، والفواكه الدواني ٢٨٥/٢ وبلغة السالك ٣٥٨/٢

⁽۱۳۲) روضة الطالبين ١٠ /٩٦.

⁽١٣٣) انظر شرح الزركشي ٧٧/٦، و الفروع٧٧، وتصحيح الفروع معه٦/٧٨، والإنصاف ١٩٠/١، ١٦٤، ٢٨٤ وذكر رواية أخرى عن الإمام أحمد أنه يحد، والمبدع ٧٦/٩، وكشاف القناع٩٩/٦، وشرح منتهى الإرادات٣٤٩/٣.

الحنفية (۱۳۲) والمالكية (۱۳۵)، والحنابلة في السرقة (۱۳۱)، ولم أجد لهم تصريحا فيما يتعلق بضمان المهر، لكن المذهب أن المهر يجب على من أكره امرأة على الزنا، ولا يجب للمطاوعة (۱۳۷)، فيتخرج هنا هذا التفصيل. والله أعلم.

ووجهه:

- -1 أن إنكاره رجوع عن الإقرار وهو مقبول $(177)^{1}$.
 - ٢- ولأنه غير معترف في الحال فلا يحد (١٣٩).

واحتج الحنفية:

بأن ماعزا أقر بين يدي النبي النبي النبي النبي المراد على أن الإقرار يكون عند الحاكم. فإن أقر عند غيره فهو غير مقبول، وإن كان عنده وشهدت عليه بينة وهو ينكر فإنكاره رجوع عن الإقرار، والإقرار يقبل الرجوع بدليل قصة ماعز (۱۴۱۰).

ولأنه إن كان مقراً فالشهادة لغو؛ لأن الحكم للإقرار لا للشهادة، وإن كان منكراً فالإنكار منه رجوع، والرجوع عن الإقرار في الحدود الخالصة حقاً لله عز وجل صحيح. (١٤٢)

ووجه ضمانه المال: أن المال حق آدمي، فلا يقبل الرجوع عن إقراره به ولا إنكاره (١٤٣٠).

: إن قال ماأقررت لم يقبل ويحد، وإن أكذب نفسه قبل وكان رجوعاً، وبه قال الشافعية (١١٤١).

⁽١٣٤) المبسوط ١٨٢/٩- ١٨٣ وبدئع الصنائع ٧٠٠٧ وفيه مايفيد عدم قبول الشهادة على الإقرار أصلاً حيث قال: ولو أقر في غير مجلس القاضي وشهد الشهود على إقراره لاتقبل شهادتهم ؛ لأنه إن كان مقراً فالشهادة لغو، لأن الحكم للإقرار لاللشهادة، وإن كان منكراً فلإنكار منه رجوع والرجوع عن الإقرار في الحدود الخالصة حقاً لله عز وجل صحيح. أ. هـ

⁽١٣٥) الشرح الكبير بهامش حاشية الدسوقي ١٨/٤.

⁽١٣٦) كشاف القناع ٦/ ١٤٥.

⁽١٣٧) المغني ١٨٦/١٠ وذكر رواية أخرى عن الإمام أحمد أنه لامهر لها إن كانت ثيباً.

⁽۱۳۸) كشاف القناع ٦/٩٩.

⁽۱۳۹) روضة الطالبين ١٠/٦٩.

⁽١٤٠) أخرجه البخاري في كتاب الحدود في مواضع منها باب الرجم بالمصلى ٢٢/٨ وباب لايرجم المجنون والمجنونة٢١/٨، وباب سؤال الإمام المقر هل أحصنت٢٤/٨، ومسلم مي كتاب الحدود باب من اعترف على نفسه بالزنا حديث(١٦٩٥) وحديث(١٦٩٥) ص١٣١٨ و ١٣٢١ و ١٣٢١.

⁽١٤١) بدائع الصنائع/٥١/ ، والمبسوط ١٨٣/٩.

⁽١٤٢) بدائع الصنائع ٧/٠٥

⁽١٤٣) المبسوط ١٨٣/٩.

⁽١٤٤) فتح العزيز ١٥٢/١١ ، وحاشية الشبراملسي على نهاية المحتاج٧٠٤٠.

ووجهه: أن في قوله ماأقررت تكذيباً للشهود فلا يقبل بخلاف تكذيب نفسه فهو رجوع عن الإقرار في في في المناه في

ويناقش: بأنه ليس بتكذيب للشهود، لأن حد القذف يسقط عنهم إذا كانت بينة الإقرار بالزنا تامة (١٤٦٠).

: لايقبل ويحد وبه قال أحمد في رواية عنه، قال في تصحيح الفروع: [وهو ظاهر كلام كثير من الأصحاب] (١٤٧٠).

ولعل مستنده: أن الحكم هنا للبينة لاللإقرار. والله أعلم.

والراجح في نظري أن جحد للإقرار الثابت عليه بالبينة يسقط الحد عنه، ويكون رجوعاً إعمالاً لقاعدة الدرء بالشبهة، ولأن رجوعه لا يعتبر تكذيباً للبينة بدليل عدم عقوبة البينة. والله أعلم.

: أن يقول: لا تحدوني، أو يقول، ردوني إلى الحاكم، أولا حدَّ عليَّ فهذا ليس برجوع صريح لكن يترك ويكف عنه ويسأل، فإن بين عن مراده عمل عليه وحكم بموجبه (١٤٨).

:

عقوبة الزاني والسكران حق لله تعالى وقد اختلف الفقهاء القائلون بجواز رجوع المقر بما يوجب إحدى هاتين العقوبتين في الوقت الذي يجوز فيه رجوع المقر عن إقــراره

على قولين:

: يجوز الرجوع قبل الشروع في الحد وأثناءه وهو قول الجمهور من الحنفية (١٤٩) وهو رواية عن مالك رحمه الله، وهو قول ابن القاسم قال ابن عبد البر: وعليه الناس (١٥٠) وهو القول المشهور (١٥١) وبه قال الشافعية (١٥٢) والحنايلة (١٥٢)

(١٤٥) فتح العزيز ١٥٢/١١

⁽١٤٦) كشاف القناع ٩٩/٦، ولم ير الشافعية عليهم حداً ؛ لأن المذهب أن من قال لغيره أقررت بالزنا لم يحد. انظر روضة الطالبن ١٠٩/١.

⁽١٤٧) شرح الزركشي ٦/٧٥٪. والفروع٦/٧٧، وتصحيح الفروع معه، والإنصاف١٠/١٩٠، ١٦٤، ٢٨٤.

⁽١٤٨) الحاوي ٢١٢/١٣ والمغني ٣٦٢/١٢، وفي كلام المالكية مايدل عليه قال الدسوقي في حاشيته (والحق كما يدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام في حديث ماعز بن مالك لما هرب في أثناء الحد فاتبعوه فقال ردوني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يردوه... الحديث ثم قال: أن الهارب سواء قبل الحد أو في أثنائه يستفسر فإن كذب إقراره ترك لاإن كان لمجرد الخوف أو الأم.) حاشية الدسوقي ١٩٩٤. ولم أجد لهذا ذكر عند الحنفية.

⁽١٤٩) بدائع الصنائع ٢٣٣/٧

⁽١٥٠) التمهيد ضمن موسوعة شروح الموطأ٠٢/٧٧

⁽١٥١) القوانين الفقهية ٣٧٣

⁽١٥٢) انظر الحاوي ٢١٠/١٣ وفتح العزيز ١٥٢/١١

⁽١٥٣) المغنى ١٢/٣٧٩.

واستدلوا بما يلي:

وكان ذلك بعد الشروع في رجمه فدل على جواز الرجوع أثناء إقامة الحد دون فرق.

٢ ـ أنه محال أن يقام الحد على أحد بغير إقرار ولا بينة، وإذا أكذب نفسه قبل تمام الحد، فما بقي من الحد لا
 يَتم عليه، لأنه حينئذ يضرب بغير إقرار ولا بينه، وظهور المسلمين ودماؤهم حمى إلا بيقين (١٥٥٠).

٣ ـ ولأن من قُبل رجوعه قبل الشروع في الحد قبل بعد الشروع فيه كما لو ثبت بالبينة ثم رجع الشهود قبل أن يتم الحد فإنه لايقام عليه ولايتم منه مابقي بعد رجوعهم بالإجماع (١٥٦٠).

٤ ـ ولأن الرجوع عن الإقرار يورث شبهة فيسقط به بعض الحد كما يسقط جميعه (١٥٥)

: إذا رجع بعد أن جلد أكثر الحد أتم عليه وهو رواية عن مالك رحمه الله (١٥٨٠).

ووجهه: أن رجوعه حينئذ ندم فلا يقبل منه (١٥٩).

وردّ: بأنه لاوجه لهذا القول، لانعقاد الإجماع على أن رجوعه قبل أن يقام عليه الحد ليس بندم ولا فرق في القياس والنظر بين أول الحد وآخره، وإذا جاز أن يقبل رجوعه بعد سوط واحد جاز أن يقبل بعد سبعين (١٦٠٠).

والذي يظهر لي أن القول الأول هو الراجح ؛ لأن الرجوع كما يسقط جميع الحد يسقط البعض من باب أولى. والله تعالى أعلم.

:

اتفق الفقهاء على أن من رجع عن إقراره بالزنا أو الشرب أو السرقة أنه يكف عنه قبل الشروع في الحد أو بعده إلا ماروي عن مالك رحمه الله من أنه إذا رجع بعد أن ضرب أكثر الحد فيتم عليه (١٦١)، والذي يظهر لي أن كلامه في الجلد دون القتل والقطع.

⁽١٥٤) سبق تخريجه هامش ٦٩ ص ١٥.

⁽١٥٥) القوانين الفقهية ٣٧٣

⁽۱۵٦) المغنى ۳۷۹/۱۲، والتمهيد ۱۷۸/۲۰- ۱۷۹و۱۰۸.

⁽١٥٧) انظر بدائع الصنائع ٢٣٣/٧

⁽١٥٨) التمهيد ضمن موسوعة شروح الموطأ ٧٧/٢٠، هكذا نصوا عليه في الجلد.

⁽١٥٩) المرجع السابق

⁽١٦٠) المرجع السابق ٢٠/٧٧

⁽١٦١) انظر: ماسبق ص ١٩ وانظر التمهيد ١٥٧/٢٠ و٣٦٩.

فإذا رجع المقر عن إقراره وتمم الحد عليه وقُتل بعد رجوعه، أوقطع فقد اختلف الفقهاء في حكم ضمانه على ثلاثة أقوال:

: إن كان القاضي قد أبطل الإقرار قتل به وإلا فلا شيء عليه، وهذا قول الحنفية نصوا عليه في الرجم، نقله في الفتاوي الهندية عن محيط السرخسي قال: (إذا أقر الرجل على نفسه بالزنا وهو محصن فأمر القاضي برجمه فذهبوا به ليرجموه فرجع عما أقر به فقتله رجل لاشيء عليه مالم يبطل القاضي عنه الرجم فإن أبطل عنه الرجم ثم قتله رجل قتل به كذا في محيط السرخسي. (١٦٢))

قلت: ويتخرج عليه القطع ولم أجد لهم فيه نصاً، ولا مفهوم لقولهم: (رجل) ؛ لأن الجماعة تقتل بالواحد عندهم (۱۲۳).

ولعل مستندهم: قصة ماعز فالنبي صلى اله عليه وسلم لم يضمنهم ؛ لأنه لم يكن نقض حكم الإقرار. والله أعلم

: إن كان رجوعه صريحاً وجب ضمان النفس بالمال ولا قصاص، وإن كان رجوعه غير صريح لم يجب الضمان وهذا قول عند الشافعية وهو القول المعتمد في المذهب، وجزم به الماوردي (١٦٤)، وهو قول الحنابلة(١٦٥).

والقول بعدم وجوب القصاص هو الذي تقتضيه قواعد المالكية فإنى لم أجد لهم تصريحاً بحكم المسألة لكن الشيخ العدوي (١٦٦) في حاشيته على الخرشي (١٦٧) قسم المجني عليه إلى أربعة أقسام، وذكر القسم الرابع: أن لايكون معصوماً حين السبب ثم تحصل العصمة حين المسبب، وحكمه أنه لايقتص منه (١٦٨).

⁽١٦٢) الفتاوي الهندية ١٥٩/١.

⁽١٦٣) انظر الهداية مع شرح فتح القدير١٠/٢٦٧ وتكملة فتح القدير١٠/٢٦٦.

⁽١٦٤) الحاوي ٢١٣/١٣، ومغنى المحتاج ٢٠٠/١- ١٥١، وإن كان الحد جلداً فرجع عن إقراره في أثنائه، وكان الإمام يعتقد سقوطه بالرجوع عن الإقرار فمات بذلك فقولان للشافعية أحدهما يجب نصف الدية ؛ لأنه مات بمضمون وغيره، والثاني: توزع الدية على السياط قال الشربيني: أقربهما كما قال شيخنا الثاني كما لوضربه زائد على حد القذف. انظر مغني المحتاج ٤/٠٥٠.

⁽١٦٥) المغنى ٢١/١٢٣.

⁽١٦٦) أبو الحسن على بن أحمد الصعيدي العدوي، إمام محقق، فقيه مالكي، أخذ عنه أئمة أعلام،، وله مصنفات تدل على علمه وفضله منها حاشية على شرح الخرشي، توفي سنة١١٨٩هـ. انظر شجرة النور٣٤١- ٣٤٢.

⁽١٦٧) أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخرشي الفقيه المالكي العلامة، شيخ المالكية، انتهت إليه الرئاسة بمصر، له شرح كبير على مختصر خليل، توفي سنة ١٠١هـ، انظر شجرة النور٣١٧.

⁽١٦٨) حاشية العدوى على الخرشي ١٣٧/٨.

وهذا ينطبق على الزاني المحصن فإنه عندما أقر بالزنا لم يكن معصوماً ثم لما رجع صار عند القتل معصوما. والله أعلم

ولم أجد لهم في قضية الضمان ما يصلح للاعتماد عليه.

:

- ١- أن النبي على لم يضمن الصحابة رضوان الله عليهم ماعزاً لما هرب وأدركوه فقتلوه.
 - ٢- أن الرجوع إذا كان صريحاً فقد زال الإقرار نهائياً فالقاتل له قاتل بغير حق.
- ٣- أن القصاص لم يجب لمحل الشبهة ذلك أن أهل العلم قد اختلفوا في صحة رجوعه فكان هذا الخلاف شبهة تدرأ عنه القصاص.
 - ٤- ولأن صحة الإقرار مما يخفى فيكون عذراً مانعاً من القصاص (١٦٩).

: يجب القصاص إن كان رجوعه بالصريح وهو وجه عند الشافعية (١٧٠٠).

ولعل مستنده: أنه برجوعه صريحاً قد عصم دمه فاستحق قاتله عمداً القصاص.

وبمكن أن يناقش: بأن القصاص مما يدرأ بالشبهة واختلاف العلماء في قبول رجوعه يورث شبهة تدرأ عنه القصاص. والله أعلم.

والذي يترجح عندي هو القول الثاني ؛ وذلك لوجاهة ما استدلوا به، والرجوع عن الإقرار ليس بحاجة إلى حكم بإبطال الإقرار من القاضي، ولا يجب القصاص لمحل الشبهة. والله أعلم

:

عقوبة المرتد حق لله تعالى، وهي تثبت بالإقرار كسائر ما يوجب عقوبة حقاً لله تعالى فإذا ثبتت عليه الردة بالإقرار بشروطه ثم رجع عن إقراره فهل يعتبر رجوعه أم لا؟

إذا رجع عن إقراره بالردة فيكون ذلك جحداً لردته فيكون ذلك توبة ويسقط عنه الحد وبه قال الحنفية (١٧١١)، والشافعية. (١٧٢١) وهو الصحيح من المذهب عند الحنابلة. (١٧٣١)، وهو المتفق مع قواعد المالكية (١٧٤١).

(۱۷۰) نهاية المحتاج ٤٣١/٧.

(۱۷۱) تنوير الأبصار مع حاشية رد المحتار ۱۳/٦، كما أنهم قد نصوا على أن عقوبة المرتد حقا خالصا لله تعالى. انظر المسوط ١٠٩/١٠.

(۱۷۲) الحاوي ۲۱۰/۱۳- ۲۱۱، ومغني المحتاج ۱۳۸/٤.

(١٧٣) الإنصاف مع المقنع والشرح ١٤٦/٢٧ ، وشرح منتهى الإرادات٤٠٠/٣ ، وكشاف القناع١٧٩/٦ ، وقال جماعة يأتي بالشهادتين.

(١٧٤) من قواعدهم أن الرجوع عن الإقرار معتبر فيما كان حقاً لله تعالى. انظر تبصرة الحكام ٥٧/٢، والقوانين الفقهية ٣٣٦.

⁽١٦٩) المغني ٣٦٢/١٢، ومغني المحتاج ١٥٠/٤- ١٥١.

ودليله: القياس على ما لو رجع عن حد (١٧٥).

هذا إذا لم يثبت إقراره بالبينة.

فإن ثبت إقراره بالبينة ثم جحده فقد اختلفوا على قولين:

: لا يحد وهو قول الحنفية (۱۷۲۱) والشافعية في قول (۱۷۷۱)، وهو قياس قول الحنابلة في الزاني تشهد البينة على إقراره ثم يجحده (۱۷۸۸).

ووجهه عند الحنفية: أن الشهادة لاتقبل على الإقرار أصلاً (١٧٩١).

وأما عند من يقبل البينة على الإقرار فوجهه: ١_القياس على ما لو قامت بينة على إقراره بالزنا وهو ينكر. ٢- القياس على ما لو أقر بالزنا أو الردة ثم رجع من غير أن تقوم على إقراره بينة. (١٨٠٠)

ويمكن مناقشة الأول: بأنه قياس على مختلف فيه وقد مر ذكر الخلاف، والثاني: قياس مع الفارق فلو أقر بالزنا أو الردة ثم رجع لم يكن في رجوعه تكذيب للبينة بخلاف ما لو شهدت البينة على إقراره فإن رجوعه تكذيب للبينة فافترقا والله أعلم.

: يحكم عليه بالشهادة ويلزمه أن يأتي بما يصير به مسلما وهو المعتمد عند الشافعية (۱۸۱۱). ووجهه: أن الحجة قامت عليه، والتكذيب والإنكار لاينفعه كما لو قامت البينة بالزنا فأنكره (۱۸۲۱).

والراجح في نظري هو القول الأول، قياساً على الإقرار الذي لم يثبت بالبينة، ولا يسلم أن في ذلك تكذيب للبينة بدليل أن البينة على إقراره بالزنا لاتحد إذا اكتملت. والله أعلم.

(۱۷۵) الفروع ۱۷۲/۱- ۱۷۳، والإنصاف مع المقنع والشرح ۱٤٦/۲۷، وكشاف القناع ۱۷۹/۱، وشرح منتهى الإرادات ٤٠٠/٣٠.

(١٧٦) البحر الرائق٥/٨.

(١٧٧) نهاية المحتاج ٤١٨/٧ وحاشية الرشيدي عليه، ومغني المحتاج ١٣٨٤.

(۱۸۷) انظر شرح منتهى الإرادات٣٤٩/٣.

(١٧٩) البحر الرائق٥/٨.

(۱۸۰) مغنى المحتاج ١٣٨/٤.

(١٨١) المنهاج للنووي وشرحه مغنى المحتاج ١٣٨/٤.

(١٨٢) انظر مغنى المحتاج ١٣٨/٤.

: : وفيه فرعان:

:

اختلف أهل العلم في حكم رجوع المقر بالسرقة عن إقراره على قولين:

: أنه إذا أقر بالسرقة ثم رجع عن إقراره صح رجوعه في حق القطع فلا يجب عليه لكن يجب علية المال وبهذا قال الحنفية (۱۸۲۰)، والمالكية (۱۸۲۰)، والشافعية (۱۸۵۰)، والحنابلة (۱۸۲۰)، وهو قول الثوري والحسن بن حّي. (۱۸۷۰) واستدلوا لسقوط الحد بما يلي:

١ ـ قول النبي على للسارق " ما أخالك سرقت " (١٨٨)

وجه الاستدلال: أن النبي على عرض للسارق ليرجع عن إقراره فدل على أن رجوعه معتبر (١٨٩٠).

(۱۸۳) بدائع الصنائع ۲۳۳/۷

(١٨٤) تبصرة الحكام ٧٧/٢ والتمهيد ضمن موسوعة شروح الموطأ ١٥٧/٢٠

(١٨٥) روضة الطالبين ١٤٣/١٠ وفتح العزيز ٢٢٩/١١ وللشافعية في حكم الرجوع عن الإقرار طريقان: أظهرهما: أن رجوعه لايقبل في حق المال، وفي القطع وجهان ويقال: قولان أحدهما لايقبل رجوعه عن الإقرار ؛ لأن قطع السرقة مرتبط بحق الآدمي ؛ لأنه أثبت عصمة لماله، والرجوع عن الإقرار في حق الآدمي لايقبل.

وأصحهما: أنه يقبل ويسقط القطع إذا رجع كما يسقط حد الزنا بالرجوع، ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أتي بسارق فقال: ما أخالك سرقت، فقال: بلي سرقت فأمر به فقطع)) ولولا أن الرجوع مقبول لما كان للحث عليه فائدة.

والطريق الثاني: أنه يقبل رجوعه في حق القطع وفي الغرم قولان أو وجهان: أظهرهما المنع كما لو رجع عن الإقرار بالغصب، والثاني: يقبل؛ لأنه إقرار واحد فإذا قبل الرجوع في بعض أحكامه فكذلك في الباقي. فتح العزيز١١/٢٩/١.

(١٨٦) المغنى ٤٦٦/١٢ ، والشرح الكبير مع المقنع والإنصاف٢٦/٥٦.

- (١٨٧) التمهيد ٢٠/١٥٠ والحسن بن حي هو: الحسن بن صالح بن حي، واسم حي: حيان بن شفي، الإمام الكبير، وأحد الأعلام، وقال البخاري في نسبته: هو (الحسن بن صالح بن مسلم بن حيان.) ولد سنة مائة قاله وكيع، وهو من الثقات، توفي سنة ١٦٩هـ وعمره تسع وستون سنة. انظر سير أعلام النبلاء ٣٦١/٧، والطبقات الكبرى لابن سعد ٢٧٥٠، وحلية الأولياء ٣٢٠/٧- ٣٣٥، وتهذيب التهذيب ٢٨٥/٢.
- (۱۸۸) أخرجه أبو داود في كتاب الحدود باب التلقين في الحد حديث (٤٣٨٠) وابن ماجة في الحدود حديث (٢٥٩٧) باب تلقين السارق، والنسائي في والنسائي في قطع السارق حديث (٤٨٨١) باب تلقين السارق، قال في = تحفة المحتاج ٢٨٣٨٤: ولم يضعفه أبو داود. وقال الزيلعي في نصب الراية ٤٧٦/٤: وفيه ضعف؛ فإن أبا المنذر هذا مجهول لم يروه عنه إلا إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة قاله المنذري.) وقال ابن حزم في المحلى طبعة دار الفكر ٢٠٧٥: وأما حديث حماد بن سلمة ففيه أبو المنذر لايدرى من هو، وأبو أمية المخزومي ولا يدرى من هو، وهو أيضاً مرسل. وقال الألباني ضعيف. انظر ضعيف سنن أبي داود حديث (٤٣٨٠) ٥٥٨. وفي سبل السلام ٤٣٦٤ قال: رجاله ثقات. وأخرجه الحاكم من طريق أخرى من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. المستدرك ٤٨١/٤، وفي ضعيف سنن أبي داود للألباني حديث (٤٣٨٠) قال: ضعيف.

(۱۸۹) المغنى ۱۲/۲۲۶

٢ ـ أن الحد الواجب بالسرقة حق الله تعالى خالصاً فصح الرجوع عن الإقرار به كحد الزنا (١٩٠٠).

٣ ـ أن الحدود تدرأ بالشبهات، ورجوعه عنه شبهة لاحتمال أن يكون كذب على نفسه في اعترافه، ولأن الرجوع كالإقرار الأول، كلاهما خبر يحتمل الصدق والكذب، ولا مرجح للأخذ بالإقرار دون الرجوع وتلك شبهة يدرأ بها الحد (١٩١٠).

٤ ـ القياس على الثبوت بالشهادة فإنه يسقط الحد برجوع الشهود عن شهادتهم فيسقط برجوع المقر عن إقراره، والجامع بينهما أن كلاً منهما حجة للقطع (١٩٢).

أما المال فاستدلوا لعدم سقوطه: بأن المال حق آدمي فلم يؤثر الرجوع عن الإقرار في إسقاطه. (١٩٣)

: أن رجوع المقر بالسرقة عن إقراره لا يقبل، وهو قول ابن أبي ليلي (١٩٤١) وأهل الظاهر (١٩٥٠).

واستدلوا بما يلى:

١ ـ أنه لو أقر لآدمي بقصاص أو حق لم يقبل رجوعه عنه (١٩٦٠).

ونوقش: بأن بينهما فرقاً فإن حق الآدمي مبناه على الشحّ والضيق (١٩٧٠).

وفرق آخر وهو: أن الرجوع عن الإقرار في حقوق الآدميين لم يصح لوجود خصم يصدقه في الإقرار ويكذبه في الرجوع، وذلك غير موجود فيما هو خالص حق الله تعالى فيتعارض كلاماه الإقرار والرجوع، وكل واحد منهما متمثل بين الصدق والكذب، والشبهة تثبت بالمعارضة (١٩٨).

والراجح في نظري هو القول الأول ؛ لعدم سلامة مااحتج به أصحاب القول الثاني. والله أعلم.

:

إذا رجع المقطوع عن إقراره وقد قطع منه جزء من المفصل سقط الباقي فإن كان يرجى برؤه فذاك، وإلا فللمقطوع قطع الباقي لئلا يتأذى به ولا يلزم الإمام ذلك وهذا قول الشافعية (١٩٩١). والحنابلة (٢٠٠٠).

(١٩٠) بدائع الصنائع ٢٣٣/٧ والمغني ٢٦٦/١٢

(١٩١) تبيين الحقائق ١٦٧/٣

(۱۹۲) المغنى ۱۲/۲۲

(۱۹۳) بدائع الصنائع ۲۲۳/۷.

(١٩٤) وروى عنه الليث كقول الجمهور أنه يقبل، وما هنا رواية أبي يوسف عنه أنظر التمهيد ١٥٧/٢٠

(١٩٥) المغنى ٢٦/١٢ والمبسوط ٩٤/٩ والمحلى ١١٤١ - ١١٤٢.

(١٩٦) المغنى ٤٦٦/١٢ ، والمبسوط ٩٤/٩

(۱۹۷) المغنى ١٦/١٢٤

(١٩٨) المبسوط ١٩٨٩

(١٩٩) روضة الطالبين ١٤٣/١٠ وفتح العزيز ٢٢٩/١١

(۲۰۰) كشاف القناع ٦/١٤٥.

ووجه عدم إلزام القاطع بإتمام القطع: أن القطع هنا صار من باب التداوي وليس بحد فلا يلزمه إتمامه (٢٠٠١). ولم أجد للحنفية والمالكية نصاً في حكم هذه المسألة، وقياس كلامهم في مسألة الرجوع عن الإقرار بالزنا، وأن المقر يترك سواء قيل الحد أو في أثنائه (٢٠٢٠)، فإنه يترك هنا أيضاً والله أعلم.

قلت: ومع تقدم الطب وإمكان إعادة اليد إلى موضعها يلزم المقطوع التداوي ؛ لأنه تسبب إلى قطع جزءٍ منه له حرمته كحرمة باقي البدن فيلزمه التداوي لرد العضو كما كان. والله أعلم.

:

الإقرار وسيلة من وسائل إثبات جريمة قطع الطريق وهي " الحرابة".

وهذه الجريمة توجب عقوبة شرعية منصوص عليها في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَآؤُا ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ, ﴾ (٢٠٣) الآية.

وعقوبة قاطع الطريق تتضمن ما هو حق لله تعالى، وما هو حق للآدمي فوجوب ضمان الأموال والأنفس حق آدمي ولذا لا يسقط بتوبتهم قبل القدرة عليهم. (٢٠٤)

فإذا أقر بقطع الطريق ثم رجع عن إقراره فما الحكم؟.

اتفق الفقهاء على أن الرجوع عن الإقرار يسقط الحكم الثابت عليه بقطع الطريق (٢٠٠٠ لكن الرجوع عن الإقرار يعمل ويصح في حق سقوط الحد ولا يصح في حق ضمان المال والقصاص فيبقى إقراراً معتبراً في حقهما وهو ماصرح به فقهاء الحنفية والمالكية والشافعية (٢٠٠١) وهذا يتفق مع قواعد الحنابلة فقد ذكر ابن قدامة في المغني قاعدة وهي: أنه لايقبل رجوع المقر عن إقراره إلا فيما كان حداً لله تعالى يدرأ بالشبهات ويحتاط لإسقاطه، فأما حقوق الآدميين وحقوق الله تعالى التي لاتدرأ بالشبهة كالزكاة والكفارات فلا يقبل رجوعه عنها قال: ولا نعلم في هذا خلافا.

⁽۲۰۱) المرجع السابق

⁽۲۰۲) انظر بدائع الصنائع ٦١/٧، ومواهب الجليل ٣٩٤/٨.

⁽٢٠٣) الآية ٣٣من سورة المائدة.

⁽٢٠٤) انظر بدائع الصنائع /٩٥٧ - ٩٧، الخرشي/٣٣١، والتنبيه ٢٧٤ ومغني المحتاج ١٨٤/٤، ومختصر الخرقي مع المغني١٢/٣٨٠.

⁽۲۰۵) بدائع الصنائع ۹٦/۷.

⁽٢٠٦) المرجع السابق ٩٧/٧، والمبسوط ٢٠٤/٩ ومواهب الجليل ٤٣١/٨، وتبصرة الحكام ٢٠٩/٢، وحاشية قليوبي ٢٠٠/٤، ورمعني المحتاج ١٨٤/٤، والتنبيه للشيرازي ٢٧٤.

⁽۲۰۷) المغني ۲۷۸/۷ وكشاف القناع ۲۷۵/۱.

هذا مع تصريحهم بأن عقوبة المحارب تتضمن الحقين ولذا لو تاب قبل القدرة عليه سقط ماكان حقاً لله وأخذ بحقوق الآدميين (٢٠٨).

وإنما عمل رجوعه فيما هو حق لله ؛ لأن الحد يدرأ بالشبهة ، أما المال والقصاص فهو حق آدمي ، والرجوع عن الإقرار بماهو حق آدمي باطل (٢٠٩).

وفرق الحنفية بين الرجوع عن الإقرار وجحد الإقرار فإذا جحد الإقرار لم يلزمه شيء ؛ لأن سبب الوجوب لم يثبت ؛ لأن ثبوته بالحجة وقد بطلت أصلاً ورأساً.

بخلاف الرجوع عن الإقرار ؛ لأن الأصل أن إقرار المقر حجة في حقه إلا أن تعذر اعتباره بعد الرجوع في حق الحد درءاً للشبهة فبقى معتبراً في حق ضمان المال والقصاص. (٢١٠)

وهذا التفصيل الذي ذكره الحنفية له وجاهته، لأنه إذا جحد الإقرار لم يبق مستند يصلح لإيجاب الحق عليه بخلاف من رجع عن إقراره. والله أعلم.

:

اختلف الفقهاء رحمهم الله في حكم التعريض للمقر بالزنا والسرقة بالرجوع عن إقراره على أربعة أقوال:

: يستحب تلقينه الرجوع وهو قول الحنفية (٢١١) والمالكية (٢١٢)، وهو قول عند الشافعية (٢١٣) وبه قال الحنابلة.

واستدلوا بما يلي:

⁽٢٠٨)مختصر الخرقي مع المغني ٤٨٣/١٢، والمقنع مطبوع مع الإنصاف ٢٩٩/١٠، وكشاف القناع١٥٥٣/٦.

⁽٢٠٩) المبسوط ٢٠٤/، وحاشيتي قليوبي وعميرة وشرح منهاج الطالبين معهما ٢٠٠/.

⁽۲۱۰) المبسوط ۷/۷۹.

⁽٢١١) انظر المبسوط ٩٢/٩ و١٨٥ ، وتبين الحقائق ٣٦٧/٣

⁽٢١٢) الذخيرة للقوافي ٥٦/١٢ قال فيه: للإمام عندنا أن يفعل ذلك ويحتال لسقوط الحد وهو كقوله عليه السلام لماعز: لعلك قبَّلت، لعلك لمست...] وقال: ولما استحب التلقين استحب التأخير]

⁽٢١٣) روضة الطالبين ١٤٥/١، ومغني المحتاج ١٧٦/٤ وقال: قضية كلام المصنف أن الخلاف في الجواز، وأنه لايستحب، وهو الأصح في الشرح والروضة، لكن في البحر عن الأصحاب أنه يستحب، وأشار المصنف في شرح مسلم إلى نقل الإجماع فيه.) وذكر النووي أنه إن أقر بالزنا ابتداءً أو بعد الدعوى فعلى القول بأن للقاضي أن يعرض له بالرجوع فيستحب ذلك في أحد القولين، وقيده في الحاوي في باب السرقة ٣٣٤/١٣ بأن يرى منه أثار الندم وأمارات الاسترسال

⁽٢١٤) المغني ٢١/٣٧٩، بل قالوا: ينبغي لأحد الحاضرين أن يعرض له أيضاً بالرجوع.

١ - حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أتى ماعز بن مالك النبي هي قال له: لعلك قبلت أو غمزت أو نظرت قال: لا يا رسول الله، قال: انكتها ؟ لا يكنى. قال: فعند ذلك أمر برجمه. (٢١٥)

ووجه الاستدلال منه ظاهر: فإن النبي الله ما زال يعرض عنه حتى أقر أربعاً وقوله: لعلك قبَّلت أو غمزت عريض بالرجوع (٢١٦).

٢ ـ قول النبي للذي أقر بالسرقة: ما أخالك فعلت (٢١٧).

٣ ـ روي عن أبي الدر داء أنه أتى بجارية سوداء سرقت، فقال لها: أسرقت ؟ قولي: لا. قالت: لا. فخلى سبيلها (٢٢٠).

٤- ولأنه احتيال من الإمام لدرء الحد وهو مندوب إليه (٢٢١).

: له أن يعرض له بالرجوع عما أقر به إذا كان مما يقبل فيه رجوعه ولا يستحب وهو قول الأصح عند الشافعية على ماقاله النووى في الروضة (٢٢٢) وهو المعتمد (٢٢٣).

⁽٢١٥) أخرجه البخاري في كتاب الحدود باب هل يقول الإمام للمقر: لعلك لمست أو غمزت ٢٤/٨.

⁽۲۱٦) المغنى ۱۲/۳۷۹.

⁽۲۱۷) سبق تخریجه هامش ۱۸۸ ص۳۱.

⁽٢١٨) المرسل في الاصطلاح هو: ماسقط من آخر إسناده مَنْ بعد التابعي، وعند الفقهاء والأصوليين: كل منقطع مرسل على أي وجه كان. انظر تيسير مصطلح الحديث للدكتور محمود الطحان٨٧- ٨٨.

⁽۲۱۹) المحلى۲۰۷٦.

⁽۲۲۰) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه حديث(۸٦٢٣) كتاب الحدود ٢٠/١٠ وعبدالرزاق في مصنفه حديث(١٨٩٢٢) المرحم ابن أخرجه عبد ٢٢٥/١ والبيهقي في سننه٨/٢٧٦. ، وروي مرفوعا أنه صلى الله عليه وسلم قال لسارق: أسرقت؟قل: لا. أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ٢٢٤/١ من مرسل عطاء) ونقل في سبل السلام عن عبد الرزاق قوله: قال الرافعي: لم يصححوا هذا الحديث، وقال الغزالي: قوله: قل: لا -لم يصححه الأثمة. سبل السلام ٧٩٢ طبعة دار الفكر.

⁽۲۲۱) المبسوط ۹/۱۸۵.

⁽٢٢٢) روضة الطالبين ١٤٥/١٠، ونهاية المحتاج ٤٦٣/٧، ومغنى المحتاج ١٧٦/٤.

⁽٢٢٣) نهاية المحتاج ٢٢٣٧.

واستدلوا: بأن النبي صلى الله عليه وسلم ترك التعريض في أكثر الأوقات (٢٢٤). : ليس له أن يعرض له بالرجوع وهو وجه عند الشافعية (٢٢٥).

واستدلوا: بالقياس على التصريح له بالرجوع فكما لايصرح ليس له أن يعرض (٢٢٦).

ويمكن أن يناقش: بأن النص دل على جواز التعريض وهو ماجاء في خبر ماعز وغيره.

: إن لم يكن عالماً بجواز الرجوع عرض له وإلا فلا ، وهو وجه ثالث عند الشافعية (٢٢٧) وبه قال أبو ثور (٢٢٨).

ولعل مستنده حديث ماعز فإنه كان يجهل الحكم بدليل ما جاء من قوله: ردّوني إلى رسول الله على فإن قومي قتلوني وغروني من نفسي وأخبروني أن رسول الله على غير قاتلي... (٢٢٩)

والذي يظهر لي أن القول الأول هو الراجح لوجاهة مااستدلوا به والله أعلم.

:

وصور ذلك: أن يقر على نفسه بالزنا أو بالسرقة وتشهد عليه بالفعل بينه ثم يرجع عن إقراره. فيكون قد اجتمعت البينة والإقرار، فلو رجع عن إقراره فهل يؤثر هذا الرجوع أم أن الإقرار هنا أصبح لاغياً والحكم للبينة؟ هذا محل خلاف بين الفقهاء وسببه أن اجتماع البينة مع الإقرار يلغي البينة عند بعضهم، وعند البعض الآخر يلغي الإقرار وفيما يلي بيان أقوالهم في هذه المسألة:

: أن المعتبر حينئذ هو الإقرار وتلغو الشهادة، فيصح حينئذ رجوعه عن إقراره وهذا قول الإمام أبى حنيفة رحمه الله، وقال إذا صدَّق الشهود لم يحد لا بشهادتهم ولا بإقراره (٢٣٠)، وهو وجه عند الشافعية (٢٣١).

⁽٢٢٤) روضة الطالبين ١٤٥/١، ومن أمثلة ذلك: قصة الغامدية، والعسيف، وقوله، واغد يأنيس إلى امرأة هذا، فليس في شيء من ذلك تعريض.

⁽۲۲۵) روضة الطالبين ١٤٥/١٠

⁽٢٢٦) مغنى المحتاج ٢٧٦/٤.

⁽۲۲۷) المرجع السابق

⁽٢٢٨) نيل الأوطار ٢٤٦/٤

⁽۲۲۹) سبق تخریجه هامش ۷۶ ص ۱٦.

⁽۲۳۰) بدائع الصنائع ۷/۰۰، والبحر الرائق ۷/۰، وحاشية رد المحتار ۱۲/٦- ١٣.

⁽٢٣١) الحاوي ٢١١/١٣، ونهاية المحتاج ٤٦٣/٧ وحاشية الشبراملسي عليه، ونقل عن القاضي تصحيح هذا القول، لكن المعتمد هو القول الثاني، ونسبه في الروضة ١٠/٧٠ لأبي إسحاق.

١- أن اجتماع الإقرار والشهادة يلغى الشهادة، ويكون الحكم حينئذ للإقرار، والرجوع عن الإقرار في حقوق الله تعالى الخالصة صحيح (٢٣٢).

٢- القياس على مالو أقر عند الحاكم ثم رجع (٢٣٣).

: أن المعتبر حينئذ هو الشهادة وحينئذ فرجوعه عن الإقرار غير معتبر وهو قول الجمهور من المالكية (٢٣٤) ووجه عند الشافعية (٢٣٥) وهو قول الحنابلة (٢٣٦).

ووجهه: أن الحكم للبينة بدليل أنه يجب بها الحد ولو لم يعترف، ولأنه لو أقر مرّة أو دون الأربع لم يمنع ذلك من سماع البينة عليه (٢٣٧).

ولأن البينة في حقوق الله أقوى من الإقرار عكس حقوق الآدميين (٢٣٨).

: إن تقدم الإقرار على الشهادة كان وجوب الحد بالإقرار وسقط بالرجوع، وإن تقدمت الشهادة على الإقرار كان وجوب الحد بالشهادة ولم يسقط بالرجوع وهو اختيار الماوردي(٢٢٩).

ووجهه: أن وجوبه بما سبق منهما فلم يؤثر فيه ما تعقبه (٢٤٠٠).

(٢٣٢) ينظر بدائع الصنائع ٥٠/٧، والحاوي ٢١١/١٣، وروضة الطالبين١٠/٩٧.

(۲۳۳) كشاف القناع ٦/١٤٥.

(٢٣٤) انظر الشرح الكبير بهامش حاشية الدسوقي ١٤٦/٤ قال: (فإن أقر فله) أي للمدعى (الإشهاد عليه) خوف جحود ه بعد... فدل على صحة البينة مع الإقرار، وأن الرجوع عن الإقرار لا يلغى البينة.

(٢٣٥) انظر حاشية قليوبي ١٨٢/٤ وجاء فيه: ولو حكم حاكم بعدهما فإن أسند حكمه للبينة امتنع الرجوع، وإلا فله الرجوع. وانظر نهاية المحتاج ٤٣١/٧، ونسبه النووي في الروضة ١٠٩٧/١ لابن القطان.

(٢٣٦) المغنى ٣٧٢/١٢، وكشاف القناع٦/٩٩.

(٢٣٧) المرجع السابق

(٢٣٨) نهاية المحتاج ٤٣١/٧، وحاشية قليوبي ١٨٢/٤.

(٢٣٩) الحاوي ٢١١/١٣- ٢١٢، والماوردي هو: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، المعروف بالماوردي، فقيه شافعي، كان من وجوه الفقهاء، ومن كبارهم، له مصنفات منها: الحاوي في الفقه، والأحكام السلطانية، وغير ذلك، توفي سنة ٤٥٠هـ وعمره ست وثمانون سنة. انظر طبقات الشافعية الكبري٣٠٣٠٣ ومابعدها، ووفيات الأعيان٣٠٢/٣.

(٢٤٠) المرجع السابق ٢١٢/١٣ لكنه قال: وعلى الوجوه كلها لا يسقط أحدهما الآخر.

والذي يترجح عندي هو القول الثاني القائل بأن الحد لايسقط برجوع المقر عن إقراره مع ثبوت الفعل عليه بالبينة ؛ وذلك لأن سقوط الحد برجوع المقر عن إقراره هو فيما إذا لم يوجد دليل آخر يعتمد عليه في الحكم، فكان الرجوع مؤثراً على بقاء الدليل، ويؤدي إلى الاحتمال، وحصول الشبهة، والحدود تدرأ بالشبهات.

أما إذا قامت البينة بجانب الإقرار فلم يَعُد للرجوع أثر ؛ لأن الحكم حينئذ للبينة ، ولم يوجد ما يعارضها ، فهو كما لو قامت البينة وحدها وهو ينكر ابتداءً ، ثم إن جعل الرجوع الإقرار هنا ملغ لحكم البينة ذريعة إلى أن لا يقام حد ؛ لأنه يقر ثم يرجع عن إقراره فيلغي بذلك حكم البينة التي قد تقام عليه في المستقبل. والله أعلم

:

وفيه مطلبان:

:

:

اتفق الفقهاء على أن الإقرار بقتل عمد يوجب القصاص حقاً خالص للعبد فلا يحتمل الرجوع عن إقراره (٢٤١).

واختلفوا فيمن أقر بقتل غيلة هل يصح الرجوع عن الإقرار به أم لا؟ والخلاف ينبني على أن القتل غيلة هل هو حق لله أم هو حق آدمي؟ ولهم في ذلك قولان:

: أنه حق لله تعالى لا عفو فيه ولا صلح وهذا قول المالكية (٢٤٢)

وبناء عليه: فمن أقر أنه قتل غيلة ثم رجع فإنه يقبل رجوعه (٢٤٣).

قلت: ولعل المراد أن الرجوع يسقط كون القتل غيلة لكن لا يسقط القصاص كونه حق آدمي ؛ ذلك أن من أقر بقتل غيلة فقد تضمن إقراره أمرين: أحدهما: أنه قتل، والثاني: أنه قتل غيلة، فرجوعه عن إقراره يسقط الثاني دون الأول كما لو أقر بسرقة مال وكالإقرار بالحرابة والله أعلم.

⁽٢٤١) بدائع الصنائع ٢٣٣/٧ وتبصرة الحكام ٥٧/٢، ، والتنبيه للشيرازي٢٧٤، والحاوي٢١٢/١٣، ونهاية المحتاج٢٦٤/٧، والمغنى لابن قدامة٢٧٨/٧، وكشاف القناع٤٧٥/٦.

⁽٢٤٢) مواهب الجليل ٢٩٣/- ٢٩٤ وشرح ميارة على تحفة الحكام ٢٦٧/٢ . والغيلة عندهم: قتل الرجل خفية لأخذ ماله، وقيل القتل على وجه القصد الذي لا يجوز عليه الخطأ. ونقل في مواهب الجليل عن الفاكهاني عن أهل اللغة: أن قتل الغيلة هو أن يخدعه فيذهب به إلى موضع خفية فإذا صار فيه قتله.

⁽٢٤٣) مواهب الجليل ٤٣١/٨ وحاشية أبي الحسن بن رحال المعداني على شرح ميارة ٢٤٣/٤.

واستدلوا بمايلي:

۱- روى أنس رضي الله عنه أن جارية وجد رأسها مرضوض بين حجرين فقيل من فعل هذا بك؟ فلان؟ فلان؟ حتى ذكروا يهوديًا فأومأت (٢٤٠) برأسها فأخذ اليهودي فاعترف فأمر النبي الله أن يرض (٢٤٠) رأسه بين حجرين) متفق عليه (٢٤٦).

وجه الاستدلال منه: أن النبي الله أمر برض رأس الجاني دون انتظار لمطالبة أولياء الدم، ولو كان عفوهم عن القتل معتبرا في هذه الصورة لانتظر الوقوف على رأيهم، وافتراض أنهم قد طالبوا بالقصاص غير مسلم إذ لو طالبوا به لنقل إلينا لدعاء الحاجة إليه (٢٤٧)

ونوقش: بأن التخيير ثابت بالسنة كما دل عليه قوله عليه الصلاة والسلام (من قتل له قتيل فهو بخير النظرين) (٢٤٨) فلم يرد أن النبي الله في خير الأولياء، ولا أنه لم يخيرهم وعدم الورود لا يعني عدم الوقوع ؛ إذ الأصل تخيرهم فليس في الحديث دليل على أنه لاحق للأولياء في قتل الغيلة. (٢٤٩).

٢- روى أنس رضي الله عنه قال: قدم أناس من عكل أو عرينه (٢٥٠) فاجتووا الدينة فأمرلهم النبي اللهاح رفت أنس رضي الله عنه قال: قدم أناس من عكل أو عرينه (٢٥٠) فاجتووا النعم فجاء الخبر في بلقاح (٢٥٠) وأمرهم أن يشربوا من أبوالها وألبانها فانطلقوا فلما صحّوا قتلوا راعي النبي النبي النبي النعم فجاء الخبر في أثارهم فلما ارتفع النهار جيء بهم فأمر بهم فقطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف وسمّرت (٢٥٠٠) أعينهم وتركوا في الحرة ، يستقون فلا يسقون حتى ماتوا" متفق عليه (٢٥٥)

(٢٤٤) أشارت برأسها.

(٢٤٥) الرض: الدَّق الجريش ومنه هذا الحديث. لسان العرب٦/١٦٥.

(٢٤٦) أخرجه البخاري في كتاب الديات باب من أقاد بالحجر ٣٨/٨، وباب إذا قتل بحجر أو بعصا٨/٣٧، وباب سؤال القاتل حتى يقر..) ومسلم في كتاب القسامة باب ثبوت القصاص في القتل بالحجر وغيره...) حديث(١٦٧٢) ١٢٩٩/٢.

(٢٤٧) القصاص في النفس للدكتور عبد الله الركبان١٨٦.

(٢٤٨) أخرجه البخاري في كتاب الديات باب من قتل له قتيل فهو بخير النظرين ٣٨/٨، ومسلم في كتاب الحج حديث(١٣٥٥) ١٩٨٨.

(٢٤٩) المرجع السابق.

(٢٥٠) صوب الشوكاني في نيل الأوطار ٧٢٦/٤ أنها (من عكل وعرينة ونقل ذلك عن الحافظ ابن حجر، وهما قبيلتان فعكل من عدنان، وعرينة من قحطان، وعكل بضم العين المهملة، وإسكان الكاف قبيلة من تيم الرباب، وعرينة بالعين والراء المهملتين، والنون مصغرا: حي من قضاعة، وحي من بجيلة، والمراد هنا: الثاني.

(٢٥١) اجتووا: كرهوا الإقامة فيها، وقيده الخطابي بما إذا تضرر بالإقامة فيها، وقال بعضهم: اجتووا: أي: لم يوافقهم طعامها، وقال البعض: الجوى داء يأخذ من الوباء. نيل الأوطار ٧٢٧/٤.

(٢٥٢) اللقاح: النوق ذوات الألبان واحدتها لِقحة بكسر اللام وإسكان القاف. نيل الأوطار٤/٧٢٧.

(٢٥٣) السمر بالتخفيف والتشديد معناه: كحل العين بالمسمار المحمي. انظر فتح الباري١٣٧/١٢٧

(٢٥٤) أخرجه البخاري في كتاب المحاربين باب لم يُسق المرتدون المحاربون حتى ماتوا١٩/٨ وباب سمر النبي صلى الله عليه وسلم أعين المحاربين، ومسلم في كتاب القسامة باب حكم المحاربين والمرتدين حديث(١٦٧١) ١٢٩٦/٢.

وجه الاستدلال: أن النبي صلى الله عليه وسلم قتلهم دون أخذ رأي أولياء الدم في ذلك فلو كان العفو معتبراً في قتل الغيلة لما أمر بقتلهم إلا بعد الوقوف على رأي الأولياء لاحتمال عفوهم. (٢٥٥)

ونوقش: بما نوقش به حديث الجارية على أن قتل النبي الله لم يكن لأجل قتلهم الراعي فحسب، وإنما لكونهم ارتدوا عن الإسلام (٢٥٦)، ومن المحتمل أن الراعي لم يكن له أولياء يطالبون بدمه فاقتص النبي الله من قاتليه على اعتبار أنه ولى من لا ولى له (٢٥٧).

٣- قول عمر الله في الذي قتل غيلة: لو تمالاً عليه أهل صنعاء لأقدتهم به (٢٥٨).

ونوقش: بأن قول عمر رضي الله عنه لأقدتهم به أي أمكنت الولي من استيفاء القود منهم (٢٥٩).

2- روي أن عبد الله بن عامر (۲۲۰) كتب إلى عثمان بن عفان أن رجلاً من المسلمين اعتدى على دهقان فقتله على ماله فكتب إليه عثمان أن اقتله. ، فإن هذا قتل غيلة على الحرابة رواه ابن حزم. (۲۱۱) فعثمان لم ينتظر مطالبة أولياء الدم.

ونوقش: بأنه ضعيف من رواية عبد الملك بن حبيب الأندلسي (٢٦٢).

٥- القياس على المحارب.

(٢٥٥) القصاص في النفس للدكتور عبد الله الركبان١٨٦.

(٢٥٦) جاء في رواية البخاري عن أبي قلابة عن أنس رضي الله عنه فارتدوا وقتلوا رعاتها.. الحديث ١٨/٨- ١٩، وانظر الاستذكار ضمن موسوعة شروح الموطأ ٣٢٤/٢٠.

(٢٥٧) القصاص في النفس للدكتور عبد الله الركبان١٨٨.

(٢٥٨) أخرجه البخاري في كتاب الديات باب إذا أصاب قوم من رجل هل يعاقب أم يقتص منهم كلهم عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أن غلاما قتل غيلة فقال عمر لو اشترك فيها أهل صنعاء لقتلتهم ٢١٨٥- ٤٢. و أخرجه مالك في الموطأ من حديث سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب قتل نفراً خمسة أو سبعة برجل واحد قتلوه قتل غيلة.

قال الزرقاني في شرح الموطأ: ٢٠١/٤(رواية سعيد عنه متصلة؛ لأنه رآه وصحح بعضهم سماعه منه، وقد رواه ابن أبي شيبة بإسناد صحيح من طريق عبيد الله عن نافع عن ابن عمر بلفظ الموطأ سواء.

وقال: وهذا مختصر من أثر وصله ابن وهب ورواه من طريقه قاسم بن أصبغ والطحاوي و البيهقي.)

(۲۵۹) المغنى ۲۱/۱۱.

(٢٦٠) عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي، العبشمي، ابن خال عثمان ابن عفان ؛ لأن عثمان رضي الله عنه هي أروى بنت كريز المذكور، ولد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وأتي به إليه وهو صغير، ولاه عثمان البصرة بعد أبي موسى الأشعري، وقتل عثمان وهو على البصرة توفي سنة ٥٧ أو ٥٨هـ. الإصابة ١٦/٥ ٧٠.

(٢٦١) المحلى ١٩٧٨ طبعة بيت الأفكار.

(٢٦٢) ضعفه ابن حزم انظر المحلى ١٩٧٩، وقال عنه الذهبي كثير الوهم صحفي وقال عنه الحافظ أبو بكر بن سيد الناس هو صحفي لا يدري الحديث ضعفه غير واحد واتهمه بعضهم بالكذب. انظر ميزان الاعتدال ٢٩٥٥و لسان الميزان ٥٩/٤، وطبقات الحفاظ للسيوطي ٢٣٧، ثم هو من رواية مسلم بن جندب عن عثمان وهو لم يدركه. انظر القصاص في النفس للدكتور عبد الله الركبان ١٨٨٨.

: أنه حق آدمي يدخله العفو والصلح كالقتل عمداً وهذا قول الجمهور من الحنفية (٢٦٢) والخنابلة (٢٦٤).

قلت: وبناءً على هذا يكون حكمه حكم من أقر بقتل عمد ثم رجع عنه لايقبل رجوعه عن إقراره المتقدم (٢٦٦٦).

واستدلوا بمايلي:

١- قوله تعالى: ﴿ وَمَن قُلِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَنَا فَلَا يُسُرِف فِي ٱلْقَتْلِّ إِنَّهُۥكَانَ مَنصُورًا ﴾ (٢٦٧)

٢- قوله تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهُا الَّذِينَ اَمَنُوا كُنِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَنْلَى الْمُؤْلِ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَىٰ بِالْأَنْثَىٰ فَمَنْ عُفِى لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَانْبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ (٢٦٨)

وجه الاستدلال من الآيتين: أن الله عز وجل لم يفرق بين قتل وقتل فالآيتان تفيدان العموم. (٢٦٩)

٣- قول النبي صلى الله عليه وسلم: (فأهله بين خيرتين.) (٢٧٠)

وجه الاستدلال: أن النبي ﷺ جعل الاختيار لأهله ولم يجعله للسلطان وهذا عام في كل قتل(٢٧١).

٤- روي أن عمر رضي الله عنه أتي برجل قد قتل عمداً فأمر بقتله، فعفا بعض ألأولياء فأمر بقتله فقال ابن مسعود رضي الله عنه كانت لهم النفس فلما عفا هذا أحيا النفس فلا يستطيع أن يأخذ حقه حتى يأخذ غيره قال فما ترى قال: أرى أن تجعل الدية عليه في ماله وترفع عنه حصة الذي عفا فقال عمر وأنا أرى ذلك.

قال الإمام محمد بن الحسن رحمه الله: وأخبرنا أبو حنيفة عن حماد عن إبراهيم قال: من عفا من ذي سهم فعفوه عفو قال فقد أجاز عمر، وابن مسعود العفو من أحد الأولياء ولم يسألوا أقتل غيلة كان أو غيره. (٢٧٢)

⁽٢٦٣) الحجة على أهل المدينة للإمام محمد بن الحسن ٢٨٢/٤.

⁽١٦٤) الأم٧/٨٥٥.

⁽۲۲۵) المغنى ۲۱/۱۱.

⁽٢٦٦) انظر ماسبق في ص٣٧.

⁽٢٦٧) سورة الإسراء الآية ٣٣

⁽٢٦٨) سورة البقرة الآية ١٧٨.

⁽٢٦٩) الحجة٤/٣٨٢، والمغني١١/١١٤.

⁽۲۷۰) أخرجه أبو داود في كتاب الديات باب ولي العمد يرضى بالدية حديث(٢٥٠٤) ٢٣/٤، والترمذي في كتاب الديات باب ما جاء في حكم ولي القتيل في القصاص والعفو حديث(٢٠٠١) ٤٠/١١وقال: حديث حسن صحيح. وفي صحيح سنن أبي داود للألباي٩٨٨٣قال: صحيح.

⁽۲۷۱) المغنى ٤٦١/١١. وفتح الباري٢٦١/١٢.

⁽۲۷۲) الحجة ۳۸۳/۵ ۳۸۷، والخبر رواه البيهقي بسند منقطع ٥٦/٨.

ولأنه قتيل في غير المحاربة فكان أمره إلى وليه كسائر القتلى (۲۷۳).

والذي يظهر لي أن من أقر بقتل غيلة قد تضمن إقراره ما هوحق لله وهو كون القتل غيلة، وحق آدمي وهو القتل الموجب للقود فإذا رجع عن الإقرار بالقتل غيلة نفعه إقراره فيما هو حق لله وهو كون القتل غيلة، وبقي حق الآدمي لاينفعه رجوعه عن إقراره به فيجب القود إن اختار الأولياء القصاص. والله أعلم.

•

اختلف الفقهاء رحمهم الله في حكم الرجوع عن الإقرار بما يوجب حد القذف وسبب اختلافهم هو اختلافهم هو اختلافهم في ذلك ثلاثة أقوال:

: أنه حق آدمي وعليه فلا يصح الرجوع عن الإقرار به وهذا قول الحنفية. (٢٧٠) وقول عند المالكية (٢٧٥) وبه قال الشافعية (٢٧٦) و الحنابلة (٢٧٧).

ووجهه

ان للآدمي فيه حقاً فيكون المقر متهماً في الرجوع، وأيضا يوجد من يكذبه بخلاف سائر الحدود، فلا يصح كالرجوع عن سائر الحقوق الواجبة للعباد. (۲۷۸)

 Υ - أن عليه في حقوق الآدميين أن يقر بها Υ

"" أن حقوق الآدميين لاتدرأ بالشبهة (٢٨٠).

: أنه حق آدمي حتى يصل إلى القاضي فيكون حقاً لله تعالى وهذا قول عند المالكية وهو القول المشهور في المذهب (٢٨١).

(۲۷۳) المغنى ١١/١٦٤.

(٢٧٤) بدائع الصنائع ٢٣٣/٧ ، والبحر الرائق٥/٥٦ ، وتبيين الحقائق١٦٧/٣.

(۲۷۵) حكى ابن رشد الاتفاق على أنه حق آدمي وإنما الخلاف هل يتعلق به حق لله أم لا ؟على ثلاثة أقوال. انظر التاج والإكليل مع مواهب الجليل ١٠٩/٨، والذخيرة للقرافي ١٠٩/١، وحاشية العدوي على الخرشي ٣٠٨/٨.

(٢٧٦) الحاوي ٢١٢/١٣قال: إلا أن يصدقه صاحب الحق فيسقط بالتصديق وليس بالرجوع.

(٢٧٧) الإنصاف ٢٠١/١٠، وكشاف القناع ١٠٥/٦، والقول بأنه حق آدمي هو أحد القولين في المذهب وهو المذهب. والقول الثاني: أنه حق لله.

(۲۷۸) بدائع الصنائع ۲۳۳/۷، والبحر الرائق ٥/٨.

(۲۷۹) الحاوى ۲۱۱/۱۳.

(٢٨٠) المرجع السابق.

(٢٨١) الذخيرة١٠٩/١، و مواهب الجليل ٤١٢/٨، والتاج والإكليل معه، وحاشية الدسوقي٣٣١/٤، والخرشي٨٠٨/٨.

: أنه حق لله مطلقاً وهو قول عند المالكية (٢٨٢).

وبناء عليه فالرجوع عن الإقرار قبل بلوغه الإمام لايقبل، وكذا بعد بلوغه، وإن قالوا هو حق لله بعد بلوغه لكن ذلك في حق عدم جواز العفو والشفاعة والله أعلم وهذا مبني على قاعدتهم: أن حق الله يقبل الرجوع عن الإقرار بحق آدمي. (٢٨٣)

والذي يترجح عندي أن القذف يغلب فيه كونه حق آدمي لأنه شرع لصيانة عرضة، ولأن المالكية لم يذكروا دليلاً على ماذهبوا إليه من كونه حقاً للله، أو كونه حقاً للآدمي مالم يبلغ الحاكم، وبناء عليه فيكون حكمه كسائر حقوق الآدميين لايقبل الرجوع عن الإقرار. والله أعلم.

:

النسب حق آدمي ويثبت بالإقرار بالا خلاف (٢٨٤) وإذا ثبت النسب بالإقرار ثم أنكر المقر لم يقبل إنكاره باتفاق الفقهاء. (٢٨٥).

(۲۸۲) الذخيرة ۱۰۹/۱۲، والعدوي على الخرشي ۲۰۸/۸.

(۲۸۳) تبصرة الحكام ۲۸۷۳.

(٢٨٤) انظر الهدية مع شرحها فتح القدير ٣١٨/٨- ٣١٩وفتح القدير ٤٢٠- ٤٢٠، والعناية معهما ٣٢١/٨، وحاشية رد المحتار ٣٢١/٨، ومواهب الجليل ٢٦٠٧، وحاشية الدسوقي ٤١٩/٣، ومغني المحتاج ٢٥٩/٣- ٢٦٠، والمغني لابن قدامة ٣٢٤/٣، والإقرار بالنسب ينقسم إلى قسمين الأول: أن يقر بالنسب على نفسه خاصة، والثاني: أن يقر به على نفسه وعلى غيره، فإن أقر به على نفسه اشترط له شروط:

الأول: أن يكون صدقه ممكناً. والثاني: أن لا يكون للمقر له نسب معروف. والثالث: أن يصدقه المقر به إذا كان يعبر عن نفسه أما إذا كان لا يعبر عن نفسه فلا يشترط تصديقه. وهذه الشروط اتفق عليها الحنفية والشافعية والحنابلة، وأضاف الحنابلة شرطاً وهو: أن لا يكون فيه تحميل النسب على الغير فيجوز إقرار الرجل بالوالدين والولد والزوجة والمولى؛ لأنه أقر بما يلزمه وليس فيه تحميل النسب على الغير، ولا بد من تصديق المقر عليه واختلفوا في صحة إقراره بالأم والمشهور الذي عليه الجمهور صحة الإقرار بالأم كالأب، وشرطوا لصحة الإقرار بالزوجة شروط.

ويصح إقرار المرأة بالوالدين والزوج والولي. انظر بدائع الصنائع ٢٢٨/٧، وحاشية رد المحتار ٨/ ٣٩٠، وتبيين الحقائق ٢٧/٥، وروضة الطالبين ٤١٤/٤- ٤١٥، والمغني٣١٧/٧- ٣١٨.

ووافق المالكية على الشرطين الأول والثاني، واشترطوا: أن يكون المقر هو الأب دون الأم بالاتفاق، والجد على المشهور. انظر الخرشي ٢٠٥٦- ٤٥٦، والشرح الكبيروحاشبة الدسوقي عليه ٢١٢/٤، والذخيرة للقرافي ٢٠٦٨، وأما النوع الثاني وهو الإقرار بالنسب عليه وعلى غيره فيقبل عند الشافعية بشرطين إضافة إلى مامر في النوع الأول: وهما: أن يكون الملحق به ميتاً، والثاني: أن لايكون الملحق به قد نفى المقر به فإن كان قد نفاه ثم استلحقه وارثه بعد موته فوجهان أصحهما يلحقه. وأجازه الحنابلة بإضافة شرط إلى مامر في النوع الأول: وهو أن يكون المقر جميع الورثة. انظر روضة الطالبي ٢٠٠٤، والمغني لابن قدامة ١٨٧٧. ومنع من هذا الحنفية والمالكية إلا أن يقر به اثنان من الورثة فأجازه المالكية من باب الشهادة بالنسب. انظر الذخيرة ٢٠٥٩، والخرشي ٢٥٥٦، والشرح الكبير بهامش الدسوقي ٢١٧٨.

(٢٨٥) انظر بدائع الصنائع ٢٤٧/٣، والهداية مع شرحها فتح القدير ٣١٨/٨- ٣١٩، وفتح القدير ٤٢٠- ٤٢٠، والعناية معهما ٨/ ٣٢١، وحاشية الدسوقي ٢٦٣/٢ و ٣٤١٩، ومغني المحتاج ٣٢٠/٠، وحاشية الدسوقي ٢٦٣/٢ و ٣٤١٩، ومغني المحتاج ٢٠٥٠- ٢٦٠، والمغنى لابن قدامة ٣٢٤/٧.

ووجهه: أنه نسب ثبت بحجة شرعية فلم يزل بإنكاره كما لو ثبت ببينة أو بالفراش (٢٨٦).

وسواء كان المقرُّ به غير مكلف، أو مكلفاً فصدق المقر، نص عليه الشافعية والحنابلة (٢٨٧)، وهو الظاهر من إطلاق الحنفية (٢٨٨) والمالكية (٢٨٩).

ووجهه: القياس على النسب الثابت بالافتراش.

قال في المغنى: ويحتمل أن يسقط نسب المكلف باتفاقهما على الرجوع عنه لأنه ثبت باتفاقهما فزال برجوعهما كالمال.

قال في المغنى: والأول أصح؛ لأنه نسب ثبت بالإقرار، فأشبه نسب الصغير والمجنون، وفارق المال؛ لأن النسب يحتاط لإثباته. (٢٩٠)

وهو الراجح في نظري ؛ لأن القياس على المال قياس مع الفارق، إذ المال يجوز بذله بخلاف النسب والله أعلم.

اتفق الفقهاء رحمهم الله على أن من أقر بحق مالي لآدمي، وهو من أهل الإقرار أن رجوعه عن إقراره غير معتبر (۲۹۱).

وإذا كان هذا هو الأصل فإن هناك حالات استثناها فقهاء المالكية فقالوا يجوز رجوع المقر عن إقراره فيها، ووضعوا لذلك ضابطاً وهو:

⁽۲۸٦) مغنى المحتاج ٢٥٩/٣- ٢٦٠.

⁽۲۸۷) مغنى المحتاج ٣/٩٥٦- ٢٦٠، والمغنى٣٢٤/٧.

⁽٢٨٨) انظر بدائع الصنائع ٢٤٧/٣، والبحر الرائق٤/١٢٨- ١٢٩.

⁽٢٨٩) انظر حاشية الدسوقي ٢١٩/٣ قال فيه عند قول المتن (ولا يضره الإنكار) قال أي لايسقط نسبه بإنكاره بعد استلحاقه.) والخرشي ٥/٤٦٩ - ٤٦٩، ومختصر خليل معه، ومواهب الجليل ٢٦٧/٧.

⁽۲۹۰) المغنى ۲۷٤/۷.

⁽٢٩١) بدائع الصنائع ٢٣٣/٧ وتبصرة الحكام ٥٧/٢وجواهر العقود١٠/١- ٢١ والمغنى ٢٧٨/٧ وقال: [لانعلم في خلافاً]، والإنصاف ١٩٧/١٢. واستثنى الشافعية صورتان: أحدهما: أن يقول رجل وهبت هذه الدار من فلان وأقبضته إياها ثم يقول ما أقبضته إياها. والثانية: أن يكذب المقر له المقر بمال سواء ديناً أو عيناً ثم يرجع المقر ويقول غلطت في الإقرار أو تعمدت الكذب فيقبل قوله في الأصح بناء على أن المال يترك في يد المقر في هذه الحال؛ لأن يده مشعرة بالملك ظاهراً، والإقرار الطارئ عارضه التكذيب فيسقط، والقول الثاني لايقبل الرجوع، وهو مبنى على أن الحاكم ينزعه من يده إلى ظهور مالكه. انظر جواهر العقود١/٠١- ٢١، ومغنى المحتاج٣/٢٤٢.

أن ما ليس للمقر في رجوعه عنه عذر عادي (٢٩٢) فهذا ليس للمقر الرجوع عن إقراره وهذا هو الغالب. أما ما للمقر فيه عذر عادي في رجوعه عنه فالرجوع عن الإقرار جائز وذلك في ثلاث مسائل:

: إذا أقر الوارث للورثة أن ما تركه أبوه ميراث بينهم على ما عهد في الشريعة وما تحمل عليه الديانة ،

ثم جاء شهود وأخبروه أن أباه تصدق عليه في صغره بهذه الدار وحازها له، أو أن والده أقر أنه ملكها عليه بوجه شرعي فيقبل رجوعه عن إقراره. وأنه كان بناء على العادة ومقتضى ظاهر الشريعة، وعذره بأنه لم يكن عالماً بما أخبرته البينة به من أن التركة كلها موروثة إلا هذه الدار المشهود بها له دون الورثة ؛ لأنه عذر عادي يسمع مثله فيقيم بينته ولا يكون إقراره السابق مكذباً للبينة وقادحاً فيها واعتمد هذا جماعة من المالكية وقالوا: إن هذا يضعف ما ذكره الحطاب (٢٩٣) عن سحنون (٢٩٤) من أن إقراره الأول مكذب للبينة فلا ينتفع بها. فيكون المعتمد هو ما ذكره القرافي (٢٩٥).

: إذا قال له عليَّ مائة درهم إن حلف، أو إذا حلف، أو متى حلف، أو حتى يحلف، أو مع يمينه، أو بعد يمينه، فحلف المقرّ له فنكل المقر وقال ما ظننت أنه يحلف، فلا يلزمه شيء.

ووجهه: أن العادة جرت بأن هذا الاشتراط يقتضي عدم اعتقاد لزوم ما أقر به.

وقال ابن عبد الحكم (٢٩٦٠): إن قال له على مائة إن حلف أو ادعاها أو مهما حلف بالعتق أو أن استحق ذلك أو إن كان يعلم أنها له، أو إن أعارني داره فأعاره، أو إن أشهد علي بها فلان فشهد عليه بها فلا يلزمه في هذا كله شيئاً، لأن العادة جرت على أن هذا ليس بإقرار، فتكون استبعادات محضة تخل بالإقرار.

بخلاف ما لو قال: إن حكم بها على فلان فحكم بها عليه لزمته، لأن الحكم سبب فيلزمه عند سببها.

: إذا أقر فقال: له عندي مائة من ثمن خمر أو ميتة فلا يلزمه شيء.

ووجهه: أن الكلام بآخره، والقاعدة أن كل كلام لا يستقل بنفسه إذا اتصل بكلام مستقل بنفسه صيره غير مستقل بنفسه.

⁽٢٩٢) هكذا تعبيرهم، والظاهر أن المراد العذر المعتاد الذي يصلح أن يكون عذراً. انظر البهجة٢/٥٢٥.

⁽٢٩٣) أبو عبد الله محمد بن محمد الحطاب المكي المولد والقرار، الفقيه المالكي، والعلامة الحافظ النظار، أخذ عن والـده وجماعة، وأخذ عنه أثمة أعلام له مصنفات في الفقه والأصول ومنها شرح على مختصر خليل، توفي سنة ٩٥٤هـ رحمه الله.

⁽٢٩٤) أبو سعيد عبد السلام سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي القيرواني، فقيه مالكي حافظ عابد، ورع، زاهد، انتهت إليه الرئاسة في العلم ومدونته عليها الاعتماد في المذهب توفي في رجب سنة ٢٠٠هـ. انظر شجرة النور ٦٩- ٧٠.

⁽٢٩٥) أبو العباس شهاب الدين، أحمد بن إدريس القرافي الصنهاجي، المصري، الإمام العلامة، والحافظ الفهامة، فقيه مالكي، له مصنفات منها الذخيرة من أجل كتب المالكية، والفروق، توفي رحمه الله سنة ٦٨٤هـ. انظر شجرة النور ١٨٨- ١٨٩. (٢٩٦) سبقت الترجمة له.

وقوله: "من ثمن خمر " لا يستقل بنفسه فيصير الأول المستقل غير مستقل، وكذلك الصفة والاستثناء والغاية والشرط ونحوها مما لا يستقل بنفسه (٢٩٧)

:

: إذا أقر الوارث للورثة أن ما تركه أبوه ميراث بينهم على ما عهد في الشريعة وما تحمله الديانة ثم جاء شهود وأخبروه أن أباه تصدق عليه في صغره بهذه الدار وحازها له....".

قد مرَّ أن المالكية يجعلونها إحدى الصور المستثناة من عدم جواز رجوع المقر عن إقراره فيما يتعلق بحقوق الآدميين، ولم أجد المسألة منصوصاً عليها عند غيرهم لكن بتتبع ما ذكروه في الأبواب المتفرقة يظهر لي أن المسألة محل خلاف يمكن تصنيفه فيما يلى:

: يصح رجوعه وهو قول المالكية (٢٩٨٠)، وهذا هو المتفق مع قواعد الشافعية (٢٩٩٠) والحنابلة (٣٠٠٠) لاسيما وهو معذور حيث لايعلم بالبينة وهذا هو ماأراده المالكية أما لو علم بها فيمكن أن يكون بإقراره مكذباً لبينته فلا تسمع البينة جاء في الروضة للنووي: قال: ومن أقر بعين لرجل، ثم ادعاها لاتسمع دعواه إلا أن تذكر تلقي الملك منه، ولو أخذت منه ببينة، ثم أدعاها هل يحتاج إلى ذكر التلقي؟وجهان...) (٢٠١٠).

وعند الحنابلة جاء في الإنصاف قوله: (وقال في الرعاية: ومن أقر لزيد بشيء، ثم ادعاه، وذكر تلقيه منه سمع، وإلا فلا، وإن أخذ منه ببينة ثم ادعاه فهل يلزم ذكر تلقيه ؟ يحتمل وجهين.) (٢٠٢) وعلل صاحب الكشاف عدم سماع ماادعاه إذا لم يذكر تلقيه منه: بأنه مكذب لإقراره (٢٠٣).

: أن البينة لاغية والاعتبار للإقرار وهذا هو المتفق مع قواعد الحنفية.

جاء في الدر المختار قوله: لا تسمع البينة مع الإقرار إلا في سبع مذكورة في الأشباه (٢٠٠٠)...] وقد ذكر ابن عابدين (٣٠٠٠) أيضاً هذه السبع الصور ولم يذكر منها مسألتنا (٣٠٦).

(۲۹۷) الفروق للقرافي: الفرق الثاني والعشرون والمائتان ٤/٣٨. ٣٩ وتهذيب الفروق معه الفرق الثاني والعشرون والمائتان ٤/٢٧. ٧٧ والبهجة ٥٢٥/٢.

(٢٩٨) المراجع السابقة.

(٢٩٩) ذكر الماوردي رحمه الله في الحاوي شروط سماع البينة، وليس فيها مايدل على أنه لاتسمع هنا ٣١١/١٦.

(٣٠٠) الإنصاف مع المقنع والشرح٢٨/٢٨، وكشاف القناع٢/٤٤٦.

(۳۰۱) روضة الطالبين ٦١/١٢.

(٣٠٢) الإنصاف مع المقنع والشرح٢٨/٢٦٤.

(۳۰۳) كشاف القناع٦ /٣٤٤.

(۲۰۶) الدر المختار مع حشيته رد المحتار ۹۹/٦.

(٣٠٥) هـ و محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز بن عابدين الدمشقي، فقيه الديار الشامية، وإمام الحنفية في عصره، ولد سنة ١٩٨٨هـ، وتوفى سنة ١٢٥٦هـ، له مصنفات منها: رد المحتار، وله حاشية على البحر الرائق. انظر الأعلام ٢٠٦٦.

(۳۰٦) حاشية رد المحتار ۹۹/٦

والذي يظهر أن الذي نص عليه المالكية من صحة رجوعه عن إقراره هنا هو الراجح ؛ لأنه معذور في عدم علمه بالبينة ؛ ولأن استحقاق الورثة غير مبنى على إقراره فهو كما لو لم يقر والله أعلم.

: إذا قال له عليَّ مائة درهم إن حلف أو إذا حلف، أو متى حلف.

سبق أن المالكية يستثنون هذه الصورة، ويرون جواز رجوع المقر عن إقراره هنا $^{(7.7)}$. ووجهه: أن العادة جرت بأن هذا الاشتراط يقتضي عدم اعتقاد لزوم ما أقر به $^{(7.7)}$.

والفقهاء في هذا موافقون للمالكية لكن لم يروه رجوعاً عن الإقرار بل لأجل أن هذا تعليق والإقرار لا يقبل التعليق. فعند الحنفية جاء البحر لابن نجيم (٢٠٩) قوله: أما لو قال إن شهد على اثنان فهو على ما صرحوا به بأنه لا يصح تعليق الإقرار وأنه لو قال إن حلف فعلى ما ادعى به فحلف لا يلزمه شيء فكذا هنا...] (٢١٠)

وفي حاشية ابن عابدين عليه: قال: قال الرملي (٢١١): ... وإن قال قبل أن يشهدا عليه الذي شهد به فلان على حق أو هو الحق فلما شهدا قال للقاضي سل عنهما فإنها شهدا علي بباطل وما كنت أظنهما يشهدان لم يلزمه، وسأل عنهما لأنه إقرار معلق بالحّظر فلا يصح.] (٢١٢)

وعند الشافعية جاء في روضة الطالبين قوله: ولو قال علي الف إذا جاء رأس الشهر أو إذا قدم زيد، أطلق جماعة أنه لا شيء عليه، لأن الشرط لا أثر له في إيجاب المال، والواقع لا يعلق بالشرط، وذكر الإمام (٣١٣) وغيره أنه على القولين وكيف كان فالمذهب: أنه لا شيء عليه...] (٣١٤).

وعند الحنابلة: جاء في المغني قوله: وإن قال: لك عليَّ ألف إن شئت أو إن شاء زيد لم يصح الإقرار... قال: ولنا: أنه علقه على شرط يمكن علمه فلم يصح، كما لو قال: له على ألف، إن شهد بها فلان ؛ وذلك لأن الإقرار إخبار بحق سابق فلا يتعلق على شرط مستقبل....] (٢١٥)

⁽٣٠٧) انظر ما سبق ص٤٤.

⁽۳۰۸) الفروق ٤/٣٨_٣٩

⁽٣٠٩) هو زين الدين إبراهيم بن محمد بن محمد المشهور بابن نجيم الحنفي، ولد سنة ٩٢٦هـ وكانت وفاته سنة ٩٧٠هـ لـه مصنفات منها: البحر الرائق شرح كنز الدقائق، والأشباه والنظائر. انظر الطبقات السنية ٢٧٥/٣، والفتح المبين٧٨/٣/٣، والأعلام ٦٤/٣.

⁽٣١٠) البحر الرائق ٢٣٧/٧

⁽٣١١) هو خير الدين بن أحمد بن علي الأيوبي، فقيه له نظم، من أهل الرملة بفلسطين، ولد ومات فيها، له كتب منها: الفتاوى الخيرية طبع في مجلدين، وحاشية على البحر الرائق توفي سنة ١٠٨١هـ وكانت ولادته سنة ٩٩٣. انظر الأعلام ٣٢٧/٢.

⁽٣١٢) حاشية ابن عابدين على البحر الرائق ٢٣٨/٧.

⁽٣١٣) هو أبو المعالي عبد الملك بن الشيخ أبي محمد عبد الله بن أبي يعقوب بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيوية الجويني، فقيه شافعي، ولد سنة ٤١٩، وتوفي سنة٤٧٨. انظر طبقات الشافعية الكبرى ٢٤٩/٣، ووفيات الأعيان١٦٧/٣، والبداية والنهاية ١٢٨/١٢.

⁽٣١٤) روضة الطالبين ٢٧٧٤.

⁽٣١٥) المغنى ٣٣٧/٧.

فقوله، كما لو قال: له عليَّ ألف إن شهد بها فلان. هي مثل قوله: إن حَلف فيما يظهر لي والله أعلم. وفي المقّنع: وإن قال: له عليَّ ألف إن شهد بها فلان. لم يكن مقراً (٣١٦).

قال في الإنصاف: وهو المذهب (٣١٧).

وقيل يكون مقراً اختاره القاضي (٣١٨)..

وكذا في نحو: إن قال: له عليَّ ألف إن قدم فلان فعلى وجهين(٣١٩).

وهذا كما هو ملاحظ إذا أخر الشرط أما لو قدمه فالمذهب لا يكون مقراً (٣٢٠).

فتلخص أن الجمهور لا يرون التعليق بهذه الصورة إقراراً ولا يلزمه شيء بهذا الإقرار. والله أعلم.

: إذا قال له عندي مائة من غن خمر أو ميتة:

وهذه هي المسألة الثالثة التي استثناها المالكية وقالوا بجواز رجوع المقر عن إقراره في حقوق الآدميين، وقد اختلف الفقهاء رحمهم الله في حكم المسألة على خمسة أقوال:

: يلزمه ما أقر به وهو قول الإمام أبي حنيفة رحمه الله(٣٢١) وقول عند الحنابلة قال في المغنى ذكره أبو الخطاب (٣٢٢)] وهو الصحيح من المذهب (٣٢٣).

ووجهه:

ان قوله: من ثمن خمر ونحوه يسقط ما أقر به فلم يقبل كما لو استثنى الكل (۲۲۱).

٢- ولأن صدر كلامه لما كان للوجوب فإتيانه في آخره بما ينافي الوجوب رجوع عنه فلا يصح موصولاً كان أو مفصولاً (٣٢٥).

(٣١٦) المقنع مع الإنصاف ١٦٦/١٢

(٣١٧) الإنصاف ١٦٦/١٢

(٣١٨) المرجع السابق، والقاضي هو: محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن احمد الفراء القاضي، أبو يعلى، شيخ الحنابلة، وممهد المذهب في الفروع، انتهت إليه رئاسة المذهب، له مصنفات كثيرة، توفي سنة٤٥٨هـ عن ثمان وسبعين سنة. انظر البداية والنهاية ٢ / ٤ ٩ وما بعدها.

(٣١٩) الإنصاف ١٦٦/١٢

(٣٢٠) الإنصاف ١٦٤/١٢ ١٦٥

(٣٢١) تبيين الحقائق ١٨/٥ لكن إن صدقه الآخر، أو أقام بينة فيعمل بذلك. البحر الرائق ٢٥٣/٧ وحاشية ابن عابدين ٣٧٧/٨

(٣٢٢) هو: محفوظ بن أحمد بن الحسن بن أحمد الكلوذاني، أبو الخطاب البغدادي، أحد أئمة المذهب الحنبلي وأعيانه، ولد سنة ٤٣٢هـ وتوفي سنة ٥١٥هـ. انظر طبقات الحنابلة ٢٥٨/٢، والذيل عليها لابن رجب١١٦/١.

(٣٢٣) الإنصاف ١٦٧/١٢ والكافي ٢٧٥/٦ والمغني ٢٧٨/٧ قال: وهو قول أبي حنيفة وأحد قولي الشافعي.

(٣٢٤) الكافي ٦/٥٧٦ والمغنى ٧٨/٧

(٣٢٥) تبيين الحقائق ١٨/٥ لكن إن صدقه الآخر، أو أقام بينة فيعمل بذلك. البحر الرائق ٢٥٣/٧ وحاشية ابن عابدين ٣٧٧/٨.

: إن َ وصَلَ قُبل منه ولا يلزمه شيء، وإن فصل لم يقبل منه إذا أنكر المقر له وهذا قول أبي يوسف ومحمد (٣٢٦)، وهو قول عند الشافعية (٣٢٧).

ووجهه:

انه أقر له بالمال وبين سببه وهو غير صالح، لأن ثمن الخمر لا يجب وصدر كلامه يقتضي الوجوب فصار بياناً مغيراً كالاستثناء والشرط والمغير يصح موصولاً لا مفصولاً "(٢٢٨).

٢- ولأن الكلام كلام واحد في حال الوصل فيعتبر جملة ولايتبعض (٣٢٩)

: لا يلزمه شيء وهو قوله المالكية (٣٣٠) وهو قول عند الحنابلة ، وقال ابن هبيرة (٣٣١) : هـ و قياس المذهب (٢٣٢).

ووجهه: أن كل كلام لا يستقل بنفسه إذا اتصل بكلام مستقل بنفسه صيره غير مستقل بنفسه، فقوله: "من ثمن خمر" لا يستقل بنفسه فيصير الأول المستقل غير مستقل (٣٣٣).

: يلزمه ما أقر به سواء في حال الفصل أم في حال الوصل قولاً واحداً في حال الفصل وفي حال الوصل هو الأظهر عند الشافعية ويلزمه الألف، ويبعض إقراره فيعتبر أوله ويلغى آخره (٣٣٤).

ووجهه:

أنه إذا انفصل لم يكن كلاماً واحداً، وإن وصل فقد وصل بإقراره ما يرفعه فأشبه ما لو قال: ألف لا يلزمني (٣٣٥)

: يقبل قوله في مثل: له علي ألف من ثمن خمر، ولا يقبل قوله في نحو: له علي ألف زيوف (٣٣٦) وفسرها برصاص أو نحاس وهذا قول القاضي أبي يعلى (٣٣٧).

(٣٢٦) المراجع السابقة.

(٣٢٧) روضة الطالبين ٢/٤ ٣٩.

(٣٢٨) تبيين الحقائق ٥/١٨

(٣٢٩) روضة الطالبين٤/٩٦، ونهاية المحتاج٤/١٠٠.

(٣٣٠) الفروق للقرافي ٣٨/٤. ٣٩ وتهذيب الفروق من ٧٨/٤.

(٣٣١) هو يحي بن محمد بن هبيرة الشيباني الدوري ثم البغدادي، أبو المظفر، ولد سنة ٩٩٩هـ، من مصنفاته الإفصاح عن معاني الصحاح، توفي سنة ٥٦٠هـ. انظر الذيل على طبقات الحنابلة ٢٥١/٣٨.

(٣٣٢) الإنصاف ١٦٧/١٢

(٣٣٣) الفروق للقرافي ٤/٨٨. ٣٩ وتهذيب الفروق من ٧٨/٤.

(٣٣٤) روضة الطالبين ٦/٤ ٣٩.

(٣٣٥) المرجع السابق ٣٩٦/٤ ونهاية المحتاج ١٠٠/٤.

(٣٣٦) الزيف: من وصف الدراهم، يقال: زافت عليه دراهمه أي صارت مردودة لغش فيها، والزائف هو الرديء. لسان العرب٨٩/٧.

(٣٣٧) سبقت الترجمة له.

ووجهه: أنه في نحو له على ألف من ثمن خمر عزا إقراره إلى سبب فقبل كما لو عزاه إلى سبب صحيح. وفي نحو: له علي ألف زيوف وفسرها برصاص أو نحاس رفع لكل ما اعترف به فلم يقبل (٣٣٨).

ونوقش: بأن قوله: من ثمن خمر يناقض قوله له علي ألف فهو كالصورة التي سلمها القاضي، وكما لو قال: علي ألف لا يلزمني، أو قال: دفع جميع ما أقر به، فهو كاستثناء الكل به. (٣٣٩).

والذي أميل إليه هو: القول الأول؛ لأنه أقر بحق آدمي فلم يقبل منه الإتيان بما يبطله كالرجوع عن الإقرار. والله أعلم.

لقد توصلت بحمد الله وتوفيقه إلى عدد من النتائج ومنها:

- ١- يصح الرجوع عن الإقرار بالزنا قبل إقامة الحد وفي أثنائه.
- ٢- الرجوع عن الإقرار بالزنا يكون صريحاً ويكون دلالة كهرب المحدود سواء هرب قبل إقامة الحد عليه أو
 بعده وكذا إذا جحد إقراره ولو شهدت بالإقرار بينة وهو ينكر.
- ٣- إذا أتم الحد بعد الرجوع وقتل المحدود وجب ضمان النفس بالمال ولا قصاص على من أتمه إن كان الرجوع صريحاً وإن لم يكن صريحاً لم يجب الضمان.
 - ٤- الرجوع عن الإقرار بالردة يسقط عقوبة الردة عن المقر.
- الإقرار بالسرقة يتضمن حقين أحدهما: حق لله عز وجل في وجوب القطع، والثاني: حق الآدمي في ضمان المال فرجوعه عن الإقرار يسقط الأول ولا يسقط الثاني فيلزمه ضمان المال.
- 7- كما يصح الرجوع عن الإقرار بالسرقة في حق القطع قبل أن يقام عليه الحد يصح في أثنائه فإذا قطع جزء من المفصل ثم رجع لم يتمم عليه وإذا لم يرج برؤه فللمقطوع قطع الباقي لئلا يتأذى به، ولا يلزم الإمام ذلك، لكن يلزم المقطوع التداوي لحرمة العضو.
- ٧- الرجوع عن الإقرار بقطع الطريق كالرجوع عن الإقرار بالسرقة يسقط حق الله ولا يسقط حق الآدمي.
 - Λ إذا أقر ابتداءً بزنا أو بسرقة استحب للقاضي أن يلقنه الرجوع.
 - ٩- إذا ثبت إقراره بالبينة قُبِل رجوعه ولو بإنكار الإقرار.
 - ١٠- إذا أقر بالزنا أو بالسرقة، وثبت عليه الفعل بالبينة ثم رجع عن إقراره لم ينفعه الرجوع.

(۳۳۸) المغنى ۲۷۸/۷

(٣٣٩) المرجع السابق.

- ١١- لايقبل الرجوع عن الإقرار بالقتل.
- ١٢- القتل غيلة كغيره من أنواع القتل لايقبل رجوعه عن الإقرار به.
 - ١٣- القذف حق آدمي إذا أقر به لم يقبل رجوعه عنه.
 - ١٤- لايقبل رجوع المقر عن إقراره بحق مالي لآدمي. والله أعلم

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وكان الفراغ من تبييضه ومراجعته لسبع بقين من شهر الله المحرم من عام ١٤٢٩ للهجرة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم.

- [١] القرآن الكريم.
- [۲] إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل: تأليف الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، نشر: المكتب الإسلامي- بيروت.
- [٣] /لأم: تأليف الإمام محمد بن إدريس الشافعي، المتوفى سنة ٢٠٤ هـ، الطبعة الأولى، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- [٤] أحكام الرجوع في عقود المعاوضات المالية: تأليف الدكتور فضل الرحيم محمد عثمان، الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ دار كنوز اشبيليا للنشر والتوزيع.
- [0] الآداب الشرعية والمنح المرعية: للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي المتوفى سنة ٧٦٣هـ نشر: دار الكتب العلمية.
 - [7] أصول فخر الإسلام: البزدوي مطبوع مع كشف الأسرار طبع في مطبعة الشركة الصحافية العثمانية.
- [V] الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل: تأليف أبي النجا شرف الدين موسى الحجاوي المقدسي المتوفى سنة ٩٦٨ همطبوع مع شرحه كشاف القناع على متن الإقناع: لمنصور بن يونس بن إدريس البهوتي عالم الكتب بيروت.
- [٨] الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف: لأبي الحسن علي بن سليمان المرداوي، المتوفى سنة ٨٥٥ هـ الطبعة الثانية، تصحيح: محمد حامد الفقى، الناشر: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٠ هـ.
- [٩] البحر الرائق شرح كنز الدقائق: تأليف: زين الدين بن إبراهيم بن محمد بن بكر بن نجيم، الطبعة الثالثة ١٤١٣ هـ، دار المعرفة، بيروت - لبنان

- [١٠] بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: تأليف: علاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني، المتوفى سنة ٥٨٧ هـ، الناشر: دار الكتاب العربي بيروت.
- [۱۱] بداية المجتهد ونهاية المقتصد: للإمام القاضي أبي الوليد محمد بن أحمد بن أحمد بن أحمد بن رشد الشهير برابن رشد الحفيد) المتوفى سنة ٥٩٥هـ، تصحيح الشيخ/محمد شاكر، الطبعة الثالثة، نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة سنة ١٤١٥هـ
- [۱۲] البداية والنهاية: لأبي الفداء، عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، المتوفى سنة ٧٧٤ هـ، طبعة عام ١٤٠٢، الناشر: دار الفكر بيروت.
 - [١٣] بلغة السالك لأقرب المسالك: تأليف: أحمد الصاوي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت لبنان
 - [12] البناية شرح الهداية: تأليف أبي محمد محمود بن أحمد العيني الطبعة الأولى، الناشر دار الفكر.
- [10] التاج والإكليل بشرح مختصر خليل مطبوع مع مواهب الجليل: لأبي عبد الله محمد ن يوسف ابن أبي القاسم، الشهير بالمواق، المتوفى سنة ٨٩٧ هـ، الطبعة الأولى، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- [17] تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام: للإمام برهان الدين أبي الوفاء إبراهيم بن فرحون المالكي، تخريج وتعليق: الشيخ / جمال مرعشلي، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- [١٧] تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق: لفخر الدين عثمان بن علي الزيلعي المتوفى سنة ٧٤٢ هـ، الطبعة الثانية معادة بالأوفست، الناشر: دار المعرفة بيروت.
- [١٨] تحفة الأحوذي: لمحمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا، نشر: دار الكتب العلمية بيروت، وطبعة دار الفكر.
- [١٩] التفريع: لأبي القاسم عبيد الله بن الحسن بن الحسين بن الجلاب البصري، المتوفى سنة ٣٧٨ هـ، تحقيق: د. حسين سالم الدهماني، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ، الناشر: دار الغرب الإسلامي بيروت.
- [٢٠] تقريب التهذيب: لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، الطبعة الثانية الثانية ١٣٩٥ هـ، الناشر: دار المعرفة بيروت.
- [۲۱] تكملة فتح القدير المسمى نتائج الأفكار في كشف الرموز والأسرار: تأليف شمس الين أحمد بن قودر، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

- [۲۲] التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: تأليف: أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر المتوفى سنة ٣٦٠ هـ، نشر: مطبعة فضالة المحمدية سنة ٤٦٣ هـ، نشر: مطبعة فضالة المحمدية المغرب.
 - [٢٣] التنبيه في الفقه الشافعي: لبي إسحاق الشيرازي صاحب المهذب، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ عام الكتب.
- [٢٤] تنوير الأبصار: لمحمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الغزي الحنفي مطبوع مع رد المحتار على الدر المختار: لمحمد أمين، المعروف بابن عابدين، المتوفى سنة ١٢٥٦ هـ، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- [٢٥] تهذيب التهذيب: لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، الطبعة الثانية المعدد الم
- [٢٦] حاشية أبي الحسن بن رحال المعداني: على شرح ميارة المتوفى سنة ١١٤هـ مطبوع مع شرح ميارة الفاسي، الطبعة الأولى ١٤٢هـ دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
- [۲۷] حاشية الخرشي على مختصر خليل: تأليف: محمد بن عبد الله بن علي الخرشي، المتوفى سنة ١١٠١ هـ، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، والطبعة التي نشرتها دار صادر بيروت.
- [۲۸] حاشية الدسوقي: لمحمد بن عرفة الدسوقي، المتوفى سنة ۱۲۳۰ هـ، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى، توزيع: دار الفكر، بيروت لبنان.
- [۲۹] حاشية الرشيدي على نهاية المحتاج: تأليف: أحمد بن عبد الرزاق بن محمد بن أحمد، المعروف بالمغربي الرشيدي، المتوفى سنة ۱۰۹٦ هـ، بهامش نهاية المحتاج، الناشر: مكتبة دار الباز مكة المكرمة، طبعة عام ١٤١٤ هـ، دار الكتب العلمية
- [۳۰] حاشية الشبراملسي على نهاية المحتاج: تأليف أبي الضياء نور الدين علي بن علي الشبراملسي المتوفى سنة المحامد، بهامش نهاية المحتاج، الناشر: مكتبة دار الباز مكة المكرمة، طبعة عام ١٤١٤ هـ، دار الكتب العلمية.
- [٣١] حاشية العدوي على الخرشي: للشيخ على بن أحمد العدوي الصعيدي، مطبوع بهامش شرح الخرشي، نشر: دار صادر بيروت.
- [٣٢] حاشية قليوبي: للشيخ شهاب الدين أحمد بن سلامة القليوبي، المصري، المتوفى سنة ٩٥٧هـ على منهاج الطالبين، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت.

- [٣٣] حاشية منحة الخالق على البحر الرائق: تأليف محمد أمين الشهير بابن عابدين مطبوع مع البحر الرائق، نشر: ايج- ايم- سعيد كمبني- كراتشي.
- [٣٤] الحاوي الكبير: لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت.
- [٣٥] الحجة على أهل المدينة: لمحمد بن الحسن الشيباني، طبعة عام ١٣٩٠هت نشر: دار المعارف الشرقية الهند.
- [٣٦] حقوق الاختراع والتأليف في الفقه الإسلامي: تأليف حسين بن معلوي الشهراني. ، الطبعة الأولى ١٤٢٥ هدار طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض.
- [٣٧] الحق ومدى سلطان الدولة في تقييده: للدكتور فتحي الدريني، الطبعة الثالثة عام ١٤٠٤هـ نشر: مؤسسة الرسالة بيروت، لبنان.
- [٣٨] الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب: تأليف الإمام القاضي إبراهيم بن نور الدين المعروف بابن فرحون المالكي، المتوفى سنة ٩٩٩هـ دراسة وتحقيق: مأمون بن محيي الدين، نشر دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى عام ١٤١٧هـ
- [٣٩] *الذخيرة:* تأليف: أبي العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي، المعروف بالقرافي، المتوفى سنة ٦٨٤ هـ، الطبعة الأولى عام ١٩٩٤ هـ، الناشر: دار الغرب الإسلامي بيروت.
- [٤٠] الذيل على طبقات الحنابلة: للحافظ زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد البغدادي الشهير بابن رجب، المتوفى سنة ٧٩٥هـ، الناشر: دار المعرفة بيروت
- [٤١] رد المحتار على الدر المختار: لمحمد أمين، المعروف بابن عابدين، المتوفى سنة ١٢٥٢ هـ، الطبعة الأولى 1٤١٥ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- [٤٢] روضة الطالبين: لمحيي الدين يحيى بن شرف النووي، المتوفى سنة ٦٧٦ هـ، الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ، الناشر: المكتب الإسلامي.
- [٤٣] سبل السلام: لمحمد بن إسماعيل الصنعاني، المتوفى سنة ٨٥٢ هـ، تحقيق: محمد عبد العزيز الخولي، الطبعة الرابعة، نشر: دار إحياء التراث العربي ١٣٧٩ هـ.
- [33] سنن ابن ماجة: للإمام أبي عبد الله محمد القز ويني، المتوفى سنة ٢٧٥ هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ، توزيع: دار سحنون تونس، ضمن موسوعة الكتب الستة وشروحها.
- [83] سنن أبي داود: للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث المتوفى سنة ٢٧٥ هـ، ضمن سلسلة موسوعة السنة الكتب الستة وشروحها، الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ، نشر: دار سحنون ودار الدعوة.

- [3] سنن البيهقي (السنن الكبرى) : لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، المتوفى سنة ٤٥٨ هـ ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، نشر : مكتبة دار الباز مكة المكرمة ١٤١٤ هـ ١٩٩٤ م.
- [٤٧] سنن الترمذي (الجامع الصحيح): لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة المتوفى سنة ٢٩٧ هـ، ضمن موسوعة السنة (الكتب الستة وشروحها) الطبعة الثانية ، نشر: دار سحنون ودار الدعوة.
- [٤٨] سنن النسائي (السنن الكبرى) : لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ، المتوفى سنة ٣٠٣ هـ ضمن موسوعة السنة (الكتب الستة وشروحها) ، الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ ، الناشران : دار سحنون ودار الدعوة .
- [٤٩] سير أعلام النبلاء: لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، المتوفى سنة ٧٤٨ هـ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٢ هـ، الناشر: مؤسسة الرسالة بيروت.
 - [٥٠] شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: للشيخ محمد محمد مخلوف، الناشر: دار الفكر بيروت.
- [01] شرح حدود الإمام أبي عبدالله بن عرفة المتوفى سنة ١٠٢هـ: للشيخ الفقيه الإمام أبي عبد الله محمد الأنصاري المشهور بالرصاع التونسي المتوفى سنة ١٩٩٤هـ طبعة عام ١٤١٢هـ ١٩٩٢م، المملكة المغربية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
- [07] شرح جلال الدين محمد بن أحمد المحلي: المتوفى سنة ٨٦٤هـ على منهاج الطالبين، مطبوع مع حاشيتي قليوبي وعميرة.
 - [07] شرح الزرقاني على الموطأ: لمحمد بن عبد الباقي الزرقاني، طبعة عام ١٣٩٨ هـ، نشر: دار المعرفة بيروت.
 - [35] الشرح الصغير: لأحمد الدر دير بهامش بلغة السالك، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت.
- [00] الشرح الكبير: لأبي الفرج عبد الرحمن بن أبي عمر بن أحمد بن قدامة المقدسي، المتوفى سنة ٦٨٢ هـ مطبوع مع المغني، طبعة جديدة بالأوفست سنة ١٤٠٣ هـ، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت لبنان.
- [07] الشرح الكبير على مختصر خليل بهامش حاشية اللسوقي: تأليف أحمد بن أحمد بن أحمد بن أحمد الطباعة العدوي، الشهير بالدر دير، المتوفى سنة ١٢٠١ هـ، مطبوع مع حاشية الدسوقي، نشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- [07] شرح ميارة الفاسي: لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد المالكي المتوفى سنة ١٠٧٢هـ على تحفة الحكام في نكت العقود والأحكام، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
- [0۸] صحيح البخاري: للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، المتوفى سنة ٢٥٦ هـ، ضمن موسوعة السنة (الكتب الستة وشروحها)، الطبعة الثانية، الناشران: دار سحنون ودار الدعوة.

- [09] صحيح سنن أبي داود باختصار السند: صحح أحاديثه: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى مديح سنن أبي داود باختصار السند: صحح أحاديثه: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى 18٠٩هـ، نشر: مكتبة التربية العربي لدول الخليج، توزيع: المكتب الإسلامي بيروت.
- [7۰] صحيح مسلم (وهو الجامع الصحيح): للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، المتوفى سنة ٢٦١ هـ، ضمن موسوعة السنة (الكتب الستة وشروحها)، الطبعة الثانية، الناشران: دار سحنون ودار الدعوة.
- [71] ضعيف سنن أبي داود: تأليف الشيخ محمد ناصر الدين الألباني الطبعة الثانية للطبعة الجديدة ١٤٢١هـ مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.
- [٦٢] طبقات الحفاظ: لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ، الطبعة الأولى عام ١٤٠٣هـ، نشر دار الكتب العلمية -بيروت -
- [٦٣] طبقات الشافعية الكبرى: لتاج الدين أب ينصر عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، المتوفى سنة ٧٧١ هـ، الطبعة الثانية، الناشر: دار المعرفة بيروت.
- [٦٤] عقوبة السارق بين القطع وضمان المسروق في الفقه الإسلامي: للدكتور أحمد توفيق الأحول، الطبعة الأولى الدبيان عقوبة السارق بين القطع وضمان المسروق في الفقه الإسلامي: ١٤٠٤هـنشر: دار المدى للنشر والتوزيع –الرياض.
- [70] العناية على الهداية: للإمام أكمل الدين محمد بن محمود البابرتي، المتوفى سنة ٧٨٦هـ، مطبوع مع فتح القدير، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- [77] الفتاوى الولواجية: للإمام الفقيه أبي الفتح ظهير الدين عبد الرشيد بن أبي حنيفة بن عبد الرزاق الولوالجي المتوفى بعد سنة ٥٤٠هـ الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م نشر دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
 - [٦٧] الفتاوى الهندية: للشيخ نظام وجماعة من علماء الهند، الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت.
- [٦٨] فتح العزيز شرح الوجيز المعروف بالشرح الكبير: تأليف: الإمام أبي القاسم عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الرافعي الشافعي، المتوفى سنة ٦٢٣ هـ، تحقيق: الشيخ علي محمد معوّض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- [٦٩] فتح القدير: تأليف كمال الدين محمد بن عبد الواحد، المعروف بابن الهمام، المتوفى سنة ٦٨١ هـ علق عليه وخرج آياته وأحاديثه: الشيخ عبد الرزاق غالب المهدي، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- [٧٠] الفروع: تأليف أبي عبد الله محمد بن مفلح، المتوفى سنة ٧٦٣ هـ، الطبعة الرابعة ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م، عالم الكتب بيروت.

- [٧١] الفروق للإمام شهاب الدين الصنهاجي القرافي نشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت -لبنان.
- [٧٢] الفوائد البهية في تراجم الحنفية: تأليف محمد عبد الحي اللكنوي الهندي، طبع ونشر: دار المعرفة بيروت -لبنان.
- [۷۳] الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني: تأليف أحمد بن غنيم بن سالم بن مهنا النفراوي المالكي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت لبنان.
- [٧٤] القاموس المحيط: تأليف الشيخ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادى الشيرازي نشر عالم الكتب -بيروت
- [٧٥] القبس: لأبي بكر محمد بن عبد الله ابن العربي المالكي المتوفى سنة ٥٤٣هـ مطبوع ضمن موسوعة شروح الموطأ تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ نشر مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية.
- [٧٦] القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية: تأليف محمد بن أحمد بن جزي الغرناطي تحقيق عبد الكريم الفضيلي الطبعة الأولى ٢٠٠٠ه المكتبة العصرية صيدا- لبنان.
 - [۷۷] القصاص في النفس: للدكتور عبد الله العلي الركبان الطبعة الثانية ١٤٠١هـ نشر مؤسسة الرسالة بيروت-لبنان.
- [٧٨] الكافي: لأبي محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، المتوفى سنة ٢٠هـ تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركى، نشر دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى عام ١٤١٨هـ
 - [٧٩] كشاف اصطلاح الفنون: لمحمد أعلى بن علي التهانوي، شركة خياط للكتب والنشر، بيروت –لبنان.
- [٨٠] كشاف القناع على متن الإقناع: لمنصور بن يونس بن إدريس البهوتي، تحقيق لجنة متخصصة في وزارة العدل. الناشر: وزارة العدل في المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى عام ١٤٢٣هـ.
- [٨١] كشف الأسرار على أصول فخر الإسلام البزدوي: لعبد العزيز البخاري، الناشر: الصّدف ببلشرز كراتشي باكستان.
- [AT] الكليات: لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي المتوفى ١٠٩٤هـالطبعة الأولى ١٤١٢هـمؤسسة الرسالة -بيروت.
- [AT] لسان العرب: للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، طبعة جديدة لدار ومكتبة الهلال بيروت.
- [٨٤] لسان الميزان: لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني تحقيق دائرة المعرف النظامية الهند، نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت ١٤٠٦هـ

- [٨٥] المبدع في شرح المقنع: لأبي إسحاق برهان الدين إبراهيم بن محمد بن مفلح، المتوفى سنة ٨٨٤ هـ، الناشر: المكتب الإسلامي
- [٨٦] المبسوط: لشمس الأئمة محمد بن أحمد السر خسي، المتوفى قيل: سنة ٤٩٠ هـ، وقيل: في حدود ٥٠٠، وقيل: كل حدود ٥٠٠، وقيل: ٤٣٨ هـ، طبعة معادة بالأوفست سنة ١٣٩٨ هـ، الناشر: دار المعرفة بيروت.
 - [٨٧] المحلى: لعلى بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهرى، أبو محمد، طبعة بيت الأفكار الدولية.
 - [٨٨] مختصر خليل: للشيخ خليل بن إسحاق المالكي، مطبوع مع حاشية الخرشي..
 - [٨٩] المدخل إلى نظرية الالتزام العامة: تأليف: مصطفى أحمد الزرقا الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ دار القلم دمشق.
- [٩٠] المدخل الفقهي العام: تأليف: مصطفى أحمد الزرقا، نـشر دار الفكر بيروت، الطبعـة التاسعة ١٩٦٧م.
- [۹۱] المستدرك على الصحيحين: للإمام أبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري، المتوفى سنة ٤٠٥ هـ، نشر: دار الكتاب العربي بيروت.
- [٩٢] المسند: للإمام أحمد بن حنبل، المتوفى سنة ٢٤١ هـ، ضمن موسوعة الكتب الستة وشروحها، الطبعة الثانية، الناشران: دار سحنون ودار الدعوة.
- [٩٣] / المغني: تأليف: أبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، تحقيق: الدكتور: عبد الله بن عبد المحسن التركي، والدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م، نشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع.
- [92] مغني المحتاج إلى معرفة المنهاج: لمحمد بن أحمد الشربيني الخطيب، المتوفى سنة ٩٧٧ هـ، الناشر: دار الفكر العربي ١٣٩٨ هـ
- [90] المقدمات الممهدات: تأليف: أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، المتوفى سنة ٥٢٠ هـ، تحقيق: الدكتور محمد حجى، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ، نشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان.
- [97] المنتقى شرح موطأ مالك: لأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي، المتوفى سنة ٤٩٤ هـ، طبعة مصورة عن الطبعة الأولى التي طبعت سنة ١٣٣١ هـ، الناشر: دار الكتاب العربي بيروت.
- [٩٧] منحة الخالق على البحر الرائق: لمحمد أمين الشهير بابن عابدين، مطبوع مع البحر الرائق لابن نجيم، نشر دار المعرفة بيروت لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ
- [٩٨] المنثور في القواعد للزركشي: بدر الدين محمد بن بهادر الشافعي المتوفى سنة ٩٤هـ تحقيق الدكتور تيسير فائق أحمد محمود، طبعة مصورة عن الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ

- [٩٩] الموافقات في أصول الشريعة: الأبي إسحاق الشاطبي المتوفى سنة ١٧٠هـ، دار المعرفة بيروت لبنان.
- [۱۰۰] مواهب الجليل شرح مختصر خليل: لأبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن المغربي، المعروف بالحطاب، المتوفى سنة ٩٥٤ هـ، ضبط وتخريج الشيخ زكريا عميرات، الطبعة الأولى عام ١٤١٦ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، نشر: مكتبة دار الباز مكة المكرمة.
- [۱۰۱] الموطأ: للإمام مالك بن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ضمن (موسوعة الكتب الستة وشروحها)، الطبعة الثانية ، نشر: دار سحنون ، ودار الدعوة.
- [١٠٢] ميزان الاعتدال في نقد الرجال: لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨هـ الطبعة الأولى، تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية بيروت عام ١٩٩٥م
- [۱۰۳] نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج: لشمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة الرملي، الشهير بالشافعي الصغير، المتوفى سنة ١٠٠٤ هـ، الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت.
- [١٠٤] الهداية شرح بداية المبتدي: لأبي الحسن علي بن أبي بكر المرغيناني، مطبوع مع فتح القدير لابن الهمام طبعة عام ١٤١٥ هـ، نشر: دار الكتب العلمية بيروت.
- [100] وسائل الإثبات في الشريعة الإسلامية في المعاملات المدنية والأحوال الشخصية: للدكتور محمد الزحيلي، الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ ١٩٩٤ م، دمشق بيروت
- [1.1] وفيات الأعيان: لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، المتوفى سنة ٦٨١ هـ، الناشر: دار صادر بيروت.

Desistance from declaration with the rights in the Islamic Law (Islamic Jurisprudence)

M. I. A. Al-Ghamdi

Faculty of Sharia and the fundamentals of Islam - the King Khaled University Abha

(Received 9/3/1429H.; accepted for publication 3/6/1429H.)

Abstract. The research's title: Desistance from declaration with the rights in the Islamic Law (Islamic Jurisprudence).

All praise be to Allah, The One and peace be upon our Prophet Mohammad ... and after that...

Declaration in the Islamic Jurisprudence is considered the strognest means of the confirmation, because the confessor tells about himself and he is not accused what he tells about himself.

Declaration in the Islam law in this matter like any other legal judgement, in this judgment must be available the conditions and absence its objections to be good for consequence of the effects, because it has conditions (objections as well as it has corners (pillars) and from these corners: The right of confessing which has kinds. There is a right, you must declare it and if you decleare it, you must not return again such as rights of Allah "The Great and Almighty", these rights have not been kept off the suspicion as well as rights of human beings, because they are based on declaration.

But Allah's rights which have not been kept off the suspicion, so you must not declare them, because they are based on shelter and keeping off the suspicion. and if he confessed, is there condition for judgment be declaring it contiming on declaration, so his returning is dropped for punishment and his returning is not considered, then you have showed what it must be for the judge with the confessor and does he prompt him desistance in this kind firstly.

And what is the judgment, if the declaration confirmed with the proof (evidence), then he returned again or the action confirmed through the evidence after he confessed it, then her returned about his declaration.

As well as there is a third kind of the rights, which the two rights have gathered together, so in this case, desistance is effective in one not the other.

The research handeled these problems and it showed opinions of the legists and what is preference by me and other matters have a relationship with desistance from declaration, which I showed it comparison among opinions of the legists with mention evidences for every speech and showing more acceptable (preferable).

And Allah may give us success and help.

) - () ()

. قمت بإعداد المقدمة وذكرت فيها سبب اختياري للموضوع. ثم التمهيد: وذكرت فيه:

أولاً: تعريف الخشوع لغة، ثم تعريفه اصطلاحاً، واخترت ما رجحه ابن القيم: وهو قيام القلب بين يدي الرب بالخضوع والذل. وثانياً: حقيقته وهو: ما يقوم في النفس من التعظيم والمحبة والذل والانكسار لله تعالى، فيظهر عنه خشوع القلب والجوارح معاً، بما يلائم مقصود العبادة. وثالثاً: درجاته: وأنها على ثلاث درجات. ورابعاً: أهميته: فهو روح العبادة وسرها. وخامساً: أنواعه، فهو على نوعين: خشوع إيمان، وخشوع نفاق. وسادساً: أسبابه، وهي كثيرة، وبعضها تابع لبعض، ولكن أهمها: استحضار عظمة الله تعالى، والإقبال إليه بالفكر والقلب والجوارح، فيعبد الله كأنه يراه. وسابعاً: معانيه الواردة في القرآن الكريم وهي: التواضع، والخوف، وسكون الجوارح، والتذلل، واليبس. ثم الدراسة التفسيرية: وتناولت فيها آيات الخشوع مرتبة حسب ورودها في المصحف، فأذكر المعنى العام مستفيداً من بعض كتب التفسير، مع توضيح ما يحتاج إلى بيان، من معنى للكلمة الغريبة، وأصل للدلالة اللغوية. ثم أذكر ما تدل عليه الآية من هدايات ودلالات. ثم أذكر ما ورد في الآية من بعض لطائف التفسير، والمعاني والبلاغية، التي تعين على فهم المعنى، وبيان المراد. ثم قمت بعزو الآيات القرآنية، ذاكراً اسم السورة، ورقم الآية. ثم تخريج الأحاديث، مكتفياً بالصحيحين أو أحدهما، فإن لم يكن فمما وجدته في كتب السنة، مع الاجتهاد في بيان درجته من أقوال بعض أهل العلم. ولم أترجم للأعلام المشهورة. ثم ذكرت الخاقة ثم فهرس المصادر والمراجع. وبالله التوفيق.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

قال تعالى: ﴿ يَكَانِّهُا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ حَقَّ تُقَالِهِ وَلَا تَمُوثَنَ إِلَا وَأَنتُم مُسْلِمُونَ ﴾ (١) وقال تعالى: ﴿ يَكَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ مِن نَفْسٍ وَحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءٌ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَ لُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (١) وقال تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿ ﴾ يُصْلِحَ لَكُمْ أَعْمَلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمٌّ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولُهُ. فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (٣).

فقد أنزل الله تعالى كتابه الكريم بلسان عربي مبين على رسوله الأمين ﷺ ، ليكون دستوراً ومنهج حياة للمسلمين، كما كان عليه هدي الرسول صلى الله عليه وسلم، فلهم فيه صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة، فهو المبلغ عن ربه عز وجل، وهو النموذج القرآني البشري الذي يجب أن يقتدى به، فقد كان صلى الله عليه وسلم: خلقه القرآن(٥)، وقد أثنى الله تعالى عليه ﷺ بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾(٦). فحري بكل مسلم أن يلتزم بهذه القدوة الحسسنة ، كما قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَّرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾(٧). فإذا نظرنا إلى حال الصحابة الكرام رضى الله تعالى عنهم، ومن جاء بعدهم من السلف الصالح، نجد أنهم يعملون الخير ويجتهدون فيه، ومع ذلك قلوبهم وجلة وفرائصهم مرتعدة، لأنهم أيقنوا أنهم إلى ربهم راجعون، فتذكروا هول المطلع، وعظمة الموقف، ونظروا إلى أعمالهم وضآلتها، وجهودهم وقلتها، ثم هي لا تسلم من

⁽١) آل عمران: ١٠٢.

⁽٢) النساء: ١.

⁽٣) الأحزاب: ٧١،٧٠.

⁽٤) هذه خطبة الحاجة التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يستفتح بها خطبه ودروسه ومواعظه، وللشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ رسالة نافعة فيها فراجعها.

⁽٥) كما أخرجه مسلم في صحيحه ١٣/١، عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله تعالى عنها - في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم الحديث: ١٣٩.

⁽٦) القلم: ٣.

⁽٧) الأحزاب: ٢١.

خلل، فكان هذا الوجل طريقهم إلى الاطمئنان، والخوف سبباً للأمان، والإشفاق قائداً لرضا الرحمن، فهذه حال السلف الصالح: أعمال جليلة، وعبادة عظيمة، وخشوع متزايد، مع خوف ووجل وإشفاق وخشية، فكانوا بتوفيق الله تعالى لهم في زيادة عمل وإيمان ويقين. وقد صور الله تعالى حالهم بقوله ﴿ ٱلَّذِينَ يَخَشُونَ كَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴾ (٥). وقد قيل في وصف حالهم:

فهذا الخشوع والتذلل والانقياد الذي ظهر على جوارحهم ناشئ عن خشوع قلوبهم وذلها وانكسارها لله تعالى. وإذا نظرنا إلى حال كثير من الناس في هذا الزمان نجد أنهم على قلة في الطاعة، وتقصير في العبادة، ومخالفة للسنة، ومنادمة للخطيئة، وميل للشهوات، ثم لا عين تدمع، ولا قلب يخشع، ولا خوف يردع، ولا تذكر لهول المطلع، وهذا ناتج من ضعف إيمانهم بالله تعالى، وقلة مهابته وتعظيمه جل وعلا، ومع ذلك فقد يظهر عند هؤلاء خشوع على الجوارح تصنعاً وتكلفاً ورياءً، ولكن القلب غير خاشع، وهذا خشوع النفاق. وقد دفعني للبحث في هذا الموضوع أهميته العظيمة التي تتعلق بحياة الناس، وضبط سلوكهم، وما له من ارتباط بالثواب والعقاب، والقبول والرد، لإثارة داعي الرجاء والخوف عند الناس، لامتثال الأوامر واجتناب النواهي، وكذلك ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم عن حال الكثير من الناس، وأن هذا سيكون في هذه الأمة، حيث قال: (أول ما يرفع من الناس الخشوع)(١٠٠). فالمراد بالخشوع هنا: خشوع الإيمان الذي هو روح العبادةوسرها، وهو الخضوع أو السكون له سبحانه، أو معنىً يقوم في النفس يظهر عنه سكون الأطراف يلائم مقصود العبادة(١١١). وهذا الذي كان عليه صلى الله عليه وسلم، وصحابته الكرام رضى الله عنهم، والسلف الصالح رحمهم الله تعالى، حيث خشعت قلوبهم لله تعالى بالإجلال والوقار والمهابة والتعظيم والحياء. ومن خلال ما تقدم ندرك أن هذا الجانب الإيماني العظيم، وهو الخشوع، وما يترتب عليه من آثار حميدة، تُكْسِبُ النفسَ مهابة لله تعالى وإجلالاً وتعظيماً وحياءً، جدير أن يبحث لتعرف معانيه ومدلولاته وصفات أهله، بما يثمر عن نتائج إيجابية، ومعان سامية، يعود نفعها بإذن الله تعالى على الفرد والمجتمع، نفعنا الله تعالى بذلك.

⁽٨) الأنساء: ٤٩.

⁽٩) انظر التخويف من النار لابن رجب ص (٢٧)، فقد نسبه إلى ابن المبارك –رحمه الله تعالى -

⁽١٠) حسنه السيوطي كما ذكره المناوي في فيض القدير ٨٨/٣، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ١ /٥٠٣، رقم الحديث

⁽١١) انظر فيض القدير٣/٨٨، وفتح الباري ٢٦٤/٢.

وقد جاءت خطة البحث على النحو التالى:

- : وذكرت فيها سبب اختيار الموضوع.
 - : وذكرت فيه:
 - : تعريف الخشوع لغة واصطلاحاً.
 - : حقيقته.
 - : درجاته.
 - : أهميته.
 - : أنواعه.
 - : أسبابه.
 - : معانيه الواردة في القرآن الكريم.

: وتناولت فيها آيات الخشوع مرتبة حسب ورودها في المصحف.

.

.

وقد سرت في كتابة هذا البحث حسب المنهج الآتي:

- أذكر الآية الوارد فيها الخشوع فقط، وإذا رأيت أن لها ارتباطاً بسابقتها أو لاحقتها فإني أذكرهما معاً.
- أذكر المعنى العام مستفيداً من بعض كتب التفسير، مع توضيح ما يحتاج إلى بيان، من معنى للكلمة الغريبة، وأصل للدلالة اللغوية.
 - أذكر ما تدل عليه الآية من هدايات ودلالات.
 - أذكر ما ورد في الآية من بعض لطائف التفسير، والمعاني البلاغية، التي تعين على فهم المعني، وبيان المراد.
 - عزو الآيات القرآنية، ذاكراً اسم السورة، ورقم الآية.
- تخريج الأحاديث، مكتفياً بالصحيحين أو أحدهما، فإن لم يكن فمما وجدته في كتب السنة، مع الاجتهاد في بيان درجته من أقوال بعض أهل العلم.
 - لم أترجم للأعلام المشهورة.

وقد اجتهدت في بذل وسعي في جمع هذه المادة، مع الاعتراف بالتقصير، راجياً من الله سبحانه وتعالى أن ينفع بهذا البحث، وأن يكون سبباً لعبادة الله تعالى على بصيرة لمن كتبه وقرأه وسمعه. اللهم آمين. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين والتابعين لهم بإحسان.

ويشتمل على:

:

الخضوع، والتواضع، والتطامن. يقال: خشع يخشع خشوعاً واختشع، إذا خضع وتواضع وتطامن (١٢).

فعبارات العلماء فيه متقاربة (۱۳)، وقد اخترت منها ما اختاره ورجحه الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى، لأنه أجمعها، حيث قال: الخشوع: قيام القلب بين يدي الرب بالخضوع والذل (۱۲).

:

هو ما يقوم في النفس من التعظيم والمحبة والذل والانكسار لله تعالى، يظهر عنه سكون في الجوارح، يلائم مقصود العبادة. فلابد من اعتبار الأمرين، خشوع القلب، وخشوع الجوارح، حتى يكون ذلك من قبيل الخشوع المعتبر، لأن الخشوع محله القلب، و ثمرته على الجوارح، فهي تظهره. فالخشوع إذن يتضمن معنيين، أحدهما: التواضع والذل. والثاني: السكون والطمأنينة. وذلك مستلزم للين القلب المنافي للقسوة، فخشوع القلب يتضمن عبودية لله تعالى، وطمأنينته أيضاً. ولهذا كان الخشوع في الصلاة يتضمن هذا وهذا، التواضع والسكون. فالمؤمن الحق يتعبد الله تعالى بهذا الخشوع، فيصير مخبتاً لربه عز وجل، وقد انجلى صدره، وأشرقت فيه أنوار العظمة لله تعالى، وخمدت نيران شهوته، وسكن دخانها عن صدره. فمتى ما خشعت القلوب لربها عز وجل تضرعت لولاها، وتبع ذلك لهج الألسن بذكره، ودمع العيون، وخضوع الجباه، فيمتلئ هذا القلب بالإيمان بالله تعالى، فيكون دائماً على صلة بربه جل وعلا، فيستحضر مخافته وتعظيمه وإجلاله وتقديره كما ينبغي، فهو بهذا قد فيكون دائماً على صلة بربه جل وعلا، فيستحضر مخافته وتعظيمه وإجلاله وتقديره كما ينبغي، فهو بهذا قد تحقق في نفسه معنى: الله أكبر، فيعتقد يقيناً لا ادعاءً أن الله أكبر من كل شيء، ولا يكن حاله كحال أهل الغفلة الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿ وَمَا قَدُرُوا الله حَقَى قَدْرِه وَ الأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَ تُهُ. يَوْمَ الْقِيكُمةِ وَالسَّمَونَ مُ مَطِيتَكُ الله المنهاء عن عنه منه والمين الله تعالى عنهم: ﴿ وَمَا قَدُرُوا الله حَقَى قَدْرِه وَ الأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَ تُهُ. يَوْمَ الْقِيكُمةِ وَالسَّمَونَ مُ مَطْوِيكَتُكُ

⁽١٢) انظر الصحاح ١٢٠٤/٣ ، ومعجم مقايس اللغة ١٨٢/٢ ، ولسان العرب ٢٥٨/٢ ، مادة (خشع).

⁽١٣) انظر مجموع الفتاوى ٢٨/٧، ومدارج السالكين ٥٢١/١، وفتح الباري ٢٦٤/٢، وفتح القدير ٢٤٦/٥، والمعجم الصوفي ٢٣٦/٢، وآيات الخشوع في القرآن وأثرها في التربية (٢٣).

⁽۱٤) مدارج السالكين ١/١٥.

⁽١٥) الزمر: ٦٧.

⁽١٦) انظر مجموع الفتاوى ٢٨/٧، ومدارج السالكين ٢١/١٥-٥٢٢، والخشوع في الصلاة لابن رجب (١١ - ١٤)، وفتح الباري ٢٦٤/٢، وحقيقة الخشوع(٤٥ - ٤٧)، وأعمال القلوب (٣،٢).

وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي (۱۷): [ومن تمام خشوع العبد لله عز وجل وتواضعه له في ركوعِه وسجودِه أنه إذا ذلَّ لربه بالركوع والسجود وصف ربَّه حينتذ بصفات العزِّ والكبرياء والعَظَمَة والعلوِّ، فكأنه يقول: الذلُّ والتواضع وصفي، والعلو والعظمة والكبرياء وَصْفُكَ، ولهذا شُرع للعبد في ركوعه أن يقول: سبحان ربي العظيم، وفي سجوده سبحان ربي الأعلى الأعلى الأعلى العظيم، وفي سجوده سبحان ربي الأعلى الأعلى المناهدة والعظم العظيم، وفي سجوده سبحان ربي الأعلى المناهدة والعلم والعلم المناهدة والعلم المناهدة والعلم والمناهدة والعلم والعل

•

لا شك أن هذا المعنى يتفاوت عند الناس، فليسوا فيه على مستوى واحد، وقد قسم ابن القيم رحمه الله درجاته إلى ثلاث درجات:

: التذلل لأمر الله سبحانه وتعالى، مع الاستسلام لحكمه، والتواضع لنظره عز وجل. فيستسلم العبد لأمر ربه جل وعلا، وينقاد إليه ظاهراً وباطناً، مع إظهار الضعف والافتقار إلى الهداية للأمر قبل الفعل، والإعانة عليه حال الفعل، وينقاد لأحكامه القدرية والشرعية، فلا يتسخط ولا يعترض، ويتطامن ويتواضع بقلبه وجوارحه لله عز وجل، مستشعراً بذلك مراقبة الله تعالى، واطلاعه على جميع أحواله، ومحاسبته له. فإذا استشعر العبد مقام ربه عليه بالاطلاع والقدرة والربوبية، وتحقق خوفه من هذا المقام، وترسخ في قلبه قول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَخَافُ إِنَّ عَكَابَ يُومٍ عَظِيمٍ ﴾ (٢٠) أوجب له ذلك خشوع القلب لا محالة. وكلما كان العبد أشد استحضاراً لذلك كان أشد خشوعاً، فالعلم النافع هو ما باشر القلوب، فأوجب لها السكينة والخشية والإخبات والتواضع والانكسار لله عز وجل. وإذا لم يباشر القلبَ هذا العلمُ، وإنما كان على اللسان، فإن الخشوع يفارق القلب، فيغفل عن مراقبة الله تعالى له، و اطلاعه عليه، ومحاسبته له.

: ترقب آفات النفس والعمل، ورؤية فضل كل ذي فضل، فيرجع إلى نفسه باستشعار نقصها وضعفها وعيوبها وتقصيرها، وغير ذلك من عيوب النفس، ومفسدات الأعمال، فيحمله ذلك على الخشوع والتواضع لله تعالى. فأما في نظره إلى ذوي الفضل، فينظر إلى مناقبهم ومحاسنهم، فيثني عليهم، ويجتهد في منافستهم، ويراعي

⁽۱۷) هو الإمام الحافظ زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي الدمشقي الحنبلي، ولد في بغداد سنة ٢٣٦هـ، تتلمذ على أبيه، ولازم ابن القيم، ورحل في طلب العلم إلى مصر ومكة ودمشق، ومهر في فنون الحديث، وامتاز بسعة اطلاعه على أقوال المتقدمين، من أشهر تلاميذه ابن حجر العسقلاني، من مصنفاته: شرح الترمذي، ولطائف المعارف، والتخويف من النار، وفضل علم السلف على علم الخلف. توفي سنة ٢٩٥هـ. انظر إنباء الغُمر ١٧٦، ١٧٥، والبدر الطالع ٢٢٨/١.

⁽١٨) كما في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه ١/٥٣٦، ٥٣٧، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب (٢٧) رقم الحديث (٧٧٢).

⁽١٩) الخشوع في الصلاة (٢٨).

⁽٢٠) الأنعام: ١٥.

حقوقهم فيؤديها، ويشكر معروفهم، ويحفظ صنائعهم، فلا تضيع ولا تنسى، ولا يرى أن ما فعلوه من فضل إنما كان من حقه عليهم، بل ينسى فضل نفسه، فلا يرى أن له على أحد فضلاً، فلا يعاتب ولا يطالب، ولا يتشوق إلى رد المعروف الذي استشعره عليهم، فينظر إلى نفسه بعين النقص، وإلى غيره بعين الإكرام والإجلال، فمن ثم فإنه لا يتعالى على الخلق، ولا يجد له عليهم معروفاً ولا صنيعاً، وهذا من أكمل الكمالات.

: إخلاص أعماله لله عز وجل، وتصفية الوقت من مراءاة الخلق، وتجريد رؤية الفضل لله تعالى. فهو يجتهد ويجاهد نفسه بتصفية قلبه من النظر إلى المخلوقين، فلا يلتفت إليهم بعمله الصالح، ولا يعمل أعمالاً صالحة وقلبه يتشبث بهم ويتطلع إليهم، هذا مع بذل جهده في إخفاء أحواله عن المخلوقين، كخشوعه وذله وانكساره، لئلا يراها الناس فيعجبه اطلاعهم عليها، ورؤيتهم لها، فيفسد عليه وقته وقلبه وحاله مع الله عز وجل، ومع ذلك فهو قد جرد الفضل لله تعالى بهدايته وتوفيقه للخير، فلا يرى الفضل والإحسان إلا من الله عز وجل، فهو المانّ به، وليس هذا المخلوق الضعيف، كما قال تعالى ﴿ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنَّ هَدَىكُمْ لِلْإِيمَنِ إِن كُنتُمْ صَدِقِينَ ﴾ (٢١)(٢١).

لا شك أن هذا الموضوع في غاية الأهمية، فهو روح العبادة وسرها، ويدل على ذلك ورود ذكره مقترناً في أنواع العبادات، كالصلاة، حينما وصف الله تعالى المؤمنين في قوله: ﴿ قَدَ أَفَلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ١٠ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَشِعُونَ ﴾ (٢٣). فجعل هذا الوصف أول صفاتهم، لأنه يتعلق بأعظم العبادات، وبأعظم جوهر في هذه العبادة. وكذلك جاء ذكره مع شروط الصلاة، وأركانها، وأنه سبب في مغفرة الذنوب، في قوله صلى الله عليه وسلم: (خمس صلوات افترضهن الله تعالى، من أحسن وضوءهن وصلاهن لوقتهن وأتم ركوعهن وخشوعهن كان له على الله عهد أن يغفر له، ومن لم يفعل فليس له على الله عهد، إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه)(٢٠). وقال صلى الله عليه وسلم: (من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه)(٢٥). وكذلك اقترانه بفعل الخيرات والدعوات في قول تعالى: ﴿ وَزَكَرِتّا إِذْ نَادَكَ رَبُّهُ، رَبِّ لَا تَذَرِّنِي فَرَّدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَرِثِينَ ١٠٠٠

⁽٢١) الحجرات: ١٧.

⁽٢٢) انظر مدارج السالكين ١/٥٢٢ـ٥٢٤ ، والخشوع في الصلاة لابن رجب (١٦) ، والمعجم الصوفي ٦٣٧/٢ ، وأعمال القلوب (11-31).

⁽٢٣) المؤمنون: ١، ٢.

⁽٢٤) سنن أبي داود ٢٩٦/١، ٢٩٥، كتاب الصلاة، باب المحافظة على وقت الصلوات، الحديث رقم (٤٢٥). وانظر سنن ابن ماجة ٧ /٤٤٨، ٤٤٩، كتاب إقامة الصلاة، الحديث رقم (١٤٠١)، وقد صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٨٦/١. (٢٥) صحيح البخاري ٢٨/١، كتاب الوضوء، باب (٢٤)، وانظر صحيح مسلم ٢٠٥/١ كتاب الطهارة، رقم الحديث (٣).

فَاسَتَجَبِّنَا لَهُ وَوَهَبِّنَا لَهُ وَيَحْيِنَ وَأَصَّلَحْنَا لَهُ وَقِيهُ وَلِهُ صَلَى الله عليه وسلم: (ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة ، واعلموا أن الله لا وكان الله عليه وسلم: (ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة ، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه (٢٠٠٠)، وكان النبي على عليه وسلم يستعيذ من قلب لا يخشع (٢٠٠٠). وكذلك اقترانه بتلاوة القرآن ، كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّيْنَ أُوثُوا الْفِلْمَ مِن مَبْلِهِ ۗ إِذَا يُشَلَى عَلَيْمٍ مِيْرُونَ لِلْأَدْفَانِ سَجَدًا الله الله الله الله تعالى الله تعالى الله وكي وكذلك اقترانه بتلاوة في عير موضع من كتابه ، كما قال تعالى : ﴿ أَمُّ قَسَتُ قُلُوبُهُم قِلْوَهُم مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِى كَالْجِعَارَةِ أَوَ أَشَدُ قَسَوة القلوب المنافية للخشوع في غير موضع من كتابه ، كما قال تعالى : ﴿ أُمَّ قَسَتُ قُلُوبُهُم قِلْوَهُم مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِى كَالْجِعَارَةِ أَوَ أَشَدُ قَسَوة القلوب المنافية للخشوع في قوله تعالى الله تعالى استبطأ المؤمنين في تحقيق هذا الوصف ، فعاتبهم في عَلَيْهُم الأَمْدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُم قَرَيْكُم وَ الله تعالى استبطأ المؤمنين في تحقيق هذا الوصف ، فعاتبهم في عليهم الزمان بينهم وبين أنبيائهم فقست قلوبهم ، وخضوعها لذكر الله وما نزل من القرآن ، ونهاهم أن يكونوا كالذين طال عليه ، وأن يعمل بأسبابه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، ولهذا لما كان السلف الصالح من هذه الأمة أهل خشوع ، وإنابة عليه ، مكن الله تعالى لهم ، ورفع قدرهم ، وأعلى مكانتهم ، وخلد ذكرهم . (٢٣)

:

الصورة الظاهرة للخشوع تجعل المرء يتحد مع غيره ممن يتصف بهذه الصفة، إلا أن الأمر في الحقيقة يختلف من شخص لآخر، وذلك بسبب ما يقوم في القلب من الحقائق والدواعي، ومن هنا يتبين أن الخشوع على نوعين:

: وهو الخشوع الصادق، الخشوع الحقيقي، الذي أراده الله تعالى من عباده المؤمنين،

⁽٢٦) الأنساء: ٩٠،٨٩.

⁽٢٧) سنن الترمذي ٥١٧/٥، كتاب الدعوات، باب (٦٦)، الحديث (٣٤٧٩)، وقد صححه الألباني في سلسلة الأحاديث (٢٧) الصحيحة ١٤٣/٢، رقم الحديث (٥٩٤).

⁽٢٨) انظر سنن الترمذي ٥١٩/٥، كتاب الدعوات، باب (٦٩)، الحديث (٣٤٨٢)، وقد صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ١٦٥/٣.

⁽٢٩) الإسراء: ١٠٧، ١٠٩.

⁽٣٠) البقرة: ٧٤.

⁽٣١) الحديد: ١٦.

⁽٣٢) انظر معالم التنزيل ٣٧/٨، ومجموع الفتاوى ٢٨/٧-٣٠، ومدارج السالكين ٢/٠١، ٥٢٦، ٥٢٦، وعمارة المساجد المعنوية وفضلها (١٦)، والخشوع في الصلاة للدكتور محمد لطفي الصباغ (١٤- ١٦)، وأعمال القلوب (٨٥٥)، والخشوع لعبد الحكيم بلال (٣٤).

. .

وأمرهم به، وأحبه منهم، فانقادوا لأمره جل وعلا، فخشعت قلوبهم له عز وجل بالتعظيم والإجلال، والوقار والمهابة والحياء، وتبع ذلك خشوع جوارحهم، فتواطأت مع القلب في هذا الخشوع المحمود، الذي نشأ من مراقبة الله تعالى، واستحضار نظره إلى عبده، وعلموا يقيناً أن العبد متى ما كان أكثر استحضاراً لهذا المعنى فإن الخشوع يزيد في قلبه، وتظهر ثمرته على الجوارح بسبب هذه العبادة القلبية في جميع الأحوال، سواء في الصلاة أو في غيرها.

: وهو الخشوع الكاذب، الخشوع الادعائي المتكلف، وهو خشوع الظاهر دون مواطأة الباطن، الذي هو محله أصلاً، فلما فرغ الباطن من هذا الخشوع، لم ينتفع منه صاحبه، ولو ظهر على جوارحه، وتكلف له على سبيل النظر إلى الخلق من أجل تحصيل محمدتهم، وقد كان السلف الصالح يستعيذون من هذا النوع من الخشوع، لما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (تعوذوا بالله من خشوع النفاق. قالوا يا رسول الله: وما خشوع النفاق؟ قال: خشوع البدن ونفاق القلب) (٢٣٠). ومعلوم أنه إذا صلح القلب صلح الجسد كله، وليس إذا كان الجسد في عبادة يكون القلب قائماً بحقائقها. والأصل أن الخشوع من شأنه أن لا يُتكلف له، لكن قد يحصل أن العبد يتكلفه بجوارحه مع مجاهدة حضور قلبه من أجل الوصول إلى الخشوع، وهذا ليس بمذموم بشرط أن لا يظهر ذلك أمام الناس، بل يكون بعيداً عن نظرهم، ولا يلتفت إليهم بقلبه، ولا يحضر مجامعهم بهذا الفعل الذي يتصنع فيه الخشوع، حينما يتظاهر به، أو يتكلف له، أو يحاول البكاء لتحصيله، فهذا من باب المجاهدة للنفس والشيطان، لترويض النفس على الخشوع لله عز وجل (٢٣٠).

:

لعل من أهم أسباب الخشوع ما يأتي:

1- استحضار العبد عظمة الله تعالى، والإقبال إليه جل وعلا بالفكر والقلب والجوارح، فيعبد الله تعالى كأنه يراه.

٢- تلقي أوامر الله تعالى بالقبول والامتثال، وعدم معارضتها بشهوة أو شبهة أو رأي.

٣- الحرص على الإخلاص، وإخفاء الأعمال عن الخلق قدر المستطاع، ومطالعة عيوب النفس، ونقائص الأعمال ومفسداتها، من الكبر والعجب والرياء وضعف الصدق، والاعتراف بالتقصير في إكمال العمل وإتمامه.

٤- استحضار تفاهة الدنيا، ومعرفتها على حقيقتها، والحرص على أكل الحلال، ففيه ترقيق للقلب،
 وجلب للخشية، وقرب من الرب جل وعلا، وإجابة للدعوة.

(٣٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٣٦٤/٥، رقم الحديث ٦٩٦٧.

⁽٣٤) انظر مجموع الفتاوى ٣٦٨،٣٦٧/٧، ومدارج السالكين ٥٢١/١، وزاد المعاد ١٨٥/١، والروح (٢٣٢)، والحشوع في الصلاة لابن رجب (١٤،١٣)، والحشوع في الصلاة للدكتور محمد لطفي الصباغ (١٨،١٩)، وأعمال القلوب (١٩-١٩)، وآيات الحشوع في القرآن وأثرها في التربية (١١٥-١٨٠).

- ٥- الإكثار من ذكر الموت، ومحاسبة النفس، وتذكر الموقف والمقام بين يدى الله تعالى.
 - ٦- الإشفاق من رد الأعمال، وعدم قبولها، والتوازن بين الخوف والرجاء.
- الاعتراف بفضل الله تعالى وإحسانه، والحياء منه ؛ لاطلاعه على تفاصيل ما في القلوب، وإظهار الضعف والافتقار إليه، والتعلق به دون غيره سبحانه، مع طلب هدايته وتوفيقه وتسديده.
- ۸- معرفة الله جل جلاله بأسمائه الحسنى وصفاته العلا ، والتزود من العلم الشرعي الذي يورث الرجاء والخوف من الله تعالى ، ويجلب محبته والثقة بما عنده.
- 9- معاودة التوبة مرة بعد مرة ، كما كان عليه هدي النبي روالله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة) (٣٥) ، ولقوله رواله وأيه الناس توبوا إلى الله ، فإني أتوب في اليوم إليه مائة مرة) (٣١) ، فالتوبة تجب ما قبلها ، وتصفي القلب ، وتجعله شفافاً رقيقاً ، وتعين على الخشوع.
- ۱۱- الإقبال على كتاب الله الكريم، مع تعاهد التلاوة، وإدامة النظر، وطول التأمل، وكثرة التدبر، الذي يورث الصلة بالله تعالى، والمسارعة في الطاعات، واستباق الخيرات، وهو الأمر الذي لأجله أنزل الله تعالى القرآن الكريم (٢٠٠).

:

يأتي الخشوع في القرآن على خمسة أوجه: التواضع، والخوف، وسكون الجوارح، والتذلل، واليبس^(٢٨). : الخشوع بمعنى التواضع، كقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةُ إِلَّا عَلَى ٱلْخَشِعِينَ ﴾ (٢٩) أي: المتواضعين (٢٠٠٠).

⁽٣٥) كما أخرجه البخاري في صحيحه ١٤٥/٧ ، كتاب الدعوات باب (٣).

⁽٣٦) كما أخرجه مسلم في صحيحه ٢٠٧٦، ٢٠٧٦، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه، رقم الحديث (٤٢).

⁽٣٨) نص على الوجوه الأربعة الأولى الإمام الدامغاني في كتابه الوجوه والنظائر (١٥٨)، أما الوجه الخامس فذكره مجموعة من المفسرين: كما في تفسير الطبري ١٢٢/٢٤، وتفسير البغوي ١٧٥/٧، وتفسير القرطبي ٣٦٥/١٥، وتفسير النسفي ٣٨٠/٤، واللباب ١٤٤/١٧، وفتح القدير ١٨/٤.

⁽٣٩) البقرة: ٤٥.

⁽٤٠) انظر تفسير الطبري ٢٦١/١، وتفسير الخازن ٥٦/١، وتفسير ابن كثير ٨٨/١.

: الخشوع بمعنى الخوف، كقوله تعالى: ﴿ وَكَانُواْ لَنَا خَشِعِينَ ﴾ ((١) أي: خائفين (٢١).

: الخشوع بمعنى سكون الجوارح، ورمي البصر إلى موضع السجود، كقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهُمْ خَشِعُونَ ﴾ (٢٠) أي: ساكنون (٢٠٠).

: الحشوع بمعنى الذل والتذلل، كقوله تعالى: ﴿ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصَّوَاتُ لِلرَّمْمَانِ ﴾ (١٤٠٠). وبمعنى ذليلة، كقوله تعالى: ﴿ وَخَشَعَةً أَبْصَرُهُمْ نَرَهَفَهُمْ ذِلَةٌ ﴾ (١٠٠٠)، وقوله تعالى: ﴿ خَشِعَةً أَبْصَرُهُمْ نَرَهَفَهُمْ ذِلَةٌ ﴾ (١٠٠٥)، وقوله تعالى: ﴿ خُشَعًا أَبْصَرُهُمْ ﴾ (٢٠٥٥).

: الخشوع بمعنى اليبس، كقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَكِنِهِ عَ أَنَكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ أَهْتَزَتْ وَرَبَتْ ﴾ (٥٣) أي: يابسة (٥٤).

قوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِالصَّهْرِ وَالصَّلَوَةَ وَإِنَهَا لَكَبِيرَةُ إِلَّا عَلَى ٱلْخَشِعِينَ ۞ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَهُم مُلَقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَجِعُونَ ﴾ (٥٥٠).

⁽٤١) الأنساء: ٩٠.

⁽٤٢) انظر تفسير البغوي ٥/٣٥٣، وتفسير الخازن ٢٢١/٤، وتفسير ابن كثير ١٩٣/٣.

⁽٤٣) المؤمنون: ٢.

⁽٤٤) انظر تفسير الطبري ٢/١٨، وتفسير ابن كثير ٢٣٨/٣، وتفسير الدر المنثور ٦/٨٥.٨٠.

⁽٤٥) طه: ۱۰۸.

⁽٤٦) انظر تفسير البغوي ٢٩٥/٥، وتفسير الخازن ٢٨٠/٤، وتفسير السعدي (٥١٣).

⁽٤٧) الغاشية: ٢.

⁽٤٨) انظر تفسير الطبري ١٦٠/٣٠ ، وتفسير الخازن٧٧/٧٧ ، وتفسير ابن كثير٤/٢٠٥.

⁽٤٩) القلم: ٤٣.

⁽٥٠) انظر تفسير الطبري ٢٩/٢٩ ، وتفسير الخازن ١٤٠/٧.

⁽٥١) القمر: ٧.

⁽٥٢) انظر تفسير الطبري ٨٩/٢٧، وتفسير الخازن ٢٧٤/٦، وتفسير ابن كثير ٢٦٣/٤.

⁽٥٣) فصلت: ٣٩.

⁽٥٤) انظر تفسير الطبري ١٢٢/٢٤ ، وتفسير البغوي ١٧٥/٧ ، وتفسير القرطبي ٣٦٥/١٥ ، وتفسير النسفي ٣٨٠/٤ ، واللباب ١٤٤/١٧ ، وفتح القدير ٥١٨/٤ .

⁽٥٥) البقرة: ٤٦،٤٥.

يعني بقوله جل ثناؤه: ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلَوْةَ ﴾ استعينوا على الوفاء بعهدي الذي عاهدتموني في كتابكم، من طاعتي واتباع أمري، وترك ما تهوونه من الرياسة وحب الدنيا، إلى ما تكرهونه من التسليم لأمري، واتباع رسولي محمد ﴿ ، بالصبر عليه وبالصلاة، ففيهما المعونة العظيمة على كل أمر من الأمور، فأمرَ الله جل ثناؤه الذين وصفَ أمرهم من أحبار بني إسرائيل أن يجعلوا مفزعهم في الوفاء بعهد الله الذي عاهدوه إلى الاستعانة بالصبر والصلاة، كما أمر نبيه محمداً ﴿ بني بنلك، فقال له: ﴿ فَأَصْبِرَ ﴾ يا محمد ﴿ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَيِّحُ بِحَمِّدِ رَبِّكَ فَبَل طُلُوعٍ ٱلشَّمْسِ وَقَبْل غُرُومٍ أَوْمِنْ ءَانَا يِي ٱليَّل فَسَيِّحُ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴾ (٥١)، فالأمر للنبي ﴿ بالفزع إلى الصبر والصلاة في نوائبه، لأنهما من أكبر العون على الثبات في الأمر.

وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةُ إِلَّا عَلَى ٱلْخَشِعِينَ ﴾ لشديدة و ثقيلة وشاقة إلا على الخاضعين لطاعته، الخائفين سطواته، المصدقين بوعده ووعيده، فإنها سهلة عليهم خفيفة ؛ لأن الخشوع، وخشية الله، ورجاء ما عنده يوجب لهم فعلها منشرحة بها صدورهم، لترقبهم الثواب، وخشيتهم من العقاب، بخلاف من لم يكن كذلك، فإنه لا داعي له يدعوه إليها، وإذا فعلها صارت من أثقل الأشياء عليه والخشوع هنا هو: خضوع القلب وطمأنينته، وسكونه لله تعالى، وانكساره بين يديه، ذلا وافتقارا، وإيمانا به وبلقائه.

فمعنى الآية: واستعينوا أيها الأحبار من أهل الكتاب بحبس أنفسكم على طاعة الله، وكفها عن معاصي الله، وبإقامة الصلاة المانعة من الفحشاء والمنكر، المقربة من مراضي الله، العظيمة إقامتها، إلا على المتواضعين لله، المستكينين لطاعته، المتذللين من مخافته.

والظاهر أن الآية وإن كانت خطابًا في سياق إنذار بني إسرائيل، فإنهم لم يقصدوا بها على سبيل التخصيص، وإنما هي عامة لهم ولغيرهم. والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿ اللَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَهُم مُّلَقُوا رَبِّهِم ﴾ هذا من تمام الكلام الذي قبله، أي: وإن الصلاة لثقيلة إلا على الخاشعين الذين أيقنوا أنهم ملاقو ربهم، فهم يعلمون أنهم محشورون إليه يوم القيامة، معروضون عليه جل وعلا.

وقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَجِعُونَ ﴾ أي: أمورهم راجعة إلى مشيئته، يحكم فيها بما يشاء سبحانه. فلهذا لما أيقنوا بالمعاد والجزاء سَهُل عليهم فعلُ الطاعات، وترك المنكرات، و التسلي في المصيبات، فهؤلاء لهم النعيم المقيم في الغرفات العاليات. وأما من لم يؤمن بلقاء ربه، كانت الصلاة وغيرها من العبادات من أشق شيء عليه (٥٧).

⁽٥٦) طه: ١٣٠.

⁽۵۷) انظر تفسير الطبري ٢/٢٥٩/١، وتفسير البغوي ٨٩/١، و تفسير الخازن ٥٦،٥٥١، وتفسير ابن كثير ١/٨٨،٨٧، وفتح القدير ٨١ـ٧٨/١ وتفسير السعدي (٥١).

العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب إلا إذا ورد ما يخصص ذلك بشخص أو طائفة أو مكان أو زمان أو حادثة.

۲- الواجب على الإنسان أن يؤثر الحق الذي يعلمه على ما يتمتع به بما يوافق شهوته وهواه، فاليهود خوطبوا بذلك حيث كانوا يعلمون صدق نبوة محمد # ويتحرون بعثته.

٣- المبادرة إلى اتخاذ القرار الشجاع، والدخول في موكب الإيمان، بكل قوة وشجاعة، وتجرد لله عز وجل،
 واستعانة بالصبر والصلاة.

٤- مشروعية الاستعانة على صعاب الأمور وشاقها بالصبر والصلاة.

الموقنين بلقائه المبادرة كبيرة وشاقة، إلا على الخاشعين الخاضعين لله عز وجل، العاملين بتقواه، الموقنين بلقائه والرجعة إليه سيحانه.

٨- فضيلة الخشوع والتطامن لله تعالى، وذكر الموت، والرجوع إلى الله تعالى للحساب والجزاء.

٩- الخشوع في الصلاة وسائر العبادات من أهم سمات المؤمن، وقوة إيمانه.

⁽٥٨) آل عمران: ٢٠٠.

⁽٥٩) ص: ١٧.

⁽٦٠) أخرجه أبو داود في سننه ٧٨/١، كتاب الصلاة باب (٣١٢) الحديث (١٣١٩)، وأحمد في مسنده ٧٨/٥، وقد حسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٢٤٥/١.

• ١٠ اليقين بلقاء الله تعالى هو مناط الخضوع له سبحانه و تعالى، والعمل بتقواه، والصبر على مجاهدة النفس، ومنعها من تطاولها، وترك حظوظها، وقمعها عن شهواتها. (٦١)

قدم الصبر على الصلاة لأن تأثير الصبر في إزالة مالا ينبغي، وتأثير الصلاة في حصول ما ينبغي، والله أعلم. وفي التعبير هنا برد الكناية إلى الصلاة لعظم شأنها، أو لأنها أعم، كقوله تعالى: ﴿ وَٱلّذِينَ يَكُنِرُونَ ٱلذَّهَبَ وَلَا يُنفِقُونَهَا ﴾ (١٦) فقد رد الكناية إلى الفضة لأنها أعم، وقيل: رد الكناية إلى الصلاة لاشتمالها على ضروب من الصبر، أو لأن الصبر داخل فيها، كما قال الله تعالى: ﴿ وَٱللّهُ وَرَسُولُهُۥ أَحَقُ أَن يُرْضُوهُ ﴾ (١٦)، ولم يقل يرضوهما، لأن رضا الرسول داخل في رضا الله. والتعبير بالكبيرة هنا إشارة إلى المهمة الصعبة التي تشق على النفوس، وإطلاق الكبر على الأمر الصعب والشاق مجاز مشهور في كلام العرب، لأن المشقة من لوازم الأمر الكبير في حمله أو تحصيله، قال تعالى: ﴿ وَإِن كَانَتُ لَكِيرَةً إِلّا عَلَى ٱلّذِينَ هَدَى ٱللّهُ ﴾ (١٤)، وقال: ﴿ وَإِن كَانَ كُبُر عَلَى ٱلْمُورِينَ مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ﴾ (١٠)، وقال تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ﴾ (١٠)، وقال تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ﴾ (١٠).

⁽٦١) انظر تفسير القرطبي ٣٧١/١ ٣٧٤ـ، وصفوة التفاسير ٥٦/١، وأيسر التفاسير ٤٤/١، وآيات الخشوع في القرآن وأثرها في التربية (١٦٥،١٥٩).

⁽٦٢) التوبة: ٣٤.

⁽٦٣) التوبة: ٦٢.

⁽٦٤) البقرة: ٦٤٣.

⁽٦٥) الأنعام: ٣٥.

⁽٦٦) الشورى: ١٣.

⁽٦٧) الكهف: ٥٣.

⁽٦٨) البقرة: ٤.

⁽٦٩) انظر تفسير البغوي ١/٨٩، وتفسير القرطبي ٣٧٦-٣٧٦، واللباب ٣٢/٢، وتفسير القاسمي ١١٩/٢، وأضواء البيان ١/٥٧، والتحرير والتنوير ١/٤٧٧.

قول تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِأُللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهُمْ وَمَاۤ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشُتَرُونَ بِعَلْمَ وَمَاۤ أُنزِلَ إِلَيْهُمْ خَشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشُتَرُونَ بِعَايَتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً ۗ أُوْلَيْهِ كَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ إِن كَ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ (٧٠).

يخبرُ تعالى عن طائفة من أهل الكتاب أنهم يؤمنون بالله حق الإيمان، ويقرّون بوحدانيته، وبما أنزل على محمد همع ما هم يؤمنون به من الكتب المتقدمة، وأنهم خاشعون لله، خاضعون له بالطاعة، متذللون بين يديه، مستكينون له بها، غير مستكبرين. ومن تمام خشيتهم لله أنهم ﴿ لاَ يَشْتَرُونَ بِعَايَتِ اللّهِ ثَمَنَا قليلًا ﴾ أي: لا مستكينون له بها، غير مستكبرين. ومن تمام خشيتهم لله أنهم ﴿ لاَ يَشْتَرُونَ بِعَايَتِ اللّهِ ثَمَنَا قليلًا ﴾ أو الحق يكتمون ما بأيديهم من العلم، لأجل الرئاسة وحظوظ النفس، كما فعلته الطائفة المرذولة منهم، بل آثروا الحق وبينوه، ودعوا إليه، فلم يكتموا ما بأيديهم من البشارات بمحمد ﴿ وذكر صفته ونعته ومبعثه وصفة أمته، وهؤلاء هم خيرة أهل الكتاب وصفوتهم، سواء كانوا هودًا أو نصارى، وقد قال تعالى: ﴿ النّينَ عَائِمُمُ مَرَيَّيْ بِمَا صَبَرُوا ﴾ فيورون وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ مَنْ اللّهِ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللهُ الللهُ الللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ الله

وقوله تعالى: ﴿ أُولَكِمْكَ لَهُمْ أَجُرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ أي: هؤلاء الذين يؤمنون بالله وما أنزل إليكم وما أنزل اليهم وما أنزل اليهم وما أنزل اليهم وما أنزل اليهم اليهم لم عوض أعمالهم التي عملوها، وثواب طاعتهم لربهم، فيما أطاعوه فيه، فيدخر ذلك سبحانه وتعالى عنده، حتى يصيروا إليه في القيامة، فيوفيهم إياه، ﴿ إِثَ اللهَ سَرِيعُ ٱلْمِسَابِ ﴾ فلا يستبطؤون ما وعدهم الله، بل هم على يقين أن ما عند الله خير وأبقى، وأن الله لا يضيع أجرمن أحسن عملا (٢٣).

- ١- الإيمان بالله تعالى هو المطلب الذي من أجله أنزلت الكتب وأرسلت الرسل.
 - من انقاد لشرع الله خضع لأمره، وتذلل بين يدي ربه جل وعلا.

⁽۷۰) آل عمران: ۱۹۹.

⁽٧١) القصص: ٥٤.٥٢.

⁽٧٢) الإسراء: ١٠٩ـ١٠٧.

⁽٧٣) انظر تفسير الطبري ٢١٨/٤.، وتفسير البغوي ١٥٥/٢، و تفسير الخازن ٢١/١٪، وتفسير ابن كثير ٢٦٤١، ٤٤٤، ووقتح القديرا /٤١٤، وتفسير السعدي (١٦٢).

- ٣- الإيمان الحق مانع لصاحبه من التحريف لآيات الله، ولا يشتري بها ثمناً قليلاً، فلا يفعل كما فعل
 الأحبار والرهبان، لقاء أعراض الدنيا الرخيصة.
- ٤- من أهل الكتاب من سلك الطريق المستقيم، وانتهى إلى النهاية المحمودة، فآمن بالكتاب كله، ولم يفرق بين أحد من رسله.
 - ٥- شرف مؤمني أهل الكتاب، وبشارة القرآن لهم بالجنة.
- ٦- المؤمن الحق من أهل الكتاب يؤتى أجره مضاعفاً ، كما قال تعالى : ﴿ أُولَكِيكَ يُؤَقِنَ أَجَرَهُم مَّرَيَّيْنِ بِمَا صَبَرُوا ﴾ (٧٤).
- ٧- سرعة حسابه تعالى لخلقه، ونفوذ علمه لجميع الأشياء، فهو عالم بما يستحقه كل عامل من الأجر، من غير حاجة إلى تأمل (٥٧).

إذا تأملنا هذه الآية نجد أن قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ﴾ جملة مستأنفة سيقت لبيان أن أهل الكتاب ليس كلهم كمن حكيت هناتهم من نبذ الميثاق وتحريف الكتاب وغير ذلك، بل منهم من له مناقب جليلة. والتعبير بمن الموصولة في: ﴿ لَمَن يُؤْمِنُ ﴾ والإتيان بها مستقبلة وإن كان ذلك قد مضى دلالة على الاستمرار والدوام.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ ﴾ قدم سبحانه ذكر إيمانهم بالقرآن على إيمانهم بما أنزل إليهم من الكتابين، مع أن الأمر بالعكس في الوجود، لأن القرآن مهيمن عليهما، فإن إيمانهم بهما إنما يعتبر بتبعية إيمانهم به، إذ لا عبرة بأحكامهما المنسوخة، وما لم ينسخ منها إنما يعتبر من حيث ثبوته في القرآن.

وقوله تعالى: ﴿ خَشِعِينَ لِلَّهِ ﴾ حال من فاعل يؤمن، والجمع باعتبار المعنى.

وقوله تعالى: ﴿ لَا يَشَّتَرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنَ اللَّهِ ثَمَنَ اللَّهِ تَمَنَ اللَّهِ تَمَنَ اللَّهِ وَمَنَ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ مَنَ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَالَى اللَّهُ عَلَى اللْعُلِمُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى الْعَلَى اللَّهُ عَلَى الْعَلَى الْعَلَى عَلَى عَلَى عَلَى الْعَلَى عَلَى الْعَلَا عَلَى عَلَى الْعَلَى عَلَى الْعَلَى عَلَى الْعَلَا عَلَى الْعَلَا عَلَى الْعَا

⁽٧٤) القصص: ٥٤.

⁽۷۵) انظر تفسير أبي السعود ۱۳٦/۲ ، و حاشية الجمل على الجلالين ٢/٠٥٠، وصفوة التفاسير ٢/٢٥٣، ٢٥٣، وايسر التفاسير ٣٦٢/١.

. .

وقوله تعالى: ﴿ أُولَتِكَ ﴾ إشارة إليهم من حيث اتصافهم بما عد من صفاتهم الحميدة، وما فيه من معنى البعد، للدلالة على علو رتبتهم، وبعد منزلتهم في الشرف والفضيلة.

وقوله تعالى: { عِنْدَ رَبِّهِمْ } نصب على الحالية من: ﴿ أَجُرُهُمْ ﴾ ، والمراد به التشريف كالصفة. والتعبير بالسرعة في: ﴿ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ كناية عن سرعة وصول الموعود به إليهم (٢٦).

قول به تعالى: ﴿ قُلُ عَامِنُواْ بِهِ ۚ أَوْلَا تَوُمِنُواْ إِهِ ۚ أَوْلَا تَوُمِنُواْ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ ۚ إِذَا يُتَلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُونَ لِلْأَذْقَانِ سَجَدًا ﴿ آَ وَيَعُولُونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيُزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ (٧٧).

⁽٧٦) انظر الدر المصون ٥٤٩/٣، وتفسير أبي السعود ١٣٦/٢، و حاشية الجمل على الجلالين ٥٠/١، وصفوة التفاسير ٢٥٤/١.

⁽۷۷) الإسراء: ۱۰۹،۱۰۸،۱۰۹.

⁽٧٨) الإسراء: ٩٠

⁽۷۹) محمد: ۱۷.

⁽۸۰) مریم: ۵۸.

⁽۸۱) انظر تفسير الطبري ۱۸۰/۱۸۰، وتفسير البغوي ۱۳٦/۵، و تفسير الخازن ۱۸۸/۱، ۱۸۹، وتفسير ابن كثير ۱۸/۳، وفتح القدير ۲۲٤/۳، وتفسير السعدي (٤٦٨).

- ١- من منهج القرآن التهديد والوعيد لمن يستحقه.
- ٢- إيمان المشركين بهذا القرآن لا يزيده كمالاً، وتكذيبهم له لا يورثه نقصاً.
 - ٣- العلم الحق هو ما جاء من عند الله.
- ٤- ظهور أثر القرآن على العلماء الصالحين من أهل الكتاب، حيث خروا سجداً لله رب العالمين.
 - 0- المؤمن الحق ينزه الله تعالى عما لا يليق به.
 - ٦- وعد الله كائن لا محالة.
 - ٧- مشروعية الخضوع لله تعالى والتواضع له.
- ٨- الإخبار عن المؤمنين أنهم عندما يسمعون القرآن لا يسجدون فحسب بل يخرون يبكون، ويزيدهم سماع القرآن وتلاوته خشوعاً في قلوبهم، واطمئناناً في جوارحهم، لأنه الحق سمعوه من ربهم جل وعلا(٨٢).

إذا تأملنا في هذه الآيات نجد أنها استئناف خطاب للنبي ﷺ ليلقنه بما يقوله للمشركين الذين لم يؤمنوا بأن القرآن منزل من عند الله، وقوله تعالى: ﴿ عَامِنُواْ بِهِ اَوْلا تُوْمِنُواْ ﴾ للتسوية بين إيمانهم وعدمه عند الله تعالى. وهو كناية عن الإعراض عنهم واحتقارهم وقلة المبالاة بهم، ويندمج فيه مع ذلك تسلية الرسول ﷺ وجملة ﴿ إِنَّ اللَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْم ﴾ تعليل لمعنى التسوية بين إيمانهم به وعدمه. وموقع (إنّ) فيها موقع فاء التفريع، أي إنما كان إيمانكم بالقرآن وعدمه سواء لأنه مستغن عن إيمانكم به بإيمان الذين أوتوا العلم من قبل نزوله. فهم أرجح منكم أحلاما، وأفضل مقاما، وهم الذين أوتوا العلم، فإنهم يسمعونه ويؤمنون به، ويزيدهم إيمانا بما في كتبهم من الوعد بالرسول الذي أنزل هذا عليه.

وفي هذا تعريض بأن الذين أعرضوا عن الإيمان بالقرآن جهلة وأهل جاهلية.

وأصل اللام في ﴿ لِلَّذْقَانِ ﴾ أنها استعارة تبعية. استعير حرف الاختصاص لمعنى الاستعلاء، للدلالة على مزيد التمكن كتمكن الشيء بما هو مختص به وذكر الذقن للدلالة على تمكينهم الوجوه كلها من الأرض من قوة الرغبة في السجود لما فيه من استحضار الخضوع لله تعالى.

⁽۸۲) انظر صفوة التفاسير ۱۷۹/۲، وأيسر التفاسير ۲،۹۳۰.

. .

وقوله تعالى: ﴿ شَجَّدًا ﴾ لبيان الغرض من هذا الخرور. وسجودهم سجود تعظيم لله عند مشاهدة آية من دلائل علمه، وصدق رسله، وتحقيق وعده. وعطفت ﴿ وَيَقُولُونَ سُبَحَن رَبِنا آ ﴾ على ﴿ يَحْرُونَ ﴾ للإشارة إلى أنهم يجمعون بين الفعل الدال على الخضوع والقول الدال على التنزيه والتعظيم. ونظيره قوله تعالى: ﴿ خَرُواْ سُجَدًا وَسَبَحُواْ بِحَمْدِرَيِّهِم ﴾ (١٨٠). على أن في قولهم: ﴿ سُبَحَن رَبِنا آ ﴾ دلالة على التعجب والبهجة من تحقق وعد الله في التوراة والإنجيل بمجيء الرسول الخاتم ﴿ وجملة ﴿ إِن كَانَ وَعَدُ رَبِنا لَمَفْعُولا ﴾ من تمام مقولهم. وهو المقصود من القول، لأن تسبيحهم قبله تسبيح تعجب واعتبار بأنه الكتاب الموعود به وبرسوله في الكتب السابقة. وقوله تعالى: ﴿ وَيَخِرُونَ لِلاَّذَقَانِ يَبَكُونَ ﴾ الخرور المحكي بالجملة الثانية هو الخرور الأول، فذكر مرتين اهتماما بما صحبه من علامات الخشوع. وذكر ﴿ يَبَكُونَ ﴾ بصيغة المضارع لاستحضار الحالة. والبكاء بكاء فرح وبهجة، فيزيدهم القرآن خشوعا على خشوعهم الذي كان لهم من سماع كتابهم (١٨٠).

قوله تعالى: ﴿ يَوْمَبِدِ يَتَبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَانِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾ (٨٥).

يبين تعالى حال الناس حينما يبعثون من قبورهم ويدعوهم الداعي إلى الحضور والاجتماع للموقف، فيستجيبون مسارعين إلى صوت داعي الله الذي دعاهم لموقف القيامة، فيحشرهم إليه فلا عوج لهم عنه ولا ميل ولا انحراف، فلا يزيغون عنه يمينا وشمالا، ولا يقدرون عليه، بل يتبعونه سراعا، فيؤمونه ويأتونه انتظاراً لحكم الرحمن فيهم.وهذا كما يقال في الكلام: دعاني فلان دعوة لا عوج لي عنها: أي لا أعوج عنها.

وقوله تعالى: ﴿ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصُواتُ لِلرَّمْنِ ﴾ أي: سكنت، وذلت، وخضعت أصوات الخلائق للرحمن من شدة الفزع، فوصف الأصوات بالخشوع، والمعنى لأهلها، حيث خضع جميعهم لربهم، فلا تسمع لناطق منهم منطقا إلا من أذن له الرحمن.

(٨٣) السجدة: ١٥.

⁽٨٤) انظر التحرير والتنوير ١٥/٢٣٢_٢٥٥.

⁽۸۵) طه: ۱۰۸

وقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَسَمّعُ إِلّا هَمْسًا ﴾ يعني صوتاً خفياً، ووطء الأقدام. و"الهمس": أصله: الصوت الخفي، وهو تحريك الشفاه من غير نطق، كصوت أخفاف الإبل في المشي، يقال همس فلان إلى فلان بحديثه، إذا أسره إليه وأخفاه. (٢٦) والمراد: سعي الناس إلى المحشر، وهو مشيهم في سكون وخضوع. وأما الكلام الخفي فقد يكون في حال دون حال، حيث قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلّمُ نَفْشُ إِلّا بِإِذْنِهِ وَفَعِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ (٨٥، ٨٥).

١ ـ تقرير مبدأ البعث.

٢ ـ المسارعة في إجابة داعى الله الذي يدعوهم لأرض الحشر، فلا يزيغون عنه، ولا ينحرفون.

٣ - جلال الحي القيوم يغمر النفوس في ذلك الموقف فتذل وتسكن هيبةً للرحمن جل وعلا.

٤ من أثر هذه المهابة في نفوس الخلائق في ذلك اليوم أنه لا يسمع لأصواتهم إلا همسا(١٩٩).

إذا تأملنا في هذه الآية نجد أن جملة: ﴿ يَتَبِعُونَ ٱلدَّاعِي ﴾ في معنى المفرعة على جملة ﴿ يَنسِفُهَا ﴾ (١٠)، وه يَوْمَبِذِ ﴾ ظرف متعلق بـ ﴿ يَتَبِعُونَ ٱلدَّاعِي ﴾ ، وقدم الظرف على عامله للاهتمام بذلك اليوم ، وليكون تقديمه قائما مقام العطف في الوصل ، أي يتبعون الداعي يوم ينسف ربك الجبال ، أي إذا نسفت الجبال نودوا للحشر فحضروا يتبعون الداعي لذلك.

والمصدر المنفي أريد منه نفي جنس العوج في اتباع الداعي، بحيث لا يسلكون غير الطريق القويم، أو لا يسلك بهم غير الطريق القويم، أو بحيث يعلمون براءة رسولهم من العوج. ويوجد بين قوله تعالى: {لا تَرَى فِيهَا عِوَجًا } (٩١٩) وقوله تعالى: ﴿ لَا عَوَجَ لَهُ مُ مراعاة النظير، فكما جعل الله الأرض يومئذ غير معوجة ولا ناتئة كما قال: ﴿ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴾ كذلك جعل سير الناس عليها لا عوج فيه ولا مراوغة.

⁽٨٦) انظر الصحاح ٩٩١/٣ ، ومعجم مقاييس اللغة ٢٦/٦ ، مادة: همس.

⁽۸۷) هو د: ۱۰۵.

⁽۸۸) انظر تفسير الطبري ۲۱۵،۲۱۶، وتفسير البغوي ۲۹۵/۵، و تفسير الخازن ۲۸۱،۲۸۰، وتفسير ابـن كـثير (۸۸) انظر تفسير الطبري ۳۸۷/۳، وتفسير السعدي (۵۱۳).

⁽٨٩) انظر تفسير القرطبي ٢٤٧، ٢٤٦، ٢٤٧، و صفوة التفاسير ٢٤٨/٢، وأيسر التفاسير ٧٨/٣.

⁽۹۰) طه: ۱۰۵

⁽۹۱) طه: ۱۰۷.

⁽٩٢) النازعات: ١٤.

. .

والخشوع: الخضوع، وفي كل شيء من الإنسان مظهر من الخشوع؛ فمظهر الخشوع في الصوت: الإسرار به، فلذلك فرع عليه قوله تعالى: ﴿ فَلاَ تَسَمُّعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾.

والخطاب بقوله تعالى: ﴿ لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا ﴾ وقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾ خطاب لغير معين، أي لا يرى الرائي ولا يسمع السامع.

وإسناد الخشوع إلى الأصوات مجاز عقلي، فإن الخشوع لأصحاب الأصوات؛ أو استعير الخشوع لانخفاض الصوت وإسراره، وهذا الخشوع من هول المقام (٩٣).

قوله تعالى: ﴿ وَزَكِرِثَآ إِذْ نَادَكَ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْفِي فَكُرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَرِثِينَ ۞ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَالَهُۥ زَوْجَهُۥ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُواْ لِنَا خَسِْعِينَ ﴾ (٩٤).

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد #: واذكر يا محمد زكريا حين دعا ربه ﴿ رَبِّ لاَ تَذَرِّفِ فَكُرُدًا ﴾ وحيدا لا ولد لي ولا عقب، فارزقني وارثا من آل يعقوب يرثني، ثم رد الأمر إلى الله تعالى مثنيا عليه، بأنه الباقي بعد فناء الخلق، وأنه أفضل من بقي حيا، فقال: ﴿ وَأَنتَ خَيرُ ٱلْوَرِثِينِ ﴾. فاستجاب الله تعالى لزكريا دعاءه، ووهب له يحيى ولدا ووارثا يرثه، وأصلح له زوجه، فجعلها ولودا بعد ما كانت عقيما ولما ذكر سبحانه هؤلاء الأنبياء والمرسلين، كلا على انفراده، أثنى عليهم عموما فقال: ﴿ إِنّهُم صَانُوا يُسَرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَتِ ﴾ أي: يبادرون إليها ويفعلونها في أوقاتها الفاضلة، ويكملونها على الوجه اللائق الذي ينبغي، ولا يتركون فضيلة يقدرون عليها، إلا انتهزوا الفرصة فيها، ﴿ وَيَنْعُونَكَ رَغَبًا وَرَهُبًا ﴾ أي: يسألوننا الأمور المرغوب فيها، من مصالح الدنيا والآخرة، ويتعوذون بنا من الأمور المرهوب منها، من مضار الدارين، وهم راغبون راهبون، لا غافلون لاهون، ولا مدلون، ﴿ وَكَانُوا لَنَا خَنْشِعِينَ ﴾ أي: خاضعين متذللين متضرعين، وهذا لكمال معرفتهم بربهم. (٩٥)

وقال الخازن: [والمسارعة في الخيرات من أكبر ما يمدح به المرء لأنها تدل على حرص عظيم في طاعة الله عز وجل ﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ يعنى إنهم ضموا إلى فعل الطاعات أمرين: أحدهما: الفزغ إلى الله لمكان الرغبة

⁽۹۳) انظر التحرير والتنوير ٢١/٣٠٨-٣١٠.

⁽٩٤) الأنبياء: ٨٩، ٩٠.

⁽٩٥) انظر تفسير الطبري ١٧/ ٨٤،٨٣، و تفسير البغوي٥ /٣٥٣، ٣٥٣، وفتح القدير ٤٢٥/٣، وتفسير السعدي (٥٣٠).

في ثوابه والرهبة من عقابه. والثاني: الخشوع وهو قوله تعالى ﴿ وَكَانُواْ لَنَا خَلْشِعِينَ ﴾ الخشوع هو الخوف اللازم للقلب، فيكون الخاشع هو الحذر الذي لا ينبسط في الأمور خوفاً من الوقوع في الإثم آ. (٩٦)

- ١. من علامات الإيمان الإخلاص والتضرع لله عز وجل في الدعاء.
 - ٢- تفرد الله سبحانه وتعالى بالبقاء.
 - ٣ بيان قدرة الله تعالى على كل شيء.
- ٤. استحباب سؤال الولد لغرض صالح، لا من أجل الزينة واللهو به فقط.
 - ٥ تقرير سرعة استجابة الله سبحانه وتعالى لمن سارع إليه في الخيرات.
 - ٦. تقرير أن الزوجة الصالحة من حسنة الدنيا.
- ٧ فضيلة المسارعة في الخيرات، والدعاء برغبة ورهبة، والخشوع في العبادات وخاصة في الصلاة والدعاء.
 - Λ : ظهور أثر العمل الصالح والتذلل لله سبحانه وتعالى في السر والعلن $^{(4V)}$.

إذا تأملنا في هذه الآيات نجد أن جملة: ﴿ لَا تَذَرْفِي فَكُرْدًا ﴾ مبينة لجملة: ﴿ وَالْمَهُمُ عَاتِيهِ يَوْمَ الْقِيكَمَةِ فَرْدًا ﴾ (١٠٠) على من لا ولد له، تشبيها له بالمنفرد الذي لا قرين له، قال تعالى: ﴿ وَكُلُّهُمْ عَاتِيهِ يَوْمَ الْقِيكَمَةِ فَرْدًا ﴾ (١٠٠) وجملة: ﴿ وَاللّهُمْ كَاثُوا يُسُرِعُونَ فِي الْخَيْرَتِ وَيَدْعُونَنَا وجملة: ﴿ إِنّهُمْ كَاثُوا يُسُرِعُونَ فِي الْخَيْرَتِ وَيَدْعُونَنَا وَجملة: ﴿ إِنّهُمْ كَاثُوا يُسُرِعُونَ فِي الْخَيْرِةِ وَيَدْعُونَنَا وَحَملة وَ التعليم للجمل المتقدمة في الثناء على الأنبياء المذكورين، وما أوتوه من النصر، واستجابة الدعوات، والإنجاء من كيد الأعداء، وما تبع ذلك، ابتداء من قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلَيْنَا مُوسَىٰ وَهَكُرُونَ الْفُرُقَانَ وَضِيلَهُ ﴾ (١٩٠)، فضمائر الجمع عائدة إلى المذكورين، وحرف التأكيد مفيد معنى التعليل والتسبب، أي: ما استحقوا ما أوتوه إلا لمبادرتهم إلى مسالك الخير، وجدهم في تحصيلها. وأفاد فعل الكون ﴿ إِنّهُمُ كَانُوا ﴾ أن ذلك كان دأبهم وهجيراهم. والمسارعة: مستعارة للحرص وصرف الهمة للخيرات، أي لفعلها،

⁽٩٦) تفسير الخازن ٣٢١/٤.

⁽٩٧) انظر صفوة التفاسير ٢٧٣/٢، ٢٧٤، وأيسر التفاسير ١٢٨/٣.

⁽۹۸) مریم: ۹۵.

⁽٩٩) الأنساء: ٤٨.

. . .

تشبيها للمداومة والاهتمام بمسارعة السائر الجاد في مسالكه إلى المكان المقصود. وكذلك ذِكْرُ فِعل الكون في: {وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ} مثل ذكره في: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَرِعُونَ ﴾ (١٠٠٠).

قوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ اللَّهِ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَشِعُونَ ﴾ (١٠١).

هذا تنويه من الله تعالى بذكر عباده المؤمنين المصدقين، وذكر فوزهم وسعادتهم، وبأي شيء وصلوا إلى ذلك. وفي ضمن ذلك الحث على الاتصاف بصفاتهم، والترغيب فيها. فليزن العبد نفسه وغيره على هذه الآيات، ليعرف بذلك ما معه وما مع غيره من الإيمان، زيادة ونقصانا، كثرة وقلة. فقوله تعالى: ﴿ فَدَأَفْلَحَ ٱلْمُوْمِثُونَ ﴾ أي: قد فاز وسعد وأدرك كل ما يرام المؤمنون الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين، الذين من صفاتهم الكاملة أنهم: ﴿ في صَلاَتِهُمْ خَشِعُونَ ﴾. والحشوع في الصلاة: هو تذلل العبد وحضور قلبه بين يدي الله تعالى، مستحضرا لقربه. فيسكن لذلك قلبه، وتطمئن نفسه، ويجمع همته، وتسكن جوارحه وحركاته، ويخفض بصره إلى موضع سجوده، متأدبا بين يدي ربه، مستحضرا جميع ما يقوله ويفعله في صلاته، معرضا عما سواها، فلا يلتفت الخاطر إلى شيء سوى ذلك التعظيم، من أول صلاته إلى آخرها، فتنتفي بذلك الوساوس والأفكار الرديئة، فيتواطأ بذلك القلب مع الجوارح، وهذا نهاية الخضوع والتذلل للمعبود، وهو روح الصلاة والقصود منها. فحينئذ تكون راحة له وقُرَّة عين، كما كان عليه هدي النبي ﷺ، فعن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: (حُبِّبَ إليَّ من الدنيا النساء والطيّب، وجُعِل قرة عيني في الصلاة) (١٠٠٠)، فلنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة (١٠٠٠).

- ١- الوعد الصادق، بل القرار الأكيد بفلاح المؤمنين.
- ٢- حصول الفلاح للمؤمنين إنما كان بسبب إيمانهم وعملهم الصالح.

⁽١٠٠) انظر التحرير والتنوير ١٧/١٣٥-١٣٧.

⁽۱۰۱) المؤمنون: ۲،۱.

⁽۱۰۲) أخرجه النسائي في سننه ٦١/٧ ، كتاب عشرة النساء، باب حب النساء رقم الحديث (١)، وأحمد في مسنده ١٢٨/٣، اخرجه النسائي ٢٨٥٠، حسن صحيح، رقم الحديث (٣٦٨٠).

⁽١٠٣) أخرجه أبو داود في سننه ٢٦٢/٥، كتاب الأدب، باب في صلاة العتمة، رقم الحديث (٤٩٨٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٩٤١/٣.

⁽۱۰٤) انظر تفسير الطبري ۱/۱۸_۳، وتفسير البغوي ٥/٧٠٤، و تفسير الخازن ٥/٣٠_٣٢، وتفسير ابن كثير ٢٣٠/٣) وفتح القدير ٤٧٤ـ٤٧٣/٣، وتفسير السعدي (٥٤٨،٥٤٧)

- ٣ بيان فلاح المؤمنين تحفيزاً لسلوك طريقهم.
 - ٤. وجوب الخشوع في الصلاة.
- ٥ التذلل والخشوع في الصلاة لجلال الله تعالى وعظمته لاستيلاء مهابته على القلوب.
- ٦- الخشوع الحقيقي ما تواطأ فيه القلب مع الجوارح، فخشوع الجوارح تابع لخشوع القلب(٥٠٠).

قوله تعالى: ﴿ أَفَلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ إخبار بصيغة الماضي، لإفادة الثبوت والتحقق، كما أن ﴿ قَدْ ﴾ لإفادة التحقيق أيضاً.

وإذا نظرنا إلى مطلع هذه السورة نجد أنه بدئ بافتتاح بديع ، لأنه من جوامع الكلم ، فإن الفلاح غاية كل ساع إلى عمله، فالإخبار بفلاح المؤمنين دون ذكر متعلق بفعل الفلاح يقتضي في المقام الخطابي تعميم ما به الفلاح المطلوب، فحذف المتعلق للإشارة إلى أنهم أفلحوا فلاحا كاملا، فكأنه قيل: قد أفلح المؤمنون في كل ما رغبوا فيه. ولما كانت همة المؤمنين منصرفة إلى تمكن الإيمان والعمل الصالح من نفوسهم ، كان ذلك إعلاما بأنهم نجحوا فيما تعلقت به هممهم من خير الآخرة وللحق من خير الدنيا، ويتضمن بشارة برضي الله عنهم ووعداً بأن الله مكمل لهم ما يتطلبونه من خير. وأكد هذا الخبر بحرف قد الذي إذا دخل على الفعل الماضي أفاد التحقيق، أي التوكيد. فحرف قد في الجملة الفعلية يفيد مفاد إن واللام في الجملة الاسمية، أي يفيد توكيدا قويا، فهو أبلغ من تجريد ذكر الفعل.ونيط الفلاح بوصف الإيمان للإشارة إلى أنه السبب الأعظم في الفلاح، فإن الإيمان وصف جامع للكمال لتفرع جميع الكمالات عليه، وخاصة إذا كان في حال الصلاة، لأن الخشوع لله يكون في حالة الصلاة وفي غيرها، إذ الخشوع محله القلب فليس من أفعال الصلاة ولكنه يتلبس به المصلي في حالة صلاته، وذكر مع الصلاة لأن الصلاة أولى الحالات بإثارة الخشوع وقوته، ولذلك قدمت، ولأنه بالصلاة أعلق، فإن الصلاة خشوع لله تعالى وخضوع له، ولأن الخشوع لما كان لله تعالى كان أولى الأحوال به حال الصلاة، لأن المصلى يناجى ربه فيشعر نفسه أنه بين يدي ربه فيخشع له. وهذا من آداب المعاملة مع الخالق تعالى، وهي رأس الآداب الشرعية، ومصدر الخيرات كلها.ولهذا الاعتبار قدم هذا الوصف على بقية أوصاف المؤمنين، وجعل مواليا للإيمان.وتقديم ﴿ فِي صَلاتِهِمْ ﴾ على ﴿ خَشِعُونَ ﴾ للاهتمام بالصلاة ، للإيذان بأن لهم تعلقا شديدا بالصلاة ، لأن شأن الإضافة أن تفيد شدة الاتصال بين المضاف والمضاف إليه، لأنها على معنى لام الاختصاص. فلو قيل: الذين إذا صلوا خشعوا فات هذا المعنى، وأيضا لم يتأت وصفهم بكونهم خاشعين إلا بواسطة كلمة أخرى، نحو: كانوا خاشعين، وإلا يفت ما تدل عليه الجملة

⁽١٠٥) انظر تفسير القرطبي ١٠٤/، ١٠٤، ، وصفوة التفاسير ٣٠٣/٢، وأيسر التفاسير ١٨٦/٣، وآيات الخشوع في القرآن وأثرها في التربية (١٤٨).

الاسمية من ثبات الخشوع لهم ودوامه، أي كون الخشوع خُلقا لهم، بخلاف نحو: الذين خشعوا، فحصل الإيجاز، ولم يفت الإعجاز.

قول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَاتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْقَنْنِينَ وَٱلْقَنْنِينَ وَٱلْقَنْنِينَ وَٱلْقَنْنِينَ وَٱلْقَنْنِينَ وَٱلْقَنْنِينَ وَٱلْقَنْنِينَ وَٱلْقَنْنِينَ وَٱلْقَنْنِينَ وَٱلْقَنْدِينَ وَٱلْقَنْدِينَ وَٱلْقَنْدِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصِدِينَ وَٱلْمُتَصِدِينَ وَٱلْمُنْفِينَ وَٱلْمُتَصِدِينَ وَالصَّدِينَ وَٱلْمُتَصِدِينَ وَٱلْمُتَصِدِينَ وَٱلْمُتَصِدِينَ وَالْمُتَعِينَ وَالْمُتَعِينَ وَالْمُتَعِينَ وَالْمُتَعِينَ وَالْمَنْ فِينَانِهِ وَالْمُتَعْدِينَ وَالْمُتَعْدِينَانِينَ وَالْمُتَعْدِينَا وَالْمُتَعْدِينَا وَالْمُتَعْدِينَا وَالْمُتَعْدِينَا وَالْمُتَعْدِينَا وَالْمُتَعْدِينَا وَالْمُتَعْدِينَالِينَانِينَا وَالْمُتَعْدِينَا وَالْمُتَعْدِينَا وَالْمُتَعْدِينَانِينَانِينَا وَالْمُتَعْدِينَا وَالْمُتَعْدِينَا وَالْمُتَعْدِينَا وَالْمُتَعْدِينَا وَالْمُتَعْدِينَا وَالْمُتَعْدِينَانِينَ وَالْمُتَعْدِينَانِ وَالْمُتَعْدِينَانِينَانِ وَالْمُتَعْدِينَانِ وَالْمُتَعْدِينَانِينَانِ وَالْمُعْدِينَانِ وَالْمُعْدِينَانِينَانِينَانِ وَالْمُتَعْدِينَانِ وَالْمُعْدِينَانِ وَالْمُعْدِينَانِ وَالْمُعْدِينَانِ وَالْمُعْدِينَانِ وَالْمُعْدِينَانِ وَالْمُعْدِينَانِ وَالْمُعْدِينَانِهُ وَالْمُعْدِينَانِينَانِ وَالْمُعْدِينَانِ وَالْمُعْدِينَانِينَانِ وَالْمُعْدِينَانِ وَالْمُعْدِي

⁽١٠٦) انظر تفسير البغوي ٤٠٨/٥، ٤٠٨، و التحرير والتنوير ١٨/٧٠، وصفوة التفاسير ٢٠٦/٣.

⁽١٠٧) الأحزاب: ٣٥.

⁽۱۰۸) انظر تفسير الطبري ۱۰،۹/۲۲، وتفسير البغوي ۳۵۲٬۳۵۱/۳، وتفسير ابن كثير ٤٨٧/٣ ١٥٩، وفتح القدير ٢٨٢/٤، وتفسير السعدي (٦٦٥).

١- ثناء الله تعالى على من تمسك بأوامره، وتأدب بآدابه.

٢ـ هذه الصفات الكثيرة التي جمعت في هذه الآية تتعاون في تكوين النفس المسلمة، ولكل منها قيمته في بناء الشخصة المسلمة.

٣ـ الخشوع صفة القلب والجوارح، الدالة على تأثر القلب بجلال الله تعالى، واستشعار هيبته وتقواه.

٤- الصبر هو الصفة التي لا يستطيع المسلم حمل عقيدته والقيام بتكاليفها إلا بها.

٥ ـ التصدق دلالة التطهر من شح النفس، والشعور برحمة الناس، والتكافل في المجتمع المسلم، والوفاء بحق المال، وشكر المنعم على العطاء.

٦- حرص الإسلام على حفظ الفروج عما لا يحل.

٧_ ذكر الله كثيراً هـو حلقة الاتصال بين المؤمن وعقيدته في الله، فهـو في استشعار دائم لمراقبة الله تعالى، والخوف منه، والخضوع له، والتذلل بين يديه.

٨- بشرى المسلمين والمسلمات بمغفرة ذنوبهم، ودخول الجنة فإن اتصفوا بالصفات المذكورة في الآية.

٩- فضل الصفات المذكورة إذ كانت سبباً في دخول الجنة بعد مغفرة الذنوب.

• ١٠ تقرير مبدأ التساوي بين الرجال والنساء في العمل والجزاء، في العمل الذي كلف الله تعالى به النساء والرجال معاً، وأما ما خص به الرجال أو النساء فهو على خصوصيته، للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل (١٠٩).

في الآية الإيجاز بالحذف في: ﴿ وَٱلْحَنفِظُاتِ ﴾ حيث حُذِفَ مفعولُه لتقدُّم ما يَدُلُّ عليه. والتقديرُ: والحافظاتِ فروجهن، وكذلك ﴿ وَٱلذَّكُور، حيث جمع الإناث معهم، ثم أدرجهم في الضمير فقال: ﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَكُم ﴾ (١١٠)

⁽١٠٩) انظر صفوة التفاسير ٥٢٥/٢ ، وأيسر التفاسير ٥٦٤/٣.

⁽١١٠) انظر الدر المصون ١٢٤/٩ ، وحاشية الجمل ٤٣٧/٣ ، وصفوة التفاسير ٢٦٦/٢.

قول تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَكِهِ وَأَنَّكَ تَرَى ٱلأَرْضَ خَشِعَةً فَإِذَاۤ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَتْ وَرَبَتُ إِنَّ ٱلَّذِيّ أَحْيَاهَا لَمُحْيِ ٱلْمَوْقَيُّ إِنَّهُ. عَلَىٰ كُلِ شَيْءٍ قَلِيرُ ﴾ (١١١).

يبين تعالى أن من حججه وأدلة قدرته على إحياء الموتى بعد بلاها، وإعادتها لهيئتها كما كانت من بعد فنائها أنك أيها العاقل ﴿ مَرَى ٱلأَرْضَ خَشِعةً ﴾ يابسة هامدة لا نبات فيها، بل هي ميتة ﴿ فَإِذَا ٱنزَلَنَا عَلَيْهَا ٱلْمَلَةَ ﴾ فإذا أنزلنا المطرعلى هذه الأرض الخاشعة ﴿ أَهْمَرَتُ وَرَبَتُ ﴾ تحرّكت وارتفعت بالنبات. وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَذِي ٓ أَحَياها ﴾ فأخرج منها النبات، وجعلها تهتز بالزرع بعد موتها وهمودها ﴿ لَمُحِي ٱلْمَوْقَ ﴾ لقادر أن يحيي أموات بني آدم من قبورهم. ﴿ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِ شَيْءٍ وَمِعلها تهتز بالزرع بعد موتها وهمودها ﴿ لَمُحِي ٱلْمَوْقَ ﴾ لقادر أن يحيي أموات بني آدم من قبورهم. ﴿ إِنّهُ عَلَىٰ كُلُ شَيْءٍ مَنها النبات، قَلِيرُ ﴾ إن الله على إحياء خلقه بعد ماتهم، وعلى كل ما يشاء ذو قدرة لا يعجزه شيء أراده، ولا يتعذر عليه فعل شيء شاءه. (١١٠٠) وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي: ﴿ وَمِنْ الله تعالى في كتابه الأرضَ بالخشوع فقال تعالى: ﴿ وَمِنْ النباء على أن الخشوع الذي كانت عليه هو سكونُها وانخفاضُها فكذلك القلب إذاً ، فإنه تسكُنُ خواطره وإرادته الرديئة التي على أن الخشوع الذي كانت عليه هو سكونُها وانخفاضُها فكذلك القلب إذاً ، فإنه تعالى الأصوات بالخشوع في قوله تنشأ من اتباع الهوى وينكسرُ وينخضعُ لله ، فيزول بذلك ما كان فيه من التعاظم والترفع والتكبر، ومتى سكن ذلك في القلب خشعتِ الأعضاءُ والجوارحُ والحركاتُ كلُها حتى الصَّوتُ ، وقد وصف الله تعالى الأصوات بالخشوع في قوله القلب خشعتِ الأصوات بالخشوع في قوله تعالى: ﴿ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصَواتُ لِلرَّحَمَاء والحَمَاء المُولَة عليه المُولَة والخفاضُها بعد ارتفاعها الأه ١٠٠٠ .

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر دليل من أظهر الأدلة، وهو موت الأرض بالجدب، ثم حياتها بالغيث.

٢- تقرير قدرة الله على كل شيء أراده، وهذه الصفة خاصة به تعالى موجبة لعبادته وطاعته، بعد الإيمان
 به وتأليهه.

صرب الأمثال من البيئة المحيطة بالمخاطب له أثره بالاستجابة والقبول (١١٦٠).

⁽۱۱۱) فصلت: ۳۹.

⁽١١٢) انظرتفسير الطبري ١٢٢/٢٤ ، وتفسير ابن كثير ١٠٢/٤ ، وتفسير البغوي ١٧٥/٧ ، وفتح القدير ١٨/٤ ، وتفسير السعدي (٧٥٠).

⁽۱۱۳) فصلت: ۳۹.

⁽۱۱٤) طه: ۱۰۸.

⁽١١٥) الخشوع في الصلاة (١٣).

⁽١١٦) انظر أيسر التفاسير ١٢٢/٤ ، وآيات الخشوع في القرآن وأثرها في التربية (١٦٨).

قال ابن عاشور: [الخطاب في قوله تعالى: ﴿ أَنَّكَ ﴾ لغير معين ليصلح لكل سامع. والخشوع: التذلل، وهذا وهو مستعار لحال الأرض إذا كانت مقحطة لا نبات عليها لأن حالها في تلك الخصاصة كحال المتذلل، وهذا من تشبيه المحسوس بالمعقول باعتبار ما يتخيله الناس من مشابهة اختلاف حالي القحولة والخصب بحالي التذلل والازدهاء. والاهتزاز حقيقته: مطاوعة هزه، إذا حركه بعد سكونه فتحرك. وهو هنا مستعار لربو وجه الأرض بالنبات، شبه حال إنباتها وارتفاعها بالماء والنبات بعد أن كانت منخفضة خامدة بالاهتزاز ويؤخذ من مجموع ذلك أن هذا التركيب تمثيل، شبه حال قحولة الأرض ثم إنزال الماء عليها وانقلابها من الجدوبة إلى الخصب والإنبات البهيج بحال شخص كان كاسف البال رث اللباس فأصابه شيء من الغنى فلبس الزينة واختال في مشيته زهوا، ولذا يقال: هز عطفيه، إذا اختال في مشيته.

وفي قوله تعالى: ﴿ خَشِعَة ﴾ و ﴿ أَهْرَنَ ﴾ مكنية بأن شبهت بشخص كان ذليلا ثم صار مهتزا لعطفيه، ورمز إلى المشبه بهما بذكر رديفيهما. فهذا من أحسن التمثيل وهو الذي يقبل تفريق أجزاته في أجزاء التشبيه. وعطف ﴿ وَرَبَتُ ﴾ على ﴿ أَهْرَتَ ﴾ لأن المقصود من الاهتزاز هو ظهور النبات عليها وتحركه. والمقصود بالربو: انتفاخها بالماء واعتلاؤها. { إنَّ اللّه عَلَى كُلّ شَيْءٍ والمقصود بالربو: انتفاخها بالماء واعتلاؤها. { إنَّ اللّه عَلَى بالخلق والتدبير، ووقوعه على عادة القرآن قيريرٌ } إدماج لإثبات البعث في أثناء الاستدلال على تفرده تعالى بالخلق والتدبير، ووقوعه على عادة القرآن في التفنن وانتهاز فرص الهدى إلى الحق.والجملة استثناف ابتدائي والمناسبة مشابهة الإحياءين، وحرف التوكيد لمراعاة إنكار المخاطبين إحياء الموتى. وتعريف المسند إليه بالموصولية لما في الموصول من تعليل الخبر، وفطلة على ذلك ﴿ أَعَكَاكًا ﴾ على طريق الاستعارة التبعية، ثم ارتقى من ذلك إلى جعل ذلك الذي سمي وأطلق على ذلك ﴿ أَعَكَاكًا ﴾ على إمكان إحياء الموتى بطريقة قياس الشبه، وهو المسمى في المنطق قياس الشبه لا يبلغ قوة المشبه به، فالمشبه به حيث كان لا يقدر على فعله إلا الخالق الذي اتصف بالقدرة التامة المناه لا يبلغ قوة المشبه به، فالمشبه به حيث كان لا يقدر على فعله إلا الخالق الذي اتصف بالقدرة التامة المناه فقد تساوى فيه قويه وضعيفه، وهم كانوا يحيلون إحياء الأموات استنادا للاستبعاد العادي، فلما نظر إلله فقد تساوى فيه قويه وضعيفه، وهم كانوا يحيلون إحياء الأموات استنادا للاستبعاد العادي، فلما نظر بقوله ﴿ إِنّهُ مُ عَلَى كُلُ شَيْءٍ قَيْرُ ﴾ ﴿ اللّه الله المناسب لشبهتهم الإقناعية. وقد أشار إلى هذا تذييله بقوله ﴿ إِنّهُ مُ عَلَى كُلُ كُلُ شَيْءٍ قَيْرُ اللّه الله الناسب لشبهتهم الإقناعية. وقد أشار إلى هذا تذييله بقوله ﴿ إِنّهُ مُ الله الله الله الله المناسب لشبهتهم الإقناعية. وقد أشار إلى هذا تذييله بقوله ﴿ إِنّهُ مُ الله الله الله الله المناسبة المناسبة المؤلف المناسبة المؤلف المؤلف

⁽١١٧) التحرير والتنوير ٣٠٣،٣٠٢/٢٤، وانظر حاشية الجمل على الجلالين ٤٤/٤، وصفوة التفاسير١٣٠، ١٣٠،

قوله تعالى: ﴿ وَتَرَنهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِنَّ الْخَسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوٓا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيكَمَةِ أَلاَ إِنَّ الظَّلِلِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴾ (١١٨).

أي: وترى الظالمين يعرضون على النار خاضعة أجسامهم للذل الذي في قلوبهم، فقد اعتراهم الذل بما أسلفوا من العصيان، وأذلهم الخوف الذي نزل بهم وخشعوا له، وأنهم ينظرون إلى النار من طرف ذليل، ووصفه الله جلّ ثناؤه بالخفاء للذلة التي قد ركبتهم، حتى كادت أعينهم أن تغور، فتذهب. فهم ينظرون إليها مُسارقة خوفا منها، والذي يحذرون منه واقع بهم لا محالة، وما هو أعظم مما في نفوسهم، أجارنا الله من ذلك.

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوٓا ﴾ أي: يقولون يوم القيامة حيث ظهرت عواقب الخلق، وتبين أهل الصدق من غيرهم ﴿ إِنَّ ٱلْخَيْرِينَ ﴾ أي: الخسار الأكبر ﴿ اللَّذِينَ خَيرُوٓا أَنفُسَهُم وَأَهْلِيهِم يَوْم الْقِيكَمة ۗ ﴾ أي: خسروا أنفسهم بأن صاروا إلى النار، فعدموا لذتهم في دار الأبد، وفرق بينهم وبين أهليهم و أصحابهم وأحبابهم وقراباتهم، فخسروهم.

وقوله تعالى: ﴿ أَلا إِنَّ ٱلظَّلِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ ﴾ أي: ألا إن الكافرين يوم القيامة في عذاب لهم من الله مقيم عليهم، ثابت لا يزول عنهم، فهو دائم سرمدي أبدي، لا خروج لهم من النار، ولا محيد لهم عنها. (١١٩)

(۱۱۸) الشورى: ٤٥.

١. مخاطبة العاقل بما يتعظ به ، فالسعيد من وعظ بغيره (١٢٠٠).

٢- بيان نهاية الظالمين يوم القيامة، فهم متضائلون صاغرون مما يلحقهم من الذل والهوان.

٣. الإخبار عن خشوع الكفار يوم القيامة، وأنه ليس من التقوى ولا من الحياء، لكنه من الذل والهوان.

٤ـ مسارقة النظر من الكافرين يوم القيامة بسبب شدة خوفهم وفزعهم من النار.

٥. لا أعظم خسرانا ممن يخلد في النار ويحرم الجنة وما فيها من نعيم مقيم.

٦- دوام عذاب الله تعالى يوم القيامة ، وعدم انقطاعه (١٢١).

⁽۱۱۹) انظر تفسير الطبري ٤١،٤٢/٢٥، وتفسير البغوي ١٩٩/٧، وتفسير الخازن ١٢٨/٦، وتفسير ابن كثير ١٢٠/٤، وفتح القدير ٥٤٤، ٥٣٣/٤، وتفسير السعدي (٧٦١).

⁽١٢٠) مثل هذا يقال في الآيات اللاحقة التي تبين ذلة الكافرين وهوانهم يوم القيامة ، كما يدل عليه مفهوم الآيات.

⁽١٢١) انظر صفوة التفاسير ١٤٤/٣، ١٤٥، وأيسر التفاسير ١٥٥/٤.

إذا تأملنا في هذه الآية نجد أنه تكرر هنا فعل: ترى، وقد ورد في الآية السابقة: ﴿ وَتَرَى ٱلظَّلِمِينَ لَمَّا رَأُولُا ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلَ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلِ ﴾ (١٢١) للاهتمام بهذه الرؤية وتهويلها. وبني فعل ﴿ يُعْرَضُونَ ﴾ للمجهول لأن المقصود حصول الفعل لا تعيين فاعله. والذين يَعرضون الكافرين على النار هم الملائكة كما دلت عليه آيات أخر. وانتصب ﴿ خَشِعِينَ ﴾ على الحال من ضمير الغيبة في ﴿ تَرَبُّهُمْ ﴾ لأنها رؤية بصرية.

والخشوع مثل الخضوع، إلا أن الخضوع لا يسند إلا إلى البدن، فيقال: خضع فلان، ولا يقال: خضع بصره إلا على وجه الاستعارة، كما في قوله تعالى ﴿ فَلا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ ﴾ (١٢٣)، وأما الخشوع فيسند إلى البدن كقوله تعالى ﴿ خَشِعِينَ لِلَّهِ ﴾ (١٢٤)، ويسند إلى بعض أعضاء البدن كقوله تعالى: ﴿ خُشَّعًا أَبْصَنُرُهُمْ ﴾ (١٢٥)، وقوله تعالى: ﴿ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصَّواتُ لِلرِّحْمَيٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾ (١٢٦)، والمراد بالخشوع في هذه الآية: ما يبدو عليهم من أثر المذلة والمخافة. فقوله تعالى: ﴿ مِنَ ٱلذُّلِّ ﴾ متعلق بـ﴿ خَشِعِينَ ﴾ وتعلقه به يغنى عن تعليقه بـ ﴿ يُنظَرُونَ ﴾ ويفيد ما لا يفيده تعليقه به.و ﴿ مِنَ ﴾ للتعليل، أي خاشعين خشوعا ناشئا عن الذل، أي ليس خشوعهم لتعظيم الله والاعتراف له بالعبودية ، لأن ذلك الاعتقاد لم يكن من شأنهم في الدنيا. وجملة ﴿ يَنْظُرُونَ مِن طَرِّفٍ خَفِي ﴾ في موضع الحال من ضمير ﴿ خَشِعِينَ ﴾ لأن النظر من طرف خفي حالة للخاشع الذليل، والمقصود من ذكرها تصوير حالتهم الفظيعة.

و ﴿ مِنَ ﴾ في قوله ﴿ مِن طَرَّفٍ خَفِيٍّ ﴾ للابتداء المجازي. والمعنى: ينظرون نظرا منبعثا من حركة الجفن الخفية. وحذف مفعول ﴿ يَنْظُرُونَ ﴾ للتعميم أي ينظرون العذاب، وينظرون أهوال الحشر، وينظرون نعيم المؤمنين من طرف خفي.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓ أَ إِنَّ ٱلْخَيْسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَيِسُرُوٓ أَنَفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيكَمَةُ ٱلَّآ إِنَّ ٱلظَّلِلِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ ﴾ ، يترجح أن الواو للحال لا للعطف، والجملة حال من ضمير الغيبة في ﴿ تَرَبُّهُمْ ﴾، أي تراهم في حال الفظاعة

(١٢٢) الشورى: ٤٤.

⁽١٢٣) الأحزاب: ٣٢.

⁽١٢٤) آل عمران: ١٩٩.

⁽١٢٥) القمر: ٧.

⁽۱۲٦) طه: ۱۰۸.

الملتبسين بها، وتراهم في حال سماع الكلام الذام لهم الصادر من المؤمنين إليهم في ذلك المشهد. وحذفت: قد مع الفعل الماضي: ﴿ خَسِرُوٓا ﴾ لظهور قرينة الحال.

قوله تعالى: ﴿ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ ﴾ المقيم: الذي لا يرتحل. ووصف به العذاب على وجه الاستعارة، شبه المستمر الدائم بالذي اتخذ دار إقامة لا يبرحها ، تشنيعا عليهم ، وتنفيرا من سلوك طريقهم. (١٢٧)

قوله تعالى: ﴿ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنَشِرٌ ﴾ (١٢٨).

يخبر تعالى عن حال الكافرين يوم القيامة بقوله تعالى: ﴿ خُشَّعًا أَبْصَنُرُهُمْ ﴾ أي: ذليلة خاشعة خاضعة أَبْصَارُهُمْ عند رؤية العذاب، فهي لا ضرر بها، بل من الهول والفزع الذي وصل إلى قلوبهم، فخشعت لذلك أبصارهم. { يَخْرُجُونَ مِنَ الأجْدَاثِ } أي: القبور ﴿ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ ﴾ أي: مبثوث في الأرض، متكاثر جدا، فكأنهم في كثرتهم، وموج بعضهم في بعض، وانتشارهم، وسرعة سيرهم إلى موقف الحساب جراد مُنْبَثٌ في الآفاق. (١٢٩)

١- التنديد باتباع الهوى، والتحذير منه فإنه مهلك.

٢ بيان بعض أهوال القيامة وشدائدها، بأسلوب مخيف يهز المشاعر، ويحرك في النفس الرعب والفزع من هول ذلك اليوم العصيب، لأخذ العبرة والعظة.

٣ـ تصوير حال الكافرين يوم القيامة.

٤. ذلة أبصار الكافرين ذلك اليوم ليس من خشية الله تعالى، وإنما من شدة الذل والموان.

٥ ـ سيطرة الحيرة والخوف على الكافرين يوم القيامة، فلا يدرون أين يتجهون، فهم كالجراد لا جهة له يقصدها(١٣٠).

(١٢٩) انظر تفسير الطبري ٩٠،٨٩/٢٧، وتفسير البغوي ٤٢٨،٤٢٧/٧، وتفسير الخازن ٢٧٤٦، وتفسير ابن كثير ٢٦٣/٤، وفتح القدير٥ /١٧٣ ، وتفسير السعدى (٨٢٤).

(١٣٠) انظر تفسير القرطبي ١٧/ ١٢٩، ١٣٠، وحاشية الجمل على الجلالين ٢٤٢/٤، وصفوة التفاسير ٢٨٤/٣، ٢٨٦_٢٨٥، وأيسر التفاسير ٤/٣٥٩.

⁽١٢٧) انظر حاشية الجمل على الجلالين ٧١/٤، والتحرير والتنوير ١٢٥/٢٥.١٣٠.

⁽١٢٨) القمر: ٧.

﴿ خُشَّعًا أَبْصَنُرُهُم ﴾ حال من فاعل: ﴿ يُخْرَجُونَ ﴾ ، وقدم الحال لتصرف العامل والاهتمام ، أي: يخرجون من الأجداث أذلة أبصارهم من شدة الهول. وإنما خص جل ثناؤه أبصارهم فوصفها بالخشوع دون سائر أجسامهم ، والمراد به جميع أجسامهم ، فهم ينظرون من طرف ذليل خفي لا تثبت أحداقهم في وجوه الناس ، وهي نظرة الخائف المفتضح.

والذي يفيده التعبير عن الكافرين بقوله تعالى: ﴿ خُشَّعًا أَبْصَنُرُهُمْ ﴾ أنها في ذلك الموقف ساكنة على حال لا ينقلب يمنة ويسرة، كما في قوله تعالى: ﴿ لَا يَرْتَكُ إِلَيْهِمْ طَرَفْهُمْ ﴾ (١٣١١)، وهو كناية عن الذلة والهوان، لأن ذلة الذليل، وعزة العزيز، تظهران في عيونهما.

والتشبيه بالجراد في قوله تعالى: {كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ} للدلالة على الكثرة والتموج والاختلاط، والانتشار في الأمكنة، فالجراد مثلٌ في الكثرة، فأراد سبحانه وتعالى تشبيههم بالجراد المنتشر في الاكتظاظ واستتار بعضهم ببعض من شدة الخوف، زيادة على ما يفيده التشبيه من الكثرة والتحرك.وذِكر المنتشر مع لفظ الجراد، نظيره قوله تعالى: ﴿ كَالْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴾ (١٣٢، ١٣٣).

قول تعالى ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓ أَأَنَ تَغْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِنِكِ لِللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِئنَبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمٌ وَكِيدُرٌ مِّنْهُمْ فَسِقُونَ ﴾ (١٣٤).

لما ذكر سبحانه حال المؤمنين والمؤمنات والمنافقين والمنافقات في الدار الآخرة، كان ذلك مما يدعو القلوب إلى الخشوع لربها، والاستكانة لعظمته، فعاتب الله المؤمنين على عدم ذلك، فقال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾: ألم يحن للمؤمنين أن تخضع قلوبهم لذكر الله، ولما نزل من الحق، وهو هذا القرآن الذي نزله سبحانه على رسوله صلًى الله عَلَيْهِ وَسلّم، فتلين هذه القلوب المطمئنة عند الذكر والموعظة وسماع القرآن، فتفهمه وتنقادُ له وتسمع له وتطيعه. وهذا فيه الحث على الاجتهاد على خشوع القلب لله تعالى، ولما أنزله من الكتاب والحكمة، وأن يتذكر

⁽١٣١) إبراهيم: ٤٣.

⁽١٣٢) القارعة ٤.

⁽۱۳۳) انظر تفسير أبي السعود ۱۶۸/۸، وروح المعاني ۸۰/۲۷، وتفسير القاسمي ٥٥٩٧/١٥، والتحرير والتنوير التفاسير ١٣٤/٥.

⁽١٣٤) الحديد: ١٦.

المؤمنون المواعظ الإلهية والأحكام الشرعية كل وقت، ويحاسبوا أنفسهم على ذلك ﴿ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُونُوا ٱلْكِننَبَ مِن قَبُّلُ ﴾ يعني من بني إسرائيل، ويعني بالكتاب: التوراة والإنجيل.

ويعني بقوله تعالى: ﴿ فَطَالَ عَلَيْمُ ٱلْأَمَدُ ﴾ الزمان الذي بينهم وبين أنبيائهم عليهم الصلاة والسلام. وفي هذا نهي للمؤمنين أن يكونوا في صحبة القرآن متشبهين بالذين حملوا الكتاب قبلهم من اليهود والنصاري، لما تطاول عليهم الأمد بدلوا كتاب الله الذي بأيديهم واشتروا به ثمنًا قليلا ونبذوه وراء ظهورهم، وأقبلوا على الآراء المختلفة والأقوال المؤتفكة، وقلدوا الرجال في دين الله، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله ﴿ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ عن الخيرات، واشتدّت على السكون إلى معاصى الله، فلا يقبلون موعظة، ولا تلين قلوبهم بوعد ولا وعيد، ﴿ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَسِقُونَ ﴾ أي: في الأعمال، فقلوبهم فاسدة، وأعمالهم باطلة. كما قال تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهم مِّيثَنَّقَهُمْ لَعَنَّهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِلْهِ وَنسُواْ حَظَّا مِمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ ﴾. (١٣٥، ١٣١)

- ١- التحذير من الغفلة ونسيان ذكر الله تعالى، وما عنده من نعيم، وما لديه من نكال وعذاب.
- ٢- التذكير للمؤمنين بالحرص على المسارعة إلى طاعة الله، بالامتثال لأوامره، واجتناب نواهيه، مع النهى عن مماثلة أهل الكتاب في قسوة القلوب.
 - ٣. ليس وراء قسوة القلوب إلا الفسق والخروج عن طاعة الله تعالى.
 - ٤. لا مانع من عتاب الود إذا كان فيه تحفيز على الانقياد لأمر الله والعمل بشرعه.
 - ٥- القلب البشري سريع التقلب، فإذا طال عليه الأمد بلا تذكير ولا تذكر تبلد وقساً.
- ٦- لا يأس من قلب خمد وأعرض وقسا وتبلد، فإنه يمكن أن تدب فيه الحياة، وأن يخشع لذكر الله، فالله تعالى يحيى الأرض بعد موتها(١٣٧).

الآية استئناف ناع على المؤمنين تثاقلهم في أمور الدين، ورخاوة عقدهم فيها، واستبطاء لانتدابهم لما ندبوا إليه بالترغيب والترهيب. والتعبير بالعموم يراد به طائفة من المؤمنين، لأن منهم من لم يزل خاشعاً منذ أسلم إلى أن قضى نحبه.

⁽١٣٥) المائدة: ١٣.

⁽١٣٦) انظر تفسير الطبري ٢٢٨/٢٧ ، ٢٢٩ ، وتفسير البغوي ٣٨/،٣٧/، و تفسير الخازن ٣٤/٧، ٣٥، وتفسير ابن كثير ٣١١،٣١٠/٤، وتفسير أبو السعود، ٢٠٨/٨، ٢٠٩، وفتح القدير ٢٤٦، ٢٤٥، وتفسير السعدي (٨٤٠).

⁽١٣٧) انظر تفسير ابن كثير ٢٠٠٤، والمقتطف من عيون التفاسير ١٩٣/٥، وصفوة التفاسير ٣٢٦/٣، وأيسر التفاسير ٤١٤/٤.

قوله تعالى: ﴿ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ عطف على: ﴿ ذِكِّرِ ٱللَّهِ ﴾ والمراد بهما معاً القرآن، فالعطف لتغاير العنوانين، فإنه ذكر وموعظة، كما أنه حق نازل من السماء (١٣٨).

قول من تعالى: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَى جَبَلِ لَرَأَيْتَهُۥ خَشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَنفكُرُوكَ ﴾ (١٣٩).

لما بين تعالى لعباده ما بين، وأمرهم ونهاهم في كتابه العزيز، كان هذا موجبا لأن يبادروا إلى ما دعاهم إليه وحثهم عليه، ولو كانوا في القسوة وصلابة القلوب كالجبال الرواسي، فإن هذا القرآن لو أنزله على جبل، وهو حجر أصم، لرأيته على قساوته خاشعا متذللا متصدعا من خشية الله، حذرًا من أن لا يؤدّي حقّ الله المفترض عليه في تعظيم القرآن، لكمال تأثيره في القلوب، فإن مواعظ القرآن أعظم المواعظ على الإطلاق، وأوامره ونواهيه محتوية على الخكم والمصالح المقرونة بها، وهي من أسهل شيء على النفوس، وأيسرها على الأبدان، خالية من التكلف، لا تناقض فيها ولا اختلاف، ولا صعوبة فيها ولا تعسف، تصلح لكل زمان ومكان، وتليق لكل أحد. وإذا كان هذا القرآن أنزل على بني آدم ويوجد منهم من هو بحقه مستخفٌ، وعنه عما فيه من العِبَر والذكر مُعْرض كأن لم يسمعها، كأن في أذنيه وقرًا، ففي هذه الآية تعريض لهم أن يأخذوه بالخشية الشديدة والتخشع، تعظيمًا لأمره، وبيانا لعلو قدره، فهو الحقيق الذي يجب أن تخشع له القلوب، وتتصدع عند سماعه، لما فيه من الوعد والوعيد الأكيد. فلا تكن هذه الجبال الصلبة خيرا منكم في تعظيم هذا القرآن، فإنها لو سمعت كلام الله وفهمته، لم المؤخبُرُ مِنهُ الْأَخَبُرُ مُنهُ الْأَخْبُرُ مُنهُ الْأَخْبُرُ وَإِنَّ مِنهَا لَمَا يَشْقَقُ فَيَحْرُمُ مِنهُ الْمَاةُ وَإِنْ مِنهُ الْمَاءُ وَإِنْ مِنهُ الْمَاءُ وَإِنْ مِنهُ الْمَاءُ وَإِنْ مَنهُ الْمَاءُ وَإِنْ مَنهُ الْمَاءُ وَإِنْ مَنهُ الْمَاءُ وَإِنْ مَنهُ اللّه وهمتم؟ قال تعالى: ﴿ وَإِنْ مِنهُ الْمَاءُ وَإِنْ مَنهُ الْمَاءُ مُا يَهْ بُطُ مِنْ خَشْيَة اللّهِ لا التعالى: ﴿ وَإِنْ مِنهُ الْمَاءُ وَإِنْ مِنهُ الْمَاءُ وَإِنْ مَنهُ الْمَاءُ مَا يَهْ بُطُ مِنْ خَشْيَة اللّهِ اللّه الله التعالى المنافقة عنه المَاءُ وإنّه مِنهُ الْمَاءُ والله المنافقة عنه المُنافقة عنه والمنافقة عنه المُنافقة وإنهُ مِنهُ الْمَاءُ والله من المنافقة والمنافقة والمنافقة

﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْتُلُ نَضْرِ مُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَنَفَكَّرُونَ ﴾ إخبار من الله تعالى أنه يضرب للناس الأمثال، ويوضح لعباده في كتابه الحلال والحرام، لأجل أن يتفكروا في آياته ويتدبروها، فإن التفكر فيها يفتح لهم خزائن العلم، ويبين لهم طرق الخير والشر، ويحثهم على مكارم الأخلاق، ومحاسن الشيم، ويزجرهم عن مساوئ الأخلاق، فينيبوا له تعالى، وينقادوا للحق.

⁽۱۳۸) انظر تفسير أبي السعود ۲۰۸/۸، وروح المعاني ۱۸۹/۲۷، ۱۸۰، وتفسير القاسمي ٥٦/٥٦٥.

⁽١٣٩) الحشر: ٢١.

⁽١٤٠) البقرة: ٧٤.

فلا أنفع للعبد من التفكر في القرآن والتدبر لمعانيه. (١٤١)

١- بيان عظمة القرآن، ودناءة حال الإنسان الذي لا يتأثر بالقرآن.

٢ـ بيان ما حواه القرآن من العظات والعبر، والأمر والنهي، والوعد والوعيد، الأمر الذي لو أن جبلاً رُكِّب
 فيه الإدراك والتمييز كالإنسان، ونَزَل عليه القرآن لخشع وتصدع من خشية الله تعالى.

٣- الحث على تأمل مواعظ القرآن، وأنه لا عذر لأحد في ترك التدبر، وتوبيخ من لم يتخشع عند تلاوة القرآن أو استماعه.

٤- استحسان ضرب الأمثال للتنبيه والتعليم والإرشاد، فالآية فيها تصوير لعظمة قدر القرآن، وقوة تأثيره (١٤٢٠).

إذا تأملنا في هذه الآية نجد أن الله تعالى ذكر اسم الإشارة القريب: ﴿ هَذَا ﴾ للتعريض لهم بأن القرآن غير بعيد عنهم، وأنه في متناولهم، ولا كلفة عليهم في تدبره، ولكنهم قصدوا الإعراض عنه. وهذا مثل ساقه الله تعالى كما دل عليه قوله: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثُلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَنَفَكَّرُونَ ﴾. وقد ضرب هذا مثلا لقسوة قلوب الذين نسوا الله، وانتفى تأثرهم بقوارع القرآن.

والمراد بالجبل: حقيقته، لأن الكلام فرض وتقدير، كما هو مقتضى ﴿ لَوَ ﴾ أن تجيء في الشروط المفروضة. فالجبل: مثال لأشد الأشياء صلابة، وقلة تأثره بما يقرعه، وهذا تمثيل وتخييل، لعلو شأن القرآن الكريم، وقوة تأثير ما فيه من المواعظ.

وإنزال القرآن مستعار للخطاب به، عبر عنه بالإنزال على طريقة التبعية، تشبيها لشرف الشيء بعلو المكان، ولإبلاغه للغير بإنزال الشيء من علو. وضرب التصدع مثلا لشدة الانفعال والتأثر، لأن منتهى تأثر الأجسام الصلبة أن تنشق وتتصدع، إذ لا يحصل ذلك لها بسهولة. والخطاب في ﴿ لَّرَأَيْتَهُ ﴾ لغير معين، فيعم كل من يسمع هذا الكلام، والرؤية بصرية. وجملة ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَلُ نَضَرِبُهَا لِلنَّاسِ ﴾ تذييل لأن ما قبلها سيق مساق المثل، فذيل بأن الأمثال التي يضربها الله في كلامه مثل المثل، أراد منها أن يتفكروا بها، فإن لم يتفكروا بها فقد سجل عليهم

⁽۱٤۱) انظر تفسير الطبري ۵۲/۵۸، وتفسير البغوي ۸۷/۸، وتفسير الخازن۷۱/۷، وتفسير ابن كثير٤٣٤٣،٣٤٢، وفتح القدير ۲۹٤/۵، وتفسير السعدي (۸۵۲،۵۵۳).

⁽١٤٢) انظر تفسير القرطبي ٤٤/١٨ ، وتفسير أبي السعود ٢٣٣/٨ ، و المقتطف من عيون التفاسير ٢٢٦/٥ ، وصفوة التفاسير ١٤٥٠/٣.

عنادهم ومكابرتهم، فالإشارة ب ﴿ تِلْكَ ﴾ إلى مجموع ما مر على أسماعهم من الأمثال الكثيرة، وتقدير الكلام: ضربنا هذا مثلا، ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ﴾.

والغرض من هذا التمثيل التنبيه على فساد قلوب هؤلاء الكفار وقساوتها وغلظ طباعهم. (١٤٣)

قوله تعالى: ﴿ خَشِعَةً أَصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّهُ ۖ وَقَدْ كَانُواْ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَلِمُونَ ﴾ (١٤٤).

قوله تعالى: ﴿ خَشِعَةً أَمْسُرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَةً ﴾ أي: هم الكفار تغشاهم ذلة من عذاب الله يوم القيامة، بإجرامهم وتكبرهم في الدنيا، فعوقبوا بنقيض ما كانوا عليه.

﴿ وَقَدَ كَانُواْ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلشَّجُودِ وَهُمْ سَلِمُونَ ﴾ أي: لمَّا دعوا إلى السجود في الدنيا فامتنعوا منه مع صحتهم وسلامتهم، كذلك عوقبوا بعدم قدرتهم عليه في الآخرة، فاليوم يدعوهم فلا يَسْتَطِيعُونَ. (١٤٥)

١- بيان عظم هول يوم القيامة.

٢- ظهور الذلة والصغار على الكافرين والمنافقين يوم القيامة.

٣ـ الكافر والمنافق لا يستطيع السجود عندما يدعى إليه يوم القيامة ، عقوبة له وفضيحة ، إذ كان في الدنيا يدعى إليه فلا يسجد ولا يصلى تكبراً وكفراً.

- ٤ ـ الكفار والمنافقون لايدعون إلى السجود في ذلك الموقف تعبداً وتكليفاً، ولكن توبيخاً وتعنيفاً على تركهم السجود في الدنيا.
- ٥- الله تعالى يسلب عن هؤلآء الكفار والمنافقين القدرة على السجود، ويحول بينهم وبين الاستطاعة،
 حتى تزداد حسرتهم وندامتهم على ما فرطوا فيه، حين دعوا إليه في الدنيا وهم سالموا الأطراف والمفاصل.
 ٦- في الآية وعيد وتهديد لمن أعرض عن شرع الله تعالى (١٤٦٠).

(١٤٣) انظر تفسير الخازن ٧١/٧، وتفسير أبي السعود ٢٣٣/٨، و التحرير والتنوير ١١٧.١١٥/٢٨، والمقتطف من عيون التفاسير ٢٢٦/٥.

(١٤٤) القلم: ٤٣.

(۱٤٥) انظر تفسير الطبري ٢٣٠٤/٦، وتفسير البغوي ٢٠٠/٨، و تفسير الخازن ١٤٠/٧، وتفسير ابن كثير ٤٠٨/٤، وفتح القدير ٣٩١/٥، وتفسير السعدي (٨٨١).

(١٤٦) انظر التفسير الكبير ٨٥/٣٠، والمقتطف من عيون التفاسير ٣٠٣/٥، وصفوة التفاسير٣/٤٣، وأيسر التفاسير٤/٥٣٧.

إذا تأملنا في هذه الآية نجد أن قوله تعالى: ﴿ خَشِعَةً أَصَرُهُمْ رَبَّهَ عُمْمٌ ذِلَةٌ وَقَدَكَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السَّجُودِ وَهُمْ سَلِمُونَ ﴾ إدماجا لذكر بعض ما يحصل من أحوال ذلك اليوم. ونسبة الخشوع والذل للأبصار كناية عن الذلة والهوان، لأن ما في القلب يعرف في العين. واستعير وصف الخيشوع للأبصار، لأن الخاشع يكون مطأطئا مختفيا. وجملة ﴿ زَعَقُهُمْ ذِلَةً ﴾ حال ثانية من ضمير ﴿ فَلا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ (١٤٠٠).

وجملة: ﴿ وَقَدَكَانُواْ يُدَعُونَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَمُ سَلِمُونَ ﴾ معترضة بين ما قبلها وما تفرع عنها، أي كانوا في الدنيا يدعون إلى السجود لله وحده، وهم سالمون من مثل الحالة التي هم عليها في يوم الحشر. والواو للحال وللاعتراض، وجملة ﴿ وَمُ سَلِمُونَ ﴾ ما ضمير ﴿ يُدْعُونَ ﴾ ، أي وهم قادرون لا علة تعوقهم في أجسادهم. (١٤٨)

قوله تعالى: ﴿ خَشِعَةً أَضَرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةً ۗ وَقَدْكَانُواْ يُدْعَوْنَ ﴾ (١٤٩).

قوله تعالى: ﴿ خَنْيِعَةً أَنْصَرُهُم ﴾ أي: خاضعة أبصارهم ذليلة، لما ملك قلوبهم من القلق والخزي والهوان ﴿ رَهَمْهُمْ ذِلَةٌ ﴾ أي: تغشاهم ذلة وهوان، في مقابلة ما استكبروا في الدنيا عن الطاعة، فخشعت منهم الأبصار، وسكنت منهم الحركات، وانقطعت الأصوات.

﴿ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا اللهِ عَلَمُونَ ﴾ أي: هذا اليوم الذي وصفت صفته، هو يوم القيامة، الذي كان كفار قريش يوعدونَ في الدنيا أنهم ملا قوه في الآخرة، ولا بد من الوفاء بوعد الله. ففي ذلك اليوم المشهود يبلغ العذاب منهم مبلغه، ويَهُون فيه شأنهم، ويظهر خوفهم، ويتبين فزعهم (١٥٠٠).

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٢. بيان ذلة الكافرين ومهانتهم يوم القيامة.

٣. تحقق وعيد الله عز وجل في الدنيا بعقاب الكافرين يوم القيامة (١٥١).

(١٤٧) القلم: ٤٢.

(١٤٨) انظر حاشية الجمل على الجلالين ٤/٣٩، و التحرير والتنوير ٢٩/٢٩.

(١٤٩) المعارج: ٤٤.

(۱۵۰) انظر تفسير الطبري ۲۹۰/۱۹، وتفسير البغوي ۲۲٦/۸، و تفسير الخازن ۱۵۳/۷، وتفسير ابن كثير ٤٢٤/٤، وفتح القدير ٥٢٠/٥).

(١٥١) انظر المقتطف من عيون التفاسير ٥/٣٢٨، وصفوة التفاسير ٤٤٤٧/٣، وأيسر التفاسير ٤/ ٥٥٥.

إذا تأملنا في هذه الآية نجد أن قوله تعالى: ﴿ خَشِعَةً أَبْصَرُهُمْ ﴾ وصف للأبصار بالخشوع، مع أنه وصف للكل، لغاية ظهور آثاره فيها. وخشوع الأبصار هنا استعارة للنظر إلى أسفل من الذل، كما قال تعالى: ﴿ يَنْظُرُونَ مِن طَرِّفٍ خَفِي ﴾ (١٥٢)، وقال: ﴿ خُشَعًا أَبْصَدُهُمْ يَغُرُجُونَ مِن ٱلأَجْدَاثِ كَأَنَهُمْ جَرَادٌ مُنتَثِيرٌ ﴾ (١٥٢). وذكر الخبر: ﴿ خَشِعةً ﴾ بلفظ الماضي لأن ما وعد الله به يكون ولا محالة. وقوله تعالى: ﴿ زَهَفَهُمْ فِلَةٌ ﴾ الرهق: الغشيان (١٥٥)، والتعبير به هنا استعارة، لأن الذلة لا تغشى.

وجملة ﴿ ذَلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُواْ فَوَعَدُونَ ﴾ رجوع لما تضمنته السورة في أول أغراضها من قوله: ﴿ سَأَلَ سَآبِلُا مِعَذَابِ وَاقِعِ اللَّهِ وَلَا اللَّهِ مِنَابِ وَاقِعِ اللَّهِ وَلَا لَيْكَ فِرِينَ لَيْسَ لَهُ, دَافِعٌ أَنْ مِقْدَارُهُ، مَعْذَابِ وَاقِعِ اللَّهُ وَاللَّهُ مُ اللَّهُ فِي يَوْمِ كَانَ مِقْدَارُهُ، خَسِينَ أَلَفَ سَنَةٍ ﴾ (١٥٥٠)، وهي مفيدة مع ذلك تأكيد جملة: {حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ اللَّذِي يُوعَدُونَ}، وفيها محسن رد العجز على الصدر المحارث .

قوله تعالى: ﴿ قُلُوبٌ يَوْمَبِذِ وَاجِفَةً ﴿ أَبُصَـٰرُهَا خَشِعَةٌ ﴾. (١٥٧)

قوله تعالى: ﴿ قُلُوبٌ يَوْمَهِذِ وَاجِفَةً ﴾ أي: قلوب الكفار في ذلك اليوم خائفة وجلةٌ مضطربة.

وقوله تعالى: ﴿ أَبُصَدُهُمَا خَشِعَةٌ ﴾ أي: أبصار أصحابها ذليلة ، مما قد علاهم من الكآبة والحزن ، وملك قلوبهم من الخوف والرعب ، وأذهل أفئدتهم من الفزع والقلق ، وغلب عليهم من التأسف والحزن ، واستولى عليهم من الحسرة والندم ، في هول ذلك اليوم ، كقوله تعالى : ﴿ وَتَرَبُّهُم يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِي ﴾ . (١٥٨، ١٥٩)

⁽١٥٢) الشورى: ٤٥.

⁽١٥٣) القمر: ٧.

⁽١٥٤) انظر معجم مقاييس اللغة ٢/١٥٦، و مفردات ألفاظ القرآن: ٣٦٧.

⁽١٥٥) المعارج: ١٤٠

⁽١٥٦) انظر تفسير القرطبي ٢٩٧/٢٨، و تفسير أبي السعود ٣٥/٩، و التحرير والتنوير ٢٩/٢٨.

⁽۱۵۷) النازعات: ۸،۸.

⁽۱۵۸) الشورى: ٤٥.

⁽۱۵۹) انظر تفسير الطبري ۳۳/۳۰، وتفسير البغوي ۳۲۷/۸، و تفسير الخازن ۲۰٦/۷، وتفسير ابن كثير ۲۷/۲۶، وفتح القدير ٥٩٠٨).

п п

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٢ بيان عظم هول يوم القيامة.

٣- تصوير حال الكافرين يوم القيامة ، بما يظهر من ذلتهم وشدة اضطرابهم وخوفهم.

٤. ذلة أبصار الكافرين ذلك اليوم ليس من خشية الله تعالى، وإنما من شدة الذل والهوان (١٦٠٠).

وإذا تأملنا في هذه الآية نجد أن جملة: ﴿ أَبْصَرُهَا خَشِعَةٌ ﴾ خبر ثان عن: ﴿ قُلُوبٌ ﴾ ، وقد زاد المراد من الوجيف بيانا قوله: ﴿ أَبْصَرُهَا خَشِعَةٌ ﴾ ، أي أبصار أصحاب القلوب، وإضافة {أبصار} إلى ضمير القلوب للملابسة ، لأن الأبصار لأصحاب القلوب ، وكلاهما من جوارح الأجساد ، مثل قوله تعالى: ﴿ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْضُحُهَا ﴾ (١٦١) .

والخشوع حقيقته: الخضوع والتذلل، وهو هيئة للإنسان، ووصَفُ الأبصار به هنا مجاز في الانخفاض، والنظر من طرف خفي، من شدة الهلع والخوف من فظيع ما تشاهده من سوء المعاملة، كما قال تعالى: {خُشُعاً أَبْصَارُهُمْ} (١٦٢٠)، ومثله قوله تعالى: {وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ } (١٦٢٠) (١٦٤٠)

قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ. وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴾(١٦٥).

في هذه الآيات إخبار من الله تعالى عن القيامة التي تغشى الخلائق بأهوالها وأفزاعها، فوجوه الكفار يوم القيامة ذليلة بالعذاب، فهي خاضعة مهينة. فالمراد بالخشوع هنا: المذلة، كقوله تعالى: ﴿ وَتَرَفَهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِعِينَ مِنَ ٱلذَّلِ ﴾ (١٦٠)، وقوله تعالى: ﴿ خَشِعَةً أَشَرُهُمْ رَقِهَهُمْ ذِلَةٌ ﴾ (١٦٠).

⁽١٦٠) انظر المقتطف من عيون التفاسير ١٣٤/٥، ١٣٤، وصفوة التفاسير ٢٨٤،٥١٤، وأيسر التفاسير ٢٥٩/٤.

⁽١٦١) النازعات: ٤٦.

⁽١٦٢) القمر : ٧.

⁽١٦٣) القيامة: ٢٤.

⁽١٦٤) انظر تفسير ابن كثير٤/٤١، والتحرير والتنوير٠٣٨٨.

⁽١٦٥) الغاشية: ١،٢.

⁽١٦٦) الشورى: ٤٥.

⁽١٦٧) المعارج: ٤٤.

⁽۱٦٨) انظر تفسير الطبري ١٦٠، ١٥٩/٣، وتفسير البغوي ٨ /٤٠٧، وتفسير القرطبي ٢٦/٢، وتفسير الخازن ٢٣٧/٧، وتفسير ابن كثير ٢٦/٤، ٥ ، وفتح القدير ٦١٤، ٦١٥، وتفسير السعدي (٩٢١، ٩٢١)، وصفوة التفاسير ٣٥٥٣.

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٢- من أسماء القيامة الغاشية ، لأنها تغشى الناس بأهوالها.

٣. وجوه الكفار يوم القيامة ذليلة مهينة ، لما اعترى أصحابها من الخزي والهوان (١٦٩).

الاستفهام هنا أريد به التعجيب مما في حيِّزه، والتشويق إلى استماع الخبر، وللتنبيه والتفخيم لشأنها، والإشعار بأنه من الأحاديث البديعة، التي حقها أن يتناقلها الرواة، ويتنافس في تلقيها الوعاة، من كل حاضر وباد. أي: هل جاءك يا محمد خبر الداهية العظيمة التي تغشى الناس وتعمهم بشدائدها وأهوالها.

و: ﴿ ٱلْعَنْشِيَةِ ﴾ هنا: علم بالغلبة على ساعة القيامة، كما يؤذن بذلك قوله عقبه: ﴿ يُوَمَيِنِ ﴾ أي: يوم الغاشية، أو يوم إذا غشيت. وقوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يُومَيِنٍ خَشِعةً ﴾ إلى: ﴿ وَزَرَائِيُ مَبُونَةً ﴾ (١٧١) استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ من الاستفهام التشويقي، كأنه قيل من جهته صلى الله عليه وسلم: ما أتاني حديثها، فما حديثها؟ فقيل: ﴿ وُجُوهٌ يَومَينٍ خَشِعةً ﴾. ف ﴿ وُجُوهٌ ﴾ مبتدأ، ولا بأس بتنكيرها، لأنها في موضع التنويع، و: ﴿ خَشِعةُ ﴾ و: ﴿ خَشِعةٌ ﴾ وفي مؤلم ون ﴿ خَشِعةٌ ﴾ والمجنون الخ. والوجوه هنا: و ﴿ عَلِملَةٌ ﴾ (١٧١) و: ﴿ نَاصِمةً ﴾ (١٧١) أخبار ثلاثة عن: ﴿ وُجُوهٌ ﴾ ، والمعنى: أناس خاشعون الخ. والوجوه هنا: كناية عن أصحابها، فعبر بالجزء عن الكل، وقرينة ذلك قوله تعالى بعده: ﴿ لَيْسَ لَمُمُ طَعامُ إِلّا مِن ضَرِيعٍ ﴾ (١٧١) إذ كناية عن أصحابها هنا، وفي مثل هذا المقام (١٤١١) لأن الوجه أشرف أعضاء الإنسان، ولأن حالة الوجوه تنبئ عن حالة أصحابها، إذ الوجه عنوان عما يجده صاحبه من نعيم أو شقوة، كما يقال خرج بوجه غير الوجه الذي دخل به. ويجوز أن يجعل إسناد الخشوع والعمل والنَّصب من نعيم أو شقوة، كما يقال خرج بوجه غير الوجه الذي دخل به. ويجوز أن يجعل إسناد الخشوع والعمل والنَّصب ألى : ﴿ وَجُوهٌ ﴾ من قبيل المجاز العقلى، أي أصحاب وجوه.

⁽١٦٩) انظر تفسير القرطبي ٢٠/٢٠، ٢٥، والمقتطف من عيون التفاسير ٤٨٥/٥، وصفوة التفاسير ٣/٥٥٢، وأيسر التفاسير ٣٥٩/٤.

⁽۱۷۰) الغاشية: ١٦.

⁽۱۷۱) الغاشية: ٣.

⁽۱۷۲) الغاشية: ٣.

⁽۱۷۳) الغاشية: ٦.

⁽١٧٤) كما في قوله تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ} عبس: ٣٨.

و: ﴿ يُوْمَبِدٍ ﴾ متعلق ب: ﴿ خَشِعَةً ﴾ ، و قدم على متعلقه للاهتمام بذلك اليوم والتنوين في : ﴿ يُوْمَبِدٍ ﴾ عوضاً عن الجملة ، ولم تتقدم جملة تصلح أن يكون التنوين عوض عنها ، لكن تقدم ما يدل عليها ، وهو بلفظ : ﴿ ٱلْغَنْشِيَةِ ﴾ ، وأل موصولة باسم الفاعل ، فتنحل للتي غشيت ، أي : للداهية التي غشيت ، فالتنوين عوض عن هذه الجملة .

وأوثر وصف: ﴿ خَشِعَةً ﴾ ، و: ﴿ عَامِلَةً ﴾ ، و: ﴿ عَامِلَةً ﴾ تعريضا بأهل الشقاء، بتذكيرهم بأنهم تركوا الخشوع لله، والعمل بما أَمَرَ به، والنصب في القيام بطاعته، فجازاهم بذلك خشوع مذلة، وعمل مشقة، ونصب إرهاق جزاء وفاقاً. (١٧٥) نعوذ بالله من حال ومآل هؤلاء.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان. أما بعد:

فبعد إعداد هذا البحث في آيات الخشوع ـ دراسة تفسيرية ـ ظهر لي الآتي:

- ١- هذا الموضوع في غاية الأهمية، فهو روح العبادة وسرها.
- ۲- التزام الرسول صلى الله عليه وسلم، وصحابته الكرام رضي الله تعالى عنهم، والسلف الصالح من هذه
 الأمة رحمهم الله تعالى بهذا الخلق العظيم.
 - ٣- تفاوت الناس في الخشوع لله سبحانه وتعالى بحسب القوة والضعف في إيانهم.
 - ٤- تهاون الكثير من الناس في إخلاص الخشوع لله تعالى، وانشغالهم بأمور الدنيا.
- 0- الخشوع المعتبر هو ما تواطأت فيه الجوارح مع القلب، وهذا خشوع الإيمان، أما ما ظهر على الجوارح من أجل محمدة الناس، وفرغ منه القلب، فهو خشوع النفاق، الذي لا ينتفع منه صاحبه، ولو تكلف له. أما إذا تكلف له مع مجاهدة حضور قلبه، لترويض النفس على خشوعها لله تعالى، فهذا ليس بمذموم، بشرط أن لا يظهر ذلك أمام الناس.
- ٦- أسباب الخشوع كثيرة، وبعضها تابع لبعض، ولكن أهمها: استحضار عظمة الله تعالى، والإقبال إليه بالفكر والقلب والجوارح، فيعبد الله كأنه يراه.
 - ٧- الخشوع في القرآن يكون بمعنى: التواضع، والخوف، وسكون الجوارح، والتذلل، واليبس.

⁽١٧٥)انظر تفسير القرطبي ٢٦/٢٠، وتفسير الخازن٢٣٧/٧، وتفسير أبي السعود ١٤٨/٩، وحاشية الجمل على الجلالين ٥٢٤/٤، والتحرير والتنوير ٢٩٦٠٢٠، والمقتطف من عيون التفاسير ٤٨٥/٥، وصفوة التفاسير ٥٥١/٣.

- ٨- خشوع المؤمن لله تعالى في الدنيا سبب لأمنه يوم القيامة ، أما كبرياء وتعالى المتكبرين عن طاعته جل
 وعلا فهو سبب لذلهم وهوانهم على الله تعالى يوم القيامة.
- ٩- المبادرة إلى اتخاذ القرار الشجاع، والدخول في موكب الإيمان، والخشوع لله تعالى، والعمل بشرعه، بكل
 قوة وشجاعة، وتجرد لله عز وجل، واستعانة بالصبر والصلاة.
- ١٠ هذه المبادرة كبيرة وشاقة، إلا على الخاشعين الخاضعين لله عز وجل، العاملين بتقواه، الموقنين بلقائه والرجعة إليه.
- ۱۱- اليقين بلقاء الله تعالى هو مناط الخضوع له سبحانه و تعالى، والعمل بتقواه، والصبر على مجاهدة النفس، ومنعها من تطاولها، وترك حظوظها، وقمعها عن شهواتها.
 - ١٢ ظهور أثر القرآن على العلماء الصالحين من أهل الكتاب، حيث خروا سجداً لله تعالى.
 - ١٣ مهابة الحي القيوم تغمر النفوس يوم القيامة ، فتذل وتسكن هيبةً لله تعالى.
 - ١٤- فضيلة المسارعة إلى الخيرات، والخشوع في العبادات، وخاصة في الصلاة والدعاء.
 - ١٥- ظهور أثر العمل الصالح الخالص، والتذلل لله سبحانه وتعالى في السر والعلن.
- 17- تقرير مبدأ التساوي بين الرجال والنساء في العمل والجزاء، فيما كلف الله تعالى به النساء والرجال معاً، أما ما خص به سبحانه الرجال أو النساء فهو على خصوصيته.
 - ١٧- تقرير عقيدة البعث والجزاء بإحياء الأرض بعد موتها.
 - ١٨ خشوع الكفار يوم القيامة ليس من التقوى ولا من الحياء، لكنه من الذل والموان.
- 19 بيان بعض أهوال القيامة وشدائدها، بأسلوب مخيف يهز المشاعر، ويحرك في النفس الرعب والفزع من هول ذلك اليوم العصيب، لأخذ العبرة والعظة.
- ٢٠ التذكير للمؤمنين بالحرص على المسارعة إلى طاعة الله تعالى، ولزوم تقواه، مع النهي عن مماثلة أهل الكتاب في قسوة القلوب، فليس وراءها إلا الفسق والخروج عن طاعة الله تعالى.
- ٢١- لا يأس من قلب خمد وأعرض وقسا وتبلد، فإنه يمكن أن تدب فيه الحياة، وأن يخشع لذكر الله تعالى، فالله تعالى يحيي الأرض بعد موتها.
 - ٢٢- بيان عظمة القرآن الكريم، ودناءة حال الإنسان الذي لا يتأثر بهذا القرآن.
- ٢٣- الحث على تأمل مواعظ القرآن، وأنه لا عذر لأحد في ترك التدبر، وتوبيخ من لم يتخشع عند تلاوة القرآن أو استماعه.

п п

- ٢٤- تحقق وعيد الله عز وجل في الدنيا بعقاب الكافرين يوم القيامة.
- ٧٥- ذلة أبصار الكافرين يوم القيامة ليس من خشية الله تعالى، وإنما من شدة الذل والهوان.
- 77- من أخلص خشوعه لله تعالى في الدنيا، أكرمه ربه جل وعلا في الآخرة، فالجزاء من جنس العمل. وفي الختام أسأل الله تعالى أن يبارك في هذا البحث، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم، إنه سميع مجيب، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين.
 - [1] آيات الخشوع في القرآن وأثرها في التربية: عبد الله حسين المغربي، نشر بيت الأفكار الدولية.
 - [٢] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين الشنقيطي (١٣٩٣هـ)، نشر عالم الكتب بيروت.
 - [٣] أعمال القلوب: د/ خالد بن عثمان السبت، ينظر موقع المؤلف: www.khaledalsabt.com
- [٤] إنباء الغُمر بأبناء العمر في التاريخ: للحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر (٨٥٢)، طبع تحت مراقبة د/ محمد عبد المعين خان، نشر دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.
 - [0] أيسر التفاسير لكلام العلى الكبير: أبو بكر جابر الجزائري: الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.
- [7] البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: محمد بن علي الشوكاني (١٢٥٠هـ)، وضع حواشيه خليل المنصور، نشر دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
- [V] التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار: الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (٩٥٥هـ)، قدم له وعلق عليه د/ محمد جميل غازي، نشر المكتبة العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ.
- [۸] تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبي السعود محمد بن محمد العمادي (٩٥١هـ)، نشر دار أحياء التراث العربي بيروت.
- [9] تفسير البغوي معالم التنزيل: أبو محمد الحسين بن سعود البغوي (١٦٥هـ)، تحقيق / محمد عبد الله النمر عثمان جمعة ضميرية ـ سليمان مسلم الحرش، نشر دار طيبة، الرياض ١٤١٢هـ.
 - [۱۰] تفسير التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور (۱۳۹٤هـ)، نشر دار سحنون تونس.
- [۱۱] تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل: علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي(٧٢٥ هـ)، نشر شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ـ مصر الثانية ١٣٧٥هـ.
- [۱۲] تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل: محمد جمال الدين القاسمي (١٣٣٤هـ)، تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقى، نشر دار إحياء الكتب العربية القاهرة.

- [١٣] تفسير القرآن الجليل المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل: لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفى (٧٠١هـ)، نشر المكتبة الأموية بيروت.
 - [١٤] تفسير القرآن العظيم: إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (٤٧٧هـ)، نشر دار المعرفة بيروت ١٤٠٠هـ.
- [10] التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب: محمد بن عمر بن الحسين الرازي (٦٠٦هـ)، نشر دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
- [17] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر السعدي (١٣٧٦هـ) ، تحقيق / عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، تولى طبعه سليمان بن عبد العزيز الراجحي ، نشر مؤسسة الرسالة ـ بيروت ، الأولى ١٤٢٠هـ ٠٠٠٠م.
- [۱۷] جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعف محمد بن جرير الطبري (۲۱۰هـ)، نشر دار الفكر بيروت، ۱٤۰۸هـ.
- [۱۸] الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (۲۷۹هـ)، تحقيق /أحمد محمد شاكر، نشر دار إحياء التراث العربي بيروت.
- [۱۹] حاشية الجمل على الجلالين المسماة بالفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية: العلامة سليمان الجمل (۱۲۰٤هـ)، نشر دار إحياء التراث العربي بيروت.
 - [۲۰] حقيقة الخشوع: محمد متولى الشعراوي (١٤١٩هـ)، نشر دار القلم بيروت.
 - [۲۱] الخشوع: منزلته، موجباته، آثاره: عبد الحكيم بن محمد بلال. ينظر موقع: www.lahaonline.com
- [٢٢] الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (٧٥٦هـ) تحقيق /د. أحمد الخراط، نشر دار القلم دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.
- [٢٣] الدر المنثور في التفسير المأثور: عبد الرحمن جلال الدين السيوطي (١١٩هـ)، نشر دار الفكر بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.
 - [٢٤] الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة: أحمد بن على بن حجر (٨٥٢)، نشر دار الجميل بيروت ١٤١٤هـ.
- [70] الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة: ابن القيم (٥١ ٧هـ)، نشر دار الكتب العلمية بيروت، ١٣٩٥هـ ١٩٥٧م.
- [٢٦] زاد المعاد في هدي خير العباد: ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، ، تحقيق / شعيب الأرنؤط، عبد القادر الأرنؤط، نشر مؤسسة الرسالة بيروت، الأولى ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

. ...

- [۲۷] سلسلة الأحاديث الصحيحة: محمد ناصر الدين الألباني (١٩٩٩م)، نشر المكتب الإسلامي بيروت، ١٣٩٢هـ.
- [٢٨] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق/ أحمد عبد الغفور عطار، نشر دار العلم للملايين بيروت، الأولى١٣٧٦ هـ ١٩٥٦م.
- [٢٩] سنن ابن ماجة: الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (٢٧٥هـ)، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي، نشر دار إحياء التراث العربي بيروت، ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م.
- [٣٠] سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي(٢٧٥هـ)، إعداد وتعليق/ عزت عبيد الدعاس، نشر محمد علي السيد حرص، الأولى ١٣٨٨هـ، ١٩٦٩م.
 - [٣١] سنن النسائي: أحمد بن شعيب بن على النسائي (٣٠٣هـ)، نشر دار الفكر بيروت، الأولى ١٣٤٨هـ.
- [٣٢] شعب الإيمان: الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٤٥٨هـ)، تحقيق/ أبي هاجر محمد بسيوني زغلول، نشر دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
- [٣٣] صحيح البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (٢٥٦هـ)، تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقى، المكتبة الإسلامية استانبول ١٩٨١م.
- [٣٤] صحيح الجامع الصغير: محمد ناصر الدين الألباني (١٩٩٩م)، نشر المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الثانية الدين الألباني (١٩٩٩م).
- [٣٥] صحيح سنن أبي داود: محمد ناصر الدين الألباني (١٩٩٩م)، نشر المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
- [٣٦] صحيح سنن الترمذي: محمد ناصر الدين الألباني (١٩٩٩م)، نشر المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
- [٣٧] صحيح سنن النسائي: محمد ناصر الدين الألباني (١٩٩٩م)، نشر المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
- [٣٨] صحيح مسلم: أبو الحسن مسلم بن حجاج القشيري النيسابوري(٢٦١هـ)، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي، نشر دار إحياء التراث العربي بيروت.
 - [٣٩] صفوة التفاسير: محمد على الصابوني، نشر دار القرآن الكريم بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ.
- [٤٠] عمارة المساجد المعنوية وفضلها: عبد العزيز بن عبد الله الحميدي، وزارة الشئون الإسلامية، الأولى 1819هـ.

- [٤١] فتح الباري بشرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني(٨٥٢هـ)، تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقى، نشر المكتبة السلفية القاهرة الثالثة ١٤٠٧هـ.
- [٤٢] فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن علي بن محمد الشوكاني (١٢٥٠هـ)، نشر دار المعرفة بيروت.
- [٤٣] فيض القدير شرح الجامع الصغير: عبد الرؤف المناوي (١٠٣١هـ)، نشر دار المعرفة بيروت، الطبعة الثانية المعرفة المعرفة
- [٤٤] قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم: الحسين بن محمد الدامغاني، تحقيق/ عبد العزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٨٠م.
- [20] اللباب في علوم الكتاب: لأبي حفص عمر بن علي ابن عادل (٨٨٠هـ)، تحقيق وتعليق/ عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، د/ محمد سعد رمضان حسن، د/ محمد المتولي الدسوقي حرب، نشر محمد على بيضون، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
 - [3] لسان العرب: جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور (٧١١هـ)، نشر دار صادر بيروت، الأولى١٩٩٧م.
- [٤٧] مجموع الفتاوى: أحمد بن تيمية ، تحقيق / عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي (٤٧٦هـ) ، وساعده ابنه ، محمد ، نشر دار عالم الكتب الرياض ، ١٤١٢هـ ١٩٩١م.
- [٤٨] مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: ابن القيم الجوزية (٧٥١هـ)، تحقيق / محمد حامد الفقى، نشر دار الكتاب العربي بيروت، ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م.
 - [٤٩] مسند الإمام أحمد: أحمد بن حنبل (٢٤١هـ) ، نشر دار صادر بيروت.
 - [٥٠] المعجم الصوفي: د/ محمود عبد الرازق، نشر دار ماجد عسيري، السعودية جدة، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.
- [01] معجم مقاييس اللغة: أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا (٣٩٥هـ)، تحقيق / عبد السلام محمد هارون، نشر دار الكتب العلمية إيران.
- [07] مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني (٤٢٥هـ)، تحقيق/ صفوان عدنان داوودي، نشر دار القلم دمشق، الدار الشامية بيروت.
- [07] المقتطف من عيون التفاسير: مصطفى الخيري المنصوري، تحقيق / محمد علي الصابوني، نشر دار القلم دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

Submission Verses: Explanatory Study

M. A. M. Al-aydi

Assistant Professor at department of The Holy Quran & its sciences Faculty of Islamic law & Principles of Religion, AL-Qassim University

(Received 21/1/1429H.; accepted for publication 3/6/1429H.)

Abstract. I prepared introduction , and I mentioned the cause to chose this topic , then preamble and mentioned at first: definition of submission literally and idiomatically , I chose what is make probable by ibn alqayeem: which is standing of heart before the lord of the world in submission. second: its reality is: what is in our soul of love , submission and weakness for Allah , this cause submission of hear and members together , consistent with worship. third: its degrees: divided into three degrees. fourth: its importance: it is the soul of worship and privacy. fifth: its types , it is divided into two types: belief submission , and hypocrisy submission . sixth: its causes: it is so much , the best important cause is: invocation of Allah glory , and approach with think , heart and members , then worship Allah as you see. seventh: the incoming meanings in the holy Quran which is: humbleness , fear , calm of members , and subservience.

Then the explanatory study: I studying submission verses arranged according to the holy Quran , I mentioned the whole meaning utilize from explanations books with clarifying the obscure of strange words and origin of semantics. then I mentioned the intents of verse then I mentioned charming concerning the verse and rhetorical meanings that easier understanding, then I made ascription of Quranic verses mentioning name of sura and number of verse, then exposition of traditions (takhreeg) satisfied with the two true books (al-bokhari – moslim) or one of them , if I not find in the true books , then I move to the sunna books , with discretion to clarify its rank. I do not translate for the great figures, then I mentioned the conclusion then index of references.

(/) - () ()

(/ / /)

. الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد: فإن الإسلام جعل التراضي أساس العقود، ومنع الإغراءات التي تمنع أحد العاقدين من إتمام العقد أو تمنعه من الاستمرار فيه، سواء كان ذلك خطبة على خطبة أو بيعاً على بيع أو إجارة على إجارة؛ لأن ذلك يؤدي إلى الشحناء؛ فحرم الخطبة على الخطبة والبيع على البيع، وأعظم حُرْمة القيام بإفساد عقد تام؛ كتخبيب امرأة على زوجها أو عبداً على سيده فقال قل اليس منا من خبب امرأة على زوجها أو عبداً على سيده) وإن كثيراً من الناس جهلوا آداب الإسلام وأحكامه؛ فيقومون بإغراء أحد المتعاقدين - خاطباً أو باتعاً أو أجيراً أو مستأجراً أو عاملاً - بعدم إتمام العقد، أو يغرونه بفسخ العقد بعد أن تم؛ تحقيقاً لغايات أو مصالح يرونها، وقد يقوم البعض بإغراء عمال الآخرين بعدم تجديد عقودهم مع رب العمل السابق، من أجل أن يتعاقدوا مع من أغراهم، ويرتاب كثير من الناس في حكم هذه الإغراءات، ويرونها تجاوزاً على حقوقهم؛ فأردت بهذا أن أبين حكم هذه الإغراءات وموقف الشرع منها؛ فقمت في هذا البحث ببيان معنى الإغراء ودوافعه وطرقه، وبينت حكم الإغراء ومتى يكون ممنوعاً ومتى يكون جائزاً، سواء كان أثناء العقد، أو بعد تمامه، أو عند تجديده في العقود المتجددة، وحكم إغراء أصحاب الكفاءات الإسلامية المهاجرة بالعودة إلى بلاد الإسلام أو البقاء بعد تمامه، أو عند تجديده في العقود المتجددة، وحكم إغراء أصحاب الكفاءات الإسلامية المهاجرة بالعودة إلى بلاد الإسلام أو البقاء المتزاء المنوع، وأمنال الله تعالى أن يقبل مني ما كان صالحا، ويغفر ما كان خاطئاً، وأن يهديني إلى سواء الصراط.

الحمد لله رب العالمين ؛ الذي خلق الناس لعبادته ، وسخر بعضهم لبعض ؛ من أجل توفير ما يحتاجه كل منهم في معاشه، وشرع لهم ديناً قويماً يحكم بينهم ؛ لا حَرَج فيه ولا عَنت، وأمر بالعدل والإحسان في كل شيء، والصلاة والسلام على النبي المختار محمد بن عبد الله ؛ الذي وضع الله به الإصر والأغلال التي كانت على الأمم السابقة ، وشرع للمسلمين من الأحكام ما ينظم علاقات الناس ببعضهم على أساس من العدل، فلا حيف فيه ولا استغلال، وقد ترك الإسلام حرية العقود لتراضي أطرافها وشروطهم، ما لم يكن فيها مخالفة للشرع، أو ظلم أو استغلال، ومنع التدخلات والإغراءات التي تؤثر في إتمام العقد، أو تسعى لفسخه بعد تمامه ؛ سواء كان ذلك في عقد النكاح، أو المعاملات ، وتعد عقود العمال والإجارات أكثر العقود التي يحصل فيها التدخل لإنهائها، عن طريق إغراء بعض أصحاب المصالح ؛ عمالَ الآخرين وأصحاب الكفاءات والنابهين بالتحول إليه ، لما يرى في تحولهم إليه من تحقيق مكاسب أفضل، وقد يقع حيف على أحد أطراف العقد يمنع استمرار العقد، أو توجد مصلحة ؛ تستدعي إغراء أحد الأطرف بترك الاستمرار في عقد ظالم، أو عقد لا مصلحة له فيه، وقد جَدَّت مسائل في قضايا العَمَل والعُمّال ؟ حيث أصبحت هناك ارتباطات طويلةً، وكفالاتٌ ؛ تجعل العامل مرهوناً لرب العمل، مما قد يسلب العامل بعض حريته في التعاقد مع الآخرين الراغبين فيه، ويصر بعض أرباب العمل على منع العامل عنده؛ من التعاقد مرة أخرى مع غيره، سواء في نفس البلدة، أم في بلدة أخرى! ويقوم آخرون بمحاولات إفساد بعض العمال على أرباب عملهم؛ ويرتاب كثير من الناس في جواز تلك التصرفات وصحتها؟! فأردت بهذا البحث أن أوضح حكم تلك الإغراءات، وحكم الانفعال بها وحكم العقود المترتبة عليها، وجعلت عنوان البحث (حكم الإغراء..) لأن الإغراء يكون بالترغيب؛ دون إجبار، أو إكراه، وقد قسمت هذا البحث إلى تمهيد، وثمانية مباحث، وخاتمة، كما يلي:

: ويشمل ما يلي:

أ) مشكلة البحث

ب) أهداف البحث

ج) فروض البحث

: في تعريف الإغراء، ودوافعه، وفيه ثلاثة مطالب:

: في تعريف الإغراء،

: المصطلحات الواردة في البحث.

: في دوافع الإغراء وأهدافه.

: في حكم الإغراء.

: في الإغراء عند الشروع في العقد، وفيه ثلاثة مطالب:

: في إغراء الخاطب بترك الخطبة

: الإغراء بعدم إتمام البيع

: في بيع المسلم على غير المسلم،

: الإغراء بعدم إتمام عقود المعاوضات

: في الإغراء بنقض العقد، بعد تمامه، وفيه مطالب:

: إغراء أحد الزوجين بإنهاء عقد النكاح، وفيه فرعان:

: إغراء الزوجة بفراق زوجها

: إغراء الزوج بفراق زوجته

: في الإغراء بنقض عقد البيع

: في إغراء العامل بنقض عقده، والفصل من عمله،

: في إغراء العامل والموظف بعدم تجديد عقده، وفيه مطالب:

: إذا لم يكن هناك كفالة ولا تكاليف.

: إذا كان هناك تكاليف دون كفالة.

: إذا كانت هناك كفالة وتكاليف.

: إذا كان لدى رب العمل عمل محدد

: إذا لم يكن لدى رب العمل عمل محدد

: أثر دوافع الإغراء على الحكم

: طريقة الإغراء وأثرها على الحكم

: إغراء أصحاب الكفاءات بالعودة إلى بلاد الإسلام، أو البقاء فيها.

: حكم استجابة الكفاءات الإسلامية لإغراءات الدول الكافرة.

: إغراء رب العمل بصرف عماله.

: في حكم العقد الذي ترتب على الإغراء

: حكم العقد المفتوح بداية ونهاية وفيه مطالب:

: تعريف العقد المفتوح

: حكم العقد المفتوح النهاية

: حكم العقد المفتوح البداية، أو المؤجل التنفيذ.

: في الأضرار المترتبة على الإغراء.

: في النتائج والتوصيات.

وفيه ثلاث فقرات:

:

قد يُعجب بعض أرباب العمل (شركة، أو مؤسسة، أو فرد) بنشاط شخص وحيويته ممن يعمل عند غيره ؛ فيقوم المُعْجَبُ بإغراء العامل بترك عمله الذي يزاوله عند غيره ؛ من أجل أن يكسبه إلى جانبه، لما يرى في ذلك من تحقيق مصالح ومكاسب ؛ أو يتواعد مع العامل على التعاقد معه، بعد إنهاء ارتباطه الحالي، ويرى بعض أرباب العمل أن في ذلك افتياتاً (() على حقهم، وإفساداً لعُمّالهم وموظفيهم، كذلك قد يتقدم شخص لخطبة امرأة أو لشراء شيء، أو التعاقد مع جهةٍ ما، ثم يأتي آخر، أثناء إبرام العقد ويريد أن يكون هو صاحب الحظوة في ذلك العقد ؛ ويرى أن ذلك سائغاً ، ويرى آخرون أن هذا التصرف فيه افتيات عليهم ، وقد يكيد بعض الناس لبعضهم ؛ فيريد إبطال بيع أو عقد، فيغري أحد الطرفين بالفصل عن الآخر، أو يغريه بعدم التجديد كي يتعاقد مع من قام بالإغراء !! ويكثر السؤال حول هذه المسائل ، وعن حكم الشرع في مثل هذه القضايا ؟ سواء بالنسبة لمن قام بالإغراء ؟ أو بالنسبة لمن قبل الإغراء وأعمال ؟؟ لذلك أردت أن أبين حكم الشرع في هذه التصرفات.

:

- ١- أن يوضح حكم ذلك الإغراء وحكم الاستجابة له.
 - ٢- أن يضع حداً للخلاف في تلك القضايا.
- ٣- أن يبين أن الإسلام لا يجيز نقض العقود المُبْرَمة إلا لعذر قاهر.
 - ٤- أن يوضح الفرق بين العقد المحدد المدة، وبين العقد المفتوح.
 - ٥- الحرص على تحقيق الرضا الذي هو أساس العقود في الإسلام.

⁽١) الافتيات: فعل شيء ، دون إذن صاحب الأمر، ولا رضاه ، يقال: فلان لايُفْتَات عليه، أي: لا يُفْعَل شيء دون أمره. انظر: مختار الصحاح والمصباح المنير، والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير مادة (ف و ت)

:

١- أن هذا الفعل محرم، ويفسد ما ترتب عليه من عقود.

٢- أن هذا الفعل محرم، لكن يصح العقد، المترتب عليه.

٣- أن هذا العمل جائز ولا حرج فيه.

٤- أن هذا العمل يجوز في حالات، ويحرم في غيرها.

:

وفيه ثلاثة مطالب:

:

: مصدر أغْرَى يُغْرِي إغراءً، والإغراء هو تزيين الشيء للشخص وتحبيبه به، حتى يُوْلَع به، وهو بمعنى الإثارة والتحريض على الشيء، والحَمْل عليه (٢) كي يفعله، ومنه قوله تعالى ﴿ لَيِن لَرَّ يَنَهِ ٱلْمُنَفِقُونَ وَٱلْدِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضُّ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِي الْمُنْفِقُونَ وَٱلْدِينَةِ لَنُغْرِينَكَ بِهِم ثُمَّ لَا يُجُاوِرُونَكَ فِيهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٣) أي لنحرِّ ضَنَّك على قتالهم (١)، ويأتي الإغراء بعنى: التحريش (٥) للإفساد، يقال: أغريت بين القوم، أي: أفسدت بينهم (١). وقد عاقب الله تعالى أهل الكتاب على معاصيهم، بإثارة العداوة بينهم، فقال سبحانه: ﴿ وَمِنَ ٱلّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَدَرَى ٓ أَخَذُنَا مِيثَقَهُمْ فَسَوُا حَظًا مِّمَا وَوَرَا لِقِيكَمَةً وَسَوُفَ يُنْبِعُهُمُ ٱللّهُ بِمَا كَاوُا يَصَنَعُونَ ﴾ (٧)

:

وهي:

أ) (الإغراء) هو تزيين الشيء للشخص وتحبيبه إليه، حتى يُوْلُع به، ويحرص عليه.

ب) (المُغْري): هو من يقوم بعملية الإغراء.

ج) (الْمُغْرَى): هو من وقع عليه الإغراء؛ من عامل أو موظف أو خادم أو غيره.

^() انظر: المصباح المنير ٦١١ مادة: غُرِيَ

⁽⁾ سورة الأحزاب /٦٠

^() قال قتادة: لنغرينك: لنحرشَنَّك بهم. انظر: تفسير ابن كثير ٢/٢٧٦

^() الجامع لأحكام القرآن؛ للقرطبي ١١٧/٦- ١١٨

^() انظر: المصباح المنير ٦١١

^() سورة المائدة /١٤

- د) (العامِل): هو كل من التزم القيام بعملٍ لغيره بأجر، سواء كان عاملاً بيده أو فكره، أو موظفاً، أو خادماً، وسواء كان أجيراً خاصاً؛ أو أجيراً مشتركاً.
- هـ) (الأجير الخاص) هو الذي يلتزم بالعمل مدة محددة، عند شخص واحد، أو جهة واحدة، ويُحَدَّد عملُه وأجرته عادة باليوم، أو بالشهر، أو بالسنة؛ أو بالساعة، كمن استُؤجِر لخدمة شخص معين، أو لرعى غنمه، قال في الهداية: هو الذي يستحق الأجرة بتسليم نفسه في المدة، وإن لم يعمل (^).
- و) (الأجير المشترك): هو الذي يتقبل أعمالاً في ذمته لأكثر من شخص؛ كالغسال والنجار والخياط، وهذا لا يستحق الأجرة حتى يؤدي العمل الذي كُلِّف به (٩).
- ز) (التخبيب): هو الإفساد، يقال: خَبَّبَ عليه عبده وامرأته؛ أفسده (۱۰۰ وذلك بأن يأمره بمعصيته، والخروج عليه، والنشوز عنه، والتَّشَوف إلى غيره، والانفصال عنه، وكذلك يقال بالنسبة للعامل.
- ح) (العقد المفتوح) هو الذي يتفق فيه طرفا العقد على منفعةِ مدةٍ معلومةٍ بأجرة معلومة ؛ كأجرة شهر أو يوم، ولا يتعرضان لتجديد العقد فيما زاد على المدة المتفق عليها، كما لو استأجر دهاناً ليعمل عنده كل شهر بألف، ولم يحددا كم شهراً سيعمل الدهان ؟.
- ط) (المُيَاوَمَة): هي عقد إجارة يُقَدَّر للعامل فيه أجرٌ معلوم باليوم، أو على عمل اليوم؛ كأن يقول رب العمل للعامل: أتعمل عندي في الحراثة أو قيادة السيارة الفلانية، ولك كل يوم مائة درهم ويتفقان على ذلك.
- ي) (المُشَاهَرَة): هي عقد يقدر فيه أجر العامل بالشهر. كان يقول: اعمل عندي العمل الفلاني ولك ألف درهم في كل شهر.
- ك) (المُعَاوَمَة): عقد يقدر فيه أجر العامل بالعام أو السنة، مثل: اخدمني في عمل البيت، ولك عشرة آلاف درهم في السنة.
- ل) (أصحاب الكفاءات) هم الأشخاص الذين لديهم خبرات علمية، أو براعة في بعض التخصصات النادرة التي تحتاجها الأمة.

:

قد يكون الدافع إلى الإغراء؛ تحقيق مصلحة، وقد يكون الهدف منه الإضرار، وسأتكلم على هذين القسمين فيما يلى:

^() انظر: شروح المهداية مع فتح القدير ٩/٥٦و ١٢١

^() انظر: شروح الهداية مع فتح القدير ٢٥/٩و١٢١

^() أساس البلاغة ؛ للزمخشري ، ط دار المعرفة بيروت، ص ١٠٢

الإغراء لتحقيق مصلحة، وهذه المصلحة قد تكون مصلحة دينية؛ أو مصلحة شخصية، لمن وقع عليه الإغراء أو مصلحة شخصية لمن قام بالإغراء:

أولاً: المصلحة الدينية: كأن يكون العمل الذي يزاوله العامل حراماً، كما لو كان العامل مسلماً يعمل في صنع الخمور، أو في كتابة الربا، أو في البنوك الربوية؛ أو تكون امرأة مسلمة تحت كافر، لا تحل له، وقد يكون هناك أصحاب كفاءات عالية في تخصص معين، يعملون خارج البلاد الإسلامية فنريد كسبهم، أو قد يريد أصحاب الكفاءات الهجرة من بلاد المسلمين بحثاً عن الرزق؛ فنغريهم بالبقاء في بلاد المسلمين لئلا تتصحر إمكاناتها العقلية والعلمية.

ثانياً: المصلحة الشخصية، لمن وقع عليه الإغراء. بأن يلحظ شخص؛ أب، أو صديق للعامل، أو غيرهما، مصلحة العامل؛ فيرى أن هذا العمل لا يتناسب مع صحة العامل، أو حاجته؛ وأنه لا يكاد يكفيه؛ لبناء بيت، والإنفاق على أسرة؛ فينصحه؛ بترك هذا العمل وعدم الاستمرار فيه، أو عدم تجديد العقد، والبحث عن عمل، وقد يرى بعض الناس ضرراً على أحد الزوجين في استمرار العقد فيغريه بالفرقة.

ثالثاً: مصلحة من قام بالإغراء؛ بأن يعجب شخص بامرأة، أو مبيع، أو عامل، قد سبقه إليه غيره؛ فيأتي هذا؛ ويقوم بإغراء أحد الطرفين بعدم إتمام العقد مع الطرف السابق، بل معه هو، وكذلك قد يُعْجَب شخص بامرأة فيغري زوجها بطلاقها ليتزوجها، وكذلك العكس، وقد يعجب شخص بنشاط عامل أو موظف يعمل عند آخرين؛ فيريد كسبه إلى جانبه ليعمل عنده.

الإغراء بهدف الإضرار بأحد العاقدين من زوج أو زوجة أو بائع أو عامل أو رب عمل: كما لو كان هناك شخص حاسد أو حاقد، يريد الإضرار بمنافس له، فيغري العاملين عند منافسه بترك عملهم، وذلك بذم رب العمل والتهويل في صعوبات العمل، أو يشيع إشاعات كاذبة ؛ بأن هذه الشركة قادمة على إفلاس، أو حصار، أو مقاطعة...أو قد يقصد الإفساد بين الزوجين.

:

يختلف حكم الإغراء بحسب الوسيلة والغاية ؛ فالإغراء بوسيلة مباحة ؛ للتوصل إلى مباح ؛ يعتبر أمراً مباحاً ؛ مثل تَجَمّل المرأة لزوجها ، وتزيين الشخص بضاعته وإحسان عرضها ، بلا تدليس.

والإغراء بوسيلة مباحة توصل إلى مندوبٍ أو واجبٍ، مستحبٌ، أو واجبٌ، مثل: إغراء الأب ابنه بشيء من المال؛ ليحفظ من القرآن ما يقيم به صلاته.

والإغراء بوسيلة توصل إلى حرامٍ محرمٌ، مثل: إغراء المرأة الرّجلَ الأجنبيّ بإظهار زينتها ومفاتنها أمامه، أو الخضوع له بالقول.

ويختلف حكم الإغراء الحاصل عند الشروع في العقد، عن الإغراء بعد تمام العقد، عن الإغراء عند تجديد العقد، وسأبحث هذا في المباحث التالية:

:

وفيه أربعة مطالب:

:

الخِطبة مقدمة لعقد النكاح، فإذا شرع الخاطبان في الخِطبة حرم لخاطب ثالث؛ أن يدخل على أحدهما بهدف التعاقد معه، وصرفه عن الآخر، ما لم يَدَع أحد الطرفين التعاقد، أو يظهر أحد الطرفين عدم رغبته في الآخر، عندئذ يسمح بتقدم طرف جديد (۱۱)؛ دليل ذلك قوله صلى الله عليه وسلم (لا يَبيعُ الرَّجُلُ عَلَى بَيْع أَخِيهِ وَلا يَخْطُبُ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ) والنهي هنا موجه للرجل، لكنه شامل لكلا طرفي العقد رجلاً كان الخاطب، أو امرأة؛ كما هو الحال في طرفي عقد البيع.

أما إذا كان الإغراء من شخص لا يريد الخطبة لنفسه، فإن ذلك جائز لحديث فاطمة بنت قيس؛ حيث ذكرت للرسول # أنه خطبها معاوية وأبو الجهم؛ فأشار عليها بنكاح أسامة بن زيد (١٣) ومكان الاستشهاد؛ أن الرسول #؛ لما لم يكن له مصلحة؛ فقد خطبها لأسامة بن زيد، على خطبة معاوية وأبي الجهم، وإغراء الطرف الثالث الذي لا مصلحة له، يعتبر نوعاً من النصح المطلوب.

:

وذلك كما لو شرع طرفا العقد بإبرام عقد البيع، ولَمَّا يتفقا بعد؛ فجاء شخص أثناء فترة الخيار، وعرض على أحدهما خيراً من المبيع بمثل الثمن، أو مثل المبيع بثمن أقل، فهذا عمل محرم؛ لما يلي:

ا- لقوله ﷺ (لا يَبِيعُ الرَّجُلُ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ) أَن وفي رواية (.. ولا يَسُم على سَوْم أخيه) أالله على البيع البيع

^() روضة الطالبين، ط، المكتب الإسلامي ، بيروت، ٧/ ٣١

^() صحيح البخاري، ط: مكتبة الرشد ، الرياض، ص٢٨٣ رقم ٢١٤٠، وصحيح مسلم، ط: مكتبة الرشد ، الرياض، ص٣٤٧ رقم ٣٤٧ رقم ٣٤٧ .

^() شرح النووي على مسلم ١٩٨/٩

^() صحيح البخاري، ص٢٨٣ رقم ٢١٤٠، وصحيح مسلم، ص٣٤٧ رقم ١٤١٣، وسنن الترمذي ٢٨٠٣ رقم ١١٣٤.

⁾ صحیح مسلم، ص ۳٤۸ رقم ۱٤۱۳، وسنن ابن ماجه ۷۳٤/۲ ، رقم ۲۱۷۲

حكم الإغراء بإنهاء العقد

بأنقص، أو يقول للبائع: افسخ لأشتري منك بأزيد، وهو مجمع على حرمته، وأما السوم، فصورته أن يأخذ شيئاً؛ ليشتريه فيقول له: رده لأبيعك خيراً منه بثمنه، أو مثله بأرخص، أو يقول للمالك: استرده؛ لأشتريه منك بأكثر، ومحله بعد استقرار الثمن، ورُكُون أحدهما إلى الآخر، فإن كان ذلك صريحاً، فلا خلاف في التحريم. (١٦)

- ٢- لأن هذا العمل فيه إفساد وإنْجَاش فلا يحل. (١٧)
 - ٣- لأن هذا العمل يسبب العداوة والبغضاء.

:

اختلف الفقهاء في حكم بيع المسلم على غير المسلم إلى قولين:

الأول: قول جمهور الفقهاء: بأن النهي عام يشمل المسلم وغير المسلم (١١) فيشمل بيع المسلم على الذمي وغيره، ولا فرق؛ قياساً على منع الغش والتدليس وبيع الغرر سواء كان العاقدان مسلمين، أو كان أحدهما ذمياً، والآخر مسلماً؛ فلا يجوز البيع على بيع غير المسلم، ولا الإجارة على إجارته، قال ابن عبد البر: وحجة سائر الفقهاء أن الذمي لما دخل في نهيه عن بيع الغرر، وبيع ما لم يقبض، والنَّجْش، وربح ما لم يضمن، ونحو ذلك؛ كان كذلك في السوم على سومه وإذا أطلق الكلام على المسلمين دخل فيه أهل الذمة، والدليل على ذلك اتفاقهم على كراهية سوم الذمى على الذمى فدل على أنهم مُرَادُون. (١١)

^() فتح الباري ٢٥٤/٤، وقال أيضاً: وإن كان ظاهراً؛ ففيه وجهان للشافعية، ونقل ابن حزم اشتراط الركون، عن مالك، وقال: إن لفظ الحديث لا يدل عليه، وتعقب بأنه لا بد من أمر مبين لموضع التحريم في السوم؛ لأن السوم على سوم الأخ في السلعة التي تباع فيمن يزيد أي بالمزاد، لا يحرم اتفاقاً كما نقله ابن عبد البر، فتعين أن السوم المحرم ما وقع فيه قدر زائد على ذلك وقد استثنى بعض الشافعية من تحريم البيع والسوم على الآخر، ما إذا لم يكن المشتري مغبوناً به غبناً فاحشاً وكذلك قال ابن حزم واستدل من أجاز البيع على البيع عند الغبن الفاحش، بحديث (الدين النصيحة ، قلنا لمن؟ قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)(١١) وقالوا: هذا ضرب من النصيحة لأن فيه تخليصاً للمسلم المغبون من البخس والاستغلال، ورد المانعون بأن النصيحة لا تنحصر في البيع والسوم، بل يكن الناصح أن يُعرِّف المغبون: أن قيمتها كذا ، وأنك إن بعتها بكذا مغبون ، من غير أن يزيد فيها فيجمع بذلك بين المصلحتين.اهـ

^() المهذب للشيرازي ٢٩١/١

^() التمهيد لابن عبد البر ١٩٢/١٨، والمحلى ٤٦٦/٩، وشرح النووي على صحيح مسلم ١٩٨/٩، وفتح الباري ٣٥٣/٤

التمهيد لابن عبد البر ١٩٢/١٨

الثاني: قول الأوزاعي: بجواز بيع المسلم على بيع غير المسلم؛ وكذلك ما شابه البيع من التصرفات؛ واستدل بظاهر الحديث؛ حيث قيد # النهي بأخيه أي ببيع المسلم على بيع المسلم، والإجارة على إجارته، ومفهوم الحديث؛ الجواز؛ إذا كان الحق لغير مسلم، لانقطاع الأخوة بين المسلم والكافر (٢٠٠)

- ورد الجمهور استدلال الأوزاعي بمفهوم الحديث؛ بأن التقييد بأخيه، خرج على الغالب؛ فلا يكون له مفهوم يُعْمَل به، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا نَقَنُلُواۤ أَوۡلَادَكُم مِّنَ إِمۡلَاقِ ﴾ (٢١) وقوله تعالى: ﴿ وَرَبَهَمِ مُلْقِي فِي مُهُوم يُعْمَل به، كما في قوله تعالى: ﴿ وَرَبَهَمِ مُلْقِ اللَّهِ عَلَى الْعَالَب (٢٢) مُحُجُورِكُم ﴾ (٢٢) ونظائره، وإنما خرج مخرج الغالب (٢٣)
- والراجح قول الجمهور: لما ذكروه من أدلة، ولأن إحسان المعاملة مطلوب مع المسلم وغير المسلم، وقد قال صلى الله عليه وسلم: (وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ) والسوم على سوم الآخر، والاستئجار على إجارته ليس من الخلق الحسن، فكما لا نرضى أن يسوم الكافر والذمي على سومنا، كذلك لا يجوز أن نسوم على سوم الذمى. والله أعلم

:

ما ذكرنا من حرمة البيع على البيع؛ ينطبق على ما شابهه من عقود المعاوضات والمعاملات كالإجارة وعقود العمل وغير ذلك. فالحديث يدل بمنطوقه على حرمة بيع الرجل على بيع أخيه، ويدل بمفهومه على حرمة الاستئجار على إجارة أخيه، وكذلك باقى المعاملات (٢٥)

:

وفيه ثلاثة مطالب:

:

وفيه فرعان:

الفرع الأول: إغراء الزوجة بفراق زوجها

^() التمهيد لابن عبد البر ١٩٢/١٨ ، والمحلى ٢٦٦/٩ ، وشرح النووي على صحيح مسلم ١٩٨/٩ ، وفتح الباري ٣٥٣/٤ ، ومعالم السنن للخطابي ١٩٥/٣

^() سورة الأنعام /١٥١

^() سورة النساء/٢٣

^() شرح النووي على صحيح مسلم ١٩٨/٩

^() سنن الترمذي ٣/ ٣١٣ رقم ١٩٨٧ ، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح ، ومسند أحمد ١٥٣/٥

^() انظر: كشاف القناع ٣/ ١٨٣ - ١٨٤ ، وحاشية ابن عابدين ١٠٢/٥

حكم الإغراء بإنهاء العقد

الأصل في الزواج؛ أن يكون عقداً دائماً، لا توقيت فيه، لذلك أمر الله تعالى كلاً من الزوجين بإحسان معاشرة الآخر، وذلك حرصاً على استمرار الحياة الزوجية، فقال تعالى: ﴿ وَكَاشِرُوهُنَّ بِاللَّمَعُرُوفِ ﴾ (٢٦) وقال تعالى: ﴿ وَكَاشِرُوهُنَّ مِثْلُ اللَّهِى عَلَيْنَ مِثْلُ اللَّمِي عَلَيْنِ اللَّمُعُرُوفِ ﴾ (٢٧)، لكن قد يطرأ ما يمنع استمرار تلك الحياة مثل كفر الزوج، أو إسلام زوجة الكافر؛ فيمنع الشرع بقاء أحدهما مع الآخر؛ وقد يقع الزوج في الكبائر والفواحش، وتتضرر الزوجة الصالحة ببقائها معه، أو أن يكون الزوج ممن يسيء معاملة زوجته بما تتضرر منه، ولا تستطيع تحمل الضرر، وقد يكون الإغراء كيداً وإضراراً فيختلف حكم الإغراء في كل حالة عن الأخرى

• أما إغراء الزوجة المسلمة بترك زوجها الكافر، ومفاصلته؛ فهو واجب [ما كان ذلك ممكناً،] لأنه إنكار منكر مجمع عليه، لأن المؤمنة لا تحل للكافر، ودليل مشروعية الإغراء هنا:

أولاً: أن الشارع أغرى المؤمنات بالهجرة للخلاص؛ مما لا يحل لهن من الكفار، ومن مضايقاتهم، قال تعالى ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواً إِذَا جَآءَ حُمُ ٱلْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَتٍ فَأَمَتَحِثُوهُنَّ أَللَّهُ أَعَلَمُ بِإِيمَنِينٍ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتِ فَلا تَرْجِعُوهُنَ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لا هُنَّ حَالى ﴿ يَتَأَيُّمُ اللَّهُ أَعَلَمُ بِإِيمَنِينَ فَإِنَّ عَلِمْتُمُوهُنَ إِذَا جَآءَ حُمُوهُنَ إِلَى ٱلْكُفَارِ لا هُنَّ وَالْوَهُم مَّا أَنفَقُوا فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَ إِذَا عَالْيَتُمُوهُنَ أَجُورَهُنَ وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ ٱلْكُوافِ الآهِ ومكان ومكان الاستشهاد بالآية:

- أ) أن الآية أمرت بقبولهن بعد ثبوت إيانهن.
- ب) أن الآية بينت أنهن لا يحللن للكفار، ولا هم يحلون لهن.
 - ج) أمرت الآية بعدم إرجاعهن إلى الكفار.

كل ذلك فيه تشجيع لهن ؛ على الخروج عن أزواجهن واللحاق بمعسكر الإيمان. [ما لم يلجئها فراق الزوج إلى ما هو شر منه ؛ الكفر، أو الزنا] فيختلف حكم الإغراء المطلوب ندباً أو إيجاباً بحسب قوة الدافع وملابساته، وقد قال الله تعالى ﴿ فَٱنْقُوا ٱللّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمُ ﴾.(٢٩)

ثانياً: أن بقاء المسلمة تحت الكافر حرام ومنكر، لا شك فيه (٣٠)، وقد قال الرسول ﴿ (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان). (٣١)

^() سورة النساء/ ١٩

^() سورة البقرة / ٢٢٨

^() سورة الممتحنة /١٠

^() سورة التغابن ١٦

^() قال في التمهيد؛ لابن عبد البر ، ط ، المغرب ٢١/١٢: إجماع العلماء؛ على أن أبا العاص بن الربيع ، كان كافراً ، وأن المسلمة لا يحل أن تكون زوجة لكافر. وقال في فتح الباري ، ج ٩/ ص ٤٢٣: ولم يذهب أحد إلى جواز تقرير المسلمة تحت المشرك إذا تأخر إسلامه عن إسلامها حتى انقضت عدتها وممن نقل الإجماع في ذلك بن عبد البر. وانظر: المغنى ٣٢/١٠

^() صحيح مسلم ، ٢٥، رقم ٤٩، وسنن أبي داود ٢٩٧/١ رقم ١١٤٠، وسنن ابن ماجه ٢٠٦/١ رقم ١٢٧٥

- وأما إذا كان الزوج ممن يفعل الفواحش؛ وبُذِلَت معه وسائل النصح والتهديد، ولم يرعوي عن غيّه؛ فيجوز إغراء الزوجة بفراق ذلك الزوج الذي يفعل الفواحش؛ من زنا، ولواط، ويرتكب الكبائر من شرب خمر، ومخدرات، وترك الصيام وما شابه ذلك.
- والأصل في جواز الإغراء في مثل هذه الأحوال؛ رفع الضرر عن الزوجة، وقد قال الرسول (لا ضرر ولا ضرار) (٢٢) فالزوجة تتضرر بزنا زوجها؛ حيث يصرف حقها إلى غيرها، وتتضرر أيضاً؛ بنقل أمراض الزنا إليها وإلى ذريتها، وما أعظمه من ضرر!! مثل: مرض (الزهري) الذي يظهر على شكل بثور وردية اللون، وطفح جلدي، قد يتحول إلى قروح خفية داخل الشرايين والأعصاب، أو إلى قروح ظاهرة داخل الفم، وعلى الوجه والأعضاء التناسلية، وينتهي هذا المرض بصاحبه بعد عشرين سنة إما بالعمى أو الفالج أو الجنون، ويصيب هذا المرض ما ٪ من سكان لندن ، و ١٢٪ من سكان برلين، و ١٥٪ من سكان باريس، ومن بناته أمراض كثيرة مثل: (السيلان)؛ لإفرازات التهابية من الإحليل، تنتقل إلى الخصيتين والمثانة، ثم المفاصل، ثم الإصابات القلبية، و(البروستات) والحويصلات المنوية ثم العقم، وكذلك الجرب التناسلي، وغيره). (٣٣)
- هذه الأمراض التي تنتقل عن طريق الزنا واللواط، عبر رطوبات الفرج، أو الفم بالتقبيل العميق، وهناك قائمة من الأمراض التي تنتقل عن طريق الزنا واللواط، لها أول وليس لها آخر، وآخر ما عُرِف منها (الإيدز) وما أدراك ما (الإيدز) إنه طاعون العصر الذي أصاب أكثر من ٤ مليون شخص ويموت بسببه في كل عام أكثر من خمسة ملايين شخص، ولم يوجد له علاج حتى الآن، إنه مرض فقدان المناعة !!! ومن أصيب به أصبح يعدد أيامه المتبقية من حياته وأصحابه يموتون بالتقسيط كل يوم !! يَتقَدَّر الناس منهم، وينفرون منهم، وينفرون هم من أنفسهم !! مستشعرين وأن الناس يقولون لهم لفظاً أو ضمناً { لا مِساس } حتى إن أحد الشباب المصريين الذين أصيبوا بهذا المرض قال: إن المجتمع قد قرر موته واستخرج له شهادة وفاة، وهو مازال على قيد الحياة، وذلك من جراء نفور الناس منه، وأنه يعاني من إحساسه بنفور الناس منه أكثر مما يعاني من ألم المرض، وأخذ يرفض حضور المحاضرات في الجامعة، ولا يؤدي الاختبارات مع الناس...(١٤٠٠)، أي جريمة يرتكبها الزاني حين يزني!! فيحمل بسبب فواحشه (فيروس الإيدز) ثم يهديه لزوجته وابنه وذريته وفيشركهم في وبال فعلته !!! وقد يتسبب الوقوع في الفاحشة مرة واحدة مع شخص مصاب إلى الإصابة بالمرض، ثم ينتقل المرض بواسطته يتسبب الوقوع في الفاحشة مرة واحدة مع شخص مصاب إلى الإصابة بالمرض، ثم ينتقل المرض بواسطته إلى الزوجة أو الزوج، أو العكس. إذا لم يكن هذا ضرر يبيح التفريق والإغراء بالفرقة، فما الضرر إذن ؟؟

^() سنن ابن ماجه ٧٨٤/٢ رقم ٢٣٤٠، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ١٢٤٩/٢ رقم ٧٥١٧

⁽⁾ هذه أسماء أمراض تسببها الفواحش ، كانت منتشرة في الغرب قبل انتشار مرض (الإيدز)، انظر: كتاب (الأمراض الجنسية عقوبة عاجلة) للدكتور: أحمد عيد. ص ١٣ ومابعدها، وص ٦٨ ومابعدها، لكن بعد انتشار مرض الإيدز غطت مخاطره على كل مرض!

^() انظر قصته وأمثاله على الأنترنت

- وقد تتضرر الزوجة من فحش وفسق زوجها؛ بسمعتها، وفي دينها، بإقامتها مع هذا الفاسق الظالم، وقد قال الله تعالى ﴿ وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى اللَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَكُمُ النّارُ وَمَا لَكُمُ مِن دُونِ اللّهِ مِنْ أُولِيكَا أَدُ مُ لا لَنْصَرُون ﴾ (٥٣) وقد يُدْخِل عليها السكارى والمدمنين من ولأنه قد يجرها إلى الوقوع معه في الحرام من معصية وسُكْر وعُهْر. (٢٦) وقد يُدْخِل عليها السكارى والمدمنين من زملائه الذين قد يصل شرهم إلى الزوجة والأولاد، إن نصح الزوجة وإغراءها بترك ذلك الزوج الفاسق الفاحش إذا لم يتب جائز سواء كان الإغراء من أهل الفتاة، أو من خاصتها، هذا إذا لم يتأكد الضرر، بل قد يستحب إذا خشي الخطر، ولم يؤد الإغراء إلى فتنة أكبر، وقد يصبح الإغراء واجباً إذا تأكد حصول الخطر والضرر، لئلا تتضرر سمعة العائلة ولئلا تأتيهم أجنة مشوهة أو مصابة بتلك الأمراض؛ فيضطروا إلى الإجهاض، أو إلى الصبر على بلاء لا يستطيعون تحمله، والله أعلم.
- وأما إذا كان دافع الإغراء الإضرار بالزوج؛ من غير سبب وجيه؛ فيحرم ذلك الإغراء؛ لما فيه من تخبيب للمرأة على زوجها، وقد نهى الرسول عن ذلك فقال (ليس منا من خبب امرأة على زوجها أو عبداً على سيده) (٢٧) ومعنى خبّب: أي: خدع، وأفسد امرأة على زوجها؛ بأن يذكر مساوئ الزوج، أو محاسن أجنبي عندها، وفي معناهما؛ إفساد الزوج على امرأته والجارية على سيدها (٢٨) ومثله: لو ذكر لها من محاسن نفسه ما يغريها بفراق زوجها أو التبرم به، وطلب الطلاق منه، وقوله عن (ليس منا) أي: ليس على ديننا الكامل، وليس على طريقتنا، وهذا اللفظ يدل على التحريم، وفائدة إيراد مثل هذا اللفظ؛ المبالغة في ردع الفاعل (٢٩). فتخبيب المرأة على زوجها محرم؛ لأنها تحت عصمة زوج، وبينهما عقد محترم؛ إلا إذا كان لدفع مفسدة أكبر فيجوز.
- وكما يحرم على الأجنبي أن يغري الزوجة بفراق زوجها؛ كذلك يحرم على أبويها أو أحدهما إغراءها بفراق زوجها لغير سبب صحيح، لأن النهي عام، والمطلوب من الأبوين وغيرهما الإصلاح بين الزوجين؛ قال الله تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُواْ حَكُمًا مِّنْ أَهْلِهِ، وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِمَا إِن يُرِيدًا إِصْلَحًا يُوفِقِ الله بَيْنَهُما فَأَبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ، وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِمَا فَلَا جُنكَ عَلَيْهِما أَن يُصِيدًا إِنْ الله كَانَ عَلِيمًا خَيْرٌ ﴾ (١٠) وقال ﴿ وَإِنِ اَمْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نَشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلا جُنكَ عَلَيْهِما أَن يُصلِحا بَيْنَهُما صُلَحاً وَالصُّلَحُ خَيْرٌ ﴾ فالمطلوب منهما الإصلاح لا الإفساد، وكم خربت بيوت بسبب تدخل الأبوين بلا مبرر!!

^() سورة هود ١١٣

^() تزوج رجل مستور امرأة، ثم سافر بها إلى بلاد أجنبية، وهناك بدأ يظهر الرجل على حقيقته، من عدم التمسك بالدين ؛ فحملها على الاختلاط بغير المحارم، وعلى حضور حفلات المنكر ! حتى وصل الأمر ؛ أن طلب منها أن تراقص زملاءه، فرفضت، فأعلمت أهلها بالأمر، فاستدعوها وطلبوا الطلاق !

^() سنن أبي داود ٢/ ٢٥٤ رقم ٢١٧٥ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٩٥٧/٢ رقم ٥٤٣٧

^() عون المعبود شرح سنن أبي داود ، للعظيم أبدي ؛ محمد شمس الحق ، ط٢ ، دار الكتب العلمية بيروت ، ج ١٥٩/٦

^() انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٦٣/٣ - ١٦٤

⁾ سورة النساء/ ٣٥

^() سورة النساء / ١٢٨

• ولكن يظل تخبيب الأجنبي للمرأة أعظم حرمة من تخبيب والديها؛ لأن الأجنبي متهم بجر مصلحة إلى نفسه؛ فقد تخبب الضرة على ضرتها لتنفرد بزوجها، أو تغري امرأة أجنبية شخصاً بطلاق زوجته ليتزوجها هي، وقد يخبب شخص امرأة على زوجها؛ ليتزوجها هو، فتعظم التهمة، فذلك من الأنانية المذمومة، وليس ذلك من المروءة، بل هو ضرب من الخيانة، وكلما عظمت التهمة عظمت الحرمة. والله أعلم.

:

لا يخلو هذا من حالات:

: أن يكون سبب الإغراء هو كفر الزوجة ، سواء بأن تحولت من الإسلام إلى الشرك أو الإلحاد، فإنها لم تعد تحل للمسلم، لأنها تعتبر مرتدة عن الإسلام، فالإغراء بفراقها هنا، مطلوب بل هو واجب:

١- لأن الله تعالى أمر بفراق المشركات؛ فقال: ﴿ وَلا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكُوافِرِ ﴾ (٢١) وفي الإغراء بفراق الكافرة تنفيذ لأمر الله.

- ٢- قياساً على إغراء المؤمنات بترك أزواجهن الكفار، وقد سبقت أدلته، والكلام فيه.
- وكذلك لو تحولت الزوجة من النصرانية أو اليهودية إلى الإلحاد؛ لم تعد تحل للمسلم، لأنها أصبحت مشركة ولم تعد كتابية، فتعتبر الزوجة في كل هذه الأحوال مشركة ، لا تحل للمسلم.
 - أَ) لقوله تعالى: ﴿ وَلَا نَنكِحُوا ٱلْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ ﴾ (٢١)
 - ب) لأن كفر الزوجة يمنع ابتداء نكاحها ؛ كذلك كفرها يمنع استمرار نكاحها.
- فإذا كان كفر الزوجة قبل الدخول انفسخ عقد النكاح في قول عامة أهل العلم، ولم يعد بينهما نكاح لأنه ليس لها عِدة، (ئنه وأما إن كان كفرها أو ردتها بعد الدخول فلا يزول عقد النكاح مباشرة، بل يبقى موقوفاً، فإن أسلمت من جديد قبل انتهاء العِدة؛ ظلت زوجة لزوجها، بالعقد الأول، ولا حاجة لتجديد العقد عند الشافعية والحنابلة (٥٠٠)؛ قياساً على ما لو أسلم أحد الزوجين قبل الآخر، فالمعروف فقها أنه إذا أسلم الآخر قبل نهاية العِدة استمرت الزوجية عند عامة العلماء. (٢١٠) وكذلك لو كانت نصرانية أو يهودية، فكفرت وألحدت، ثم عادت بعد كفرها إلى الدين الذي كانت عليه قبل، وكان ذلك الدين مما تحل به للمسلم، فيعتبر العقد موقوفاً على انتهاء العدة، فإن

١٠/ المتحنة /١٠/

^() سورة البقرة /٢٢١

^() بداية المجتهد ٤٨/٢ - ٤٩، والمغنى ٣٩/١٠

^() المهذب؛ للشيرازي ٢/ ٥٤، والمغنى ٣٨/١٠- ٣٩

^() بداية المجتهد ٢/ ٤٩ - ٥٠، والمغنى ١٠/١٠

حكم الإغراء بإنهاء العقد

انتهت العِدة قبل أن ترجع إلى دينها السابق الذي تحل به للمسلم، انفصل عقد النكاح، (١٤٠) أما عند الحنفية والمالكية وأحمد في رواية، فإن كفر أحد الزوجين أو ردته، يعجل الفرقة بينهما سواء كان قبل الدخول أو بعده.

١- لأن الله تعالى قال: ﴿ وَلا تُمسِكُوا بِعِصَمِ ٱلكَوافِرِ ﴾ (١٠٠ والأمر يقتضي الفورية، أي: أن الفرقة تحصل فور وقوع الكفر.

٢- قياساً على ما لو كفرت الزوجة قبل الدخول، (٤٩) فالفقهاء متفقون على حصول الفرقة بلا انتظار ؛ لأنه ليس لها عدة، لأن الكفر مانع من ابتداء نكاح الكافرة، وهو مانع من دوام النكاح، فمتى وقع الكفر أو الردة ؛ وقعت الفرقة.

- ورد الشافعية والحنابلة بأن الفرقة لا تتعجل بمجرد الكفر، بل هي موقوفة على نهاية العدة قياساً على مالو أسلمت قبله أو أسلم قبلها، فلم يؤثر أن الرسول صلى الله عليه وسلم فرق بين الزوجين بمجرد إسلام أحد الزوجين وبقاء الآخر على الكفر بل كان يقرهما على ما كانا عليه إذا أسلم الآخر قبل انقضاء العدة كما حصل من إسلام أمرأة صفوان بن أمية قبل زوجها، وإسلام أبي سفيان قبل زوجته: هند بنت عتبة ؛ فأقرهما الرسول صلى الله عليه وسلم على نكاحهما (٥٠)
- والراجح قول الشافعية والحنابلة، لأن مابعد الدخول تترتب عليه أحكام كثيرة، كالعدة وكمال المهر، والنفقة عند الحمل، خلافا لما قبل الدخول، فوجب أن يعطى المتسبب بالفرقة بعد الدخول، فرصة ليراجع نفسه ؛ كما في الطلاق الرجعي، والله أعلم.

: أن يكون سبب الإغراء؛ وقوع الزوجة في الفواحش، فهذا الإغراء مطلوب أيضاً؛ لأن ضرر الزوج من زنا زوجته أعظم ضرراً، من ضرر الزوجة بزنا زوجها؛ لأن زنا الزوجة يُدْخِل على الزوج؛ من ليس من ولده، إضافة إلى ضرر الزوج في سمعته ودينه،

• فإن تأكد زناها؛ فيجب الإغراء بطلاقها؛ دفعاً للضرر عن الزوج؛ لئلا يدخل في نسبه، من ليس منه، ويعتبر هذا من النصح الواجب؛ وقد جاء رجل إلى رسول الله ، فقال إن عندي امرأة من أحب الناس إليّ، وهي لا تمنع يد لامس (قال: طلقها، قال: لا صبر لي عنها، قال استمتع بها)(١٥) ومكان الشاهد: أن

^() انظر: المهذب للشيرازي ، ٢/٤٥ ، والمغنى ١٠/٠٠ - ٤١

١٠/ المتحنة /١٠/

^() محتصر الطحاوى؛ تحقيق أبو الوفا الأفغاني، ط دار الكتاب العربي، ص ٢٥٩، بداية المجتهد ٤٨/٢- ٤٩، والمغني ٣٩/١٠

^() بداية المجتهد ٢/٤٩ - ٥٠

 ^() سنن النسائي ٦/ ٦٧ ، وسنن أبي داود ٢٢٠/٢ رقم ٢٠٤٩

الرسول ﷺ أمره بطلاقها لما أخبره الرجل بسوء طبعها، والأمر المطلق عند جمهور العلماء يفيد الوجوب، (٢٥) مالم توجد قرينة صارفة.

- أما إذا لم يتأكد من زناها وفعلها للفاحشة، فلا يتحتم الإغراء ولا العمل به، خصوصاً إذا ترتب على الإغراء مفسدة؛ العزوبة أو ضياع الأولاد، لذلك سمح له الرسول * بالبقاء معها والاستمتاع بها، لأن شكواه (لا ترد يد لامس) محتملة لعدة معان: قال ابن قتيبة: إنما أراد أنها سخية؛ تعطي ولا تمنع سائلا، ورُدّ هذا بأنه لو كان المراد كثرة العطاء، لقال لا ترد يد ملتمس، وقيل: المراد أن سجيتها لا ترد يد لامس، لا أن المراد أن هذا واقع منها، وأنها تفعل الفاحشة، فإن رسول الله * لا يأذن في مصاحبة من هذه صفتها فإن زوجها والحالة هذه يكون ديوثاً، (٥٠) لكن لما كانت سجيتها هكذا، ليس فيها ممانعة، ولا مخالفة لمن أرادها، لو خلا بها أحد، أمره رسول الله * بفراقها، فلما ذكر أنه يحبها أباح له البقاء معها لأن محبته لها محققة، ووقوع الفاحشة منها متوهم، فلا يصار إلى الضرر العاجل، لتوهم الآجل، والله سبحانه وتعالى أعلم (وقد شرط الله تعالى في جواز نكاح الإماء؛ عدم القدرة على نكاح الحرائر وبعدم مخادنتهن غير أعلم وقد شرط الله تعالى في جواز نكاح الإماء؛ عدم القدرة على نكاح الحرائر وبعدم مخادنتهن غير أعلم وقد شرط الله تعالى في جواز نكاح الإماء؛ عدم القدرة على نكاح الحرائر وبعدم مخادنتهن في أعلم عنين عَيْر مُسَافِحت وَلا مُتَخذَر مَنْ مَعْضُكُم مِنْ بَعْضَ فَأَنكِ ومكوفًى بَاذِن القيلهين وَالله والله المنتب في المنافقة ومكان الشاهد أن الزوجة إذا اتخذت خديناً؛ لا تُقرّ على ذلك، ولا يجوز إبقاؤها، إن لم تتب، وهذا إغراء بفراقها وعدم إمساكها.
- ولا يلزم في ذلك الإغراء التصريح، لئلا يقع المُغْرِي في جريمة القذف، بل ولا يجوز التلميح، إذا اندفع الشر بدونه، فالإغراء هنا مشروع، ما لم يؤد إلى مفسدة أكبر، فيعمل بما ترجح من المصلحة والمفسدة، والابتعاد عما فيه مفسدة أولى ؛ لأن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح. لأن الرجل عندما شكا للرسول ، وضع زوجته، ثم ذكر شدة تعلقه بها، وصعوبة فراقه لها، قال له (استمتع بها). فالضرر على الزوج بفساد زوجته أشد من فساد الزوج، مع أن فساد أي من الزوجين حرام.

: تحقيق مصلحة للمُغْرِي: كما لو أغرت الضرة زوجها بطلاق ضرتها، أو أغرت امرأة رجلاً بطلاق زوجته من أجل أن يتزوجها هي فذلك حرام بلا خلاف؛ دليل ذلك قول الرسول ﴿ (.. وَلا تَسْأَلُ الْمَوْأَةُ

^() انظر: المجموع ٥٧١/٢، وشرح النووي على صحيح مسلم ٧٦/٤

^() الديوث: هو الذي يرضى الفاحشة في عِرْضه

^() تفسير ابن كثير ٦/ ١١ ط دار الشعب ، مصر.

^() سورة النساء / ٢٥

طَلاق أُخْتِها لِتَكْفاً مَا فِي إِنَائِها)(٢٠٥) وفي رواية للبخاري (لا يحل لامرأة تسأل طلاق أُختها لتستفرغ صَحْفَتها، فإنما لها ماقًد رلها)(٢٥٠) والأخت هنا، قد يراد بها الضّرة كما قال ابن عبد البر (٢٠٥)، وقد يراد بها الأجنبية أياً كانت، قال النووي: الحديث، نهى المرأة الأجنبية أن تسأل الزوج طلاق زوجته، وأن ينكحها ويصير لها من نفقته ومعروفة ومعاشرته ونحوها، ما كان للمطلقة، والمراد بأختها: غيرها، سواء كانت أختها من النسب أو أختها في الإسلام أو كافرة. (٢٠٥) قال ابن حجر: قوله لا يحل ظاهر في تحريم ذلك، وهو محمول على ما إذا لم يكن هناك سبب يجوز ذلك؛ كريبة في المرأة، لا ينبغي معها أن تستمر في عصمة الزوج، ويكون ذلك على سبيل النصيحة الحضة، أو لضرر يحصل لها من الزوج، أو للزوج منها، أو يكون سؤالها ذلك بعوض وللزوج رغبة في ذلك، فيكون كالخلع مع الأجنبي إلى غير ذلك من المقاصد المختلفة. (٢٠٠) كذلك الحكم لو قام شخص بإغراء الزوج بطلاق زوجته بتغيضها له، وتزهيده بها، من أجل أن يتزوجها المُغْري، فإن هذا العمل محرم.

: الإغراء كيداً للزوجة، إذا لم يكن للمغري بالطلاق مصلحة ظاهرة، كما لو أغرى الأبوان أو أحدهما؛ الابن بفراق زوجته، فإن كان الإغراء بالفراق لسبب وجيه، فهو جائز، كما فعل إبراهيم عليه السلام، حين زار بيت ابنه إسماعيل في الحجاز، فسأل عن إسماعيل أين هو؟ فقالوا: يصيد، ولم يعرضوا عليه شيئاً، قال إذا جاء فقولوا له: يُغَيِّر عتبة بيته، فجاء فأخبرته فقال أنت ذلك، فانطلقي إلى أهلك(١١) فقد يكون رأى إبراهيم منها صفات ذميمة هي البخل والتقصير في واجب الضيافة، فأمره بطلاقها، وقد عمل إسماعيل عليه السلام، بهذه الوصية فقال لها الحقى بأهلك.

أما إن كان الإغراء لغير سبب وجيه، فلا يحل للوالدين، أو لأحدهما السعي في الإفساد بين الزوجين، وحكم إغراء الأبوين عندئذ كحكم غيرهما في الحرمة؛ لعموم قوله (ليس منا من خبب امرأة على زوجها أو عبداً على سيده)(١٢) فالحديث عام في الأبوين وغيرهما.

• حكم الانفعال بذلك الإغراء، والعمل بمقتضاه:

يختلف الحكم باختلاف حكم الإغراء:

^() صحيح البخاري ص٢٨٣ رقم ٢١٤٠، وصحيح مسلم، ص٣٤٧ رقم ١٤١٣، وسنن الترمذي ٤٤٠/٣ رقم١١٣٤.

^() صحيح البخاري، ص ٧٣٧ رقم ٥١٥٢

^() التمهيد؛ لابن عبد البر، ط، المغرب ١٦٥/١٨

^() شرح مسلم على النووى ١٩٢/٩ - ١٩٣

^() فتح الباري ۹/ ۲۲۰

^() السنن الكبرى ؛ للنسائى ج٥ / ١٠١

^() سنن أبي داود ٢/ ٢٥٤ رقم ٢١٧٥ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٢/٩٥٧ رقم ٥٤٣٧ ٥

أ) إن كان الإغراء واجباً ، كما في الإغراء بفراق الزوج الكافر ، وجب تنفيذه والعمل.

إن كان الإغراء مندوباً، كالإغراء بفراق الزوج الذي يفعل الكبائر ولا أمل في صلاحه، ولا صبر عليه، فإنه يندب العمل به.

إن كان الإغراء محرماً، كالإغراء بفراق الزوج كيداً أو من أجل مصلحة المُغْرِي؛ فإنه يحرم العمل به، لأنه نوع من المجاراة في الإثم ، والتعاون على الظلم.

د) إن تردد ما يترتب على الإغراء بين مصلحة ومفسدة ، فالواجب الموازنة بين الأمرين ؛ كما لو تردد بين الوقوع في الظلم وبين طاعة الوالدين ، أي تردد الأمر بين مصلحة ومفسدة ؛ مصلحة إرضاء الوالدين ، ومفسدة ظلم الزوجة وفراقها دون حق ؛ جاء رجل إلى أبي الدرداء ؛ فقال يا أبا الدرداء إن لي امرأة وإن أمي تأمرني بطلاقها! فقال أبو الدرداء: سمعت رسول الله يقول (الوالد أوسط أبواب الجنة. فإن شئت فأضع ذلك الباب ، أو احفظه)(١٣)

والراجح: إن لم يكن سبب وجيه لإغراء الأبوين؛ كإيذاء الزوجة لهما، فإنه لا يجوز طاعتهما في تطليق الزوجة؛ لأن في تطليقها عندئذ ظلم، والظلم معصية؛ لا ينبغي الوقوع فيها، قال صلى الله عليه وسلم (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق) (١٥)، والقواعد العامة تقول؛ درء المفاسد مقدم على جلب المصالح (١٥)، وتردد أبي الدرداء في الجواب يدل؛ على أن هناك مصلحة ومفسدة وينبغي الموازنة بينهما فالأبوان لا يمكن التعويض عنهما وعن برهما، بينما يمكن الاستعاضة عن الزوجة، والأولى بالزوج، وبزوجته؛ التلطف بوالدي كل منهما؛ درءاً لمفسدة الطلاق، والعقوق، والله أعلم.

:

إذا تم عقد المعاوضة بيعاً أو غيره وانقطع الخيار؛ لم يجز لطرف ثالث، أن يعمل على إبطال ذلك البيع، أو فسخه؛ لأنه بذلك يكون ظالماً لأحدهما أو لهما، ولأنه إذا حرم البيع على البيع قبل تمام العقد، فالحرمة ثابتة بعد تمام البيع من باب أولى! والمُغْرِي هنا لا يخلو من أن يكون راغباً في شراء الشيء، فعليه أن يشتريه ممن آلت إليه ملكية ذلك الشيء، لا أن يأتي بطرق دنيئة وينقض عقداً تاماً، وأما إن كان إغراؤه كيداً وتخريباً، فهذا إضرار مقصود، لا يليق بالمسلم فعله، وهذا الإغراء محرم؛ لقوله \$ (لا ضرر ولا ضرار)(٢٦).

^() سنن الترمذي ٢٧٥/٤ رقم ١٩٠٠ ، وسنن ابن ماجه ١٢٠٨/٢ ، رقم ٣٦٦٣ وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢/ ١٢٠٨رقم ٩١٣ وقال الألباني: قوله (فاحفظ ذلك الباب أو ضيعه) الظاهر من السياق: أنه قول أبي الدرداء غير مرفوع.

^() مسند أحمد ٢٠٩/١ ، و٥/٦٦

^() الأشباه والنظائر؛ للسيوطي، طن عيسى البابي الحلبي ص٩٧

^() سنن ابن ماجه ٧٨٤/٢ رقم ٢٣٤٠ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ١٢٤٩/٢ رقم ٧٥١٧

:

ما قيل في حرمة الإغراء بنقض عقد البيع دون رضا الطرفين، يقال ف عقد الإجارة وعقود العمل، وباقي عقود المعاوضات، وقد سئل ابن تيمية رحمه الله؛ عن رجل زاد على قوم في بيت ليسكن فيه؛ فهل يأثم بذلك؟ وهل يجب تعزيره على ذلك؟ فقال: إذا كان المؤجر قد ركن إلى شخص ليؤجره؛ لم يجز لغيره الزيادة عليه؛ فكيف إذا كان ساكناً في المكان مستمراً، فمن فعل ذلك استحق التعزير اهد (١٧٠)

• وبناء على ماسبق، يمكن القول: أن من أغرى عاملاً أثناء تعاقد العامل مع آخر، فإن ذلك الإغراء عمل محرم قياساً على حرمة بيع المسلم على بيع أخيه في زمن الخيار، وأما من سعى في إبطال عقد إجارة تام مستمر، أو سعى في نقض عقد عمل تام، فإنه آثم، ويجوز تعزيره كما قال ابن تيمية رحمه الله.

:

وفيه مطالب:

• إغراء العامل بالانفصال وعدم تجديد عقده لفترة تالية، يختلف حكمه بين ما إذا كانت هناك كفالة، أو لم تكن كفالة. فهنا عدة حالات سأبحثها في المطالب التالية:

:

فكلا طرفي العقد حُرِّ في التعاقد للفترة التالية مع من يشاء، والناس سائرون على هذا، بلا نكير، فقد لا يرتاح العامل لمعاملة رب العمل؛ فيبحث عن شخص آخر أو عمل آخر، وكذلك يفعل رب العمل.

:

فها هنا مسألتان:

المسألة الأولى: أن يتفقا على القيام بعمل محدد القدر، أو مدة إجمالية ؛ مثاله: أن يذهب بعض المزارعين إلى منطقة أخرى أو بلد مجاور ؛ فيأتي بعمال لقطاف القطن ، أو الزيتون ، أو الحصاد ، ويتفق معهم على قطاف قطنه البالغ مساحته كذا وكذا ، وأجرة اليوم ، أو الكيلو كذا وكذا ، أو يتفق معه على العمل عنده قرابة شهر بأجر معين ، فإذا أنهى العمال القطاف أو الحصاد عنده ؛ لم يكن له منعهم من التعاقد مع غيره ؛ فهذه الحالة كسابقتها ، كلا الطرفين بالخيار بعدها ، وما تُكلَّفُه رب العمل من إحضار العامل ، كان لمصلحة رب العمل نفسه ، وقد أدى العامل ما عليه ، وانتهت علاقتهما ببعض ، لكن إذا كان رب العمل قد تعهد بإرجاع العامل إلى مكان السابق ، ما فيمكن القول إن العامل قد يفقد حقه في تكلفة الرجوع ، إذا أراد العمل في جهة أخرى في نفس المكان السابق ، ما

^() مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٠/ ١٦١- ١٦١

لم يحصل اتفاق على غير ذلك، وهذا العمل متعارف عليه - في كثير من الدول الإسلامية التي لا يوجد فيها نظام كفالات - بلا نكير، والعرف يعمل به، ما لم يصادم نصاً شرعياً، وقد قال الفقهاء في ذلك قاعدة شهيرة (العادة محكمة)(٢٨) وقالوا: العرف في الشرع له اعتبار لذا فالحكم عليه قد يُدَار.(٢٩)

المسألة الثانية: ألا يكون هناك عمل محددٌ، لا بقدرٍ ، ولا بمدةٍ ، فهنا تعظم الجهالة ولا يصح العقد، لأنه يشترط في الإجارة معرفة العمل ؛ بأن يحدد بقدر المنفعة ، كُحَمْل حديدة وزنها كذا وكذا ، من مكان كذا إلى مكان كذا ، أو أن يحدد العمل بالمدة ؛ بأن يقول: تعمل في الحراثة أو في خدمتي ساعة أو يوما أو شهراً (٧٠) ، فإن كانت المنفعة مجهولة جهالة فاحشة ؛ بأن لم تحدد لا بالمقدر ولا بالمدة ، فلا يصح العقد. (١٧) لعظم الغرر المؤدي إلى الاختلاف.

:

إذا كان العامل على كفالة رب العمل ؛ فإما أن يكون لدى رب العمل ، عمل محدد الكمية ، أو المدة أو لا يكون هناك عمل محدد :

أولاً: إذا كان هناك عمل محدد يُطلَب من العامل القيام به ؛ فهاهنا لا يحق للعامل أو الموظف أن يتعاقد مع جهة أخرى على عملٍ في نفس المدة، لأن هذه المدة مشغولة بحق الكفيل، فإذا انتهت المدة المتفق عليها، كان لطر في العقد الحق في تجديد التعاقد على فترة أخرى أو الاكتفاء بما سبق، وعندئذ يصبح كلا الطرفين حراً في التعاقد مع جهة أخرى كما سبق القول في الحالة الثانية، مثال هذا: ما تقوم به كثير من المؤسسات التعليمية حيث تتعاقد مع المدرس، أو غيره ليقوم بعمل معين خلال فترة محددة بأجر معلوم للشهر، أو اليوم، وبعد نهاية الفترة المتفق عليها، تتعهد جهة العمل بإعادة الشخص إلى بلده ، ما لم يختر هو البقاء للعمل عند آخرين. وقد نصت المادة (٥٧) من نظام العمل السعودي، على أن العقد (إذا كان من أجل القيام بعمل معين ؛ فإنه ينتهى بإنجاز ذلك العمل المتفق عليه،)(٢٧)

ثانياً: إذا لم يكن لدى الكفيل عمل محدد كإنجاز شيء معين، أو عمل محدد المدة، كمن استقدم عاملاً وجعل له أجراً معلوماً يومياً أو شهرياً مقابل القيام بعمل عيّنه له؛ زراعة أو بناء أو بيعاً في متجر أو خدمة في منزل أو توصيل الأولاد، فهاهنا لابد من تحديد مدة العمل الإجماليه؛ كشهر، أو سنة، أو سنة أشهر، أو سنة أو

^() الأشباه والنظائر للسيوطي ط: عيسى البابي الحلبي ٩٩

^() رد المحتار على الدر المختار؛ لابن عابدين ط، ٢ دار الفكر ، ٨٨/٥

^() الهداية بشرح فتح القدير ٦١/٩ والشرح الصغير ٢٥٣/٥- ٢٥٤ ومغني المحتاج ٣٣٩/٢ والروض المربع بحاشية النجدي ٢٩٥/٥

^() انظر: الروض المربع بحاشية النجدي ٢٩٥/٥- ٢٩٧

^{🕻)} انظر: نظام العمل السعودي الصادر بالمرسوم الملكي (٥١)وتاريخ ٢٣/٨/٢٣هـ ص ٧٧

سنتين؛ (٣٣) وتعتبر هذه المدة، كفترة تجريبية، يكون الطرفان بعدها؛ بالخيار بين التجديد بنفس الشروط السابقة أو التجديد مع تعديلها، أو إنهاء العقد، وينبغي أن تكون الفترة التجريبية محددة، فإذا لم يحدداها، فإنها تحدد بالعرف الجاري، وخلال هذه المدة التجريبية، لا يحق للعامل أن يتعاقد مع أحد آخر؛ لأنه مشغول بحق الكفيل، فإذا انقضت الفترة التجريبية، فإن أراد العامل الاستمرار؛ فالكفيل أحق بالتعاقد معه، أما إذا لم يُرد العامل الاستمرار، أو لم يُرد تجديد العقد لفترة أخرى؛ فالأصل أنه لا يجبر على ما لا يرضاه، ويجب أن تترك له الحرية في التعاقد مع من يريد، فالفترة التجريبية فترة لازمة للطرفين، وهما في خيار فيما بعدها، ما لم يكن هناك ضرر على الكفيل أو على رب العمل؛ من تعاقد العامل مع جهة أخرى، كما لو مُنِع من استقدام عامل آخر على نفس العمل، حتى يتنازل عن العامل الموجود، أو تنقل كفالته، وكما لو اطلع العامل على سر صنعة يتضرر رب العمل السابق بانتقال العامل منه إلى غيره في نفس المنطقة أو المكان، عندئذ يحق لرب العمل منع العامل الذي استقدمه من العمل أو التعاقد مع جهة أخرى، (٤٧) ولا يصح لأحد إفساد العامل على كفيله ولا إغراؤه بالتعاقد معه على نفس تلك الفترات المتفق عليها؛ لأن الكفيل هنا أحق به من غيره، ولأن في ذلك تخريباً لعقود والتزامات قائمة، ما لم يكن هناك سبب مشروع؛ كتحقيق مصلحة دينية أو مصلحة للعامل، كما سيتضح فيما يلي:

:

يختلف حكم الإغراء بحسب الدافع له، كما يتضح في المسائل التالية:

المسألة الأولى: إن كان دافع الإغراء تحقيق مصلحة دينية ؛ كأن يكون المسلم عاملاً عند كافر ، يُضيِّق عليه في ممارسة عباداته ، أو امرأة تخدم عند رجال ، فهذا الإغراء لا حرج فيه ، بل مندوب إليه ، وقد يكون واجباً ، ويجب على من علم بذلك المنكر ؛ أن ينكره ، ولا يُقِرّه ، وأن يحث على تغييره قدر استطاعته ، ويحث العامل في ذلك على تغيير مهنته قدر استطاعته ، دليل ذلك :

ان الرسول ﷺ نصح سلمان الفارسي بمثل هذا ؛ عندما كان سلمان الفارسي عبداً عند يهودي ؛ ينعه من الحضور إلى الرسول ﷺ ، ومن تعلم أمور دينه ، فأغراه الرسول ﷺ بالمكاتبة ؛ وأعانه على ذلك فقال له ، (..

^() وقد نص نظام العمل السعودي السابق ذكره على أن عقد العمل مع غير السعودي يجب أن يكون مكتوباً ومحدد المدة، فجاء في المادة (٣٧) (يجب أن يكون عقد عمل غير السعودي مكتوباً ومحدد المدة ، وإذا خلا من بيان المدة تعد رخصة العمل هي مدته) أي: يمكن تمديد مدة العمل حتى نهاية رخصة العمل فقط.

^() وقد جاء في المادة (٨٣) من نظام العمل السعودي ؛ بأنه (إذا كان العمل المنوط بالعامل يسمح بمعرفة عملاء صاحب العمل أو بالاطلاع على أسرار عمله جاز لصاحب العمل أن يشترط على العامل أن يشترط على العامل ألا يقوم بعد انتهاء العقد بمنافسته ، أو إفشاء أسراره ، ويجب لصحة هذا الشرط أن يكون محرراً أو محدداً من حيث الزمان والمكان ونوع العمل وبالقدر الضروري لحماية مصالح صاحب العمل ، وفي كل الأحوال يجب ألا تزيد مدة هذا الاتفاق على سنتين من تاريخ انتهاء العقد بين الطرفين)

كَاتِبْ يَا سَلْمَانُ ؛ اقال سلمان اَ فَكَاتُبْتُ صَاحِبِي عَلَى ثَلاثِ مِاتَةِ نَخْلَةٍ أُحْيِيهَا لَهُ بِالْفَقِيرِ، وَيَأَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لأصْحَابِهِ أَعِينُوا أَخَاكُمْ فَأَعَانُونِي بِالنَّخْلِ، الرَّجُلُ بِثَلاثِينَ وَدِيَّةً، وَالرَّجُلُ بِعِشْرِينَ، وَالرَّجُلُ بِعَشْرِ، يَعْنِي الرَّجُلُ بِقَدْرِ مَا عِنْدَهُ، حَتَّى اجْتَمَعَتْ لِي ثلاثُ مِائَةٍ وَدِيَّةٍ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَشْرَةً، وَالرَّجُلُ بِعَشْرِ، فَإِذَا فَرَغْتَ، فَأْتِنِي ؛ أَكُونُ أَنَا أَضَعُهَا بِيدَيَّ، فَفَقَرْتُ لَهَا وَأَعَانَنِي أَصْحَابِي حَتَّى إِذَا فَرَعْتَ مِنْهَا وَدِيَّةً وَاحِدَةً، فَأَدْيْتُ النَّعْرَبُ لَهُ الْوَدِيَّ وَيَضَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَكِوهِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيلِهِ مَا مَاتَتْ مِنْهَا وَدِيَّةٌ وَاحِدَةً، فَأَدَّيْتُ النَّخْلَ، وَبَقِيَ عَلَيَّ الْمَالُ، فَأَتِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يِمِثْلِ فَوَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيلِهِ مَا مَاتَتْ مِنْهَا وَدِيَّةٌ وَاحِدَةً، فَأَدَّيْتُ النَّخْلَ، وَبَقِي عَلَيَّ الْمَالُ، فَأْتِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْفِي المَّعْوَلِي وَعَلَى الْفَارِي اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْعَلَى اللَّهُ اللَّهُ الْمُعْلِى الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُعْرَالِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُعْلِي

أن الرسول ﴿ حَثُ على البعد عن العمل الحرام أو المشاركة فيه ، ونفر من ذلك ، فقال ﴿ (لَعَنَ اللَّهُ الْخَمْرَ وَشَارِبَهَا وَسَاقِيَهَا وَبَائِعَهَا وَمُبْتَاعَهَا وَعَاصِرَهَا وَمُعْتَصِرَهَا وَحَامِلَهَا وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ (٧٧). وجاء في الحديث الضحيح : (لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﴿ آكِلَ الرِّبَا وَمُؤْكِلَهُ وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدَيْهِ وَقَالَ هُمْ سَوَاءٌ) (٨٧) وقال تعالى { ولا تَرْكُنُوا إلى الله وَلَا تَرْكُنُوا إلى الله وَمَا لَكُم مِنْ دُونِ الله مِنْ أولياء ثَمَّ لا تُنْصَرُون } (٩٥) ومكان الاستشهاد أن الرسول ﴿ نَفَرَ العاملين في ذلك ، مما هم عليه ، وهذا قد يعتبر إفساداً على رب العمل ؛ إن كانوا يعملون لدى شخص في حرام أو شركة محرمة ، لكن المصلحة الشرعية بدفع المفاسد العامة مقدمة مصلحة رب العمل الملغية.

• ويختلف حكم الإغراء المطلوب هنا؛ ندباً أو إيجاباً بحسب قوة الدافع وملابساته. لأن المُغْرِي قد لا يستطيع أن يوجد حلاً لمشكلة العامل الذي يعمل في حرام، مما قد يؤدي به إلى ابتلاء، قد لا يستطيع العامل تحمله فيؤدي إلى انتكاسة دينية، وكذلك؛ قد لا يستطيع من قام بالإغراء استيعابه أو إيجاد حل له، كما فعل الرسول السلمان.!

^() فَقّر لها: أي: احفر لها مكانا تُغرس فيه الفسيلة، انظر النهاية في غريب الحديث، مادة (فقر)

^() مسند أحمد ٥/ ٤٤٣ - ٤٤٤، الحديث حسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ط، المكتب الإسلامي، ج٢/ ٩٥٠ رقم ٩٩٤، وكذلك قال عنه؛ الشيخ شعيب الأرناؤوط، في تحقيق مسند الإمام أحمد، ط، مؤسسة الرسالة ج٣٩/ ١٤٠- ١٤٧ رقم الحديث ٢٣٧٣٧

^() سنن أبي داود ٣٢٦/٣ رقم ٣٦٧٤، ومسند أحمد ٩٧/٢، صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٩٠٧/٢ رقم ٩٩١٥

^() صحیح مسلم، ص ٤٠٨، رقم ١٥٩٨

^() سورة هود / ١١٣

المسألة الثانية: أن يكون دافع الإغراء تحقيق مصلحة لمن وقع عليه الإغراء؛ وهو العامل؛ ولا مصلحة للمُغْرِي؛ فهذا لا حرج فيه؛ كما إذا كان عقد العامل فيه حيف وإجحاف به، فهذا نوع من الظلم، والظلم لا يقر الشرع استمراره، عند ثن يمكن القول: إنه لا حرج على من نصح العامل بتغيير عقده في المستقبل، أو نَصَحَه أن يطلب تحسين وضعه فيما يأتي، وأما عقده الحالي الذي ارتبط به؛ فينبغي عليه الاستمرار فيه؛ تنفيذاً لما التزم به في العقد، ولما أوجبه وشرطه على نفسه راضياً، وروي عن النبي أنه قال (الناس على شروطهم ما وافق الحق)(^^^)، فالالتزام بالعقد هنا ضرورة؛ والضرورة تقد بقدرها، وهو الفترة الحالية، وأما ما زاد على ذلك، فيرجع فيه الأمر إلى الجواز، والإغراء هنا يعتبر نوعاً من النصيحة المطلوبة، بقوله إلى اللهوبة، ولسوله ولأثمة المسلمين وعامتهم)(^^ والنصيحة المطلوبة عامة في أمور الدين، وأمور الدنيا، ولا اعتبار لمصلحة رب العمل في استغلال حاجة العامل، فإذا كان العامل راضياً بالاستمرار على ما هو عليه، وليس لديه طموح لتحسين وضعه، أو تغيير حاله، أو كان العامل وعدم استغلاله، لأن ذلك من التواصي بالرحمة والمرحمة، والمواصي بالمرحمة سيمة المؤمنين وضعه أحسن عما هو عليه؛ فلا نملك له أكثر من النصيحة، ويمكن أن ننصح رب العمل بتحسين أصحاب الميمنة؛ الذين يفوزون باقتحام عقبة يوم القيامة! قال تعالى: ﴿ فَلا أَفْتَهُمُ اللّهُمُ اللّهُ مَنْ أَنْ يَنْ عَلَى مَنْ النّين عَامَوُا وَالْوَامُ المُنْ مَنْ الْوَيْ مَا الْمَنْ وَالْوَالْ الْمَالَمُ وَالْوَالْ الْمَالَمُ وَالْوَالُولُ الْمَالَمُ وَالْوَالُولُ اللّهُ الْمَالُولُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَالْمَالُولُ اللّهُ مَنْ الْوَيْنَ عَامَالُولُ الْمَالَمُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ و

المسألة الثالثة: أن يكون دافع الإغراء تحقيق مصلحة للمُغْرِي الذي قام بالإغراء، بأن يريد هو كسب هذا العامل إلى جانبه، والتعاقد مستقبلاً؛ فهاهنا تعظم التهمة، ويختلف العلماء في حكم هذا الإغراء، وحكم ما ترتب عليه من عقود؛ لأن هذا الإغراء تتنازعه أمور كثيرة؛ فهو يشبه تخبيب المرأة على زوجها، وتخبيب العبد على سيده، ويشبه الخطبة على خطبة الأخ، والبيع على بيعه، وما شابه ذلك كالإجارة وغيرها، وقد يختلف عن هذه الأشياء؛ لأنه لم توجد بَعْدُ مساومة بين العامل ورب العمل، ولا رضاً بتجديد العقد، فترة أخرى، فلا يكون الإغراء ممنوعاً! ويلحق بالتعريض الجائز، وبناء على ذلك؛ اختلف العلماء في حكم هذا الإغراء وما يتبعه، بين ما يقاس عليه، وفيما يلي بيان هذا الخلاف:

أولاً: قول المانعين: يرى كثير من العلماء أن هذا العمل غير جائز، بل هو محرم ؛ للأدلة التالية:

^() مجمع الزوائد ٨٦/٤ وقال الهيثمي: رواه البزار، وفيه محمد بن عبد الرحمن البيلماني وهو ضعيف جداً.

^() صحيح مسلم، ص٧٧، رقم٥٥، وسنن الترمذي ٣٨٦/٤ رقم ١٩٢٦، وسنن أبي داود٤ ٢٨٦/٢ رقم ٤٩٤٤

ا سورة البلد ۱۱ - ۱۸

1- لما فيه من تخبيب العامل وإفساده على رب عمله، قياساً على تخبيب المرأة على زوجها والعبد على سيده، وقد نهى الرسول عن ذلك فقال (ليس منا من خبب امرأة على زوجها أو عبداً على سيده) ومعنى خبّب: أي: خدع، فتخبيب المرأة على زوجها محرم؛ لأنها تحت عصمة زوج، وبينهما عقد محترم، وكذلك يحرم تخبيب العبد على سيده؛ وذلك لما في التخبيب من إفساد؛ مملوك على سيده، وفيه أيضاً تخريب للنظام العام في العقود التي تقضي باستقرار ملكية المالك وصلاحياته على مملوكه، وحكم تخبيب العامل كحكم الخادم والعبد؛ بجامع أن كلاً مما سبق، فيه تخريب للمستقر من العقود، وفيه إثارة للشحناء والبغضاء.

٢- لأن النبي إلى نهى أن يبيع الشخص على بيع أخيه أو أن يخطب على خطبة أخيه، فقال (لا يَبيعُ الرَّجُلُ عَلَى بَيْع أَخِيهِ) (١٤٠) وفي رواية (.. ولا يسم على سوم أخيه) ومكان الاستدلال؛ أن الاتفاق على تجدد العقد بنفس الشروط ما لم يُخْطِر أحدهما الآخر بإنهاء العقد عبتبر إيجاباً تلقائياً من أحدهما للآخر ، ويبقى للطرف الثاني؛ الخيار في إتمام العقد لفترة تالية ، أي تجديد العقد بنفس الشروط السابقة ، أو رفض التجديد ، فيشبه هذا الاتفاق المبدئي حالة المتبايعين في فترة الخيار التي نهى الرسول عن دخول طرف ثالث للتعاقد مع أحدهما.

٣- لأن هذا العمل فيه إفساد وإنجاش فلا يحل. (٢٨)

٤- لأن هذا العمل فيه إضرار، برب العمل حيث قد يخسر التكاليف التي تكلفها في إحضار العامل، ثم إنه سيحتاج إلى مثلها لإحضار عامل آخر، وتحريم الإضرار معلوم (٨٠٠) قال ﷺ (لا ضرر ولا ضرار)(٨٨٠)

٥- لأن هذا العمل يسبب العداوة والبغضاء، والشرع نهى عن كل ما يؤدي إلى ذلك.

ثانياً: قول المبيحين: أن هذا العمل جائز، ولا حرج فيه ؛ للأدلة التالية:

١) لاختلاف طبيعة عقد العمل وعقد الإجارة وماشابههما عن عقد الزواج وملك اليمين.

لأن الشرع أباح السوم على سوم الأخ إذا لم يُرْضَ بسوم الأول، كما في بيوع المزاد، وقد (باع الرسول على سوم الأخ إذا لم يُرْضَ بسوم الأول، كما في بيوع المزاد، وقد (باع الرسول على حَلْسًا وَقَدَحًا، وَقَالَ مَنْ يَشْتُرِي هَذَا الْحِلْسَ وَالْقَدَحَ؟ فَقَالَ رَجُلٌ أَخَذْتُهُمَا بِدِرْهَمٍ، فَقَالَ النَّبِيُ عَمَّ مَنْ يَزِيدُ عَلَى دِرْهَمٍ؟ مَنْ يَزِيدُ عَلَى دِرْهَمٍ؟ فَأَعْطَاهُ رَجُلٌ دِرْهَمَيْنِ فَبَاعَهُمَا مِنْهُ) (١٩٥ قال الترمذي: العمل على هذا عند بعض دِرْهَمٍ؟، مَنْ يَزِيدُ عَلَى دِرْهَمٍ؟ فَأَعْطَاهُ رَجُلٌ دِرْهَمَيْنِ فَبَاعَهُمَا مِنْهُ)

^() سنن أبي داود ٢/ ٢٥٤ رقم ٢١٧٥ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٢/٩٥٧ رقم ٥٤٣٧ (

^() صحيح البخاري ص٢٨٣ رقم ٢١٤٠، وصحيح مسلم، ص٣٤٧ رقم ١٤١٣، وسنن الترمذي ٤٤٠/٣ رقم١١٣٤.

^() صحیح مسلم ص۳٤٨ رقم ١٤١٣ ، وسنن ابن ماجه ٧٣٤/٢ ، رقم ٢١٧٢

^() المهذب للشيرازي ٢٩١/١

^() روضة الطالبين ١٥/٣

^() سنن ابن ماجه ٧٨٤/٢ رقم ٢٣٤٠، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ١٢٤٩/٢ رقم ٧٥١٧

^() سنن الترمذي ٥٢٢/٣ رقم ١٢٨١ قَالَ أَبو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ ، ومسند أحمد ١١٤/٣

حكم الإغراء بإنهاء العقد

أهل العلم، لم يروا بأساً؛ ببيع من يزيد في المغانم والمواريث (٩٠) وروي عن عطاء قوله: أدركت الناس لا يرون بأساً ببيع المغانم فيمن يزيد، وخَص الأوزاعي وإسحاق؛ الجواز ببيع المغانم والمواريث التزاماً بظاهر ماورد، قال ابن العربي المالكي: لا معنى لاختصاص الجواز بالغنيمة والميراث؛ فإن الباب واحد والمعنى مشترك (٩١). ومكان الاستدلال أنه لم يحصل اتفاق بين العامل ورب العمل على فترة أخرى، فيكون حكم الفترة التالية كحكم البيع فيمن يزيد؛ حيث لم يوجد ما يدل على الرضا من الطرفين.

الناظر في المسألة المعروضة يرى اختلافاً بين طبيعة الأصل المقيس عليه، وطبيعة الفرع المُقاس؛ ولابد قبل الإجابة من بيان طبيعة عقد العمل، وطبيعة عقد الزواج، وطبيعة ملك اليمن ومقتضيات كل منها.

أولاً: طبيعة عقد الزواج؛ أنه عقد مبني على التأبيد والاستمرار، ولذلك يكون باطلاً إذا نص في العقد على تأقيته بمدة معينة؛ كما هو الحال في نكاح المتعة، الذي حرمه الرسول واتفق فقهاء أهل السنة، على حرمته. (٩٢)

ثانياً: طبيعة ملك اليمين؛ أن السيد له ملكية مطلقة على رقيقه، في المتعارف عليه، ولا خيار للمملوك باختيار مالكه؛ فصلاحيات السيد على عبده مطلقة، في استخدامه بالمعروف.

ثالثاً: طبيعة عقد العمل: أنه عقد تراضٍ بين طرفين أو أكثر ؛ يلتزم فيه العامل ؛ بأداء عمل معين في ذمته ، أو يلتزم بالعمل فيه عند شخص أو جهةٍ ما ، مدة محددة ؛ يوماً ، أو شهراً ، أو سنةً.

الناظر في أدلة الطرفين ؛ يلاحظ ما يلي:

أن النهي عن البيع على بيع الأخ؛ وارد على البيع في زمن الخيار، وليس على البيع الذي تَمّ، وانتهى فيه مجال الخيار، وكذلك السوم على سوم الأخ؛ ممنوع أثناء المراوضة على السعر وتقليب الأمر، في غير بيوع المزاد، أما في بيوع المزاد؛ فالسوم جائز؛ حالة عدم استقرار الثمن. وإن مساومة العامل للتعاقد معه على فترة جديدة؛ تشبه بيع المزاد؛ لأن العامل غير مطمئن لاستمرار هذا التعاقد، حيث يشعر أنه مغبون، ويبحث يميناً وشمالاً عن فرص أحسن؛ فلا أحد يستطيع إلزام العامل بفترة أخرى عند الكفيل، لاسيما إذا كان العامل مغبوناً غبناً فاحشاً، وكذلك لا أحد يستطيع إلزام الكفيل بإبقاء العامل عنده،

• فإذا قام أحدهما بالانفصال من نفسه دون تدخل أحد؛ فلا إشكال في جواز ذلك.

^() سنن الترمذي ٥٢٢/٣

^() فتح الباري ٢٥٤/٤

^() بداية المجتهد ٥٨/٢

• أما إن كان هناك إغراء من شخص أو جهة ، حمله على الانفصال ؛ فننظر في الطريقة التي حصل بها الإغراء، في المطالب التالى :

:

قد يكون الإغراء حصل بشكل مباشر تصريحاً، أو تعريضاً، وقد يكون بشكل غير مباشر ؛ فهاهنا ثلاث حالات:

أن يكون الإغراء بشكل غير مباشر ؛ أي: عبارة عن إعلانات عامة دون اتصال بعامل بعينه ، كما لو أعلنت شركة أو مؤسسة أو جامعة ؛ أنها تحتاج لعمال أو موظفين لديهم مهارة في جانب معين ، أو يحملون مؤهلات من نوع معين ، وتطلب من الراغبين في ذلك العمل ؛ تقديم طلباتهم للمقابلة أو التوظيف ؛ فهذا الإغراء لا حرج فيه ، وعليه عمل المسلمين منذ العصور الأولى ؛ حيث يطلب الناس من يصنع لهم كذا وكذا ، ويجعلون لهم حوافز ، دون اعتبار لكون الشخص الذي تتوفر فيه الشروط المطلوبة مرتبطاً بربً عمل الآن ، أم لا ؛ ومن رغب بترك عمله الحالي ؛ ليلتحق بالعمل الجديد المُعلَن عنه ، فلا حرج عليه ، مالم يخرم التزاماته مع الآخرين ، والقضية قضية عرضٍ وطلب ؛ فإذا أنهى العامل التزاماته الحالية ، فلا حرج عليه من التعاقد مع شخص آخر ، والعمال يختارون العمل عند من يشاؤون حسب مصلحتهم ، ولا ينكر هذا أحد! ومن كان تحت كفالة شخص أو جهة ، وأراد الانتقال إلى عمل آخر و كفيل آخر ؛ عليه أن يؤدي للكفيل السابق ما اتفقا عليه ، فيما لو نقض عهده أثناء المدة ، أو أراد الانتقال إلى جهة أخرى بعد نهاية العقد.

أن يكون الإغراء بالتعريض، كأن يقول شخص أمام العامل أو الموظف المعنيّ: أنا محتاج لشخص يتقن عمل الحسابات، أو العمل على جهاز الحاسب، أو توزيع البضائع، أو الإدارة، أو إلى شخصٍ أمينٍ أسلمه الإدارة..ولو وجدته لأعطيته كذا وكذا من المال، ولوَفَرْت له مسكناً ووسائل المواصلات.. وكان العامل الذي يسمع هذا العرض - ممن تتوفر فيه هذه المواصفات - أو قد يقول شخص للعامل مباشرة: أنا محتاج إلى شخص مثلك في أمانته وإتقانه، فهذا الكلام وماشابهه من التعريض، لا حرج فيه ؛ لأن هذا الكلام يحتمل أكثر من معنى ؛ فيحتمل أنه إغراء للعامل بترك عمله ليلتحق بعمل عند مَنْ أغراه، طمعاً بأن يحصل في العرض الجديد على أكثر مما هو عليه الآن، ويحتمل أن يكون القصد، من ذلك العرض ؛ طلب البحث عن شخص آخر تتوفر فيه تلك الصفات. ولذلك فإن المعني يمكنه أن يصرح بهذا الأمر للعامل، بحضور رب العمل، ولا يتحرج من ذلك، وقد أجاز الشرع التعريض بنكاح المعتدة من وفاة، أو طلاق بائن بينونة كبرى، ما دامت عدتها ستنتهي حتماً وهي تحتاج إلى

الأزواج، والأزواج يحتاجون إليها، فقال تعالى: ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمُ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ-مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِسَآءِ أَوْ أَكَنَتُمْ فِي الْأَزُواج، والأزواج يحتاجون إليها، فقال تعالى: ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضَتُم بِهِ-مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِسَآءِ أَوْ أَتَكُمْ سَتَذَكُرُونَهُ نَ وَلَكِن لَا تُوَاعِدُوهُنَ سِرًّا إِلَّا أَن تَقُولُواْ قَوْلًا مَعْرُوفَا وَلَا تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاجِ حَتَّىٰ الْفُسِكُمُ عَلِمَ اللّهُ أَنَكُمْ سَتَذَكُرُونَهُ نَ وَلَكِن لَا تُوَاعِدُوهُ فَلَ سِرًّا إِلَّا أَن تَقُولُواْ قَوْلًا مَعْرُوفَا وَلَا تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاجِ حَتَىٰ يَبْلُغُ ٱلْكِنَابُ أَجَلَهُ وَ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّه

قال ابن عطية: ((أجمعت الأمة على أن الكلام مع المعتدة بما هو نص في تزوجها وتنبيه عليه، لا يجوز، وكذلك ما أشبهه، وكذلك أجمعت الأمة على أن الكلام معها بما هو رفث وذكر جماع أو تحريض عليه لا يجوز، وكذلك ما أشبهه، وجُوِّز ما عدا ذلك. (١٤) أي التعريض بغير ما سبق.

الحالة الثالثة: أن يكون الإغراء بالتصريح المباشر، على ما بعد مدة العقد الحالي المتفق عليها، وهي تنتهي بعد مدة معلومة، فإن كان العامل راضياً بعقده ولا يبحث عن عرض أحسن، وعن عقد أحسن؛ أو غير متضجر مما هو عليه، فلا يصح لأحد أن يغرية بالتعاقد معه؛ ويكون حكمه كحكم البيع على بيع الشخص والخطبة على خطبته، لأن الرضا بشروط العقد السابق حاصل ظاهراً، أما إن كان العامل هو البادئ بالبحث عن عمل آخر، أو كفيل آخر؛ فمعناه أنه غير راض بتجديد عقده بالشروط السابقة، فحكم الإغراء هنا كحكم الزيادة في السعر، في بيع المزاد قبل أن يستقر السعر، وقد سبق الكلام على جواز ذلك عند جمهور العلماء، فلو أغرى شخص هذا العامل بالتعاقد معه مستقبلاً ، بأن يقول له: إذا أتيت عندي أو تعاقدت معى فسوف أعطيك ضِعف راتبك، وبدل سكن، وبدل نقل، ومواصلات وأتكفل بعلاجك عند المرض، وتدريس أولادك، فهاهنا لا يوجد عقد يلزم العامل بالاستمرار مع رب العمل السابق، والعامل يحتاج إلى البحث عن عمل بعد انتهاء عمله الحالي، وقد لا يجد العمل الذي يريده بسهولة، والمُغرى يحتاج إلى هذا العامل وإلى خبرته ؛ ويخاف أن يفوته هذا العامل بالتعاقد مع آخرين ، لذلك هو يريد السبق إليه ، فهذا العرض والإغراء، لا حرج فيه؛ لأنه لا محذور منه؛ بل فيه مصلحتان؛ مصلحة للعامل، في إيجاد عمل أفضل، ومصلحة لرب العمل الجديد الذي قام بالإغراء؛ في توفير من يحقق له رغبته، أما حق رب العمل السابق في استمرار العامل عنده فهو حق موهوم، لأنه قد يُريد إبقاء العامل عنده، وقد لا يريد ذلك، بل قد يصرفه ويستغنى عنه بعد انتهاء المدة المتفق عليها ، عندئذ نقول: يجب ألا تُضَيَّع مصلحتان ظاهرتان ، مقابل مصلحة موهومة، ولا يقاس هذا على تحريم التصريح بالنكاح لمن كانت في عدتها من وفاة أو طلاق بائن بينونة كبري، لما يلى:

^() سورة البقرة / ٢٣٥

^() المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي، تحقيق المجلس العلمي بفاس، ج ٢١٨/٢،

- أ) لأن المعنى الذي نهى الشرعُ من أجله عن التصريح بالخطبة؛ هو خشية كذب المرأة في انتهاء عدتها استعجالاً للزواج، (٩٥) وهذا غير موجود هنا؛ لأن مدة العقد معلومة، فلا مجال للكذب فيها أو استعجال نهايتها؛ فهذا جائز ولا حرج فيه.
- ب) لأن المنع من التصريح في نكاح المعتدة هو أن عقد الزواج يجب أن يصادف محلاً مناسباً وهو المرأة الخالية من موانع النكاح، والعدة مانعة من ذلك.
- ج) لأن عقد النكاح الجديد تثبت آثاره بمجرد العقد، أي أنه بمجرد التلفظ به ؛ يحل للزوج الاستمتاع بمن عَقَدَ عليها، والعقد على المعتدة لا يصح ؛ حفظاً للأنساب حتى لا يجتمع ماء رجلين في وقت واحد، في رحم امرأة، وهذا المحظور منتف أيضاً بالنسبة لعقود العمل فإن العامل يمكنه أن يتعاقد مع أكثر من شخص في وقت واحد، كالأجير المشترك ؛ (الذي يتقبل أعمالاً من أكثر من شخص في ذمته، مثل الغسال والنجار والحمال) (٢٠٠) ثم هو ينجز تلك الأعمال دفعة واحدة، أو على التوالي، فلا محظور من تعدد العقود في ظرف يتسع للجميع.

المسألة الرابعة: أن يكون دافع الإغراء؛ الإضرار بالآخرين؛ سواء كان برب العمل، أو بالعامل؛ سواء كانت الوسيلة إلى ذلك؛ الغيبة بذكر معايب موجودة في العامل أو في رب العمل، أو إشاعة أكاذيب وأشياء لا أصل لها، فهذا عمل محرم؛

- أ) لأنه نوع من الإفساد ترفضه الشريعة ، قال 3 (لا ضرار ولا ضرار) $^{(99)}$
- ب) لأن النبي ﷺ قال (ليس منا من خبب امرأة على زوجها أو عبداً على سيده)(٩٨).
- ج) وتخبيب العمال على أرباب عملهم ؛ لا يقل حرمة عن تخبيب العبد على سيده.
- د) لأن الله تعالى نهى عن نقل الأخبار الكاذبة والإشاعات ؛ خصوصاً إذا كانت مغرضة قال الله تعالى: ﴿ وَلَا نَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمُ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُوَّادَ كُلُّ أُوْلَيْكَ كَانَ عَنْهُ مَسْعُولًا ﴾ (١٩٩)

^() انظر: المبدع ١٣/٧- ١٤

^() انظر: مغنى المحتاج ٣٥٢/٢، والروض المربع بحاشية النجدي ٣٤٠/٥

^() سنن ابن ماجه ٧٨٤/٢ رقم ٢٣٤٠ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ١٢٤٩/٢ رقم ٧٥١٧

^() سنن أبي داود ٢/ ٢٥٤ رقم ٢١٧٥ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٢/٩٥٧ رقم ٥٤٣٧

^() سورة الإسراء / ٣٦

حكم الإغراء بإنهاء العقد

هـ) لأن الشرع نهى عن الافتراء على الناس، والإشاعات الكاذبة هي نوع من الافتراء؛ وقد الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (١٠٠٠) فلا ينبغي للمسلم أن يكون بوقاً لكل إشاعة، بل عليه أن يتثبت مما يقول، وقال ﴿ (كفي بالمرء كذباً أن يحدث بكل ماسمع) (١٠٠١)

و) لأن إشاعة الأكاذيب التي فيها ضرر على الغير؛ يعتبر تعاوناً على الإثم العدوان؛ نعم فيها عدوان على المال والأرزاق، وكما حرم الإسلام العدوان على الأبدان والأعراض والسمعة؛ فإنه حرم العدوان على المال والأرزاق، قال ((كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) ((المسلم على المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) والإشاعة الكاذبة عن منتج معين، أو شركة معينة، أو رب عمل معين؛ هي نوع من العدوان؛ لأنه قد يتسبب في إفلاس شخص، أو شركة، وضياع عمالها، ومالكيها، وخراب بيوت!! فالإنسان له أن يمدح صناعته أو بضاعته بما فيها، لكن ليس له أن يتبرع بذم بضاعة غيره، بماليس فيها، لأن ذلك نوع من الافتراء لا تجيزه الشريعة التي تأمر بالعدل والإحسان، وإن الإشاعة المغرضة هي نوع من الإرجاف عواقبه خطيرة، فقد يتسبب بخسارة جيش، أو انههيار اقتصاد، كما حصل في دول الدونيسيا وماليزيا عندما سحب (جورج سورس) ((الموله من بنوك هذه الدول، وأشيع بأن اقتصادها سينهار!

لا ينكر أثر العقول النيرة وأصحاب الكفاءات في نهضة البلد أو الأمة، وإن أهم سبب لنهضة الغرب هو استقطابهم أصحاب الكفاءات من عرب وعجم، وإن هجرة العقول العربية والمسلمة إلى بلاد الكفر تسببت في تصحر بلاد المسلمين فكرياً، وتقنياً؛ فأصبحت البلاد الإسلامية في ذيل القافلة، وأصحاب الكفاءات هؤلاء، مرتبطون بأعمال وشركات ومؤسسات، في بلاد الغرب، وهي حريصة عليهم، فما حكم إغرائهم، بإنهاء ارتباطاتهم هناك، والعودة إلى بلاد الإسلام ليساعدوا في نهضتها:

الجواب: لا شك أنه ينبغي الحرص على هؤلاء وأمثالهم، لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وكما كانت دولة المدينة أبان نشأتها ؛ محتاجة لكل المسلمين للمساعدة في بنائها ، فأوجب الله تعالى المجرة على جميع المسلمين إلى دولة الإسلام الناشئة في المدينة ؛ كي يأمن هؤلاء المستضعفون على أنفسهم ، وعلى دينهم ، ولكي يساعدوا في تكثير جمع المسلمين ونصرتهم ، فلما فتحت مكة لم يبق حاجة للهجرة من مكة ؛ لأنها أصبحت بلاد

⁾ سورة النحل /١٠٥

صحيح مسلم ، ص ٥ ، رقم ٥ وسنن أبي داود ٤/ ٢٩٨ رقم ٤٩٩٢ بلفظ (كفي بالمرء إثما..)

^() صحیح مسلم، ص ٦٥٥، قم ٢٥٦٤، سنن ابن ماجه ١٢٩٨/رقم ٣٩٣٣

ر جل أعمال أمريكي (ملياردير) تسبب في انهيار اقتصاد دول شرق آسيا ١٩٩٨م.

إسلام، فقال الرسول (لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا) (وإذا كانت الهجرة من مكة قد نسخت؛ فإن مشروعية الهجرة من ديار الكفار، إلى ديار الإسلام مازالت قائمة، كي يستطيع المسلم مارسة شعائره الكاملة، ويأمن على أولاده وبناته؛ من الضياع في المجتمعات الجاهلية الكافرة.

- لذلك ينبغي تذكير هؤلاء المهاجرين بواجبهم تجاه دينهم وأمتهم، لأن تجاوبهم مرتبط بشعورهم بمسؤوليتهم تجاه دينهم وأمتهم، وهم أعرف بما يستطيعون تقديمه لأمتهم وإن قَلّ، وإذا ترتب على إنهاء عقودهم وانتقالهم إلى بلاد الإسلام، أضرار لهم، أو لمن ارتبطوا به سابقاً، فلتتحمل الأمة أو دولة الإسلام أو المؤسسات الخيرية، هذه الأضرار، في سبيل رفعة الأمة ومن أجل نهضتها، وقد رغب الرسول أصحاب الكفاءات بالإسلام، وأنهم لو فعلوا لحفظ لهم مكانهم، فسأل الرسول ؛ الوليد أخا خالد بن الوليد للمام؛ أسلم عن خالد؛ فقال: أين خالد؟ (مثله جَهل الإسلام؟ ولو كان جعل نكايته وحَدَّه مع الإسلام؟ كان خيراً له، ولَقَدَّمْنَاه على غيره) فلما سمع ذلك خالد، سُرّ لسؤال الرسول ؛ ، عنه، وزاده رغبة في الإسلام، وتنشط للخروج إلى المدينة لإعلان إسلامه (١٠٠٠)، فلما وصل خالد إلى المدينة وأعلن إسلامه، فرح به الرسول ؛ وقال له (الحمد لله الذي هداك، قد كنت أرى لك عقلا، رجوت ألا يسلمك إلا إلى خير.) (١٠٠٠)

⁾ متفق عليه ؛ صحيح البخاري ، ص ٣٧٧ ، رقم ٢٦٨٣ ، وصحيح مسلم ، ص ٤٩١ ، رقم ١٨٦٤ .

^() سورة المجادلة /٢٢

سورة المائدة / ١٥] سورة المائدة

^() السيرة النبوية لابن كثير، تحقيق ، مصطفى عبد الواحد، ط، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ٢٥١/٣

^() السيرة النبوية ، لابن كثير ٤٥٣/٣

• وإذا وجب إغراء أصحاب الكفاءات للعودة إلى بلاد الإسلام ، فأولى منه إغراؤهم بعدم الهجرة إلى بلاد الكفر، ولقد كان عمر بن الخطاب يمنع كبار الصحابة من الهجرة من المدينة إلى بلاد الإسلام المفتوحة ، لكي يستفيد من مشورتهم وحكمتهم، فإذا مُنِع أصحاب الكفاءات من الصحابة، من الهجرة إلى بلاد الإسلام، فهجرة أصحاب الكفاءات والعقول إلى بلاد الكفر ممنوعة من باب أولى، والله أعلم.

:

إذا كان مطلوبا من المسلم أن يُكثِّر سواد المسلمين ؛ حتى لوكان أعمى أو لاوزن له في القتال، فمن الأولى على أصحاب الخبرات والعقول النَّيِّرة، البقاء في الدول الإسلامية تكثيراً لسواد الأمة، بل للمساعدة في رفع الضيم والتقصير والجهل عن الأمة في المجال الذي يتقنونه، وقد ذكر العلماء: أن من فروض الكفايات؛ تعلم العلوم والصناعات التي تحتاجها الأمة، ومقتضى ذلك؛ أن الأمة تأثم كلها؛ إذا قصرت في جانب مما تحتاجه، وفرض الكفاية قد يصبح فرض عين في حق الأشخاص الذين يفهمون ذلك العلم ويتقنونه، إذا لم يحسنه غيرهم ؛ لكي يرفعوا الإثم، والحيف عن الأمة! وقد كان الناس يحرصون على أهل الكرم والنجدة والعقل والحمية؛ لئلا يفتقد البدر في الظلماء، فلما أراد أبو بكر الهجرة إلى الحبشة بسبب مضايقات المشركين له ؛ رفض مالك ابن الدغنة ، هجرة أبي بكر ، وقال له : إلى أين يا أبا بكر؟ قال: أخرجني قومي، وآذوني وضَيَّقوا عليّ، قال: ولم ؟ والله إنك لتزين العشيرة وتعين على النوائب وتفعل المعروف وتكسب المعدوم، ارجع فإنك في جواري. (١٠٩) ولقد عز الإسلام بإسلام رجل واحد هو عمر بن الخطاب فكيف لا تعز الأمة ببقاء حكمائها ومفكريها فيها، وقد كان بعض الرجال يوزن بألف، لما فيه من شجاعة كخالد بن الوليد رضى الله عنه، وقال أبو بكر رضى الله عنه: صوت القعقاع في الجيش خير من ألف رجل(١١٠٠)، وإن (عبد القدير خان، صانع القنبلة النووية الباكستانية، يوزن بجيوش، فلقد عَدَّل بعبقريته ميزان القوى ضد الهند) وإننا نرى كثيراً من الدول الصناعية تحرص على بقاء علماء الذرة وعباقرة الصناعات العسكرية فيها، بل وتمنعهم من المغادرة إلى بلد آخر ؟ لئلا يُسَرِّبُوا أسرار اختراعاتهم إلى دول أخرى، فكيف تزهد أمتنا بفلذات أكبادها، ولا تأتلفهم، وكيف يؤثر مؤمن مصلحته الشخصية، على مصلحة أمته ؛ عندما يستجيب لإغراءات الدول الكافرة، فيكون عوناً على المسلمين، بدل أن يدفع عنهم ؟!! وعلى هؤلاء ألا يستجيبوا لإغراءات الكفار ولو كان فيها كسب دنيوي، لأن ما عند الله- لمن ينصر دينه - خير وأبقى ؛ وليعتبروا أنفسهم مرابطين في سبيل الله، للحفاظ على حرمات المسلمين ، فقد قال رسول الله ﷺ (رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل)(١١١١)، وليكن قدوتهم كعب بن مالك رضي الله عنه،

⁾ السيرة النبوية ، لابن كثير ٢/٦٣

^() الأعلام للزركلي ، ط، دار العلم للملايين، ٢٠٢/٥

⁾ سنن النسائي ٢/٠٦، وسنن الترمذي ١٦٢/٤ رقم ١٦٦٧، ومسند أحمد ١٥٥١

عندما رفض إغراءات ملك غسان؛ رغم المقاطعة والضيق والبلاء الذي حَلّ به؛ نتيجة تخلفه عن غزوة تبوك، حتى ضاقت عليه الأرض بمارحبت وضاقت عليه نفسه، فلما أرسل إليه ملك غسان كِتَابًا؛ فِيهِ: (أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِى أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ ، وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللَّهُ بِدَارِ هَوَانٍ وَلا مَضْيَعَةٍ ، فَالْحَقْ بِنَا نُواسِكَ..)، فلم يستجب لتلك الإغراءات! ولم يؤثر الدنيا ومتاعها على مرضاة الله تعالى ومرضاة رسوله، حتى تاب الله عليه توبة تتردد بشذاها إلى يوم الدين، وهنّأه رسول الله به بها، فقال له (أَبْشِرْ بِخَيْر يَوْم مَرَّ عَلَيْكَ مُنْدُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ) (١١٢).

:

إن كان الإغراء حصل على نقض عقد مبرم، فهذا محرم كحرمة الحمل على نقض عقد البيع أو غيره بعد تمامه، وفاعله يستحق التعزير، كما نقل عن ابن تيمية في الحمل على نقض عقد الإجارة، (١١٣) وأما إن كان الإغراء بعدم تجديد العقد معه؛ فإن كان ممن له مصلحة؛ كما لو كان المُغْرِي يريد الحلول مكان العامل، فحكمه حرام؛ كحكم البيع على البيع، والسوم على السوم. ما لم يكن هناك مبرر شرعي؛ يستدعي الجواز، وأما إن كان الإغراء ممن ليس له مصلحة؛ فالظاهر عدم الحرمة، وعمل الناس على ذلك، والله أعلم.

:

الإغراء إما أن يكون قد حصل على نقض عقدٍ مبرم لا يمكن الجمع بينه وبين العقد الثاني، وإما أن يكون سوماً على سوم في بيع، أو إجارة على إجارة ، أو عقد عمل على عقد مثله، أو ما شابه ذلك، فهنا حالتان:

إذا ورد العقد الثاني على نقض عقد مبرم لا يمكن الجمع بينه وبين العقد الثاني دفعة واحدة، أو على التوالي؛ فإن العقد الثاني غير صحيح؛ لأنه يخل بالتزام سابق صحيح معترف به شرعاً، فينقض البيع الثاني، هذا لو كان بيعاً؛ لأنه بيع لملك غيره، ولا يصح النكاح؛ لأنه عقد على امرأة محصنة؛ أي مزوجة، والمرأة التي تحت زوج هي إحدى المحرمات في النكاح، كما في قوله تعالى ﴿ وَٱلْمُحْصَنَتُ مِنَ ٱلنِسَاءَ إِلّا مَا مَلَكَتُ أَيْمَنُكُمُ ﴾ (١١٠) وكذلك يجب أن يكون حكم عقد الإجارة إذا لم يمكن الترتيب، كما لو كان الطرفان يتعاقدان على سكنى دار معينة شهر رمضان، أو الخدمة في شهر رمضان، لسنة معينة.

صحيح البخاري، ص١٠٠، رقم ٤٤١٨، وصحيح مسلم، ص٧٠٠، رقم ٢٧٦٩

^() مجموع فتاوى ابن تيمية ١٦٠/٣٠

^() سورة النساء / ٢٤

حكم الإغراء بإنهاء العقد

إذا حصل العقد الثاني أثناء فترة الخيار أو المساومة، قبل الاتفاق النهائي فقد اختلف الفقهاء إلى قولين:

الأول: قال جمهور الفقهاء: العقد الثاني صحيح؛ لأنه وقع من أهله فيما يملكانه، لكن فاعله آثم؛ بسبب افتياته على حق السابق، (١١٥) قال ابن حبيب: حمل العلماء هذا النهي على الندب، فلو فعل ذلك لم يفسخ النكاح بالإجماع، وتعقبه ابن بطال بأن نفي الحل، صريح في التحريم، ولكن لا يلزم منه فسخ النكاح وإنما فيه التغليظ على المرأة أن تسأل طلاق أخرى ولترض بما قسم الله لها(١١٦) قلت: وماذكره العلماء في الخطبة على الخطبة على الخطبة والبيع على البيع وغيره؛ لأن الرسول ، نهى عن الخطبة على الخطبة والبيع على البيع.

الثاني: وقال داود الظاهري وابن حزم وبعض المالكية وبعض الحنابلة: العقد الثاني فاسد (۱۱۷)؛ لنهي النبي على حيث قال (لا يبع بعضكم على بيع بعض) (۱۱۸) والنهي يقتضي الفساد قال ابن حزم: هذا خبر معناه الأمر، لأنه لو كان معناه الخبر لكان كذباً؛ لوجود خلافه والكذب مقطوع ببعده عن النبي ولا يجيزه عليه إلا كافر حلال الدم. (۱۱۹)

والراجح: قول الجمهور بصحة العقد، مع تأثيم فاعله؛ وذلك للأدلة التالية:

- ١- لأن العقد مع الأول لم يتم بعد، ويحتمل أن لا يتم.
- ٢- لأن النهي كان لسبب خارج عن العقد، قال الشوكاني: الخلاف يرجع إلى ما تقرر في علم الأصول
 من أن النهي المقتضي للفساد، هو النهي عن الشيء لذاته ولوصف ملازم، لا لخارج (١٢٠٠).
 - لكن هل يصح التعاقد مع الأجير الخاص عقداً مؤجل التنفيذ إلى ما بعد انتهائه من عمله الحالي ؟؟ للإجابة على ذلك لابد من معرفة حكم العقد المفتوح ؛ بداية أو نهاية ؛ وذلك في المبحث التالي:

^() قال ابن رشد في بداية المجتهد ١٦٥/٢: وفقهاء الأمصار على أن هذا البيع مكروه ، وإن وقع مضى لأنه سوم على بيع لم يتم، وقال داود: إن وقع؛ فسخ في أي حالة وقع تمسكاً، بالعموم.وانظر: شرح النووي على مسلم ١٠/ ١٥٩،

^() فتح الباري ۹/ ۲۲۰

⁾ المحلى ٩/ ٤٦٦ - ٤٦٧، وبداية المجتهد ٢/ ١٦٥، والمبدع ٧/ ١٣ - ١٥، وفتح الباري ٣٥٣/ - ٣٥٣

^() الحديث سبق تخريجه

^() المحلى ٩/ ٢٦٦ - ٢٦٧،

⁾ نيل الأوطار ٥/٢٧٠

:

وفيه ثلاثة مطالب:

:

العقد المفتوح؛ هو عقد اتفق فيه على أجرة اليوم أو الشهر في عمل معين، لكن لم يبين في العقد كم يوماً، أو كم شهراً، أو كم سنة، تستمر مدة العقد! فتكون مدة العقد الكلية مجهولة؛ النهاية، وقد تكون بداية مجهولة! وللفقهاء خلاف في صحة هذا العقد في الفترة الأولى وما بعدها، وفي تجدده تلقائياً بنفس الشروط السابقة.

:

في الأصل يشترط لصحة الإجارة معرفة المنفعة المعقود عليها(١٢١١)، ومعرفة المنفعة تحصل بواحد مما يلي:

- ١- بتحديد المدة ؛ كسكني دار ، أو خدمة آدمي يوماً ، أو شهراً ، أو سنة.
 - ٢- بإنجاز عمل معين ؛ كتعليم علم، أو خياطة ثوب معين،
- ٣- بالوصف؛ كحمل قطعة حديد وزنها كذا وكذا من المكان الفلاني إلى موضع معين، أو بناء حائط طوله كذا وعرضه كذا وارتفاعه كذا وكذا. فإن كانت المنفعة مجهولة جهالة كاملة لم يصح العقد (١٢٢)، لما تؤدي إليه من النزاع والخلاف المنهي عنه، والعقد المفتوح؛ اتفق فيه على أجرة اليوم أو الشهر، لكن لم يبين في العقد كم يوماً أو كم شهراً، أو كم سنة، تستمر مدة العقد! فتكون مدة العقد الكلية مجهولة؛ فهل تؤثر جهالة مدة الإجارة الإجمالية في صحة العقد ؟ أم أن هذه الجهالة مغتفرة ؟ ويصح العقد ؟ وهل يتجدد تلقائياً أم لا ؟
- اختلف الفقهاء في صحة هذا العقد؛ فقال الجمهور؛ الحنفية والمالكية والحنابلة وأبو ثور، وبعض الشافعية: العقد صحيح في الشهر الأول (۱۲۳):
- أ) لما روى عن علي رضي الله عنه قال: جعت مرة بالمدينة جوعا شديدا فخرجت أطلبُ العمل في عوالي المدينة؛ فاذا أنا بامرأة قد جمعت مَدَراً، فظننتها تريد بله فقاطعتها كل ذنوب على تمرة فمددت ستة عشر ذنوبا حتى مجلت يداي ثم أتيت الماء فأصبت منه ثم أتيتها؛ فقلت هكذا بين يديها وبسط إسماعيل يديه وجمعهما فعَدَّت لي ست عشرة تمرة، فأتيت النبي في فأخبرته فأكل معي قلت)(١٢٤) قال الشوكاني هذا الحديث فيه دلالة على جواز

^() المهداية بشرح فتح القدير ٦١/٩ والشرح الصغير ٢٥٣٥- ٢٥٤ ومغني المحتاج ٣٣٩/٢ والروض المربع بحاشية النجدي ٢٩٥/٥

^() انظر: الروض المربع بحاشية النجدي ٢٩٥/٥- ٢٩٧

^() الهداية مع فتح القدير ٩٣/٩، والقوانين الفقهية ١٨٢ والمهذب للشيرازي ٣٩٦/١، والمغني ٢٠/٨- ٢١ والمبدع ٧٢/٥

⁾ مسند أحمد ١/ ١٣٥، قال في مجمع الزوائد ٤٧/٤: رواه ابن ماجه باختصار، ورواه أحمد ورجاله رجال الصحيح إلا أن مسند أحمد الله علي جوَّد الحافظ إسناده وأخرجه ابن علي من علي. وقال الشوكاني: في نيل الأوطار ٦/ ٣٤- ٣٥ حديث علي جَوَّد الحافظ إسناده وأخرجه ابن ماجه بسند صححه ابن السكن،

حكم الإغراء بإنهاء العقد

الإجارة معاددة ؛ يعني أن يفعل الأجير عددا معلوماً من العمل بعدد معلوم من الأجرة ، وإن لم يبين في الابتداء مقدار جميع العمل والأجرة. (١٢٥)

- ب) عن أبي هريرة قال جاء رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله مالي أرى لونك منكفتاً؟ قال الخَمْصُ [أي الجوع] فانطلق الأنصاري إلى رحله فلم يجد في رحله شيئاً فشيئاً، فخرج يطلب؛ فإذا هو بيهودي يسقي نخلاً ، فقال الأنصاري لليهودي أسقي نخلك؟ قال نعم، قال: كل دلو بتمرة واشترط الأنصاري أن لا يأخذ خَدِرَة، ولا تارِزَة ولا حَشَفَة ولا يأخذ إلا جَلِدَة، فاستقى بنحو من صاعين، فجاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم) (١٢١)
- ج) لأن الجهالة هنا غير كاملة ؛ فتكون مغتفرة ؛ لأنه يمكن إزالتها بمعرفة عدد الأيام التي عملها ، أو الأشهر التي سكنها فتزول الجهالة.
- د) لأن لفظ كل من ألفاظ العموم؛ فإذا دخلت على ما لانهاية له؛ انصرفت إلى الواحد، فيصح العقد في أقل مدة مسماة، لتعذر العمل بالعموم (١٢٧)
- وقال الشافعية والثوري وبعض الحنابلة: إذا كانت مدة العقد مفتوحة العدد أو المدة ؛ كما لو قال : على أن تسكنها، أو قال : أجرتك مِنْ هذه السنة كل شهر بدرهم، أو أجرتك كل شهر منها بدرهم فالعقد فاسد ؛ ولا تصح الإجارة ؛ لما يلى :
- ۱- جهالة مدة الإجارة، لأنه لم يحدد كم شهراً سيستأجر، فتكون مدة الإجارة الكاملة مجهولة (۱۲۸ فيكون حكمها كما لو قال: أجرتك مدةً أو شهراً (۱۲۹)، ولم يبين قدر المدة، فتكون المنفعة مجهولة.
- ۲- لأنه يترتب على جهالة المدة ، جهالة مقدار الأجرة المستحقة (۱۳۰) ، أما لو قال أجرتك هذه السنة كل شهر بدرهم فيصح العقد عند الشافعية لأنه أضاف الإجارة إلى جميع السنة ، فأصبحت مدتها الكاملة معلومة ،

^() نيل الأوطار ج ٦/ ٣٤- ٣٥

^() سنن ابن ماجه ٨١٨/٢ رقم ٢٤٤٨ وقال في الزوائد: في إسناده عبد الله بن سعيد بن كيسان، ضعفه؛ أحمد وابن معين وغيرهما.اه قلت: هذا الحديث وإن كان ضعيفاً لكن معناه صحيح، يشهد له حديث على السابق.

^() انظر: حاشية سعدي جلبي على فتح القدير ٩٣/٩

^() انظر: المغني ٢٠/٨- ٢٢، وقال في مغني المحتاج ٣٤٠/٢: ولا تصح إجارة شهر من هذه السنة وبقي فيها أكثر من شهر للإبهام فإن لم يبق فيها غيره صح، وقوله أجرتك من هذه السنة كل شهر بدرهم أو أجرتك كل شهر منها بدرهم فاسد، لأنه لم يعين فيها مدة فإن قال أجرتك هذه السنة كل شهر بدرهم صح لأنه أضاف الإجارة إلى جميع السنة بخلافه في الصورة السابقة ؛ ولو قال أجرتك هذا الشهر بدينار وما زاد فبحسابه صح في الشهر الأول.

^() المغنى ٢٠/٨

⁾ مغني المحتاج ٢/٠٤٣

وزاد الأمر بياناً؛ أن حدد أجرة كل شهر من السنة، ولا ضرر من هذه الزيادة في البيان، كذلك لو قال: أجرتك هذا الشهر بدينار وما زاد فبحسابه؛ فإنه يصح في الشهر الأول^(١٣١)، لأن العقد حددت فيه مدة الإجارة وبدايتها فلا مجال للتنازع في الشهر الأول، وهذا قد يشبه العقد المفتوح، لكن فيه دقة في استعمال الألفاظ.

• وقال المالكية: العقد المفتوح جائز، وليس بلازم لأيّ من الطرفين، ولكل منهما فسخه متى شاء، وتجب الأجرة بعد انتهاء كل يوم على ما اتفقا عليه، إلا إذا كان المستأجر قد سلّم للطرف الآخر مبلغاً معيناً من الأجرة ؛ فإن الإجارة تصبح لازمة بقدر ما سلّم من مال، فلو اتفقا على أن الشهر بعشرة دراهم، فسلّم المستأجر للعامل خمسة دراهم مقدمة ؛ فإن الإجارة تلزم في نصف شهر فقط، وأما النصف الثاني فكل من طرفي العقد بالخيار في الاستمرار أو الفسخ (). واستدل على عدم اللزوم: بأن المنافع تقدر بتقدير الأجر المدفوع ()، فلا تلزم في أكثر مما دُفِع مقدماً، وما لم تُقدم فيه الأجرة، فإنه باق على الخيار لهما.

الناظر في أدلة الطرفين يرى قوة أدلة الجمهور؛ لأنهم استدلوا بأحاديث صحيحة صريحة في الموضوع ، كحديث عليّ رضي الله عنه، وحديث الأنصاري ، بينما اعتمد الشافعية على القواعد العامة التي تنهى عن الغرر، وعقوده ، بسبب مايكتنفها من الجهالة المفضية إلى النزاع ، وهي هنا جهالة مدة الإجارة ، ومن ثمّ جهالة الأجرة المستحقة ، ولكن المتأمل يرى أن الجهالة المفضية إلى النزاع ، هي الجهالة الفاحشة باتفاق ، أما الجهالة اليسيرة ، فلا تخلو منها أكثر العقود ، لذلك تعتبر مغتفرة ؛ كجهالة أساس الدار المشتراة ، وجهالة حشوة المعطف أو الجلباب ، وجهالة مدة المكث في الحمام ، ومقدار ما يستهلك من الماء (١٣٤) قال ابن رشد الجد: (الغرر اليسير الذي لا تنفك عنه

⁾ مغني المحتاج ٣٤٠/٢

^() للمالكية ثلاثة أقوال: الأول: لا يلزم الكراء في الشهر الأول ولا فيما بعده وللمكتري أن يخرج متى شاء ويلزمه من الكراء بحساب ما سكن ، والثاني: يلزمهما المحقق الأقل كالشهر الأول لا مابعده ، والثالث: يلزم الشهر إن سكن بعضه، قال الشيخ ميارة وبهذا الأخير جرى العمل عندنا، وهذه الأقوال الثلاثة داخلة في الكراء مساناة.اهـ انظر: حاشية الصاوي على الشرح الصغير ٥/ ٣٢٦، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير ٤٤/٤ - ٤٥

^() المغنى ٨/ ٢٢ - ٢٣

^() قال في شروح الهداية مع فتح القدير ٩/ ٩٦: أما الحمام فلجريان العرف بذلك والقياس عدم الجواز؛ للجهالة ولكنه ترك لإجماع المسلمين. وانظر: الأشباه والنظائر؛ لابن نجيم، ص ٩١- ٩٢ والفروق للقرافي ٢٦٥/٣- ٢٦٦، والمجموع ٢٥٨/٩، ، وزاد المعاد؛ لابن القيم ٣٢٤/٤

حكم الإغراء بإنهاء العقد

البيوع مُسْتَخَفُ مُسْتَجَاز) (١٣٥) وقال ابن رشد الحفيد، عن الغرر اليسير: (إن غير المؤثر هو اليسير، أو الذي تدعو إليه الضرورة، أو ما جمع الأمرين) (١٣٦).

والجهالة في العقد المفتوح - في نظري - هي من نوع الجهالة البسيطة، فتكون مغتفرة ؛ لأن هذه الجهالة آيلة إلى الزوال ؛ بمعرفة مقدار ما سكن المستأجر، ومقدار ما عمل العامل من الأيام، أو الشهور؛ فيتحدد مقدار الأجرة، ولذلك أجازها الجمهور في المدة الأولى، وهذا هو الراجح ؛ لأنها أصبحت متعارفة، وكثير من عقود المسلمين اليوم جارية على ذلك، من غير نكير، ومنها عقود الموظفين في الدوائر الحكومية والشركات، حيث تحدد أجرة اليوم أو الشهر، ثم بمقدار ما يعمل العامل ؛ يأخذ من الأجر، فيكون العقد لازماً في الفترة التالية بعد الشروع فيها، وقد يُنص في العقد على تحديد الفترة الأولى، ولا يتعرض لتجديد العقد مرة أخرى، ولا إلى إلغائه ؛ فتكون نهايته مفتوحة. قال في العناية شرح الهداية، عن العقد المفتوح النهاية : العقد صحيح في الشهر الثاني والثالث بعد الشروع؛ لتعامل الناس به من غير نكير، والتعامل إذا وقع من غير نكير، فإنه يكون بمنزلة الإجماع، والإجماع الشروع؛ لتعامل الناس به من غير نكير، والتعامل إذا وقع من غير نكير، فإنه يكون بمنزلة الإجماع، والإجماع أقوى من القياس الذي يقضي بفساد العقد بسبب جهالة المدة؛ لأن القياس دليل ظني فلا يصلح لمعارضة الدليل القطعي، .. على أنه قد تقرر عند الفقهاء أن الجهالة المفسدة للعقد هي الجهالة المفضية إلى النزاع ؛ إذ لكل واحد منهما نقض العقد في رأس كل شهر (۱۳۷۰).

وأمّا قول المالكية: بأن العقد جائز غير لازم، مالم ينقد الأجرة مقدماً؛ فلا يصح؛ لأن الأجرة أحد العوضين، فهي كالثمن في المبيع، فكما يلزم البيع، بالإيجاب والقبول، ولو كان الثمن مؤجلاً، كذلك تلزم الإجارة، بالإيجاب والقبول، ولو كانت الأجرة مؤجلةً، والله أعلم.

• ثم اختلف القائلون بجواز العقد المفتوح، هل يلزم في غير الفترة الأولى؟ أم لا ؟

فقال الحنفية والحنابلة وبعض المالكية: يلزم فترة أخرى، بالشروع في الشهر التالي، وليس لأحدهما حق الفسخ؛ لأنه إذا انتهى الشهر الأول، ولم يفسخا العقد، ودخل الشهر الثاني، فقد تم العقد على مدة جديدة؛ بتراضيهما بالسكنى في أوله (١٣٨) أو بالشروع في العمل في أول الشهر التالي، فكأنّ السكوت على الشروع؛ رضا

⁾ المقدمات المهدات ۲۲۲/۲

^() بداية المجتهد ٢/ ١٥٧

^() العناية على الهداية ، مطبوع مع فتح القدير ٩٥/٩ ،

^() انظر شروح المهداية (فتح القدير والعناية على المهداية ٩٤/٩، والمبدع ٥/ ٧٢، وحاشية الصاوي على الشرح الصغير ٥ / ٣٢، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير ٤٤/٤- ٥٥

بتجديد العقد الأول لفترة أخرى، قياساً على بيع المعاطاة بعد العلم بالثمن (١٣٩)، وهنا أجرة الفترة الثانية معلومة، وحصل شروع بفترة أخرى بعلم الطرفين دون نكير أو اعتراض من أحدهما؛ فيعتبر عدم الاعتراض موافقة ضمنية على تجديد العقد بالشروط السابقة، على أن لكل منهما خيار الفسخ في نهاية كل فترة (١٤٠٠).

وقال المالكية: لا يلزم العقد بالشروع في فترة أخرى إلا إذا دفع أجرتها مقدماً، (١٤١) لأن المنافع تقدر بتقدير الأجر المدفوع (١٤١)، فلا تلزم في أكثر مما دُفِع مقدماً، وما لم تُقَدَّم فيه الأجرة، فإنه باق على الخيار لهما.

الراجح: هو قول الجمهور في لزوم العقد بالشروع في فترة أخرى ؛ وذلك للأدلة التالية:

- ١- لأن الإجارة من العقود اللازمة.
- ٢- دفعاً للأذى المتوقع عن كلا الطرفين من حرية فسخ الآخر في أي وقت وحتى يستطيع كل
 منهم أخذ احتياطه قبل نهاية الفترة.
 - ٣- لأن الناس قد تعارفوه من غير نكير (١٤٣)

فالراجح لزوم العقد بالشروع في فترة أخرى، خصوصاً إذا نُص في العقد، أو العرف على أن الشروع بمدة تالية يعتبر ملزماً للطرف الثاني، وعندئذ يعتبر العقد في هذه المدة لازماً، لا يجوز نقضه، إلا بتراضٍ من الطرفين، ومن انفرد بنقضه ؛ فإنه يتحمل ما ترتب على النقض من أضرار. وبناء على القول بلزوم العقد في الفترة التالية بالشروع فيها ؛ فإنه يحرم إغراء العامل بنقض عقده الحالي ؛ لأنه قد التزم به، وليس من الشرع ولا من المروءة تخريب عقود الناس، ودعوتهم إلى التملص من التزاماتهم ؛ لما فيه من إثارة للخلاف والفوضى، وهذا مناف لمقتضى العقود. والله أعلم.

•

الأصل في العقود أن تترتب عليها آثارها بعد العقد مباشرة، فيملك المشتري المبيع، ويملك المستأجر حق الانتفاع بالعين المؤجرة بعد العقد، ويملك حق الاستفادة من خبرة العامل مباشرة بعد العقد، حسب ما يقضي به العرف، كما لو استأجر عاملاً ليبني له داراً، أو سيارة ليركبها أو داراً ليسكنها، فإن الإجارة تبدأ بعد العقد مباشرة

^() انظر: المغنى ٢٠/٨- ٢٢

^() انظر شروح الهداية (فتح القدير، والعناية على الهداية ٩٥/٩) والمبدع ٥/ ٧٢، وحاشية الصاوي على الشرح الصغير ٣٢٦/٥ ، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير ٤٤/٤- ٤٥

^() انظر: حاشية الصاوي على الشرح الصغير ٥/ ٣٢٦، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير ٤٤/٤ - ٤٥

^()المغني ٨/ ٢٢- ٢٣

^() القول الثالث عند المالكية: يلزم الشهر إن سكن بعضه، قال الشيخ ميارة وبهذا الأخير جرى العمل عندنا، وهذه الأقوال الثلاثة داخلة في الكراء مُساناة اهد انظر: حاشية الصاوي على الشرح الصغير ٥/ ٣٢٦، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير ٤٥/ ٤٤- ٤٥

حكم الإغراء بإنهاء العقد

العقد، لكن إذا اتفقا على تأجيل بداية تنفيذ العقد إلى وقت معين، فلا حرج في ذلك عند الأئمة الأربعة، إذا كانت الإجارة في الذمة، وحَدَّدا مدة دقيقة لبداية العقد مثل غرة شهر رمضان أو بداية السنة الهجرية (١٤٤٠)

أما إذا لم تحدد بداية العقد بشكل دقيق، فالعقد صحيح عند الجمهور؛ الحنفية والمالكية والحنابلة، واستدلوا: باستئجار شعيب لموسى عليهما السلام كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنِي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى أَبْنَتَى هَنتَيْنِ عَلَى أَن أَنُكِحَكَ إِحْدَى أَبْنَتَى هَنتَيْنِ عَلَى أَن أَنُكُم وَمَا أَرِيدُ أَنْ أَشُقَ عَلَيْكَ سَتَجِدُ فِن إِن شَاءَ اللهُ مِن الصَّلِحِينَ ﴾ (180) ومكان الاستشهاد؛ أنهما لم يذكرا ابتداء الإجارة، وشرع من قبلنا شرع لنا، إذا لم يرد له ناسخ عند كثير من العلماء (181)

وإجارة الشيء المشغول على ما بعد العقد الحالي صحيحة عند الجمهور عدا الشافعية: لأنها منافع مدة يجوز العقد عليها، سواء كانت مشغولة الآن أو غير مشغولة،

وقال الشافعية وبعض الحنابلة: إذا كانت الإجارة التالية من المستأجر السابق صح العقد؛ لاتصال المدتين واتحاد المستأجر، فيكون كمن أجره سنتين ابتداء، أما إن حصل العقد مع شخص آخر؛ فلا يصح العقد الثاني؛ لعدم القدرة على تسليم المعقود عليه الآن، فلا يصح؛ قياساً على عدم صحة تأجير العين المغصوبة (١٤٧٠).

ورد الجمهور هذا: بأن المدة التالية للعقد الحالي، مدة يجوز العقد عليها مع غيرها؛ فجاز العقد عليها مفردة مع عموم الناس، وكما جاز العقد عليها مفردة مع المستأجر السابق؛ فإنه يجوز مع غيره، ولا فرق، وأما دعوى عدم القدرة على التسليم، فلا تصح لأن تسليم المنفعة أو التمكين منها غير مطلوب حال العقد، وإنما عند بداية العقد الثاني ولا تلازم بين العقدين (١٤٨).

والراجح قول الجمهور؛ بصحة التعاقد عقداً مؤجل التنفيذ، ولو كان العامل مرتبطاً الآن بعقد سابق، أو مشغولاً بعمل لنفسه أو لغيره، كما لو تعاقدت مع شخص يعمل عند آخر حالياً، على أن يعمل عندك في المستقبل؛ ابتداء من رأس السنة، أو بداية رمضان، أو بداية شهر معين، فإن ذلك جائز، عند جمهور العلماء واننا نلاحظ أن عقود العمال والموظفين هي من هذا الباب، أي: أنها عقود على القيام بعمل معين في الذمة، وكثير منها معلق البداية على الانتهاء من العمل الحالى أو على بداية شهر معين أو يوم معين.

⁾ المغنى ٩/٨- ١٠، ومغنى المحتاج ٣٣٨/٢، وحاشية الدسوقي ١٠/٤ و٤٤

^() سورة القصص / ٢٧

⁾ انظر: روضة الطالبين ١٠٥/١، والدر المختار بحاشية ابن عابدين ١/١٩

⁾ انظر: المغنى ٩/٨ ، ومغنى المحتاج ٣٣٨/٢

^() انظر: المغنى ج٨ /٩- ١٠

^() المغنى ٩/٨، وحاشية الدسوقي ١٠/٤

- بناء على ما سبق فإنه يصح التعاقد مع العامل المرتبط الآن بعمل عند شخص آخر، على أن يبدأ سريان العقد بعد انتهائه من عمله الحالي، وإن كان الأولى تركه والبعد عنه ورعاً؛ لأنه لا يخلو أن يكون في نفس رب العمل السابق شيء من عدم الرضا، حيث ذهب منه عامل كان يأمل تجديد العقد معه، لكن هذا العرع قد يكون في غير مكانه إذا كان سيؤدي إلى ضياع حق العامل حيث يفاجئه رب العمل بإنهاء التعاقد معه، وأنه لن يجدد له العقد؛ فيبقى العامل دون عمل! فيتضرر العامل من ذلك!! وإننا لنلحظ مدى قلق الموظفين الذين يتأخر إعلان الشركة أو الجهة التي يعملون فيها؛ عن تجديد عقودهم، أو عدم تجديدها؛ فيعيشون حالة من القلق لا يعلمها إلا الله تعالى! بل لقد انهارت أعصاب بعض الموظفين في إحدى الكليات؛ ونقل إلى المستشفى عندما فوجئ بإلغاء عقله آخر العام، وكان غالب ظنه أنه سيبجد أد العقد معه؛ فلما بلغه ذلك نهاية الاختبارات قرب سفره؛ انهار؛ لأنه قد فاتت عليه فرص التعاقد مع كليات أخرى، وإذا أردنا العمل والإنصاف والرؤية المتكاملة من كافة الزوايا؛ فلنقلب القضية، ونقول: إذا جاز لرب العمل صرف للعامل بعد انتهاء المدة المتفق عليها، وجاز له أن يبحث عن عامل آخر دون مراعاة لشعور العامل، ألا يجوز للعامل أن يفعل مثله، خصوصاً إذا أخذنا في الاعتبار؛ أن بعض المهن يحتاج العاملون فيها إلى مدة فإنه يجوز للعامل أن يفعل مثله، خصوصاً إذا أخذنا في الاعتبار؛ أن بعض المهن يعتاج العاملون فيها إلى مدة طويلة حتى يحصلوا على عمل يناسب تخصصهم، فلا حرج من التعريض للعامل بالتعاقد معه على ما بعد انتهاء عقده السابق، ولا حرج من التصريح أيضاً لما قدمته من مبررات، والله أعلم.
- نعم يمكن القول: لا يجوز الإغراء تصريحاً إذا شرع رب العمل الأول في التفاوض مع العامل على تجديد العقد لفترة أخرى، فلا يجوز (الدخول على الخط) أثناء هذه المراوضة والمساومة، فإذا انتهى مجلسهما بغير تراضٍ على الاستمرار أو التجديد، كان لكلا الطرفين الحق في التعاقد مع شخص آخر، ولا ينبغي أن نجر على العامل، كما لم نحجر على رب العمل، فلو كان الطرفان راغبين ببعضهما وبتجديد العقد على ما سبق؛ لحسما القضية، ولم يبقياها معلقة، أما وقد ترك الأمر معلقاً غير محسوم، ولا مهلة محددة اتفقا عليها لحسم الأمر؛ فلا حرج من إغراء العامل بعمل جديد والتعاقد معه، وهذا يشبه من سام بضاعة من متجر، ولم يتفق مع البائع على شيء، ثم تركها من يده وذهب، على أمل أن يرجع إليها إذا لم يجد خيراً منها، فجاء شخص آخر فاشتراها؛ فلا يحق للأول لوم البائع على بيعه؛ باعتبار أنه كان له رغبة في شرائها.
- كذلك لا يصح التعاقد مع العامل الذي جاء على كفالة شخص ؛ خلال فترة عقده ؛ لأن من استقدمه أو كفله ورَخَّص له، أحق به من غيره، إلا إذا رضي الكفيل بذلك، أو إذا أنهى العامل فترة عقده الأولى، ثم لم يعد راغباً بالتجديد بتلك الشروط، وأراد نقل كفالته إلى آخر، أو التعاقد مع آخر ؛ فلا حرج من

التعاقد معه، لأن عدم رضا أحد الطرفين بالاستمرار، يبطل حق الآخر في التظلم، وإذا أصر رب العمل على إعادة العامل إلى بلده، فإن ذلك من التعسف الذي لا يليق بالمسلم؛ خصوصاً إذا كان في الإعادة ضرر على العامل، أو على من يتعاقد معه، فليس ذلك من حسن المعاملة التي أمر بها الرسول * بقوله (رَحِمَ اللَّهُ رَجُلاً سَمْحًا إِذَا بَاعَ وَإِذَا اشْتَرَى وَإِذَا اقْتَضَى) (١٥٠٠) بل لقد ندب الرسول * إلى إقالة النادم في بيعه، أو عقده، فقال (من أقال نادما بيعته أقال الله عثرته يوم القيامة..) (١٥٠١) وبل ندب * إلى إقالة النادم في كل شيء، فقال (من أقال نادماً أقاله الله يوم القيامة) ما لم يكن ضرر على رب العمل في إبقاء العامل على كفالته أو عدم إعادته، فإن كان هناك ضرر، كما لو لم يسمح له باستقدام عامل آخر فهنا يجوز له الإصرار على إعادته أو تعويضه عن الضرر الذي يلحق به.

- لكن هل يصح تأجيل بداية العقد إلى حضور العامل إلى البلد، أو إلى مكان العمل ؟؟ ها هنا إشكال ؛ بسبب أن الأجل غير منضبط بشكل دقيق، وعندئذ تكون بداية العقد مجهولة جهالة ليست يسيرة ؛ لأنها على خطر العدم، بسبب عدم القدرة على تسليم المعقود عليه، فيفقد العقد شرطا أساسياً لصحته، فيفسد عند أكثر الفقهاء ؛
- لكننا إذا نظرنا بعين الواقع والمصلحة، نجد أن أمور الحياة تعقّدت، فلم يعد العامل حُراً حرية كاملة في تصرفاته وسفره، بل هو مرتبط بقوانين وأنظمة وجوازات، وتأشيرات وتصريحات من قبل هيئات صحية أو مهنية أو وظيفية، أو حكومية، وربما لا يستطع أحد الطرفين تجاوز تلك العراقيل، وقد يتأخر العامل في إنها إجراءاته، فيكون العقد معلقاً على حضور الطرف الآخر إلى البلد أو إلى مكان العمل، وللعامل مصلحة في تنفيذ العقد، وكذلك رب العمل له مصلحة في تنفيذ العقد، ولا مصلحة لرب العمل أن يبقى مسافراً في بلاد الغربة لانتظار العامل حتى يُنهي إجراءاته التي قد تتأخر كثيراً مما يكلف رب العمل أضعاف أجرة العامل!! فترة فإنه يمكن القول: إن مثل هذه العقود تصح إذا ترك فيها مجال الخيار؛ للطرفين، أو لأحدهما خلال فترة معددة، بحيث يعتبر العقد لاغياً بعدها، أو يكون للطرف المتضرر الحق في فسخ العقد، والتعاقد مع آخر، كما تفعل الجامعات والمدارس وكثير من المؤسسات، حيث تتعاقد مع الشخص، وتشترط عليه الالتحاق بعمله خلال فترة معينة، وإلا اعتبر العقد لاغياً، وقد جرى التعامل بثل هذه العقود من غير نكير، فينبغي أن يكون خلال فترة معينة، وإلا اعتبر العقد لاغياً، وقد جرى التعامل إذا وقع من غير نكير فقد حل محل الإجماء) . وقد ذكر الإمام البابرتي في العناية (أن التعامل إذا وقع من غير نكير فقد حل محل الإجماء) . وقد

رقم ۲۷۰۳، وسنن ابن ماجه ۷۲۲/۲ رقم ۲۰۷۳، وسنن ابن ماجه ۷۲۲/۲ رقم ۲۲۰۳

صحیح ابن حبان، ط۲، مؤسسة الرسالة، بیروت ٤٠٢/١١ رقم ٥٠٢٩

^() السنن الكبرى ؛ للبيهقى ، ط دار المعرفة ، ٢٧/٦

⁾ العناية على الهداية، مطبوع مع فتح القدير ٩٥/٩،

أجاز المالكية عقد الإجارة (مياومة) أو (مشاهرة) أو (سنة) إذا لم يكن محدد البداية؛ وجعلوه غير لازم، ولكل من العاقدين الخيار في فسخة، مالم تدفع الأجرة مقدماً فيلزم ()، وهذا قريب مما رجحته،

:

قد يترتب على عملية الإغراء، إضرار برب العمل الأول، أو أضرار على العامل بعد انفصاله من عمله وعدم التعاقد معه قصداً أو لظروف قاهرة ؛ كعدم تيسر نقل الكفالة فمن الذي يتحمل تلك الأضرار؟

أولاً: أضرار رب العمل السابق: هذه الأضرار إذا كانت ناشئة من فسخ تعاقد سابق قد تم، فلا شك أن الطرف المتسبب بالفسخ يجب عليه تحمل ما ترتب على عمله من أضرار، إن لم يحصل تسامح وتراض بينهما، لأن الرسول وقال (لا ضرر ولا ضرار) (٥٠٠) وإذا كان الإضرار بالغير غير جائز، فإنه يترتب على ذلك أن (الضرر يزال) كما في القاعدة الفقهية (٢٠٠١) وإزالة الضرر بعد وقوعه، تكون بالتعويض عما فات من ربح، أو عما حصل من خسائر. وأضرار رب العمل قد تكون بسبب ما تحمل من تكاليف جلب العامل من دول أخرى، كتكاليف سفر واستخراج أوراق وفحوصات، وقد ظن رب العمل استمرار هذا العامل معه؛ ففوجئ بأن العامل بعد حضوره، وعمله فترة معينة، قد اتفق مع رب عمل آخر، وهذا قد يضيع على رب العمل الأول فرصة استقدام عامل آخر، أو خادم آخر؛ فهل يحق لرب العمل الأول منع العامل من التعاقد مع آخر، أو رفض التنازل عنه إذا كان على كفالته ؟!

هناك من أرباب العمل من يرفض التنازل عن العامل الذي تحت كفالته، ويقول: أنا أعيده إلى المكان الذي جلبته منه ؛ ثم إذا أراد أحد التعاقد معه فليذهب ويستقدمه من هناك.

ومنهم من يقول: لا أتنازل عنه إلا أن يدفع مبلغ كذا وكذا، من تكاليف تحملتها، وقد يطلب أزيد منها، ومنهم من يشترط ألا يعمل هذا العامل في مجال كذا، أو مدينة كذا.

ومنهم من يتنازل دون قيد أو شرط.

فما موقف الإسلام من هذه الشروط والتصرفات؟

الجواب: أقول وبالله التوفيق:

^() قال في الشرح الكبير بحاشية الدسوقي ١٠/٤ عمن استأجر شخصاً ليُعلِّم ولده صنعة سنة: وابتداء السنة من أخذ المعلم للولد لا من يوم العقد عند الإطلاق، فإن عينا زمناً لابتداء السنة عمل به.

^() سنن ابن ماجه ٧٨٤/٢ رقم ٢٣٤٠، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ١٢٤٩/٢ رقم ٧٥١٧

^() الأشباه والنظائر للسيوطي، ص ٩٢

- إذا كان رب العمل قد تحمل تكاليف في إحضار العامل؛ فهو أحق به في مدة العقد الأولى المتفق عليها، وهو أحق به أيضاً في الفترة التالية بعد الشروع في فترة أخرى من العقد المفتوح، ولا يجوز لأحد تخبيب العامل على رب عمله في تلك الفترة، ومن حصل منه تخبيب للعامل فعليه أن يتحمل ما ترتب على عمله من خسائر وتكاليف، مع أنه آثم،
- من تضرر بسبب إشاعات كاذبة عن معاملته، أو شركته، أو مُنتَجه، فإنه يستحق التعويض عما فاته، وتقدير ذلك متروك للقاضي الذي يستعين بأصحاب الاختصاص في ذلك، إلى جانب تعزير من تسبب فيه، وقد عاقب الشارع من قذف شخصاً محصناً ولم يأت ببينة، بالحد ثمانين جلدة، أما من أشاع إشاعات كاذبة عن شخص أو جهة أو منتج، فعقوبته هي التعزير، بما يراه القاضي مناسباً حسب حجم التهمة والضرر اللاحق منها،
- لا حق لرب العمل في الإصرار على إعادة العامل من حيث أتى ، إذا وجد من يدفع له التكاليف التي دفعها في إحضار العامل، ولم يكن عليه ضرر من انتقاله إلى غيره. والممانعة من ذلك هي نوع من التعسف في استعمال الحق لا تقره الشريعة ؛ لأن الأرزاق بيد الله تعالى، وليست مرتبة على استئجار شخص معين، فقد يفتح الله له بخير من ذلك العامل وأكثر بركة ! لكن إذا كانت القوانين تمنع من استقدام أكثر من عامل، أو أكثر من خادم، فيكون لرب العمل العذر في التمسك بإعادة العامل من حيث أتى ؛ رفعاً للضرر عن نفسه، أو أن يصالح عن ذلك بما يرضيه.
- إذا كان رب العمل ملزماً بإعادة العامل إلى المكان الذي جلبه منه، ثم تنازل العامل عن حقه في العودة إلى دياره بسبب أنه تعاقد مع شخص آخر، ولا يرغب في العودة؛ فإنه يسقط حق العامل في تكاليف العودة لبلاده. ما لم يحصل اتفاق على غير ذلك.

ثانياً: أضرار العامل: إذا تكلف العامل نقل كفالة، أو الحضور إلى مكان معين، حسب بنود العقد؛ ثم نكل رب العمل الجديد عن قبوله، أو تنفيذ الاتفاق المبرم بينهما، فعلى رب العمل تحمل ما لَحِق العامل من أضرار نتيجة التغرير به،

- حكم من سعى في إفساد عقد مبرم:
- أ) التعويض عن الخسائر التي حصلت بسببه كما سبق بيانه.
- ب) التعزير (١٥٧) أي: تأديب من قام بذلك، بما يراه القاضي مناسباً؛ ردعاً له ولأمثاله، عن تلك الأفعال.
 - حالات يجوز فيها الإغراء:
- ١- إذا العمل الحالي محرماً كصناعة خمر أو اتجار بمحرم ، أو سيفضي إلى محرم ، أو فيه إعانة على محرم.

^() انظر: مجموع فتاوی ابن تیمیة ۳۰/ ۱۶۱- ۱۶۱

۲- إذا كان سبباً لدفع شر عن مسلم فيكون من باب النصيحة ؛ فيكون كإغراء الرسول صلى الله عليه
 وسلم لفاطمة بنت قيس بنكاح أسامة بن زيد

٣- إذا كان لدفع غبن فاحش.

3- إذا كان العمل فيه ظلم واستغلال للعامل كما لو تعاقد العامل بأجريراه مجزياً في بلده فظن أنه كذلك في البلاد الأخرى ؛ لكنه بعد قدومه لتلك البلاد فوجئ ؛ بأن ما تعاقد عليه من أجرة لا يساوي شيئاً معتبراً في البلاد الجديدة ؛ فيعتبر هذا نوعاً من الغبن لا ينبغي الاستمرار وهو أشبه بتلقي الركبان الذي نهى عنه رَسُولَ اللَّه ببقوله الجديدة ؛ فيعتبر هذا نوعاً من الغبن لا ينبغي الاستمرار وهو أشبه بتلقي الركبان الذي نهى عنه رَسُولَ اللَّه ببقوله (لا تَلَقُوا الرُّكُبَانَ)(١٥٠٨) وقد أثبت الشرع الخيار للركبان إذا تُلقوا قبل أن يهبطوا إلى السوق ويعلموا السعر، (١٥٠١) فإذا وجدوا أنهم قد غُرِّر بهم ؛ ثبت لهم خيار الفسخ ، وذلك بسبب ما حصل من تغرير ؛ فينبغي أن يكون للعامل الذي اغتر بعقدٍ مع من جاءه إلى بلده ، وتعاقد معه بما فيه حيف ؛ حق الخيار في الفسخ إذا هبط إلى سوق العمل ، أو إذا حضر إلى البلد التي سيعمل فيها فوجد أنه مغبون ، ولا أقل من أن يُسمح له بنقل كفالته أو التعاقد مع من يريد بعد إنهاء الفترة المتفق عليها ، وقد قال بعض الشافعية إن البيع على بيع الأخ والسوم على سومه يجوز إذا كان فيه غبن فاحش (١٦٠) نصيحة للمسلم ورفعاً للحيف عنه ، والله أعلم.

:

- ١- لا يجوز إغراء العامل بترك عمله الذي التزم به، إلا إذا كان العمل محرماً،
 - ٢- لا يجوز للعامل أن يخل بالتزاماته طمعاً بالإغراء.
 - ٣- يجوز مواعدة العامل للتعاقد معه ، بعد إنهاء التزامه الحالي.
 - ٤- العقد المفتوح جائز عند جمهور الفقهاء.
- ٥- العقد المفتوح لا يعتبر ملزما لأحد الطرفين بأكثر من فترة واحدة، إلا بالنص من الطرفين على ذلك،
 أو بالشروع في فترة تالية.
 - تنبغي احترام شروط المتعاقدين مالم تتضمن حراماً.
 - ٧- عدم جواز تعسف رب العمل في منع العامل من التعاقد مع الآخرين بعد إنها التزاماته الحالية.

^() صحيح البخاري، ص ٢٨٤، رقم ٢١٥٠

^() فتح الباري ٣٦٧/٤

^() انظر: روضة الطالبين ٤١٤/٣ و فتح الباري ٣٥٣- ٣٥٤

:

- ١- يجب على المتعاقدين توضيح بنود العقود بدقة حتى لا يكون فيها مجال لخلاف أو التباس.
- ٢- وضع شروط جزائية واضحة ؛ لمن يخالف شروط أو بنود العقد ؛ منعاً للتلاعب ، أو التشكي والتظلم
 من الضرر حتى يكون كل من طرفي العقد على بينة من أمره.
- ٣- أن تقوم المجامع الفقهية ؛ بتوضيح ما يجوز من الشروط الجزائية ، وما لا يجوز ، وبيانها للناس ولمكاتب
 العمل ، وللقضاة ؛ من أجل العمل بها.
 - ٤- الحرص على عودة الكفاءات الإسلامية إلى بلاد المسلمين.
 - ٥- أن يكون حادي الكفاءات المهاجرة نصرة الإسلام، وليس الكسب المادي.
 - [1] أساس البلاغة: للزمخشري محمد بن عمر ، ط دار المعرفة بيروت.
 - [7] الأشباه والنظائر في فروع الفقه الشافعي: للسيوطي ط: عيسى البابي الحلبي، القاهرة.
 - [٣] الأعلام: لخير الدين الزركلي، ط، دار العلم للملايين، بيروت.
 - [٤] الأمراض الجنسية عقوبة عاجلة: للدكتور أحمد عيد.
- [0] بداية المجتهد ونهاية المقتصد: لابن رشد الحفيد؛ محمد بن أحمد بن محمد، ط، مصطفى البابي الحلبي القاهرة.
 - [7] تفسير ابن كثير: ط، دار الشعب ، القاهرة.
 - [٧] التمهيد: لابن عبد البر، ط المغرب.
 - [٨] الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، ط، دار الفكر. بيروت.
- [٩] حاشية الدسوقي: لمحمد بن عرفة الدسوقي على (الشرح الكبير) للدردير، ط، عيسى البابي الحلبي، القاهرة.
- [١٠] حاشية الصاوي: لأحمد محمد الصاوي المالكي على (الشرح الصغير) للدردير؛ ط، عيسى البابي الحلبي، القاهرة.
 - [١١] حاشية ابن عابدين: لمحمد أمين عابدين ، ط ، مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة.
 - [۱۲] حاشية سعدي جلبي: على فتح القدير.
 - [١٣] روضة الطالبين: للنووي ، ط ، المكتب الإسلامي ، بيروت.
 - [12] الروض المربع: للبهوتي (شرح زاد المستقنع)، بحاشية النجدي، ط٢
 - [١٥] زاد المعاد في هدي خير العباد: لابن قيم الجوزية، ط ١٩٧٠م، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.

- [17] سلسلة الأحاديث الصحيحة: للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ؛ ط، المكتب الإسلامي.
- [١٧] سنن الترمذي: لمحمد بن عيسى الترمذي، ط، دار الكتب العلمية بيروت، ترقيم أحمد شاكر.
 - [١٨] سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث، ط، دار الكتب العلمية ، بيروت.
 - [١٩] سنن الدارقطني: لعلى بن عمر الدارقطني، ط، دار المحاسن ، القاهرة.
 - [۲۰] سنن ابن ماجه: محمد بن يزيد بن ماجة القزويني ، ترقيم محمد فؤاد الباقي.
 - [۲۱] السنن الكبرى: للبيهقى ؛ أحمد بن الحسين، ط دار المعرفة، بيروت.
 - [٢٢] سنن النسائي: أحمد بن شعيب النسائي، ط، جار الكتاب العربي ، بيروت.
 - [٢٣] السيرة النبوية: لابن كثير، تحقيق، مصطفى عبد الواحد، ط، عيسى البابي الحلبي.
- [٢٤] *الشرح الصغير:* للدردير؛ أحمد بن محمد بن أحمد، على (بلغة السالك) للدردير، ط، عيسى البابي الحلبي، القاهرة.
 - [٢٥] شرح صحيح مسلم: للنووي، ط، دار إحياء التراث العربي.
 - [٢٦] شروح المداية: مع فتح القدير، ط، مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة.
 - [۲۷] صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل، ط، مكتبة الرشد، الرياض.
 - [٢٨] صحيح ابن حبان: محمد بن حبان، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت.
 - [۲۹] صحيح مسلم: ط، مكتبة الرشد ، الرياض.
 - [٣٠] صحيح الجامع الصغير: للألباني ؛ محمد ناصر الدين ، ط ، المكتب الإسلامي ، بيروت.
 - [٣١] العناية على الهداية: للبابرتي ؛ محمد بن محمود، مطبوع مع فتح القدير، ط، مصطفى البابي الحلبي.
 - [٣٢] عون المعبود شرح سنن أبي داود: للعظيم أبادي ؛ ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت.
 - [٣٣] فتح الباري، شرح صحيح البخاري: لأحمد بن حجر العسقلاني ؛ ط دار المعرفة. بيروت.
 - [٣٤] الفروق: للقرافي؛ أحمد بن إدريس ، ط، عالم الكتب، بيروت.
 - [٣٥] القوانين الفقهية: لابن جزيء، ط، دار الباز، مكة المكرمة.
 - [٣٦] كشاف القناع عن متن الإقناع: للبهوتي ؛ منصور بن يونس ، ط ، دار الفكر بيروت.
 - [٣٧] المبدع: لابن مفلح ؛ إبراهيم بن محمد، ط المكتب الإسلامي.
 - [٣٨] المحلى بالآثار: لابن حزم، على بن أحمد، ط، مكتبة الجمهورية ١٣٨٧هـ، القاهرة.
 - [٣٩] مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: لابن حجر الهيثمي ، ط، دار الكتاب العربي، بيروت.
 - [٠٤] المجموع شرح المهذب: للنووي؛ يحيى بن شرف، ط، كبار العلماء.

حكم الإغراء بإنهاء العقد

- [13] مجموع فتاوى ابن تيمية: أحمد عبد الحليم، ط، البحوث العلمية والإفتاء، الرياض.
- [٤٦] المحرر الوجيز: في تفسير الكتاب العزيز ؛ لابن عطية الأندلسي ؛ تحقيق المجلس العلمي بفاس.
 - [٤٣] مختار الصحاح: للرزاي؛ محمد بن أبي بكر، ط، المكتبة الأموية.دمشق، بيروت.
- [٤٤] مسند أحمد بن حنبل: ط، دار صادر ، بيروت. وط، مؤسسة الرسالة، تحقيق مجموعة من الباحثين، بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط.
 - [63] المصباح المنير: للفيومي، الطبعة الأميرية السادسة، ١٩٢٥م.
 - [3] معالم السنن: للخطابي ، ط ، المكتبة العلمية ، بيروت.
 - [٤٧] المقدمات الممهدات: لابن رشد؛ الجد؛ محمد بن أحمد ، المالكي.
 - [٤٨] المهذب: للشيرازي؛ إبراهيم بن على ، ط، عيسى البابي الحلبي ، القاهرة.
 - [٤٩] المغنى: لابن قدامة المقدسى؛ تحقيق عبد الله عبد المحسن التركى، وعبد الفتاح الحلو.
 - [٥٠] مغنى المحتاج: للخطيب الشربيني ط، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.
 - [٥١] النهاية في غريب الحديث: لابن الأثير؛ مبارك بن محمد، ط، دار الكتب العلمية ، بيروت.
 - [٥٦] نيل الأوطار: للشوكاني ؛ محمد بن علي، ط، البحوث العلمية والإفتاء، الرياض.
- [٥٣] الهداية: للمرغيناني؛ علي بن أبي بكر، شرح (بداية المبتدي) في الفقه الحنفي، مطبوع مع (فتح القدير) ط، مصطفى البابى الحلبى، القاهرة.

Ruling Temptation to Terminate the Contract

Mohammed Jamil Mohammed Deeb Mustafa

Associate Professor in the College of Sharia King Khalid University

(Received 1/4/1429H; accepted for publication 27/10/1429H)

Abstract. Praise be to Allah, Peace and blessings be upon the Seal of the Prophets, his family and companions.

Islam stated agreement as a basis of contracts. It prohibited the ways of temptation that prevents one of the two parties not to complete the contract as well as it might push him to renew it. Whether by getting one's fiancé or selling something which is already sold, or renting a rented place. All of these actions lead to creating problems, so they are prohibited, the greatest harm is terminating a perfect contract as spoiling a marriage or a slave against his master, the prophet (p.b.u.h.) said: "None of us spoils a woman against her husband or slave against his master."

A lot of people are ignorant about Islamic rulings and do temptate one of the parties after a accomplishing the contract for their own benefit. Some might tempt ate the employees not to renew their contracts in order that they might take them for work. So a lot of people are worried about such temptations and its status in the Islamic ruling. In this research I try to answer questions such as how is temptation defined?, what is the motives? ways? I also stated the ruling of temptation and when is it prohibited and when is it accepted whether it is during the contract our after, or at its renewal time. I also showed the way the Muslim scholars are asked to return to the Islamic land. I showed the ruling toward the response toward such temptations and showed the harms that might happen. Finally I stated the ruling toward someone who terminated a contract without a right.

I ask Allah to accept from me and forgive me and guide me to the straight path.

(/) - ()

-

(/ / /)

. الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبعد:

فإن مقاصد الشريعة هي المعاني التي قصد الشارع تحقيقها من وراء تشريعاته وأحكامه، وأحكام الإسلام كلها مبنية على جلب المصالح للعباد، ودرء المفاسد عنهم في العاجل والآجل معاً، فما شرع الله شيئاً لعباده إلا لمصلحتهم، ومن ذلك الجهاد في سبيله، وقد كشف البحث بعد تعريف الجهاد وبيان أدلة فرضيته على تلك المعاني والحكم في فرض الجهاد – المقاصد الشرعية – إما بحسب التقسيمات المصطلح عليها عند المقاصديين، وإما بحسب دلالة النصوص الشرعية الجزئية، التي هي أحد طرق الكشف عن تلك المقاصد.

وتبين من خلال البحث بأن الجهاد في الشريعة الإسلامية بمقصده الأعلى وهو إعلاء كلمة الله قد ترفع بآدمية الإنسان إلى المستوى اللائق به، وهو بمقاصده السامية يحفظ لمن دخل تحت لواءه دينه ونفسه وعقله ونسله وماله، فهو بهذا أحد المقاصد الضرورية، التي يجب المحافظة عليها ولا بد منها لقيام مصالح الدين والدنيا

والجهاد إذا فقد ولم يقم لواءه لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد وتهرج وفوت حياة، وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم، والرجوع بالخسران المبين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبعد:

فإن مقاصد الشريعة: هي المعاني والحِكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها (۱)

وعرفت أيضاً بأنها: الغايات التي يرمي إليها الشارع الحكيم، والأسرار التي وضعها عند كل حكم من الأحكام (۲)

وأحكام الإسلام كلها مبنية على جلب المصالح للعباد، ودرء المفاسد عنهم في العاجل والآجل معاً، فما شرع الله شيئاً لعباده إلا لمصلحتهم (٣)، وهذه المصالح كما يقول الطاهر بن عاشور: «لا ينبغي التردد في صحة الاستناد إليها، لأننا إذا كنا نقول بحجية القياس الذي هو إلحاق جزئي حادث لا يعرف له حكم في الشرع بجزئي ثابت حكمه في الشريعة، للماثلة بينهما في العلة المستنبطة، وهي مصلحة جزئية ظنية غالباً لقلة صور العلة المنصوصة، فلأن نقول بحجية قياس مصلحة كلية حادثة في الأمة لا يعرف لها حكم في الأثر، على كلية ثابت اعتبارها في الشريعة الذي هو قطعي، أو ظني قريب من القطعي أولى بنا وأجدر بالقياس، وأدخل في الاحتجاج الشرعي "(1) وعما شرعه المولى سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين، ليتحقق به مصالح عظيمة في عاجل أمرهم وآجله الجهاد في سبيله، وقد وردت في إقامته والحث عليه وبيان فضائله أدلة شرعية متواترة من الكتاب والسنة وإجماع أمة الإسلام، فهو ذروة سنام الإسلام، لذا - ولما سيأتي في بيان وتفصيل مقاصده ومصالحه - ، فقد توجه لتشويهه والتشكيك في أهدافه ومقاصده أقلام وقنوات إعلامية، أثرت - وللأسف - حتى في بعض طبقات مثقفي هذا العصر، مترافقاً مع هذا الغزو الفكري، وانبهاراً بالغرب وقوته وبمصطلحاته البراقة من حقوق للإنسان، وسلام عالمي، وحوار للحضارات وغير ذلك، وهذا بحث يكشف لنا - بعض تلك المعاني والحكم التي قصد الشارع تحقيقها من وراء تشريعه للجهاد، جمعتها لبيان شرف مقاصد هذه الشعيرة المباركة، وقد عنونته ب: « مقاصد الشريعة في فريضة الجهاد ».

تكمن أهمية هذا البحث أنه يأتي دفاعاً عن هذه الشعيرة المباركة ، في وقت كثر الطعن والتشويه لها من قبل أعداء الإسلام ، وذلك بالتشكيك في أهدافها ومقاصدها ، فكان من الواجب على العلماء الباحثين إبراز حقيقتها وبيان حِكَم وأسرار الشريعة ومقاصدها في فريضتها.

⁽١) انظر: مقاصد الشريعة الإسلامية للشيخ محمد الطاهر بن عاشور (٢٥١).

⁽٢) انظر: المقاصد العامة للشريعة الإسلامية ليوسف العالم (٨٣).

⁽٣) انظر: الموافقات للشاطبي (٨/٢).

⁽٤) مقاصد الشريعة الإسلامية للشيخ محمد الطاهر بن عاشور (٣٠٩).

قسمت البحث إلى ثلاثة مباحث وخاتمة:

: تعريف الجهاد وأدلة فرضيته.

: مقاصد الجهاد بحسب التقسيمات المصطلح عليها عند المقاصديين.

: مقاصد الجهاد بحسب دلالة النصوص الشرعية الجزئية.

: في نتائج البحث.

١- جمعت المادة العلمية المتعلقة بموضوع البحث وأدرجتها تحت المباحث السابقة مع العزو والتوثيق.

٢- ذكر اسم السورة ورقم الآية في الصلب منعاً من إثقال الحاشية.

٣- تخريج الأحاديث من مصادرها المعتمدة، فإن كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما فإني أكتفي بذلك وإن لم يكن فيهما وكان في السنن الأربعة أو في أحدها فإني أكتفي بذلك، لشمولها على غالب أحاديث الأحكام، مع نقل أقوال أهل العلم في الحكم عليه، فإن لم يكن فيما ذكر فإني أجتهد في تخريجه من مصادره المعتمدة مع بيان حكمه وأقوال أهل العلم.

٤- الترجمة للأعلام غير المعاصرين على وجه الإيجاز.

٥- فهرس والمراجع.

وختاماً أرجو العلي القدير بمنه وكرمه أن يجعل العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به إنه جواد كريم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

:

: هو المبالغة واستفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أو فعل.

يقال: جهد الرجل في الشيء، أي: جدَّ فيه وبالغ، وجاهد في الحرب مُجاهدة وجهادًا (٥٠).

: عبارة عن قتال الكفار خاصة (١٠). وقيل: قتال مسلم كافراً غير ذي عهد

لإعلاء كلمة الله، أو حضوره له، أو دخول أرضه (٧).

⁽٥) انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (١٩٢١)، المصباح المنير للفيومي (١١٢١).

⁽٦) انظر: المطلع على أبواب المقنع لابن أبي الفتح (٢٠٩).

⁽٧) انظر: مواهب الجليل للحطاب (٣٤٧/٣).

الجهاد فرض من فروض الإسلام، وهو إما فرض عين، أو فرض كفاية (^)، ومن الأدلة على فرضيته ما يلى:

:

- ا قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْنُلُوا ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدَتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا لَهُمْ
 كَلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَآقَامُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا ٱلزَّكَوْةَ فَخَلُوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: 0].
- ٢- وقوله تعالى: ﴿ وَقَائِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَافَةً كَمَا يُقَائِلُونَكُمُ كَافَةً وَٱعْلَمُواْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُنَّقِينَ ﴾ [التوبة: ٣٦].
 - ٣- وقوله تعالى: ﴿ أَنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَهِدُواْ بِأَمُولِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ١٤].
 ٠
- الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله» (١٠).

(٨) وذلك لأن الجهاد نوعان: جهاد دفع وهو واجب متعين على كل من نزل العدو بأرضه، وجهاد دعوة وطلب وهو فرض كفاية، إذا قام به بعض المسلمين سقط عن الآخرين، وقد يتعين في حالات وهي:

الأولى: إذا عين الإمام (ولى الأمر) أشخاصاً بأعيانهم للجهاد.

الثانية: عند مواجهة العدو بشرط أن لا يزيد عدد العدو عن ثلاثة أضعاف المسلمين، كما قال تعالى: ﴿ آَلَنَ خَفَفَ اللّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَكَ فِيكُمْ ضَعْفَاً فَإِن يَكُن مِنكُمْ مَائلةٌ صَابِرَةٌ يُغْلِبُوا مِائنَيْنَ وَإِن يَكُن مِنكُمْ أَلْفٌ يَعْلِبُوا أَلْفَايِن بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّدِينَ ﴾ [الأنفال: ٦٦]، فلو كان الكفار ثلاثة أضعاف المسلمين لما وجب عليهم القتال، ولصح لهم الفرار.

الرابعة: إذا احتيج إليه و لا يوجد غيره، فيتعين عليه.

انظر: الشرح الممتع لابن عثيمين (١٤/٨).

- (٩) هو: الصحابي الجليل: عبدالله بن عمر بن الخطاب العدوى، أفتى الناس ستين سنة، توفى سنة (٧٣هـ). انظر: الإصابة (١٨١/٤).
- (١٠) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوْةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوْةَ ﴾ ، حديث برقم (٢٥)، ومسلم في كتاب الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لاإله إلا الله ومحمد رسول الله ﷺ، حديث برقم (٢٢).

7- وقوله ﷺ: (اغزوا بسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا فلا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار وكف عنهم ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين ولا يكون لهم في الغنيمة (١١) والفي و (١١) شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين فإن هم أبوا فسلهم الجزية (١١) فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم الحديث) (١٤).

٣- وقوله ١٤٠ (من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من نفاق) (١٥٠).

وجه الدلالة من الأيات والآحاديث السابقة ظاهر في الوجوب: إما بوردها بلفظ الأمر (أمرت أن أقاتل) الحديث، أو بصيغة الأمر المقتضية للوجوب - افعل - ، ﴿ فَٱقْنُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ ، (وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ)، (انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا)، (اغزوا بسم الله)، وكذا الذم على تركه (مات على شعبة من نفاق).

ثالثاً: الإجماع: يقول ابن رشد (١٦): « فأما حكم هذه الوظيفة فأجمع العلماء على أنها فرض كفاية، لا فرض عين، إلا عبدالله بن الحسن (١٧)، فإنه قال: تطوع» (١٩، ١٩).

⁽١١) الغنيمة: ما نيل من أهل الشرك عنوة، والحرب قائمة.

انظر: المصباح المنير (٤٥٥/٢)، المطلع (٢١٦)، التعريفات (١٦٢).

⁽١٢) الفيء: ما نيل من أهل الشرك بعد أن تضع الحرب أوزارها، من غير قتال إما بالجلاء، أو بالمصالحة على جزية أو غيرها. انظر: المصباح المنير (٤٥٥/٢)، المطلع (٢١٩)، التعريفات (١٧٠).

⁽١٣) الجزية: تطلق على العقد، وعلى المال الملتزم به، وتؤخذ من أهل الذمة وهي مشتقة من الجزاء وهو المقابلة، لأنهم قابلوا الأمان بما أعطو من المال، فقابلناهم بالأمان.قال بعض العلماء: إن الحكمة في وضع الجزية هي أن الذل يلحقهم فيحملهم على الإسلام، مع ما في مخالطة المسلمين من الإطلاع على محاسن الإسلام.

انظر: المصباح المنير(١٠٠/١)، المطلع (١٤٠)، معجم المصطلحات والألفاظ الفهية (١/٥٣٠).

⁽١٤) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم، برقم (٣٢٦١).

⁽١٥) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب ذم من مات ولم يغزو ولم يحدث نفسه بالغزو، برقم (٣٥٣٣).

⁽١٦) هو: محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الأندلسي، أبوالوليد، الفيلسوف، من علماء المالكية، توفي سنة (٥٩٥هـ). انظر: شذرات الذهب (٣٢٠/٤)، والأعلام (٣١٨/٥).

⁽١٧) لم أعرف المراد منه.

⁽١٨) وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما، والثوري، وحُمل كلامهم على أنه ليس فرضاً عينياً على كل مسلم، بل هو فرض كفائي ويستحب أن يجاهد المسلم تطوعاً إذا قام غيره بالفرض.

انظر: شرح فتح القدير لابن الهمام (١٨٩/٥)، أحكام القرآن للجصاص (٣١١/٤).

⁽١٩) انظر: بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد (١/٣٨٣).

والأدلة السابقة تدل بعمومها على فرض الجهاد ويدخل في ذلك نوعي الجهاد: جهاد الدفع، وجهاد الطلب والدعوة.

وقد قصر جمع كثير من علماء وباحثي هذا العصر (٢٠٠) الجهاد على رد الاعتداء فقط (١٢٠)، وعليه فإن علة القتال هي الاعتداء والمقاتلة والحرابة، ونسبوه للجمهور، وهذا فيه نظر، بل الصواب أن جهاد الطلب مشروع أيضاً، وهو مقصد من مقاصد الشريعة (٢٢٠)، وبه قال جمهور أهل العلم (٢٢٠)، وعليه فإن العلة لقتال الكفار هو كونهم كفاراً، لا كونهم معتدين (٢٠٠).

(٢٠) من هؤلاء الإمام محمد عبده، والشيخ رشيد رضا، والشيخ محمد أبو زهرة، والأستاذ عبدالوهاب خلاف، ومحمود شلتوت، وسيد سابق، والدكتور وهبة الزحيلي، والدكتور عبدالله بن بيَّه، وغيرهم.

انظر: تفسير المنار لرشيد رضا (٢٠٤/٢- ٢٠٠)، العلاقات الدولية في الإسلام لأبي زهرة (٨٩)، السياسة الشرعية لخلاف (٧٧)، فقه السنة لسيد سابق (٦١٣/٢)، آثار الحرب في الفقه الإسلامي للزحيلي (١٠٦)، الإرهاب للدكتور عبدالله بن بيه (١٢٩)، الحرب في الشريعة الإسلامية والقانون الدولي العام، رسالة دكتوراه من جامعة أم القرى، غير منشورة، إعداد عبدالله بن صالح بن حسين العلى ص (٨٥٧) وما بعدها.

(٢١) وذلك أن حمل قوله تعالى: ﴿ وَقَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ اللّذِينَ يُقَتِلُونَكُو وَلاَ تَعْسَدُونَا ﴾ على النهي عن قتال من كف عن القتال دون من قاتل، وهو مبني على قول مرجوح عند علماء التفسير، وبه قال الربيع وابن زيد، على أنهما لا يريان بقاء هذا الحكم، وإنما هو عندهما منسوخ بما جاء من الكتاب والسنة دالاً على مبادأة أهل الكفر بالقتال – كما سيأتي – حتى يكون الدين كله لله، وإن لم يبدءوا بالعدوان على الإسلام والمسلمين، فمؤدى قولهم الاتفاق مع الجمهور من أعمال ما جاء من الكتاب والسنة دالاً على مبادأة أهل الكفر بالقتال.

أما الباحثون المحدثون فإنهم أخذوا من قول الربيع وابن زيد ما يؤيد ما ذهبوا إليه فقط، وهو القول بأن الآية في قتال من قاتل دون من كف، وأما القول بالنسخ فلما كان مما لا يتفق مع ما يرونه فقد ضربوا به عرض الحائط.

انظر: أحكام القرآن للجصاص (١/٣١٩)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٤٨/٢)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٢٧/١)، الحرب في الشريعة الإسلامية للعلي (٨٦١).

(٢٢) ناقش الشيخ عبدالعزيز بن باز أدلة القاصرين الجهاد على الدفع في محاضرة له بعنوان: "ليس الجهاد للدفاع فقط"، ألقاها عندما كان نائباً لرئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، في دار الحديث بالمدينة، في أول موسم المحاضرات لعام ١٣٨٨ - ١٣٨٩هـ، ثم نشرت في مجموع فتاواه (١٧١/٣ - ٢٠١)، حيث قال رحمه الله: "أما قول من قال بأن القتال للدفاع فقط فهذا القول ما علمته لأحد من العلماء القدامي، أن الجهاد شرع في الإسلام بعد آية السيف للدفاع فقط، وأن الكفار لا يبدأون بالقتال، وإنما يشرع للدفاع ... وقد تعلق بعض الكتاب الذين قالوا: إن الجهاد للدفاع فقط بآيات لاحجة لهم فيها "ثم ذكرها وناقشها، كما سنذكر ذلك، ثم قال سماحته في نهاية مناقشته لتلك الأدلة: " وبهذا يعلم بطلان هذا القول وأنه لا أساس له ولا وجه له من الصحة".

(۲۳) انظر: بدائع الصنائع للكاساني (۱۰۰/۷)، شرح فتح القدير لابن الهمام (۱۹۳/۵)، الكتاب _ مختصر القدوري (۵۷۳)، بداية المجتهد لابن رشد (۲۱۱/۷)، الخرشي على مختصر خليل (۱۰۸/۳)، روضة الطالبين للنووي (۲۱۱/۷)، المغني لابن قدامة (۸/۱۳)، كشاف القناع للبهوتي (۲۵/۳).

(٢٤) يقول ابن تيمية في كتاب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٧٤/١) : «... وجملة ذلك أنه لما نزلت براءة أمر أن يبتدئ جميع الكفار، وثنيهم وكتابيهم، سواء كفوا عنه أو لم يكفوا وأن ينبذ إليهم تلك العهود المطلقة التي كانت بينه وبينهم "

واستدل أصحاب القول الأول لما ذهبوا إليه بعدة أدلة منها (٢٥):

: قال تعالى ﴿ وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْــٰ تَدُوٓا ۚ إِنَ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْــتَدِينَ ﴾

[البقرة: ١٩٠]

: أن الله عز وجل قصر المقاتلة على الذين يقاتلوننا فقط، أي يبدؤوننا بالقتال، وأخبر سبحانه أنه لا يحب المعتدين، وذلك الاعتداء ظلم والله لا يحب الظلم أبداً، فدل على أن النهي المحكم غير قابل للنسخ، لأنه إخبار بعدم محبة الاعتداء والإخبار لا يدخله النسخ.

ويمكن أن يجاب عن هذا بما يلى:

إن علماء التفسير ذكروا في توجيه هذه أربعة أوجه (٢٦):

: أن قوله تعالى (وَلَا تَعْتَدُوا) أي لا تقاتلوا من لم يبدأكم بقتال، وهذا خاص بمرحلة من مراحل تشريع الجهاد (۲۷)، والإذن فيه.

وعليه فتكون هذه الآية التي تمثل هذه المرحلة منسوخة عندهم بما جاء دالاً على الإذن بقتال جميع الكفار في جميع الأزمنة والأمكنة وإن لم يبدؤوا به حتى يكون الدين كله لله، وهذا ما يمثل المرحلة الأخيرة من مراحل تشريع القتال في الدين الإسلامي، وذالك كقوله تعالى: ﴿ وَقَلَيْلُوا اللَّمْشَرِكِينَ كُلَّفَةً ﴾ [التوبة: ٣٦] وقوله تعالى: ﴿ وَقَلَيْلُوا اللَّمْشَرِكِينَ كُلَّفَةً ﴾ [التوبة: ٣٦] وقوله تعالى: ﴿ فَاَقَنْلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدَتُمُوهُم ﴾ [التوبة: ٥] وتجدر الإشارة إلى أن بعض العلماء - كابن تيمية (٢٠٠) والزركشي (٢٠٠) والسيوطي (٣٠٠) من المتقدمين - من لا يرى النسخ للآية، إلا أنهم يخالفون أصحاب القول الأول في

⁽٢٥) انظر: فقه السنة للسيد سابق (٦١٤/٢)، السياسة الشرعية لخلاف (٧٢)، آثار الحرب في الفقه الإسلامي للزحيلي (١٠٦)، والتفسير المنير للزحيلي (١٧٩/٢).

⁽٢٦) انظر: أحكام القرآن للجصاص (١٩/١)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٤٨/٢- ٣٥٠)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٢٧/١)، زاد المسير (١٩٧١)، أحكام القرآن لابن العربي (١٠٤/١)، الحرب في الشريعة الإسلامية للعلي (٨٥٧)، دار الإسلام ودار الكفر للسفياني (١٤٢- ١٤٦).

⁽۲۷) قال ابن القيم في زاد المعاد (۷۱/۳): "فصل: ثم فرض عليهم - أي على المسلمين - القتال بعد ذلك لمن قاتلهم دون من لم يقاتلهم، فقال: ﴿ وَقَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَتِلُونَكُم ﴾ ثم فرض عليهم قتال المشركين كافة وكان محرما، ثم مأذونا به، ثم مأمورا به لمن بدأهم بالقتال، ثم مأمورا به لجميع المشركين».

وقال أيضا (١٥٩/٣) : « فصل : في ترتيب سياق هديه - عليه الصلاة والسلام - مع الكفار والمنافقين من حين بُعث إلى حين لقي الله على اله

⁽٢٨) هو: أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام، تقي الدين أبو العباس، ابن تيمية، الإمام، شيخ الإسلام، (ت٧٢٨هـ). انظر: الدرر الكامنة (١٤٤/١)، الأعلام (١٤٤/١).

⁽٢٩) هو: محمد بن عبدالله بن بهادر الزركشي المصري الشافعي، لقب بالمصنف لكثرة تصانيفه، توفي سنة (٧٩٤هـ) انظر: طبقات ابن قاضي شهبة (٦٦٧/٣)، الدرر الكامنة (١٧/٤).

⁽٣٠) هو: جلال الدين عبدالرحمن بن الكمال السيوطي، إمام مشهور، صاحب تصانيف عديدة، توفي سنة (٩١١هـ). انظر: حسن المحاضرة للسيوطي (٣٣٥/١)، البدر الطالع للشوكاني (٣٢٨/١).

قصر الجهاد على رد الاعتداء، فهم يرون أن الآية يعمل بها إذا تعرضت لظروف المرحلة التي شرعت فيها، كما في أول الأمر بالقتال، فالآية داخلة عندهم في حكم المُنْسَأ (٢١) كما في قوله تعالى ﴿ مَا نَسَخَ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا ﴾ وهو رأي جيد له حظ وافر من الفقه وحسن النظر، وهو أولى من الذهاب إلى النسخ، لأن فيه إعمال جميع النصوص التي جاءت في القتال، وإعمال جميع النصوص أولى من إهمال بعضها.

قال ابن تيمية فمن كان من المؤمنين بأرض هو فيها مستضعف أو في وقت هو فيه مستضعف فليعمل بآية الصبر والصفح (٢٢) عمن يؤذي الله ورسوله من الذين أوتوا الكتاب والمشركين، وأما أهل القوة فإنما يعملون بآية قتال أئمة الكفر الذين يطعنون في الدين، وبآية قتال الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون (٢٣، ٢٤).

: أن قوله تعالى ﴿ وَلَا تَعَلَّمَ أَوْا ﴾ أي لا تقاتلوا على غير الدين.

: أن قوله تعالى ﴿ وَلَا تَعْلَمُ أَوَّا ﴾ أي لا تقاتلوا إلا من يقاتل في العادة وهم الرجال المؤهلون،

فأما النساء والولدان والرهبان وغيرهم ممن لا يقاتلون في العادة، فلا يقاتلون، ومن هنا فلا يعتدى عليهم بالقتال والقتل إلا إذا فعلوا ذلك.

وإلى هذا ذهب المحققون من علماء التفسير (٢٥٠)، والأخذ بهذا القول فيه جمع بين الأدلة الدالة على النهي عن الاعتداء، والأدلة على مشروعية مبادأة الكفار بالقتال وإن لم يبدءوا بالعدوان.

: أن المراد بقوله تعالى ﴿ اللَّذِينَ يُقَتِبُونَكُم ﴾ إنما هو تهييج وإغراء بالأعداء الذين همتهم قتال الإسلام وأهله، أي كما يقاتلونكم فاقتلوهم أنتم، كما قال تعالى ﴿ وَقَائِلُوا ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَةً كَمَا يَقَائِلُوا ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَةً كَمُ التوبة : ٣٦] ولهذا قال سبحانه وتعالى بعد النهي عن الاعتداء ﴿ وَاَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَفِفْنُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم وَنَ عَنْ كُمُ أَنه همتهم منبعثة على قتالكم وعلى مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمُ كُوا أنه همتهم منبعثة على قتالكم وعلى إخراجهم من بلادهم التي أخرجوكم منها.

⁽٣١) النسأ التأخير عن وقت إلى وقت. انظر: المعجم الوسيط (٩١٦)، المصباح المنير (٦٠٤/٢).

⁽٣٢) هي آيات عدة نزلت على النبي ه في المرحلة المكيَّة منها قوله تبارك وتعالى: ﴿ فَأَعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ ۗ ﴾ [المائدة: ١٣].

⁽٣٣) يشير إلى قوله تبارك وتعالى: ﴿ حَنَّى يُعُطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدِ وَهُمُّ صَنغِرُوكَ ﴾.

⁽٣٤) انظر: الصارم المسلول (٢/ ١٣٤).

⁽٣٥) كابن عباس ومجاهد والحسن البصري وعمر بن عبدالعزيز ومقاتل بن حيان وغيرهم.

انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (١٩٠/٢) (١٩٦/١٤)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٤٨/٢)، تفسير القرآن الظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (١٩١/١)، فتح القدير للشوكاني (١٩١/١)، والمصنف لابن أبي شيبة (٢٨٣/٦).

: قوله تعالى: ﴿ وَقَائِلُوهُمْ حَتَىٰ لَا تَكُونَ فِنْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ اَننَهُوْاْ فَلَا عُدُونَ إِلَا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ اللبقرة: ١٩٣] وقال تعالى ﴿ وَقَائِلُوهُمْ حَتَىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ، لِللَّهِ فَإِنِ اَنتَهَوْاْ فَإِنَ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الأنفال: ٣٩].

: هو أن المراد بالفتنة هو الاعتداء، وبيان ذلك:

أن الحروب المشروعة في الإسلام لها غاية تنتهي إليها، وهي منع فتنة المؤمنين والمؤمنات بترك إيذائهم وترك حرياتهم ليمارسوا عبادة الله ويقيموا دينه وهم آمنون على أنفسهم من كل عدوان، وهذا يعني أن المراد بالفتنة عندهم في آيتي البقرة والأنفال الاعتداء لا الشرك (٣٦).

فقول ابن عمر أن الفتنة قد انتهت بغلبة المسلمين وكثرتهم، وعظم شوكتهم حيث لا يقدر الكفار والحال هذه على الاعتداء عليهم بالاضطهاد والتعذيب، ولو كانت عند ابن عمر ﴿ بمعنى الشرك لما قال هذا فإن الشرك لم يكن قد زال من الأرض ولن يزول (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً) [هود: ١١٨] (٣٩).

ويمكن الجواب عن هذا الاستدلال بما يلى:

: إن لفظة "الفتنة" ترد في اللغة بمعان مختلفة (٠٠٠)، وقد استعمل القرآن بعضاً من تلك المعاني ومن ذلك:

⁽٣٦) انظر: الحرب في الشريعة الإسلامية للعلى (٨٦٣).

⁽٣٧) هو: عبدالله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي، أول مولود في المدينة بعد الهجرة، توفي سنة (٧٣هـ). انظر: الاستيعاب (٩٠٤/٣)، الإصابة (٨٩/٤).

⁽٣٨) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ)، برقم (٤٢٨٣).

⁽٣٩) انظر: تفسير المنار (٩/٦٦٦٦٦)، ودار الإسلام للسفياني (١٣٦)، الحرب في الشريعة الإسلامية للعلي (٨٦٤).

⁽٤٠) انظر لسان العرب (١٩٣/١٧)، المعجم الوسيط (٦٧٣)، المصباح المنير (٢٦٢/٢).

١- ورودها بمعنى الكفر(١٠) كما في قوله تعالى: ﴿ لَا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآء بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ أَلَا يَعْلَمُ اللهُ ٱللَّهِ اللهُ وَقُولُه تعالى: ﴿ وَٱلْفِئْنَةُ ٱللهُ مِنَ ٱلْفَتْلِ ﴾ الله و ١٩١] يعني الكفر.

قال ابن العربي (٢٤٠): "فإن الفتنة في أصل اللغة الابتلاء والاختبار، وإنما سمي الكفر فتنة، لأن مآل الابتلاء كان إليه "(٢٤٠).

وقال الجصاص (٢٤٠): " وقيل: إنما سمى الكفر فتنة ؛ لأنه يؤدي إلى المهلاك "(٥٠).

٢- ورودها بمعنى الابتلاء والاختبار (٢٤٠)، كما في قوله تعالى: ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا ءَامَنَا وَهُمْ لَا
 يُفْتَننُونَ ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم ۚ فَلَيْعَلَمَنَ اللَّهُ اللَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَ الْكَذِبِينَ ﴾ [العنكبوت: ٢- ٣].

وقوله تعالى حكاية عن موسى على قوله: ﴿ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكُنْهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّنَى أَتُهْلِكُنَا مِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَاءُ مِنَّا ۗ إِنَّ هِيَ إِلَّا فِنْنَنُكَ ﴾ [الأعراف: ١٥٥].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَدْرِعِ لَعَلَهُ، فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَنَعُ إِلَى حِينٍ ﴾ [الأنبياء: ١١١] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَمْوَلُكُمْ وَأُولُكُمْ وَأُولُكُمْ وَأُولُكُمْ وَأُولُكُمْ وَأُولُكُمْ وَأُولُكُمْ وَأَوْلُكُمْ وَاللَّهُ اللَّهُ وَلَيْ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَوْلُهُ وَاللَّهُ وَلَلْكُمْ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُولُولُكُمْ وَاللَّهُ وَالَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّالَّالَالِلَّالِي اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَلَّا لَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّالَالَالْمُولِلَّالِمُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّالِمُ اللَّهُ وَاللَّالِمُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّالِمُولِلَّالِمُولِلَّالِمُولِلَّالِمُولِلَّالِمُولِلَّالِمُولِلَّاللَّالِمُولِلَّالِمُولِلَّاللَّالِمُولِلَّالِمُولِلَّالِمُولِلَّالِلْمُولِلَّالِمُولِلَّالِمُ اللَّالَّالْمُولِلَّالِمُولَّالِمُولِلَّاللَّالَ

٣- ورودها بمعنى الاعتداء والاضطهاد (١٤٠٠)، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَنَوُا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَاللَّالِي الْمُؤْمِنِينَ وَاللَّالِي اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ وَاللَّالْمُؤْمِنِينَ وَاللَّالْمُؤْمِنِينَ وَاللَّالِينَ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّالِينَ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّالِينَ اللَّوْمِنِينَ وَاللَّالِينَ اللَّهُ وَاللَّالِينَ اللَّهُ اللَّهُ وَلَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّالِينَ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّالَّةُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّالِينَ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّالِمُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّالِمُ اللَّالِمُ اللَّالِمُ اللَّالِمُ اللَّاللَّالِي الللَّالِمُلْعَالِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّالِمُ اللَّاللَّالِمُ اللَّ

٤- ورودها بمعنى الإثم والضلال (١٠٠)، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَكُولُ آتَٰذَن لِي وَلاَ نَفْتِنَيَّ أَلَا في الْفِتْ عَالَى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَكُولُ آتَٰذَن لِي وَلاَ نَفْتِنَيٍّ أَلَا فِي الْفِتْ عَلَمُواْ ﴾ [التوبة: ٤٩].

⁽٤١) انظر : جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (٢٤٨/٩)، والجامع لأحكام القرآن (٤٦/٣)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٧٤/٣)، زاد المسير لابن الجوزي (١٩٨/١) (٤٤٨/٣).

⁽٤٢) هو: محمد بن عبدالله بن محمد المعافري المالكي، أبو بكر بن العربي، قاضي من حفاظ الحديث، توفي سنة (٥٤٣هـ). انظر: وفيات الأعيان (١/٤٨٩)، والفتح المبين (٢٨/٢).

⁽٤٣) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (١٤١٢- ١٤١٣)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٠٧/٣).

⁽٤٤) هو: أحمد بن علي، أبو بكر الرازي الجصاص، إمام الحنفية في عصره، توفي سنة (٣٧٠هـ).

انظر: الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية (١/ ٢٢٠)، الفوائد البهية (٢٧- ٢٨).

⁽٤٥) انظر: أحكام القرآن للجصاص (٢٢٤/١).

⁽٤٦) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (٢٠٦/٧) (١٥٢/٨)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٤/٣)، زاد المسير لابن الجوزي (١٤٤/١) (٣٤٥/٣) (٣٩٩/٥).

⁽٤٧) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (١٣٦/٣٠) (١٣٦/٣٠)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٩٦/٤).

⁽٤٨) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (١٤٨/١٠)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٦١)، زاد المسير لابن الجوزي (٣٥٩/٢).

وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتَنْتَهُ، فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ ٱللَّهِ شَيَّا ﴾ [المائدة: ١٤].

وما كان هذا شأنه فإن السياق وحده هو الذي يحدد المراد منه، وبالرجوع إلى آيتي البقرة والأنفال ﴿ وَقَدْنِلُوهُمْ حَتَىٰ لَاتَكُونَ فِتَنَةٌ ﴾ [البقرة: ١٩٣] الأنفال: ٣٩]، فإن الأقرب والمتبادر من اللفظ وهو المعنى الذي ذهب إليه جماهير أهل العلم من فقهاء ومفسرين (٤٩) أن المراد بالفتنة هنا الكفر والشرك أو الكفر وما تابعه من أذى المؤمنين.

: إن آيتي البقرة والأنفال فيهما ما يدل على معنى الفتنة حيث قال سبحانه: ﴿ وَقَائِلُوهُمْ حَقَىٰ لَاتَكُونَ وَتَالِيُوهُمْ حَقَىٰ لَاتَكُونَ وَتَالِيْوُهُمْ حَقَىٰ لَاتَكُونَ وَيَكُونَ ٱللِّينُ كُلُهُ لِلَّهِ ﴾ [الأنفال: ٣٩]، إذ إن الدين لا يكون كله لله إلا إذا كانت الهيمنة والسيادة المطلقة لدين الله على أرضه (٥٠٠).

: انعقد الإجماع على أن غاية القتال، هي أن يكون الدين كله لله، وأن أهل الكتاب ومن في حكمهم يقاتلون حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، وهذا في معنى قوله تعالى: ﴿ وَقَائِلُوهُمْ حَتَّى لَاتَكُونَ فِتَنَةٌ وَيَكُونَ أَلدِينُ كُلُوهُمْ مَتَّى لَاتَكُونَ فِتَنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُوهُمْ مَتَّى لَاتَكُونَ فَلْ فَاللهُ عَنَى الفتنة هو الاعتداء، لما جاز قتال الذين كفروا إذا لم يصدقوا، حتى وإن منعوا إعطاء الجزية، والخضوع لسلطان الإسلام، وهذا معارض للنص والإجماع (٥١).

: أما الأثر الثابت عن ابن عمر أفهو قول صحابي معارض بالنصوص الشرعية الدالة على ابتدائهم، ومعارض بقول صحابي آخر وهو قول ابن عباس ألاحتهاد فيه نصيب، ومعلوم أن قول الصحابي إذا عارضه قول صحابي آخر، كما أن الأثر قد تطرق إليه احتمال، والدليل إذا تطرق إليه احتمال بالاستدلال.

وبيان ذلك: أن القائل لابن عمر ﴿ (قاتل مع إحدى الطائفتين) يحتمل أنه أراد أن يلزمه بقوله تعالى: ﴿ وَقَالِلُوهُمْ حَتَّى لَاتَكُونَ فِتَنَةٌ ﴾ فقال له ابن عمر ﴿ إن القتال الذي تريد أن تحملني عليه هو قتال بين المسلمين في دار الإسلام، وهذه الآية التي ذكرناها لا تدل عليه، ولا توجبه، وإنما هذه الآية وردت في قتال المشركين، وأنت تعلم أننا قاتلنا مع رسول الله ﴿ المشركين حتى زالت الفتنة، وفي رواية زال الشرك من هذا الموضع الذي تريد أن تحملني على القتال فيه، ولم يبق للمشركين فيه سلطان ولا غلبة (٥٠٠).

⁽٤٩) قاله: ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وآخرون.

انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٥٤/٢)، زاد المسير لابن الجوزي (٢٠٠/١).

⁽٥٠) انظر: الحرب في الشريعة الإسلامية للعلي (٨٥٦)

⁽٥١) انظر: الحرب في الشريعة الإسلامية للعلي (٨٦٦)

⁽٥٢) هو: عبدالله بن عبالس بن عبالمطلب القرشي الهاشمي، حبر الأمة، وابن عم النبي الله توفي سنة (٦٨هـ). انظر: الاستيعاب (٩٣٣/٣)،الإصابة (٣٣٠/٢).

⁽٥٣) انظر: دار الإسلام ودار الكفر للسفياني (١٥٥)، (٨٧٧)

فالاستدلال بالأثر ذاته دون النظر لمعارض له يمكن أن يصح لو أن ابن عمر ﴿ دُعِي إلى قتال المشركين في دار الشرك الممتنعين عن الخضوع لدين الإسلام، وقيل له: إن الله يقول: ﴿ وَقَدْنِلُوهُمْ حَتَّى لَاتَكُونَ فِتَنَةٌ ﴾ ثم امتنع عن ذلك، وقال هذه الآية لا تلزمني، يمكن أن يقال: إن معنى الفتنة عنده ليست الشرك والكفر بل هو الاعتداء، فهو ينتظر من هؤلاء المشركين أن يعتدوا فيقاتلهم، ولكن الأمر خلاف ذلك، فإن ابن عمر ﴿ إنما دعي إلى القتال في دار الشرك (١٤٥).

الدليل الثالث: قولهم إن الرسول الله لم يبدأ أحداً من الكفار بقتال، ولو كان الله أمره أن يقتل كل كافر لكان بدأهم بالقتل والقتال (٥٠٠).

ويمكن الجواب عنه بما يلي:

: إن الواقع يبطل هذا الادعاء، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: « الله قد فرض على المسلمين الجهاد لمن خرج عن دينه وإن لم يكونوا يقاتلوننا، كما كان النبي ﴿ وخلفاؤه يجهّزون الجيوش إلى العدوِّ وإن كان العدوِّ لا يقصدهم، حتى إنه لما توفي رسول الله ﴿ وكانت مصيبته أعظم المصائب، وتفرَّق الناس بعد موته واختلفوا، أنفذ أبو بكر الصديق ﴾ عنه جيش أسامة بن زيد الذي قد كان أمره رسول ﴿ إلى الشام إلى غزو النصارى، والمسلمون إذ ذاك في غاية الضعف، فلما رآهم العدوُّ فزعوا وقالوا: لو كان هؤلاء ضعافاً ما بعثوا جيشاً » (٥٦).

: على فرض التسليم بصحة ما ادعوه فإنه معارض بقوله ، بعد منصرفه من غزوة بني قريظة: (الآن نغزوهم ولا يغزوننا) (٥٠٠)، ومعلوم أن القول مقدم على الفعل في حال تعارضه معه.

: إن المسلمين كانوا مأمورين في مرحلة من مراحل التشريع ـ كما سبق ـ بالدفاع ورد العدوان عن أنفسهم، وتلك الغزوات المستدل بها في تلك المرحلة، ورد العدوان أمر مشروع قائم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

يقول الدكتور محمد سعيد البوطي: « لقد كانت تلك المرحلة التي تسير فيها الدعوة من بدء الهجرة إلى صلح الحديبية، مرحلة دفاعية كما قلنا، إلى جانب القيام بمهام الدعوة السلمية، فلم يحدث خلال تلك المرحلة أن بدأ النبي هم هجوماً أو شن غزوة على فئة ما من الناس، ولم يحدث أن أرسل سرية إلى قبيلة ما ليدعوهم إلى الإسلام،

(٥٥) انظر: العلاقات الدولية في الإسلام لأبي زهرة (٩١)، فقه السنة للسيد سابق (٦١٥/٢)، آثار الحرب في الفقه الإسلامي للزحيلي (١٠٣- ١٠٤)، الإرهاب لابن بيه (١٢٩).

⁽٥٤) انظر: دار الإسلام ودار الكفر للسفياني (١٥٥- ١٥٦).

⁽٥٦) انظر: رسالة إلى الملك الظاهر لابن تيمية (١٦)، بواسطة موسوعة مصطلحات ابن تيمية للدكتور رفيق العجم، ط.مكتبة لبنان ناشرون.

⁽٥٧) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة الخندق، وهي الأحزاب، برقم (٣٨٠١).

فإن أبوا قاتلوهم عليه. فلما أبرم صلح الحديبية بين المشركين من قريش والمسلمين في المدينة ، واطمأنت أفئدة المسلمين واستراحوا من متاعب قريش ومناوشاتهم، تفرغ النبي المدخول في مرحلة جديدة لابد منها في حكم الشريعة الإسلامية التي بعث لتبليغها وتطبيقها ، ألا وهي مرحلة قتال أولئك الذين بلغتهم الدعوة فوعوها وفهموها ، ولكنهم استكبروا عن الإيمان بها والإذعان لها حقداً وعدواناً. إنها المرحلة التي أنجز رسول الله قدعوة ربه ، وهي المرحلة التي أصبحت - بعمله وقوله - حكماً شرعياً باتفاق المسلمين في كل عصر إلى يوم القيامة ، وهي المرحلة التي يحاول محترفو الغزو الفكري أن يطمسوا عليها ويغيبوها عن أعين المسلمين ، بزعم أن كل ما يتعلق بالجهاد في الشريعة الإسلامية إنما هو قائم على أساس الحرب الدفاعية ورد العدوان ، وهاهي هيئة الأمم قامت لتتولى الدفاع ورد العدوان عن المستضعفين ، فلا حاجة إلى استبقاء مبدأ الحرب الدفاعية أيضاً؟! وليس سراً خافياً أن الأمر الذي يدعوهم إلى هذا الكيد والتضليل في البحث إنما هو الخوف الشديد لدى الدول الأجنبية - غربيها وشرقيها على السواء - من أن يعود فيستيقظ في نفوس المسلمين معنى الجهاد في سبيل الله (١٥٥) ، ثم يتصل هذا المعنى بجذوة الإيمان في قلوبهم المائن تم هذا ، فسيتم عندئذ لا محالة انهيار الحضارة الغربية مهما تطاول بنيانها. ولقد نضجت عقلية الرجل الأوروبي لمعانقة الإسلام بمجرد أن يسمع دعوة خالصة إليه ، فكيف بالدعوة الخالصة تتلوها تضحية وجهاد ؟! » (١٥٥).

كما أنهم استدلوا بقوله تعالى: ﴿ لَآ إِكَرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وبقوله تعالى: ﴿ فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمُ فَلَمَ يُقَانِلُوكُمُ وَٱلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَاجَعَلَ ٱللَّهُ لَكُوۡرَ عَلَيْهِمۡ سَكِيكُ ﴾ [النساء: ٩٠].

⁽٥٨) الواقع أن الكفار يخافون أشد الخوف من عقيدة الجهاد ومن أجل ذلك يحاربونها بأساليب شيطانية كثيرة من أهمها:

تبني الحركات الزائفة التي لا تعير الجهاد كبير اهتمام كفرق التصوف والروافض ونحو ذلك.

إيجاد حركات محسوبة على الإسلام وهي منه براء تدعو إلى إلغاء الجهاد كالقاديانية والبهائية. الدعوة إلى التعايش السلمي لكي تظل دول الكفر آمنة مطمئنة لايقض مضاجعها جهاد ولا جزية.

[.] نشر الثقافة الماسونية و العلمانية التي لا تجعل للدين تأثيرا في مجرى الحياة.

رفع رايات جاهلية تجتمع تحتها الشعوب المستغفلة بدل راية لاإله إلا الله، كراية القومية والوطنية وعدم الانحياز.... ودول العالم الثالث....و الوحدة الآسيوية والإفريقية ...ونحو ذلك.

شغل شباب المسلمين بالشهوات والدعوة إلى تبرج النساء والتعليم المختلط والبرامج الهابطة والصحافة الرخيصة والرياضة المنحرفة التي تصرف الشباب عن معالى الأمور إلى سفاسفها".

ذكر ذلك الدكتور علي العلياني في نتائج رسالته التي قدمها للدكتوراة بعنوان: أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية والرد على الطوائف الضالة ص (٥١٥- ٥١٦).

⁽٥٩) انظر: فقه السيرة للبوطي (٢٥٢- ٢٥٣).

والجواب أن الآيتين قيل إنهما منسوختان بآية السيف (١٠٠)، أو يقال بأنهما محمولتان على حالة ضعف المسلمين، فإن قويت شوكتهم أمروا بالقتال، كما سبق. وبخصوص الآية الأولى فإن الأصح أنها مخصوصة بأهل الكتاب والمجوس وأشباههم، فإنهم لا يكرهون على الدخول في الإسلام إذا بذلوا الجزية (١٦١).

وإن قلنا إنها عامة فيقتل من كان من أهل القتال، ولانكرهه على الدخول في الإسلام، إذ لا فائدة في إسلام مثل هؤلاء - غالباً - ولكن من أسلم تحت السيف قبل إسلامه، وعصم دينه ونفسه، وماله(٢٢).

ومن خلال ما سبق يظهر لي أن العلة في فرض الجهاد هي الكفر، وعليه فالواجب قتالهم حتى يكون الدين كله لله.

يقول الشيخ عبد العزيز بن باز: « وقال تعالى: ﴿ فَٱقْنُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدَتُمُوهُمْ وَغُذُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ صَكِ ﴾ [التوبة: 0]، فعمم بقتالهم جميعاً، وتعليق الحكم بالوصف المشتق يدل أنه هو العلة، فلما علق الحكم بالمشركين والكفار، ولمن ترك الدين، ولم يدن بالحق عُرف أن هذا هو العلة، وأنه هو المقتضي لقتالهم، فالعلة: الكفر بالله، مع شرط كونه من أهل القتال لا من غيرهم... ثبت في الصحيح عن بريدة ﴿ (١٣) أن النبي ﴿ كَانَ إِذَا بِعِثُ أَمِيراً على جيش، أو سرية، أوصاه بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: (اغزو بسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله) (١٤)، فعلق الحكم بالكفر، فدل ذلك على أنهم يقاتلون لكفرهم إذا كانوا من أهل القتال ﴾ (١٥).

وهنا شبهة يحتج بها من لا يرى صلاحية جهاد الطلب في هذا العصر، فيقول: إن القوى المادية والعسكرية، الأقليمية والدولية يملكها أعداء الإسلام، وهم قد وضعوا الإسلام عدواً استراتيجياً لهم، وإبراز مثل هذا القول

⁽٦٠) عبَّر أكثر المفسرين بنسخ الآيات السابقة بآية السيف، ثم اختلفوا في المراد بها، والجمهور منهم أن المراد بها قوله تعالى: (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) [التوبة: ٥]، ومن العلماء من عبَّر بآيات السيف، ومنهم من عبَّر بآيات السيف في براءة وغيرها، ومنهم من عبَّر بآيات القتال، ومن خلال تتبعي لتلك الآيات المدعى نسخها، ظهر لي أن المراد بها جميع آيات القتال، وقد فصَّلت ذلك في بحث لي محكم، في طريقه للنشر، بعنوان: (شروط النسخ دراسة أصولية نظرية تطبيقية على الآيات المدعى نسخها بآية السيف)

⁽٦١) انظر: مجموع فتاوي ومقالات متنوعة لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز (١٩٨/٣- ١٩٩).

⁽٦٢) انظر: السياسة الشرعية لابن تيمية (١٢٥).

⁽٦٣) هو: الصحابي الجليل بريدة بن الحصيب بن عبدالله الأسلمي، من أكابر الصحابة، توفي سنة (٦٣هـ).

انظر: الاستيعاب لابن عبدالبر(١/١٨٥)، الإصابة لابن حجر (٢٨٦/١).

⁽٦٤) سبق تخریجه ص (٧).

⁽٦٥) انظر: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز (١٩١/٣- ١٩٤).

بجهاد الطلب يعمق الخلاف بين الإسلام وأعدائه، بدعوى أن الإسلام يفجر الحروب الأهلية، والمحلية، والدولية، ويكون ذلك ذريعة لتشويه الإسلام وإلصاق تهمة العنف والإرهاب به، مما ينفر الناس من الدخول فيه، والتحذير من مساعدته في امتلاك القوة، خوفاً على مصالحهم الحيوية، وحماية لها !.

والجواب عن هذه الشبهة، والتي لا شك أنها خارجة من مشكاة الضعف والوهن والانهزامية، الناتج عن تركنا القيام بهذه الشعيرة المباركة، سيسفر عنه هذا البحث خلال الحديث عن مقاصد الجهاد بحسب دلالة النصوص الجزئية، ويمكن طرح التساؤلات التالية بين يدي ذلك الجواب:

١- هل تركنا لجهاد الطلب - لضعفنا وعدم قدرتنا- سوغ للآخرين تركنا وعدم قتالنا؟.

٢- ماذا فعلت الحملات الصليبية كما في التاريخ القديم، بل وماذا فعلت النازية في ألمانيا، والفاشية في إيطاليا، وأسبانيا، واليهود وأمريكا في التاريخ الحاضر، عندما امتلكوا القوة المادية، وماذا فعل المسلمون الفاتحون عبر التاريخ كله ؟.

إن المسألة ليست مسألة جهاد طلب أو دفاع، بل إن الساسة كثيراً ما يثيرون خصومهم، ويدفعونهم إلى الاعتداء، حتى يشهروا الحرب، ويظهرون أمام الورى أنهم ليسوا إلا مدافعين عن أنفسهم، فالمسألة والحقيقة هي أن جهاد المسلمين لأعدائهم هو من سنن الله في أرضه، ومن الصراع بين الحق والباطل، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَرَالُونَ يُعْنَلُونَكُمْ حَتَى يُرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ السّتَطَعُوا ﴾ [البقرة: ١٧]، وقد أخبر سبحانه وتعالى بهذه العداوة الأبدية بين الحق والباطل فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النّاسَ أُمّةً وَحِدةً وَلاَ يَزَالُونَ مُعْنَلِفِينَ ﴿ اللّا مَن رَحِمَ رَبُّكَ اللّهِ وَالباطل فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النّاسَ أُمّةً وَحِدةً وَلاَ يَزَالُونَ مُعْنَلِفِينَ ﴿ وَلَوْ لاَ مُنَّ مَتَى عَنَيْعَ مِلْتَهُمْ ﴾ ولَوْ لاَ وَقَال سبحانه وتعالى عَلَمُهُم يَبَعْضِ وَلِلْالِكَ خَلْقَهُمْ ﴾ [البقرة: ١١٨- ١١٩] ، وقال تعالى ﴿ وَلَوْ لاَ دَفْحُ اللّهِ النّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضِ وَلِلْ النّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضِ الله بالمؤمنين الكافرين لفسدت الأرض باستيلاء الكفرة عليها، وإفسادهم فيها، ومن أعظم الإفساد الكفر والإشراك باللهمنين الكافرين لفسدت الأرض باستيلاء الكفرة عليها، وإفسادهم فيها، ومن أعظم الإفساد الكفر والإشراك باللهمنين الكافرين لفسدت الأرض باستيلاء الكفرة عليها، وإفسادهم فيها، ومن أعظم الإفساد الكفر والإشراك باللهمنية الكفرة الله المؤمنية الكفرة اللهم المؤمنية الكفرة الله عليها، وإفسادهم فيها، ومن أعظم الإفساد الكفر والإشراك باللهمنية الكفرة المؤمنية الكفرة اللهم المؤمنية الكفرة اللهم المؤمنية الكفرة المؤمنية الكفرة المؤمنية الكفرة المؤمنية الكفرة المؤمنية المؤمنية

إن الشريعة الإسلامية لا يمكن إطلاقاً أن يوصف أمرها بالعدوان وقد أمرت بمبادأة الكفار بالقتال حتى تكون المهيمنة والسيادة لدين الله على أرضه.

وأخيراً ينبغي الإشارة إلى أن جهاد الطلب لا يجب، بل لا يجوز قيامه، إلا إذا توفرت القدرة على تحقيق الظفر والنكاية بالعدو، أما إذا غلب على الظن غلبة العدو على المسلمين، فحينتذ يحرم القتال، وتقدير ذلك لأهل الحل والعقد، وليس متروكاً لآحاد المسلمين.

_

⁽٦٦) انظر: المحرر الوجيز لابن عطيه (٣٧٢/٢)، تيسير الكريم الرحمن للسعدي (٣٠٨/١).

يقول العز بن عبدالسلام (٦٧): « فإذا لم تحصل النكاية وجب الانهزام، لما في الثبوت من فوات النفس، مع شفاء صدور الكفار وإرغام أهل الإسلام، وقد صار الثبوت هنا مفسدة محضة، في طيِّها مصلحة » (٦٨).

واشتراط القدرة هو الأصل في تكاليف الإسلام، إذ القدرة مناط التكليف. كما قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا مُا ءَاتَنَهَا ﴾ [الطلاق: ٧].

وقد أفتت اللجنة الدائمة للإفتاء في المملكة العربية السعودية بما نصّة: «الجهاد لإعلاء كلمة الله وحماية دين الإسلام والتمكين من إبلاغه ونشره، وحفظ حرماته؛ فريضة على من تمكن من ذلك وقدر عليه، ولكنه لا بدّ له من بعث الجيوش، وتنظيمها؛ خوفاً من الفوضى، وحدوث ما لا تحمد عقباه؛ ولذلك كان بدؤه، والدخول فيه من شأن ولي أمر المسلمين، فعلى العلماء أن يستنهضوه لذلك، فإذا ما بدأ واستنفر المسلمين فعلى من قدر عليه أن يستجيب للداعي إليه، مخلصاً وجهه لله، راجياً نصرة الحق، وحماية الإسلام، ومن تخلف عن ذلك مع وجود الداعي، وعدم العذر؛ فهو آثم» (١٩٥).

وقال ابن عثيمين منبهاً على شرط القدرة في الجهاد: « لابد فيه (يعني: الجهاد) من شروط، وهو أن يكون عند المسلمين قدرة وقوة يستطيعون بها القتال، فإن لم يكن لديهم قدرة فإن إقحام أنفسهم في القتال إلقاء بأنفسهم إلى التهلكة، ولهذا لم يوجب الله سبحانه وتعالى على المسلمين القتال وهم في مكة، لأنهم عاجزون ضعفاء، فلما هاجروا إلى المدينة وكونوا الدولة الإسلامية وصار لهم شوكة أمروا بالقتال»(٧٠٠).

•

يمكن تصنيف مقاصد الجهاد بحسب التقسيمات المصطلح عليها عند المقاصديين على النحو التالي(١٧١):

1- تعتبر تلك المقاصد من المقاصد الخاصة من مقاصد التشريع ؛ لعدم شمولها مجالات التشريع وأبوابه ، بل الحِكَم والمعاني الملحوظة فيها من قبل الشارع تجتمع في باب واحد من أبواب التشريع.

⁽٦٧) هو: أبو محمد سلطان العلماء، عبدالعزيز بن أبي القاسم السلمي، إمام شافعي مجتهد، نهاء عن المنكر، تولى القضاء في مصر، ثم اعتزل حتى مات سنة (٦٦٠هـ).

انظر: طبقات الشافية لابن السبكي (٨/٩٠١)، البداية والنهاية (١٩٥/١٣).

⁽٦٨) انظر: قواعد الأحكام ومصالح الأنام (١/٩٥)، ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية للبوطى (٢٦١).

⁽٦٩) فتاوى اللجنة (١٢/١٢). وهذه الفتوى صدرت بتوقيع فضيلة المشايخ: عبدالله بن قعود، و عبدالله بن غديان، و نائب رئيس اللجنة عبد الرزاق عفيفي، والرئيس عبد العزيز بن عبدالله بن باز، رحمهم الله.

⁽٧٠) الشرح الممتع (٨/٩- ١٠).

⁽۷۱) انظر: الموافقات (۲۲٦/۲)، مقاصد الشريعة الإسلامية لمحمد الطاهر بن عاشور (۲۱۰)، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها لعلّال الفاسي (۳)، الاجتهاد المقاصدي للخادمي (۱۲۸ - ۵۶)، مقاصد الشريعة عند ابن تيمية للبدوى (۲۱- ۱۳۵)، طرق الكشف عن مقاصد الشريعة للدكتور نعمان (۲۲).

- ٢- تعتبر من المقاصد الكلية من مقاصد الشريعة الإسلامية ، باعتبار تعلقها بعموم الأمة أو بجماعة عظيمة منها ، أو بقطر من أقطارها عوداً متماثلاً ، ولما فيه من حماية البيضة ، وحفظ الضروريات كما سيأتي.
- ٣- أما من حيث مدى القطع بكون الشارع قاصداً لها أو عدمه، فيمكن أن يقال أن القصد من الجهاد مقطوع به شرعاً، وإنما الخلاف في بعض جزئيات أقسامه، ومن ذلك: في حرب الكفار هل المبادأة مقصودة لنشر الإسلام، وإعلاء كلمة الله، أم أن حربهم شرعت من باب الدفاع فقط ؟.
- ٤- تعتبر من المقاصد الاعتبارية، وذلك لأن القتال في ذاته قبيح، لكنه حسن باعتبار آثاره في حفظ الضروريات وغيرها.
- ٥- تعتبر من المقاصد الأصلية، لأن الشارع الحكيم شرعه للحفاظ على الضروريات الخمس في المقام الأول
 دون النظر إلى حظوظ المكلفين (٧٢)، وإنما راعى فيها إقامة حياتهم واستقامتها بالقيام بتلك الضروريات وحفظها.
- ٦- تعتبر من المقاصد الضرورية من مقاصد التشريع؛ وذلك باعتبار آثارها في قوام أمر الأمة، فالأمة بمجموعها وآحادها في ضرورة إلى تحصيلها وفي عدم القيام بها يختل نظام الحياة، ويترتب على خرقها فساد عظيم في الدنيا والآخرة، والفساد الدنيوي ينتج عن خرق الدين.

وذلك أن عامة الأصوليين قسموا المقاصد إلى أخروية ودنيوية (٧٣)، وأن المقصود من المصالح الأخروية تزكية النفس عن الرذائل، ورياضتها، وتهذيب الأخلاق، ونيل الثواب، ورفع الدرجات، ودفع العقاب في الآخرة (٤٠٠).

⁽٧٢) أما المقاصد التبعية فهي التي روعي فيها حظ المكلف بالقصد الأول، ويحصل للمكلف بالقيام بها مقتضى ما جُبل عليه من نيل الشهوات، والاستمتاع بالمباحات، وسد الخُلَّات وجُعل للإنسان فيها حرية الاختيار بين الفعل وعدمه، وبين أنواع المشروعات ضمن حدود الشريعة وقوانينها.

انظر: مقاصد الشريعة الإسلامية لمحمد الطاهر بن عاشور (١٧٣).

⁽٧٣) وهذا التقسيم مأخوذ من تقسيم الأصوليين للمناسب إلى دنيوي وأخروي. انظر: شفاء الغليل للغزالي (١٥٩)، المحصول (١٦١/٥)، الإحكام للآمدي (٢٩٦/٣)، شرح الكوكب (١٧١/٤)، مقاصد الشريعة عند ابن تيمية للبدوي (٢٥٣)، الوصف المناسب للدكتور أحمد الشنقيطي (١٩٣).

⁽٧٤) يقول شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (٣٢ / ٣٢): "وقوم من الخائضين في أصول الفقه، وتعليل الأحكام الشرعية بالأوصاف المناسبة، إذا تكلموا في المناسبة، وأن ترتيب الشارع للأحكام على الأوصاف المناسبة يتضمن تحصيل مصالح العباد، ودفع مضارهم، ورأوا أن المصلحة نوعان: أخروية، ودنيوية، جعلوا الأخروية ما في سياسة النفس وتهذيب الأخلاق من الحكم، وجعلوا الدنيوية ما تضمن حفظ الدماء، والأموال، والفروج، والعقول، والدين الظاهر، وأعرضوا عما في العبادات الباطنة، والظاهرة من أنواع المعارف بالله تعالى، وملائكته وكتبه ورسله، وأحوال القلوب، وأعمالها كمحبة الله، وخشيته وإخلاص الدين له، والتوكل عليه، والرجا لرحمته، ودعائه، وغير ذلك من أنواع المصالح في الدنيا والآخرة، وكذلك فيما شرعه الشارع من الوفاء بالعهود، وصلة الأرحام، وحقوق المماليك، والجيران، وحقوق المسلمين بعضهم على بعض، وغير ذلك من أنواع ما أمر به، ونهى عنه، حفظا للأحوال السنية، وتهذيب الأخلاق، ويتبين أن هذا جزء من أجزاء ما جاءت به الشريعة من المصالح».

أما الدنيوية فحصروها في الضروريات الخمسة المعروفة، وهي: الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال، وعرفوا الضروريات بأنها: التي لابد فيها من قيام مصالح الدين والدنيا، بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد وتهارج وفوت حياة، وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم، والرجوع بالخسران المبين (٥٠٠)، كما ذكر ذلك الشاطبي (٢٠٠).

ثم جعلوا لهذه الضرورات متممات ومكمِّلات من مقاصد حاجية وتحسينية (٧٧).

فالضروريات هي أصل لما سواها من الحاجيات والتحسينيات، وحفظها يكون بأمرين: أحدهما: مراعاتها من جانب الوجود، وذلك بإقامة أركانها وقواعدها.

والثاني: مراعاتها من جانب العدم وذلك بدرء الاختلال الواقع أو المتوقّع فيها (٧٨).

والخلاف في حصر المقاصد الضرورية في الخمسة المذكورة قائم (٧٩)، وسأقتصر هنا على بيان شيء من أثر الجهاد في حفظ هذه الضروريات الخمسة المذكورة للاتفاق في دخولها في تعريف الضروريات.

حفظ الجهاد للدين واقع من جانب الوجود والعدم: أما جانب الوجود فإنه يتمثل في جهاد الطلب، وذلك بقتال الكفار في عقر دارهم ؛ لتكون كلمة الله في الأرض هي العليا، ويكون الجهاد بذلك سبباً لإقامة الدين، وإصلاح الأرض، ونشر الإسلام.

قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسُ شَدِيدٌ وَمَنفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَصُرُهُ، وَرُسُلَهُ, بِٱلْغَيْبِ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِئُ عَزِيزٌ ﴾ [الحديد: ٢٥].

(٧٦) الشاطبي هو: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، الشهير بالشاطبي، أصولي، محقق، وفقيه بارع، وحافظ، من أئمة المالكية، توفي سنة (٧٩٠هـ).

⁽٧٥) انظر: الموافقات للشاطبي (٨/٢).

انظر: شجرة النور الزكية (٢٣١)، والفتح المبين (٢١٢/٢).

⁽۷۷) الحاجيات، أو المقاصد الحاجية هي: ما افتقر إليها من حيث التوسعة ورفع الضيق المؤدي في الغالب إلى الحرج والمشقة اللاحقة بفوت المطلوب، فإذا لم تراع دخل على المكلفين على الجملة الحرج والمشقة، ولكنه لا يبلغ مبلغ الفساد العادي المتوقع في المصالح العامة. أما التحسينات أو المقاصد التحسينية فهي: الأخذ بما يليق من محاسن العادات، وتجنب الأحوال المدنسات التي تأنفها العقول الراجحات، ويجمع ذلك قسم مكارم الأخلاق. انظر: الموفقات (١٢/٨- ١١).

⁽۷۸) انظر: الموافقات (۸/۲).

⁽٧٩) يقول الدكتور يوسف البدوي في كتابه مقاصد الشريعة عند ابن تيمية (٢٥٠): « وهذه النظرة قد برزت عند بعض المعاصرين فزادوا على المقاصد الخمسة مقاصد أخرى كالعدل، وحرية التفكير، والمساواة، والسماحة، وغير ذلك».

قال ابن كثير (١٠٠): « وجعلنا الحديد رادعاً لمن أبى الحق وعانده بعد قيام الحجة عليه، ولهذا أقام رسول الله على المنود المنه بعد النبوة ثلاث عشرة سنة، توحى إليه السور المكّية، وكلها جدال مع المشركين، وبيان وإيضاح للتوحيد، وبيّنات ودلالات فلما قامت الحجة على من خالف، شرّع الله الهجرة، وأمرهم بالقتال بالسيوف وضرب، الرقاب والهام، لمن خالف القرآن وكذب به وعانده » (١٠٠).

فبالجهاد تزال الطواغيت، وتحطم الأنظمة الفاسدة، التي تصرف الناس عن اتباع الحق، ولا شك أن رفع هذه العوائق وسيلة كبرى لا نتشار الإسلام.

كما أن الإسلام اعتبر ترك الجهاد ذلاً ، قال راذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم) (٢٨) ، ومعلوم أن الذليل لا ينشر معتقده ، وإنما ينشره العزيز ، وهذا يستلزم أن الجهاد وسيلة عظمى لنشر الإسلام.

ومما يدل على أثر الجهاد في حفظ الدين ونشر الدعوة قوله تعالى: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصَّرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۗ ۞ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدُخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْواَجًا ﴾ [النصر: ١- ٢].

فبين الله رجمًا الله والله على الله المسلمين للكافرين لفسدت الأرض ولهدمت المساجد.

قال مقاتل (٨٣٠): « لولا دفع الله المشركين بالمسلمين لغلب المشركون على الأرض فقتلوا المسلمين وخربوا المساجد » (٨٤٠).

⁽٨٠) ابن كثير هو: الحافظ عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر بن كثير الدمشقي، الفقيه الشافعي المحدث المؤرخ، توفي سنة (٨٠). انظر: الدرر الكامنة (٣٧٣- ٣٧٤)، وشذرات الذهب (٢٣١/٦).

⁽٨١) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥٣/٨).

⁽٨٢) أخرجه أبوداود في كتاب البيوع، باب في النهي عن العينة، حديث رقم (٣٤٦٢). وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (١١).

⁽۸۳) هو: مقاتل بن حيان النبطي، أبو بسطام البلخي، صدوق فاضل، توفي سنة (۱۵۰هـ). انظر: تقريب التهذيب (۲/۲).

⁽٨٤) انظر: زاد المسير لابن الجوزي (١/٣٠٠).

كما أن ما شرعه الإسلام من جهاد وقتال للمرتدين (٥٥)، له أثر كبير في رد شارد الدين بعد ذهابه، ورجوع الحق إلى نصابه، وكان له الأثر الأكبر في تمهيد الأرض للدين الحق، والحفاظ عليه، وما قصة جهاد أبي بكر الصديق الله للمرتدين إلا دليل على ذلك.

ويمكننا أن نستدل - أيضاً - على حفظ الجهاد للدين من هذا الجانب - العدم - ما شرعه الإسلام من جهاد وقتال للبغاة (٨٦٠)، لخروجهم على إمام المسلمين، حتى يعودوا إلى صفوف الجماعة، مما يحفظ دينهم، ويجمع كلمتهم، ويقوي شوكتهم على عدوهم.

لا شك أن للجهاد أثراً مهماً في حفظ الأنفس المؤمنة، إذا ما داهمها العدو في عقر دارها وأراد استباحتها واستباحة الدين والعرض والمال. وهذا أمر ظاهر لا يحتاج إلى وقوف عنده. فالإسلام جعل الدفاع عن تلك الأنفس واجباً على المقصودين وعلى غير المقصودين، لإعانتهم (١٨٠٠)، كما قال تعالى: ﴿ وَإِنِ ٱسۡ تَنَصَرُوكُمُ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصَرُ ﴾ والأنفال: ٧٢].

وهذا داخل في حفظ الأنفس من جانب العدم، ومن حفظها من هذا الجانب - أيضاً - ما ورد في إعداد العدة للكفار لإرهابهم كما قال تعالى: ﴿ وَأَعِدُواْ لَهُم مَّا ٱسۡ تَطَعۡتُم مِّن قُوۡوَ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيْلِ تُرِّهِبُونَ بِهِ عَدُوَ ٱللَّهِ وَعَدُوَّ كُمْ ﴾ [الأنفال: ٦٠].

ومعلوم أن العدو إذا دخل في قلبه الخوف والرهبة، لم يجرؤ على غزو ديار المسلمين، مما قد يؤدي إلى إزهاق أنفسهم، ومما يؤيد ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: (يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: أو من قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غُثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن، فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت) (١٨٨)، وقوله عليه الصلاة والسلام: (لئن تركتم الجهاد وأخذتم بأذناب البقر وتبايعتم بالعينة ليلزمنكم الله مذلة في رقابكم لا تنفك عنكم حتى تتوبوا إلى الله وترجعوا على ما كنتم عليه) (١٩٨).

⁽٨٥) المرتد هو: الراجع عن دين الإسلام إلى الكفر. انظر: المطلع (٣٧٨).

⁽٨٦) البغاة: هم الخارجون من المسلمين على طاعة الإمام الحق بتأويل، ولهم شوكة.

انظر: معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية (١/١٣٩).

⁽۸۷) انظر: مجموع الفتاوی (۲۸/۲۸ - ۳۵۹).

⁽٨٨) أخرجه أبو داود في كتاب الملاحم، باب في تداعى الأمم على الإسلام، برقم (٤٢٩٧)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (٩٥٨).

⁽۸۹) سبق تخریجه ص (۲۵).

أما حفظ الجهاد للنفس من جانب الوجود، فلعل ذلك داخل في إخراج تلك الأنفس من موت القلوب إلى حياتها، ومن ظلمات الشرك إلى نور الإسلام.

كما يمكن أن يستأنس في ذلك بقوله تعالى ﴿ وَلَكُمْم فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوْةٌ ﴾ [البقرة: ١٧٩]. وبيان ذلك: أن الإسلام متى ما قام في أرض الله وقامت حدوده، فقد حفظت الأنفس من الاعتداء عليها بدلالة الآية السابقة، كما حفظت الأنفس، ممن يصول عليها (٩٠)، أو يقطع طريقها من المحاربين (٩١)، وغيرهم ممن يفسدون في الأرض، وهل يوجد فساد أعظم من الشرك ؟١، ﴿ إِنَ الشِّرُكَ لَظُلُمُ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٧١]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلْفِتْ نَهُ آَكُ بَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾ [البقرة: ٢١٧].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: « إن الله تعالى أباح من قتل النفوس ما يحتاج إليه في صلاح الخلق كما قال تعالى: ﴿ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾ [البقرة: ٢١٧]، أي إن القتل وإن كان فيه شر وفساد ففي فتنة الكفار من الشر والفساد أكبر منه » (٩٢).

وأخيراً: تجدر الإشارة إلى أن الإسلام ليس متشوفاً إلى إزهاق تلك الأنفس الكافرة إلا بعد البيان والحجة ولذلك نهى عن قتل غير الذين يصدون عن دعوة الحق من المقاتلة، كالنساء، والصبيان، والشيوخ، والرهبان.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: « وإذا كان أصل القتال المشروع هو الجهاد، ومقصوده هو أن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا، فمن امتنع من هذا قوتل باتفاق المسلمين. وأما من لم يكن من أهل الممانعة والمقاتلة، كالنساء والصبيان، والراهبان، والشيخ الكبير، والأعمى، والزمن (٩٣) ونحوهم فلا يقتل عند جمهور العلماء، إلا أن يقاتل بقوله أو فعله، وإن كان بعضهم يرى إباحة قتل الجميع لمجرد الكفر، إلا النساء والصبيان لكونهم مالاً للمسلمين والأول هو الصواب، لأن القتال هو لمن يقاتلنا، إذا أردنا إظهار دين الله » (٩٤).

إن إخراج الناس من الظلمات إلى النور هو المقصود من الجهاد؛ لما فيه من إعلاء لكلمة الله، ومتى ما حصل ذلك المقصود، واستنار العقل بنور الإسلام، ورفع عنه غشاوة الكفر، وجب الكف عنهم، ولا حاجة حينئذ للقتال، لقوله تعالى: ﴿ وَقَائِلُوهُمْ حَتَّى لَاتَكُونَ فِتَنَدُ لَهُ الأَنفال: ٣٩].

_

⁽٩٠) الصائل هو: القاصد الوثوب على إنسان لقتله، أو أخذ ماله، بغير حق. انظر: المطلع (١٧٥).

⁽٩١) المحارب هو: كل ملتزم مكلف أخذ المال بقوة في البعد عن الغوث والنصرة.انظر: الموسوعة الكويتية (١٧/١٥٥).

⁽۹۲) انظر: مجموع الفتاوي (۲۸/۳۵۷).

⁽٩٣) الزمن هو: مرض يدوم زماناً طويلاً. انظر: المصباح المنير (٢٥٦/١).

⁽٩٤) انظر: مجموع الفتاوي (٣٥٤/٢٨).

ولهذا فإن الجهاد بالسيف لا يكون إلا بعد إقامة الحجة والبرهان، وبهذا بُعثت الرسل عليهم السلام، قال تعالى: ﴿ لَقَدُ أَرْسَلْنَا رُسُلْنَا بِٱلْبِيِّنَتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِنْبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسُ شَدِيدُ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَصُرُهُ، وَرُسُلَهُ بِٱلْغَيْبُ إِنَّ ٱللّهَ قَوِئُ عَزِيزٌ ﴾ [الحديد].

قال ابن كثير: « وجعلنا الحديد رادعاً لمن أبى الحق وعانده بعد قيام الحجة عليه، ولهذا أقام رسول الله ه المحقة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة توحى إليه السور المكية وكلها جدال مع المشركين، وبيان وإيضاح للتوحيد وتبيان ودلائل، فلما قامت الحجة على من خالف شرع الله المجرة وأمرهم، بالقتال بالسيوف وضرب الرقاب والهام لمن خالف القرآن وكذب به وعانده » (٥٠).

ولما كانت الدعوة الإسلامية قد لا تصل إلى بعض الشعوب إلا بالجهاد والقتال، وذلك بسبب الاستعباد الحاصل لتلك الشعوب على حد قول فرعون (مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى) [غافر: ٢٩]، أو بسبب التشويه الإعلامي المتعمد للإسلام وأهله، أو بسبب محاولة إخفاءه عن تلك الشعوب، وهو ما يسمى بالتكتيم الإعلامي (٢٩)، لهذا ولغيره كان للجهاد أثر بارز في إيصال رسالة الإسلام إلى تلك الشعوب المغلوب على أمرها.

ويمكن أن يضاف إلى أثر الجهاد، في حفظ العقل واحترامه وعدم تجاهله، عدم قتال المنافقين (٩٧) وجهادهم بالسيف، حتى لا يقال أن الإسلام يقتل أهله، مما قد ينفر الناس عنه.

وأخيراً فإن في إعلاء كلمة الله، وإقامة شرائعه بالجهاد أثراً في إقامة الحدود ومنها حد الشارب للخمر، المنتهك لهذا الحق - العقل - والمُتعدى عليه.

لما كان في الجهاد والقتال إزهاق للأنفس، كان من حكمة الشارع الحكيم إباحة التعدد في الزواج بـ ﴿ مَثَّنَىٰ وَرُبُّعَ ﴾ [النساء: ٣]، وذلك لتكثير النسل وسد ما قد يصيب الأمة من نقص في أفرادها بسبب القتال.

ورغم أن الشارع الحكيم قد حض على الزواج وتكثير النسل (٩٨)، إلا أننا نرى عزوفاً من بين أفراد الأمة عن التعدد في الزواج، ولعل ذلك له أسبابه الشرعية (٩٩) والتي من أهمها مطلب العدل والمساواة ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا أَن

(٩٦) رأينا كيف تساءلت أعداد كبيرة من أفراد تلك الشعوب عن الإسلام الحق بعد الأحداث المعاصرة، كحدث الاستهزاء بالرسول الكريم # بالرسوم الكاريكاتيرية الدنمركية وغيرها، مما جعل تلك الشعوب تتساءل عن سر غضب هذه الأمة عن هذا الرجل الكريم #، وبدأ السؤال عن الدين الإسلامي، حتى سمعنا بنفاد جميع المطبوعات التي تتحدث عن الإسلام.

⁽٩٥) انظر: تفسير القرآن العظيم (٥٣/٨).

⁽٩٧) المنافق هو: الذي يضمر الكفر اعتقاداً، ويظهر الإيمان قولاً. انظر: التعريفات (٢٣٥).

⁽٩٨) من ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: (تزوجوا الولود الودود فإني مكاثر بكم الأمم) أخرجه أبو داود (١٧٥٤)، والنسائي (٣١٧٥).

⁽٩٩) كما أن له أسبابه الاجتماعية ، من غلاء في المهور ، وتكلف في إقامة حفلات الزواج ، وشدة وغلاء في المعيشة.

تَعَدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِسَاءَ، وَلَوْ حَرَصْتُم ﴾ [النساء: ١٢٩]، ولذلك فإن الشارع أباح لأفراد الأمة النكاح والتسري بسبي القتال من النساء، وذلك لحفظ أعراض المسلمين الذكور وتكثير نسلهم، ومن المعلوم أن العدل في المبيت والمساواة في النفقة لا يشترطان في الإماء، كما أنه لا يشترط للمسلم والمقاتل أن يقف عند عدد معين من الإماء، مما قد يُمكّن الراغب في تكثير نسله أن يجد بغيته.

هذا بالإضافة إلى أن أطفال المشركين من السبي يكونون بمنزلة أبناء المسلمين، وفي خدمتهم بل قد ينفع الله بهم الإسلام والمسلمين ما لا ينتفع به من الأحرار، والتاريخ شاهد على ذلك(١٠٠٠).

أثر الجهاد في حفظ المال من حيث الوجود، يظهر ذلك في أول غزواته عليه الصلاة والسلام، وهي غزوة بدر (١٠١١) عندما خرج عليه الصلاة والسلام وأصحابه لاعتراض عير قريش، المحملة بالبضائع.

يقول ابن تيمية: « فإن الأصل أن الله تعالى، إنما خلق الخلق لعبادته. فالكافرون به أباح أنفسهم التي لم يعبدوه بها، وأموالهم التي لم يستعينوا بها على عبادته لعباده المؤمنين الذين يعبدونه، وأفاء إليهم ما يستحقونه، كما يعاد على الرجل ما غصب من ميراثه، وإن لم يكن قبضه قبل ذلك » (١٠٢).

ومما يدل على أثر الجهاد في حفظ المال من حيث الوجود، ما قد يصل إلى المقاتلة أو بيت المال من الجزية، والغنائم، والفيء، وكذا سلب القتيل (١٠٢)، يقول (من قتل فتيلاً له عليه بينة فله سلبه) (١٠٤).

وهنا أمر مهم في هذا الجانب - حفظ المال من جانب الوجود - يحسن التنبيه إليه وهو أننا نسمع في عصرنا الحديث دولاً تقيم جهاداً في سبيل الشيطان من أجل ترويج سلاحها بصفقات مالية كبيرة، استغلالاً لحاجة تلك الدول المتناحرة، مما يفقد ميزانية تلك الدول أموالاً طائلة، تذهب في أيدي أعدائها، كما سمعنا كيف قامت بسبب هذه الحروب المشؤومة شركات متخصصة لصنع الأسلحة القتالية المتنوعة.

⁽١٠٠)يشهد على ذلك دولة المماليك، وأثرها في الدفاع عن الإسلام، وما حوته من قادة، كالظاهر بيبرس، والمظفر قطز، والذي تمكن بعد فضل الله عليه وعلى الأمة الإسلامية، من صد المد التتري على ديار المسلمين في معركة عين جالوت.

⁽١٠١)اعتراض النبي ﷺ لعير قريش لمحاولة الاستيلاء عليها بالإضافة إلى أن المسلمين كانوا في حالة حرب مع كفار قريش، كان هناك سبب آخر وهو أن قريشاً قد اعتدت على أموال المسلمين كما آذتهم في دينهم، وأهليهم، وديارهم.

⁽۱۰۲)انظر: مجموع الفتاوي (۲۸/ ۲۷٦).

⁽١٠٣)السلب هو: ما يأخذه أحد القِرنين في الحرب من قِرْنه، مما يكون عليه ومعه من سلاح وثياب ودابة وغيرها. انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٣٨٧/٢)، المصباح المنير للفيومي (٢٨٤/١).

⁽١٠٤) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب قوله تعالى (وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ) برقم (٣٩٧٨)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب استحقاق القاتل سلب القتيل، برقم (٣٢٩٥).

والسؤال هنا: ألا يمكن أن يقوم سوق للسلاح في الدول الإسلامية، يحفظون فيه أموالهم، وقبل ذلك كرامتهم، بل ويكون رافداً من روافد المال كأي سلعة تجارية ؟!.

أما أثر الجهاد في حفظ المال من جانب العدم فيظهر من خلال الدفاع عن أراضي المسلمين وأموالهم ومقدراتهم من أن يتسلط أو يطمع بها العدو، ويدل على ذلك قوله عليه الصلاة والسلام (يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: أو من قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غُثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن، فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟قال: حب الدنيا وكراهية الموت) (١٠٠٥).

ولذلك لما ترك المسلمون هذا الأمر، في هذا الزمن، رأينا كيف طمعت الدول الكبرى والصغرى بخيرات البلاد لاسيما البترول منها.

إن الدفاع عن المال مشروع في الإسلام، حتى ولو كان الصائل عليه مسلماً يريد أخذه بغير حق، وقد اعتبر الشارع الحكيم موت الإنسان في سبيل الدفاع عنه شهادة (من قتل دون ماله فهو شهيد) (١٠٦)، وشرع لنا الدفاع عنه بجهاد المحاربين القاطعين للطريق، الناهبين للأموال، فكيف إن كان الصائل أو المحارب كافراً.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَّوُا الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ, وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا أَوْ يُصَلَّبُوٓا أَوْ تُقَطَّعَ أَن يُقَتَّلُوٓا أَوْ يُصَلَّبُوٓا أَوْ تُقَطَّعَ أَنْ اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [المائدة: ٣٣].

•

إن من طرق الكشف عن المقاصد، طريق النص الشرعي (۱۰۷۰)، وهو أهمها، حيث إنه ناطق عن إرادة الشارع وقصده، وإن استطعنا أن نعرف مقصد الشارع من خلال منطوق خطابه فتلك الغاية، ويمكن تلمس وبيان مقاصد الجهاد على جهة التفصيل، والتي دل عليها منطوق الشارع فيما يلي (۱۰۸۰):

(١٠٦)أخرجه البخاري في كتاب المظالم، باب من قاتل دون ماله، برقم (٢٣٠٠).ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من قصد أخذ مال غيره بغير حق كان مهدر الدم، برقم (٢٠٢).

⁽۱۰۵)سبق تخریجه ص (۲۷).

⁽١٠٧) انظر: طرق الكشف عن مقاصد الشارع للدكتور نعمان جُغيم (١٦٥)، وعرف الآمدي النص في الأحكام (٢٧٧/٣) بقوله: "هو أن يذكر دليل من الكتاب أو السنة على التعليل بالوصف بلفظ موضوع له في اللغة، من غير احتياج فيه إلى نظر واستدلال ".

⁽١٠٨) انظر: أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية للدكتور على العلياني (١٧٢) وما بعدها، الجهاد في سبيل الله حقيقته وغايته للدكتور عبدالله القادري (١٥١/٢) وما بعدها.

وهو الهدف والمقصد الرئيس من مشروعية الجهاد، ويتحقق ذلك بتعبيد الناس لله وحده، وإخراجهم من عبودية العباد إلى عبودية رب العباد، وإزالة الفتنة عن الناس حتى يستمعوا إلى الحق، وذلك بإزالة الطواغيت كلها من الأرض جميعاً وإخلاء العالم من الفساد.

قال ابن تيمية: « وإذا كان أصل القتال المشروع هو الجهاد، ومقصوده هو أن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا، فمن امتنع من هذا قوتل باتفاق المسلمين » (١٠٩).

وقال ابن القيم (۱۱۰۰): « والمقصود - من الجهاد - إنما هو أن تكون كلمة الله هي العليا، ويكون الدين كله لله »(۱۱۱).

ولا يتحقق هذا المقصد إلا بإزالة الفتنة وإعدامها، وخضوع الجميع لسلطان الله.

يقول المودودي: "إن غاية الجهاد في الإسلام هو هدم بنيان النظم المناقضة لمبادئه، وإقامة حكومة مؤسسة على قواعد الإسلام في مكانها واستبدالها ".

وقد دل الكتاب والسنة على هذا المقصد العظيم، ألا وهو إعلاء كلمة الله، فمن ذلك: قوله تعالى: ﴿ وَقَائِلُوهُمْ حَتَى لَا تَكُونَ فِنْنَةُ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱننَهَوًا فَلَاعُدُونَ إِلَّا عَلَىٱلظَّالِمِينَ ﴾ البقرة: ١٩٣].

و قال تعالى: ﴿ وَقَالِنُوهُمْ حَتَىٰ لَا تَكُونَ فِتَنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُۥ لِللَّهِ فَإِنِ اَنتَهَوَّا فَإِنَ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الأنفال: ٣٩].

قال ابن جرير الطبري (۱۱۲): « فقاتلوهم حتى لا يكون شرك ولا يعبد إلا الله وحده لا شريك له فيرتفع البلاء عن عباد الله من الأرض، وهو الفتنة ويكون الدين كله لله، وحتى تكون الطاعة والعبادة كلها لله خالصة دون غيره» (۱۱۳).

⁽١٠٩) انظر: مجموع الفتاوي (٢٨/٣٥)، السياسة الشرعية (١٣١).

⁽١١٠)هو: محمد بن أبي بكر بن أيوب الزُرعي الدمشقي، أبو عبد الله شمس الدين، من كبار العلماء توفي سنة (٧٥١هـ). انظر: شذرات الذهب (١٦٨/٦)، الدرر الكامنة (٤٠٠/٣).

⁽١١١) انظر: أحكام أهل الذمة (١١٠/١).

⁽١١٢)الطبري هو: أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد الطبري، كان إمامًا في فنون كثيرة منها التفسير والحديث والفقه والتاريخ، وكان من الأئمة المجتهدين، توفي سنة (٢٢٤هـ).

انظر: وطبقات الشافعية الكبرى (١٣٥/٢)، وشذرات الذهب (٢٦٠/٢).

⁽١١٣)انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (٢٤٨/٩).

ومن السنة ما رواه أبو موسى الأشعري ١١٤٠ قال: جاء رجل إلى النبي ، فقال: الرجل يقاتل حمية ويقاتل شجاعة ويقاتل رياءً فأي ذلك في سبيل الله قال: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله) (٥١١٥).

ففيه بيان للعلة والغاية التي من أجلها شرع القتال وهي إعلاء كلمة الله.

وعن ابن عمر ﴿ أن رسول الله ﴾ قال: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله) (١١٦).

قال تعالى: ﴿ وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمُ وَلَا تَعْتَدُوٓاً إِنَ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ البقرة: ١٩٠٠. وقال تعالى: ﴿ أَلَا نُقَائِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوّا أَيْمَانَهُمْ وَهَكُمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَكَ مُوحَكُمُ أَوَّاك مَرَّةٍ ﴾ [التوبة: ١٣].

وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيكِرِهِم بِغَيْرِ حَقِّ إِلَّا أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضِ لَمُّكِّمَّتُ صَوَيِمَ وَبِيَعٌ وَصَلَوَتُ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَكَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ إِنَ اللَّهَ لَقَوِيُّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٤٠].

ومن ذلك حماية الدولة الإسلامية من شر الكفار، وهذا أمر ظاهر، ولذلك شرع الرباط وهو حراسة المسلمين على حدود الدولة المسلمة في مقابلة الأعداء (١١٧٠)، ووردت في فضله أحاديث كثيرة، منها قوله عليه الصلاة والسلام: (رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها) (١١٨).

وقال تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا نُقَائِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ٱخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَأَجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَأَجْعَل لِّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾ [النساء: ٧٥].

(١١٤)هو: الصحابي الجليل عبدالله بن قيس بن سليم، أبو موسى، من بني الأشعر، توفي سنة (٤٤هـ).

انظر: الاستيعاب (١٧٦٢/٤)، الإصابة (٢١١/٤).

⁽١١٥) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَامِنُنَا لِعِبَادِنَا ﴾ ، حديث رقم (٧٤٥٨)، ومسلم في كتاب الأمارة، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، حديث رقم (١٩٠٤).

⁽١١٦)سبق تخريجه ص (٦).

⁽١١٧)انظر: المطلع (٢١٠).

⁽١١٨) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب فضل رباط يوم في سبيل الله، برقم (٢٦٧٨).

وبيَّن المولى سبحانه وتعالى في موضع آخر عاقبة التخلف عن نصرة المستضعفين، ووصفه بأنه فساد كبير في الأرض، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُو مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَقَّى يُهَاجِرُواً وَإِنِ اَسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ الأرض، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُو مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَقَّى يُهَاجِرُواً وَإِنِ اَسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّيْنِ فَعَلَيْكُمُ وَبِينَهُم وَبِيئَنَّهُم مِيثَنَقُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ فَاللَّهُ مِينَاكُمُ وَبَيْنَهُم وَمِيثَانُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿ وَاللَّهُ مِينَاكُمُ وَلِيَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ مِن اللَّهُ وَلَيْ اللَّهُ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ مِن اللَّهُ وَلَيْ اللَّهُ مِنْ أَنْ وَلَيْهُ مِينَاكُمُ وَاللَّهُ عِلَى اللَّهُ مِينَالِهُ وَلَيْهُ مِينَاكُمُ وَاللَّهُ عِلَى اللَّهُ مُعَلِيدًا عَلَى اللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ وَلَا اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُمُ وَاللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُولُولُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُولُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُولُولُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللْعَلَى اللَّهُ عَلَى الللْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُولُولُ اللَّهُ عِلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُولُولُ اللَّهُ عَلَيْكُولُولُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُول

قال القرطبي (۱۱۹): «قوله تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا نُقَائِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ ﴾ حض على الجهاد، ويتضمن تخليص المستضعفين من أيدي الكفرة المشركين الذين يسومونهم سوء العذاب ويفتنونهم عن الدين، فأوجب تعالى الجهاد لإعلاء كلمته وإظهار دينه واستنقاذ المؤمنين الضعفاء من عباده، وإن كان في ذلك تلف النفوس وتخليص الأسارى واجب على جماعة المسلمين إما بالقتال، وإما بالأموال، وذلك أوجب لكونها دون النفوس، إذ هي أهون منها » (۱۲۰۰).

•

وذلك لأن الكفر كالسرطان بل أشد، فإذا لم يسلم الكافر أو يخضع للحكم الإسلامي فلا بد من استئصاله حتى لا يفسد المجتمع الذي يوجد فيه.

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرَّبَ ٱلرِّفَابِ حَقَّ إِذَا آثَغَنَّمُوهُمْ فَشُدُّوا ٱلْوَثَاقَ ﴾ [محمد: ٤].

وقال تعالى: ﴿ فَأَضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَغْنَاقِ وَأُضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ [الأنفال: ١٢].

وقال تعالى: ﴿ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقُّ ٱلْحَقُّ بِكَلِمَتِهِ وَيَقَطَعَ دَابِرَ ٱلْكَنْفِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٧].

وقال تعالى: ﴿ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَنفِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤١].

ورغب النبي ﴿ فِي قتال الكافرين بقوله ﴾: (لا يجتمع في النار كافر وقاتله أبداً)(١٢١).

وكان ﷺ يبعث جيوشه وسراياه لدعوة الناس وقتالهم على الإسلام، فعن ابن عمر ﴿ أَن رسول الله ﴿ قال: (أمرت أَن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله) (١٢٢).

انظر: الديباج المذهب لابن فرحون (٣١٧)، شذرات الذهب (٣٣٥/٥).

⁽١١٩)هو: محمد بن أحمد بن أبي بكر الخزرجي الأندلسي القرطبي، المالكي، أبو عبدالله، مفسر، فقيه، توفي سنة (٦٧١هـ).

⁽١٢٠) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٧٩/٥).

⁽١٢١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب من قتل كافراً ثم سدد، برقم (١٨٩١).

⁽۱۲۲)سبق تخریجه ص (٦).

وينبغي التنبيه إلى أن غاية قتال الكافرين إلى إسلامهم، وغاية جهاد أهل الكتاب إلى إسلامهم، أو إعطاء الجزية، وإلزامهم الذل والصغار.

قال تعالى: ﴿ قَائِلُواْ اَلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا يَدِينُونَ مِا حَرَّمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ, وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْخَرِينَ مِنْ اللَّذِينَ أُونُواْ اللَّهِ اللهِ اللهُ الللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ ال

فالقتل إذاً ليس مقصوداً لذاته، بل لأجل الكفر، كما صرح به النبي ﴿ فِي حديث ابن عمر ﴿ السابق.

يقول الشربيني (۱۲۳): "وأما قتل الكفار فليس بمقصود، حتى لو أمكن الهداية بإقامة الدليل بغير جهاد، كان أولى من الجهاد " (۱۲۱).

:

قال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ، عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وعن أم مالك البهزية (۱۲۰ رضي الله عنها قالت ذكر رسول الله ﷺ فتنة فقربها، قالت: قلت يا رسول الله من خير الناس فيها، قال: في ما شيته يؤدي حقها، ورجل يعبد ربه آخذ برأس فرسه يخيف العدو ويخيفونه) (۱۲۱).

•

قال تعالى: ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَضُرَّكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ اللَّهُ وَيُخْزِهِمْ وَيَضُرَّكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ اللَّهُ وَيُدُونِهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ اللَّهُ عَلَيْمُ مَن يَشَاءً وَاللَّهُ عَلِيمُ حَكِيمُ ﴾ [التوبة: ١٥].

وقال تعالى: ﴿ قَانِلُواْ اللَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ, وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْخَرِقِ مِنَ اللَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْحِتَنَبَ حَتَّى يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَغِرُونَ ﴾ [التوبة: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمْ وَأَنَ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَنْفِرِينَ ﴾ [الأنفال: ١٨].

قال ابن القيم: «ولا شيء أحب إلى الله من مراغمة وليه لعدوه وإغاظته له وقد أشار سبحانه إلى هذه العبودية في مواضع من كتابه أحدها قوله: ﴿ وَمَن يُهَاجِرُ فِي سَبِيلِ ٱللّهِ يَجِدُ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾ سمى المهاجر الذي يهاجر إلى عبادة الله مراغما يراغم به عدو الله وعدوه والله يحب من وليه مراغمة عدوه وإغاظته كما قال تعالى:

⁽١٢٣) هو: محمد بن أحمد، الخطيب الشربيني، فقيه شافعي، توفي سنة (٩٧٧هـ). انظر: شذرات الذهب (٣٨٤/٨)، الأعلام (٦/٦).

⁽۱۲۶) انظر: مغنى المحتاج للشربيني (۲۰۰۶).

⁽١٢٥) اكتفى ابن عبدالبر في الاستيعاب (١٩٥٦/٤) وابن حجر في الإصابة (٢٩٩/٨) بذكر من روى عنها، ولم يترجما لها.

⁽١٢٦) أخرجه الترمذي، باب ما جاء كيف يكون الرجل في الفتنة، برقم (٢١٧٧)، قال الترمذي: وهذا حديث حسن غريب.

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبُّ وَلَا عَمْصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَعُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفْارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا إِلَّا كُنِبَ لَهُم بِهِ عَمَلُ صَلِحُ إِنَّ اللّهَ لَا يُضِيعُ أَجَرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ وقال تعالى في مشل رسول الله ﷺ وأتباع عنه ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْعُهُ وَغَازَرَهُ وَالسَّتَعَلَظُ فَاسْتَوَىٰ عَلَى سُوقِهِ يَعْجِبُ الزَّرَاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَارَ ﴾ وأنباع عنه ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْعُهُ وَفَازَرَهُ وَالسَّتَعَلَظُ فَاسْتَوَىٰ عَلَى سُوقِهِ يَعْجِبُ الزَّرَاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَارَ ﴾ فموافقته فيها من كمال العبودية » (١٢٧).

•

قال تعالى: ﴿ ذَالِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبُّ وَلَا عَنْمَتُ قَى سَكِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَعُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْصَالِحُ فَلَا يَضِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبُّ وَلَا عَنْمَا لَهُ وَلَا يَطُونُ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَبَلًا إِلَّا كُنِبَ لَهُ مِيهِ عَمَلُ صَلِحُ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ اللَّهُ وَلَا يَنْفَقُونَ نَفَقَةً وَلَا عَنْمِلُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٠- ١٢١] صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقَطَعُونَ وَادِيًا إِلَا كُتِبَ هَمُ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ ٱخْسَنَ مَا كَانُواْيَعْ مَلُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٠- ١٢١]

وقال ابن القيم عند قوله تعالى ﴿ أَجَمَلَمُ سِقَايَةَ ٱلْحَآجَ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنَ ءَامَنَ بِاللّهِ وَٱلْيُومِ ٱلْآخِرِ وَجَنَهَدَ فِي سَبِيلِ اللّهِ لِا اللّهِ بِأَمَولِمُ اللّهَ بِأَنْ اللّهِ بِأَمَولِمُ اللّهَ بِأَمُولِمُ اللّهَ بِعَدَاللّهِ وَالْتَهِ مُم الْفَآيِرُونَ ﴿ يُكَبِينَ اللّهُ عَنَدُهُ وَضَوَنِ وَجَنَتِ لَمُّمُ فِيهَا نَعِيمُ مُقِيمً وَالنّهِ وَالنّهُ وَالنّهُ عِنْدَهُ وَالنّهِ وَالنّهِ وَالنّهِ وَالنّهُ وَالنّهِ وَالنّهُ وَالْتُولُولُولُ وَالْمُ اللّهُ وَالنّهُ وَاللّهُ وَال

وقــــال تعــــالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءٌ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّلِلِمِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٠- ١٤٢].

يقول الإمام ابن القيم في معرض تعداده للحِكم التي كانت في وقعة أحد: «ومنها أن الشهادة عنده من أعلى مراتب أوليائه، والشهداء هم خواصه والمقربون من عباده، وليس بعد درجة الصديقية إلا الشهادة، وهو سبحانه

⁽١٢٧)انظر: مدراج السالكين لابن القيم (١/٢٢٦).

⁽١٢٨) انظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم (٥٢٧).

يحب أن يتخذ من عباده شهداء، تراق دماؤهم في محبته ومرضاته، ويؤثرون رضاه ومحابَّه على نفوسهم، ولا سبيل إلى نيل هذه الدرجة إلا بتقدير الأسباب المفضية إليها من تسليط العدو... » (١٢٩).

:

قال تعالى: ﴿ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ [آل عمران: ١٤١]، إن المجاهد المسلم إذا أخلص النية لله إذا حضر المعركة فقتل الكفار نال ثواباً عظيماً، كما جاء في الحديث: (لا يجتمع كافر وقاتله في النار أبدا) (١٣٠٠)، وفضائل الجهاد في ذلك كثيرة.

:

ينضاف إلى المسلمين في حال الرخاء والسعة غيرهم ممن يطمعون في تحقيق مكاسب مادية، وهم لا يريدون رفع كلمة الله على كثير من المسلمين، ومن أكبر الكواشف لهم هو الجهاد؛ لأن في الجهاد بذلاً للمهج.

قال تعالى: ﴿ مَاكَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا ٱلنَّمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَمَاكَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمُ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَا لَيْمَ اللَّهُ لِيُطُلِعَكُمُ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَا لَيْمُ اللَّهُ وَرُسُلِهِ وَرُسُلِهِ وَرُسُلِهِ وَرُسُلِهِ وَرُسُلِهِ وَرُسُلِهِ وَلِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرُ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

قال القرطبي: « وما كان الله ليطلعكم على الغيب يا معشر المؤمنين، أي ما كان الله ليعين لكم المنافقين حتى تعرفوهم، لكن يظهر ذلك لكم بالتكليف والمحنة، وقد ظهر ذلك في يوم أحد، فإن المنافقين تخلفوا وأظهروا الشماتة، فما كنتم تعرفون هذا الغيب قبل هذا فالآن قد أطلع الله محمداً عليه السلام وصحبه على ذلك » (١٣١).

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ تَحَكَمَةٌ وَذُكِرَفِهَا ٱلْقِتَالُ ۚ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضُ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِيّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ﴾ [محمد: ٢٠].

يقول الإمام ابن القيم في معرض تعداده للحِكُم التي كانت في وقعة أحد - أيضاً - : «... ومنها أن يتميز المؤمن الصادق من المنافق الكاذب، فإن المسلمين لما أظهرهم الله على أعدائهم يوم بدر وطار لهم الصيت، دخل معهم في الإسلام ظاهراً من ليس معهم فيه باطناً، فاقتضت حكمة الله عزوجل أن سبب لعباده محنة ميزت بين المؤمن والمنافق، فأطلع المنافقون رؤوسهم في هذه الغزوة.... » (١٣٢).

(١٢٩) انظر: زاد المعاد لابن القيم (٢٢١/٣).

⁽۱۳۰)سبق تخریجه ص (۳٦).

⁽١٣١) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٨٩/٤).

⁽١٣٢) انظر: زاد المعاد لابن القيم (١٩/٣).

وبهذا يظهر أن من أهداف الجهاد في سبيل الله تصفية صف المجاهدين من عناصر الفساد التي تكون سبباً في الخذلان والخلخلة والتثبيط (١٣٣).

:

سبق ذكر شيء من ذلك في أثر الجهاد في حفظ المال، ومن ذلك إعطاء النبي القاتل سلب المقتول، وقوله لبعض أصحابه لما بلغه خبر عير قريش مع أبي سفيان (١٣٤) راجعة من الشام: (هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها) (١٣٥)، وقال أيضاً حين التعرض للعير السابقة: (اللهم إنهم عراة فاكسهم اللهم إنهم جياع فأشبعهم) قال عبدالله بن عمرو (١٣١): ففتح الله له يوم بدر فانقلبوا حين انقلبوا وما منهم رجل إلا وقد رجع بجمل أو جملين واكتسوا وشبعوا (١٣٥).

قال القرطبي: « ودل خروج النبي ليلقى العير على جواز النفير للغنيمة لأنها كسب حلال وهو يرد ما كره مالك (١٣٨) من ذلك إذ قال ذلك قتال على الدنيا، وما جاء أن من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله دون من يقاتل للغنيمة، يراد به إذا كان قصده وحده وليس للدين فيه حظ» (١٣٩).

ويدل على ذلك أيضاً - والعلم عند الله - قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآبِفَنَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَيُويدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَفِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٧].

وقصد الغنيمة هو في الحقيقة من أهداف الجهاد التابعة لا الأصلية، بل لو كان الأصل في خروج المجاهد هو المغنم، لخرج من كونه في سبيل الله، لقوله هم لما سئل الرجل يقاتل حمية ويقاتل شجاعة ويقاتل رياءً فأي ذلك في سبيل الله قال: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله)(١٤٠٠).

⁽١٣٣) انظر: الجهاد في سبيل الله للدكتور عبدالله القادري (١٧٥/٢).

⁽١٣٤)هو: الصحابي الجليل صخر بن حرب بن أمية بن عبدشمس بن عبدمناف، كان من سادات قريش، توفي سنة (٣٦هـ). انظر: الاستيعاب (١٦٧٧/٤)، الإصابة (٤١٢/٣).

⁽١٣٥) لم أقف عليه في كتب الحديث، ساقه ابن جرير الطبري بإسناده في تفسيره (١٨٥/٩)، وكذا ابن كثير (٢٨٩/٢) من طريق ابن اسحاق.

⁽١٣٦)هو: الصحابي الجليل عبدالله بن عمرو بن العاص بن وائل القرشي السهمي، من علماء الصحابة وعبادهم، توفي سنة (١٣٦هـ) وقيل (١٧هـ). انظر: الاستيعاب (٩٥٦/٣)، الإصابة (٢٥١/٢).

⁽١٣٧) أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب في نفل السرية تخرج من العسكر، برقم (٢٧٤٧).

⁽١٣٨)هو: الإمام مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري، إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة، توفي سنة (١٧٩هـ).انظر: الديباج المذهب (١٧)، الأعلام (٢٥٧/٥).

⁽١٣٩) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠٨/٨).

⁽۱٤٠) سبق تخریجه ص (۳٤).

ولما كانت المقاصد الشرعية من فرض الجهاد بنوعيه - جهاد الدفع وجهاد الطلب- ماسبق ذكره، فإن القتال لا ينتهى، ولا يتوقف إلا إذا تحققت (أحد أمور ثلاثة:

: قبول الكفار الدخول في الإسلام، وذلك بإعلانهم قبول العقيدة الربانية التي جاء بها الإسلام، وقبول الدخول في عبودية الله وحده، ثم التزامهم بشرائع الإسلام المتعلقة بالدين والدنيا.

: قبول الكفار الدخول تحت حكم الإسلام، والتخلي عن حكم الطاغوت، وعنوان هذا دخولهم في ذمة المسلمين وعهدهم، والتزامهم بأحكام الإسلام الدنيوية، وانصرافهم عن أحكام الكفر، والصد عن سبيل الله تعالى.

: انتصار المسلمين عليهم، وفتح بلادهم، وإجبارهم على الخضوع لأحكام الإسلام الدنيوية قسراً وجبراً، وإلزامهم بعدم التصدي لدعوة الله.

والأمر الأول ظاهر في انتهاء القتال بسببه. والأمران الثاني والثالث ينتهي عندهما القتال، لتحقق هدف الدعوة في القضاء على ظلم الطواغيت، وإزالة العقبات من وجه الدعاة، وينشر العدل بين خلق الله بتطبيق أحكام الإسلام عليهم، وإتاحة الفرصة الحقيقية لهم للنظر في أحقية الإسلام، وصدق مبادئه وأحكامه.

فهذه أسباب ثلاثة، إذا تحقق أحدها في قوم من الكفار، وجب كف القتال عنهم. وهناك أسباب واقعية تؤدي إلى كف الفتال بصورة مؤقتة عن بعض الأقوام الكافرة، وهي لا تدخل فيما تقدم ذكره من الأسباب ولكنها في الواقع أساليب عسكرية تفرضها ظروف واقعية مؤقتة، ولا تستوجب كفا دائما عن القتال، وذلك كتأجيل قتال قوم للتفرغ لقوم آخرين أشد خطراً، أو بسبب ضعف المسلمين، وصيرورتهم إلى مرحلة من المراحل لا يتيسر فيها مبادئة الكفار بالقتال، وإن وجب عليهم الدفاع عن أنفسهم وبلادهم، أو بسبب هزيمة المسلمين في إحدى المعارك، فيتوقف القتال إلى أن يستدركوا ما فاتهم من الاستعداد المادي والمعنوي.

فهذه وأمثالها أسباب واقعية ومؤقتة بظروف خاصة ، إذا زالت عاد أصل الحكم في وجوب مقاتلة الكفار ، واستمرار ذلك حتى تتحقق أهداف دعوة الإسلام. وحكم الكف المؤقت للقتال بسبب هذه الظروف يختلف باختلاف مصلحة المسلمين العامة ، التي يقدرها ولي الأمر المسلم ، فقد يكون واجباً عندما يغلب على الظن هلاك المسلمين بسبب مواصلة الفتال ، وقد يكون دون ذلك "(١٤١).

ولإجمال ما سبق يمكن القول بإن المقصد الأعم والأهم - كما سبق- هو إعلاء كلمة الله، وذلك بإقامة الدين، وحصول الهيمنة العامة على الأرض للإسلام وأهله، ويتمثل ذلك في أمرين اثنين:

الأمر الأول: نشر الإسلام في أقطار المعمورة، وقتال كل من يقف في طريق ذلك.

⁽١٤١) انظر: انتهاء القتال بدخول العدو في الإسلام، للدكتور محمد نعيم ياسين - مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الكويت، العدد: الثاني، ص (٢٢٠- ٢٢١).

الثاني: حماية الدولة الإسلامية، بالدفاع عنها، إذا ما تعرضت للخطر.

وبهذا يظهر سمو مقصد الجهاد وترفعه عن الأهداف المادية، أو المعنوية، التي لا تليق بالإنسان كخليفة لله على أرضه، وبين خلقه.

يقول سيد قطب: (فالإسلام لا يعرف قتالاً إلا في هذا السبيل - سبيل الله - لا يعرف القتال للغنيمة، ولا يعرف القتال للسيطرة، ولا يعرف القتال للمجد الشخصي والقومي، إنه لا يقاتل للاستيلاء على الأرض، ولا للاستيلاء على السكان، ولا يقاتل ليجد الخامات للصناعات، والأسواق للمنتجات، أو لرؤوس الأموال يستثمرها في المستعمرات، وشبه المستعمرات، إنه لا يقاتل لمجد شخصي، ولا لمجد بيت، ولا لمجد طبقة، ولا لمجد دولة، ولا لمجد أمة، ولا لمجد جنس، إنما يقاتل في سبيل الله لإعلاء كلمة الله في الأرض، ولتمكين منهجه في تصريف الحياة، ولتمتيع البشرية بخيرات هذا المنهج...) (١٤٢٠).

وأخيراً تجدر الإشارة إلى أن: "المقصد الشرعي من وضع الشريعة إخراج المكلف عن داعية هواه حتى يكون عبداً لله اختياراً كما هو عبد لله اضطراراً "(١٤٣٠)، وهذا الأمر يظهر جلياً فيمن قام بهذه الشعيرة المباركة ؛ بجهاده في سبيل الله يكون قد خرج عن داعي هواه، إلى داعي الشرع، وذلك لأن النفس جبلت على حب الراحة والسلامة، كما قال تعالى: ﴿ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾ [الأنفال: ٧]، والله أعلم.

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، بعد:

ففي نهاية البحث يمكننا القطع بأن الجهاد في الشريعة الإسلامية بهدفه السامي وهو إعلاء كلمة الله قد ترفع بهدفه بآدمية الإنسان إلى المستوى اللائق، فحفظ لمن دخل تحت لوائه دينه ونفسه وعقله ونسله وماله، فهو بهذا يكون أحد وسائل حفظ تلك الضرورات إن قلنا بأن الضرورات محصورة فيها أو هو أحد تلك الضروريات التي يجب المحافظة عليها ولا بد منها لقيام مصالح الدين والدنيا

بحيث إذا فقد ولم يُقْم لواؤه لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد وتهارج وفوت حياة، وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم، والرجوع بالخسران المبين.

وعلى القول بأنه وسيلة ، فالوسيلة لها حكم الغاية ، وإذا فهم المعنى والقصد فلا مشاحة في الاصطلاح ، ولا ضرر حينئذ في اختلاف العبارة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

⁽١٤٢)انظر: في ظلال القرآن لسيد قطب (٧٠٧/٥).

⁽١٤٣) انظر: الموافقات للشاطبي (١٦٨/٢).

- [1] الإتقان في علوم القرآن: لجلال الدين السيوطي، توزيع دار الفكر، بيروت، لبنان.
 - [7] آثار الحرب في الفقه الإسلامي: للدكتور وهبة الزحيلي، المكتبة الحديثة، (ط٢).
- [٣] الاجتهاد المقاصدي حجيته ضوابطه مجالاته: للدكتور نور الدين بن مختار الخادمي، كتاب الأمة، ط١، عدد (٦٦)، قطر، ١٩٩٨م.
- [٤] الإحكام في أصول الأحكام: للإمام علي بن محمد الآمدي، تحقيق: د/ سيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤١٨هـ.
 - [0] الإرهاب التشخيص والحلول: للدكتور عبدالله بن الشيخ المحفوظ بن بيه، العبيكان، (ط١١٤٢٨هـ.
- [7] الاستيعاب في معرفة الأصحاب: لأبي عمر يوسف بن عبدالبر، تحقيق: على محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.
 - [٧] الإصابة في تمييز الصحابة: للحافظ ابن حجر، دار صادر.
 - [٨] الأعلام: خير الدين الزِّركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٦.
 - [٩] أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية: الدكتور علي بن نفيع العلياني، دار طيبة، ط٢٤١٤، ٤هـ
- [١٠] بدائع الصنائع في توتيب الشرائع: لعلاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني، دار الكتاب العربي بيروت، (ط٢)٢٠٢هـ.
- [١١] بداية المجتهد ونهاية المقتصد: لمحمد بن أحمد بن رشد القرطبي، المكتب الثقافي السعودي بالمغرب، تنفيذ مكتبة المعارف للنشر، ١٤٩هـ.
 - [١٢] البرهان في علوم القرآن: لبدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط [٣]، ١٤٠٠هـ.
 - [١٣] البناية في شرح الهداية: لأبي محمد محمود العيني، دار الفكر، (ط١٤٠٠هـ.
 - [12] تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): للشيخ محمد رشيد رضا، مطبعة المنار بمصر، (ط١)١٣٢٥هـ.
 - [١٥] تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ.
 - [١٦] التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: الدكتور وهبة الزحيلي، دار الفكر دمشق، ط[١١ ١٤١هـ.
- [۱۷] تيسير الكريم الرحمن: للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤٠٤هـ.
 - [١٨] جامع البيان عن تأويل آي القرآن: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- [١٩] الجامع الصحيح (صحيح الإمام البخاري): للإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، القاهرة، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ.

- [٢٠] الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي، دار الشعب، القاهرة، ط[١]، تحقيق أحمد عبدالعليم البردوني.
 - [٢١] الجهاد في سبيل الله حقيقته وغايته: للدكتور عبدالله بن أحمد القادري، دار المنارة، جدة، ط١،٥٠٥هـ.
 - [٢٢] الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية: لأبي الحسنات محمد بن عبدالحي اللكنوي، دار المعرفة للطباعة، بيروت.
- [٢٣] الحرب في الشريعة الإسلامية والقانون الدولي العام: رسالة دكتوراة، (غير منشورة) جامعة أم القرى، إعداد /عبدالله بن صالح العلى.
 - [٢٤] الخرشي على مختصر سيدي خليل مع حاشية العدوي: دار صادر، بيروت.
 - [70] الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الجيل، بيروت.
- [٢٦] الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب: برهان الدين إبراهيم بن علي المعروف بابن فرحون، تحقيق: د/ محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، ١٣٩٤هـ.
- [۲۷] روضة الطالبين: للإمام زكريا بن يحي النووي، تحقيق الشيخ عادل عبدالموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت، (ط١٤١٢هـ.
 - [٢٨] زاد المسير في علم التفسير: لأبي الفرج عبدالرحمن الجوزي، المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠٤هـ.
- [٢٩] زاد المعاد في هدي خير العباد: للإمام ابن القيم الجوزية، تحقيق شعيب وعبد القادر الأرنأوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ.
 - [٣٠] سلسلة الأحاديث الصحيحة: للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط٤، ١٤٠٥هـ.
- [٣١] سنن ابن ماجه: للحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث الإسلامي، ١٣٩٥هـ.
 - [٣٢] سنن أبي داود: للإمام أبي داود سليمان الأشعث، دار الفكر، تحقيق محمد محى الدين عبدالحميد.
- [٣٣] سنن الترمذي (الجامع الصحيح): لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، المكتبة التجارية، مكة.
 - [٣٤] سنن النسائي (المجتبي): أحمد بن شعيب النسائي، مكتبة مطبوعات الإسلامية، حلب، ط٢،٦٠٦هـ.
- [٣٥] السياسة الشرعية أو نظام الدولة الإسلامية في الشؤون الدستورية والخارجية والمالية: للشيخ عبدالوهاب خلاف، دار الأنصار بالقاهرة، مطبعة التقدم بالقاهرة ١٣٩٧هـ.
 - [٣٦] سيرأعلام النبلاء: محمد بن أحمد الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٤، ١٤٠٦هـ.
 - [٣٧] شذرات الذهب في أخبار من ذهب: لأبي الفلاح عبدالحي بن العماد، مكتبة القدسي.

- [٣٨] شرح الكوكب المنير: للشيخ محمد بن أحمد الفتوحي المعروف بابن النجار، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٣هـ.
- [٣٩] شرح فتح القدير للعاجز الفقير: لكمال الدين محمد بن عبدالواحد، المعروف بابن الهمام، دار إحياء التراث العربي بيروت.
- [٤٠] الشرح الممتع على زاد المستقنع: للشيخ محمد الصالح العثيمين، باعتناء د. سليمان أبالخيل، و د.خالد المشيقح، مؤسسة آسام للنشر، الرياض، ط١٤١٧هـ.
- [13] الصارم المسلول على شاتم الرسول، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، دار الكتب العربية، ١٣٩٨ هـ.
 - [٤٢] صحيح البخاري: محمد بن أسماعيل البخاري، دار ابن كثير، بيروت، ط٣، ١٤١٧هـ.
 - [٤٣] صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج النيسابوري، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
 - [٤٤] طرق الكشف عن مقاصد الشارع: للدكتور نعمان جُغيم، دار النفائس الأردن، ط١، ١٤٢٢هـ.
- [80] طريق الهجرتين وباب السعادتين: للإمام ابن القيم الجوزية، تحقيق عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، ط٢، ١٤١٤هـ.
 - [3] العلاقات الدولية في الإسلام: للأستاذ محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي.
 - [٤٧] فقه السنة: للسيد سابق، دار الكتاب العربي، بيروت (ط٣)١٣٩٧هـ.
- [٤٨] فقه السيرة النبوية: للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكرالمعاصر ببيروت، ودار الفكر بدمشق، الإعادة (٢٥) ١٤٢٦هـ/٢٠٥م، للطبعة (١١) ١٩٩١م.
- [٤٩] الفوائد المضيئة في طبقات الحنفية: لحي الدين ابن أبي الوفاء، تحقيق د.عبدالفتاح الحلو، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٩٨هـ.
 - [٥٠] في ظلال القرآن: لسيد قطب، دار الشروق، بيروت، ١٣٩٣هـ.
 - [01] كشاف القناع على متن الإقناع للحجاوي: لمنصور بن يونس البهوتي، دار إحياء التراث العربي بيروت، (ط١)٢٠٠هـ.
- [07] لسان العرب، لابن منظور جمال الدين بن محمد بن مكرم الأنصاري، طبعة مصورة عن طبعة بولاق، بإشراف الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- [٥٣] مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية: جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم، مطبوع بإشراف الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين.
- [02] مجموع فتاوى ومقالات متنوعة: لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، جمع وترتيب د.محمد بن سعد الشويعر، رئاسة إدارة البحوث العلمية والافتاء بالرياض، (ط٤)١٤٢٣هـ.

- [00] المحرر الوجيز: لابن عطية الأندلسي، نشر رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر، (ط١١٤٠١هـ.
 - [07] المحصول في علم الأصول: للرازي، تحقيق: د/طه العلواني، مؤسسة الرسالة، (ط٢)، ١٤١٢هـ.
 - [٥٧] المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: الأحمد بن محمد الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت.
- [٥٨] المصنف في الأحاديث والآثار: للحافظ عبدالله بن محمد بن أبي شيبة، تحقيق: سعيد اللحام، دار الفكر، ط١، ١٤٠٩هـ.
- [09] المطلع على أبواب المقنع: لمحمد بن أبي الفتح البعلي، المكتب الإسلامي، بيروت، تحقيق محمد السيد الأدلبي، ١٤٠١هـ.
 - [٦٠] معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية: للدكتور محمود عبدالمنعم محمود، دار الفضيلة، القاهرة.
 - [71] المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بمصر، مكتبة الشروق الدولية، (ط٤).
- [٦٢] المغني: لموفق الدين ابن قدامة المقدسي، تحقيق دعبدالله التركي، ود. عبدالفتاح الحلو، مطبعة هجر بمصر، (ط١)١٤١٠هـ.
 - [٦٣] مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج: محمد الخطيب الشربيني، طبع ببيروت بإشراف شركة سابي سنة ١٣٧٤هـ.
- [٦٤] مقاصد الشريعة الإسلامية: للإمام محمد الطاهر بن عاشور، تحقيق محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس الأردن، طارية الإسلامية الإمام محمد الطاهر بن عاشور، تحقيق محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس الأردن،
 - [70] مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها: لعلَّال الفاسي، دار الغرب الإسلامي، ط٥، ١٩٩٣م.
 - [77] مقاصد الشريعة عند ابن تيمية: للدكتور يوسف بن أحمد البدوي، دار النفائس، ط١، ١٤٢١هـ.
 - [٦٧] المقاصد العامة للشريعة الإسلامية: للدكتور يوسف حامد العالم، دار الحديث، القاهرة، ط٣، ١٤١٧هـ.
 - [7٨] الموافقات: للشاطبي، نشر دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.
 - [79] مواهب الجليل: محمد بن عبدالرحمن المغربي، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ.
 - [٧٠] الموسوعة الفقهية: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط٧٢٧، ٤هـ.
- [V1] الوصف المناسب لشرع الحكم: للدكتور أحمد بن محمود عبدالوهاب الشنقيطي، المجلس العلمي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤١٥هـ.
- [V۲] وفيات الأعيان وأبناء الزمان: لأبي العباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق: د/ إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

The Goals of Share'ah in the Legislation of Jihad

Abdul Rahman Ali Al Hattab

Assistant Professor, Faculty of Share'ah Islamic University, Madinah Munawwarah

(Received 1/4/1429H; accepted for publication 27/10/1429H)

Abstract. Allah be praised and may peace be upon his messenger Prophet Mohammad, his family and companions;

Goals of Share'ah are the meanings that the lawmaker wanted to achieve through its legislating. All the statutes of Islam are based upon getting benefit for worshippers of Allah as well as averting lesions, sooner or later. Accordingly all the values of Share'ah are enacted for their benefit. However, Jehad is one of these values. This research revealed the definition, legal evidences, meanings and intents of Share'ah's goals through particular evidences which are ways for clarifying those goals or through divisions known by specialists of Share'ah.

Based on this research, the highest purpose of Jehad which is raising the word of Allah may promote human to his deserved position. Consequently, its utmost goal is to preserve faith, self, intellect, progeny and fortune. Thus, Jehad is one of the essentials objectives that should be preserved and that is a necessity for faith and life.

Hence, if Jehad has been lost or was not risen up, welfare of people would not be accomplished integrality. Instead, it would be decayed besides losing bliss and salvation in the present life and getting loss in the hereafter.

Guidelines for Authors

a) Conditions:

- 1. The paper must be innovative, scientific, well typed and in good style.
- 2. The paper must not be previously published, or sent to another press.
- 3. All received papers are to be refereed.

b) Instructions:

- 1. The author must provide a request to publish his paper.
- 2. The author must provide five hardcopies of his paper (the original plus four copies) in Arabic. The paper must be typed using Microsoft Word on an IBM compatible PC. The paper must be printed on single faced A4 papers, leaving 3 cm for each margin. The pages of the paper should be sequentially numbered, along with numbering figures and tables (if available). The author must also provide an electronic copy of his paper. In addition, the author must provide an Arabic and an English abstract for his paper, each of which not exceeding 200 words.
- 3. The font type used for typing is Traditional Arabic, with the size of 20 pt for headings, 18 pt for the main text and 14 pt for footnotes.
- 4. The paper must not exceed 60 pages.
- 5. The paper must include the title of the paper, the author's name, his address, his title and his affiliation.
- 6. Book references are to be cited in one of the two following ways:
 - a. The reference is cited in the main text, where the author mentions the abbreviation, followed by the part and page number, then the Hadith number.
 - Example: Narrated by Al-Bukhari in the Correct (1/88H 166) or Al-Nawawi Said in the Collection 8/29: "...."
 - b. The reference is cited in a footnote. Example: Ibn Qudama Said "...."⁽¹⁾
- 7. Paper references are to be cited in a footnote, where the author mentions the title of the paper and the title of the journal.
 - Example: The author mentioned in his Paper that he did'nt Stop at any one Saying this "...." (2)
- 8. Footnotes must be mentioned in their respective pages.
- 9. In the reference list, the book citations should start with author's full name, followed by the title of his work/book, his year of death, the publisher and year of publication. The same with journal citations, in which they should start with the title of the paper, its author, the title of the journal and its volume.
- 10. When mentioning names of Arab or Islamic scholars, the year of death should be mentioned in Hijri (lunar) year if the scholar is deceased. As for foreign names, the names should be written in Arabic, followed by the name in English/Latin letters between brackets. The name should be fully written when first mentioned in the paper.
- 11. The paper will be returned to the author, whether or not the paper is published.
- 12. The author will be given two copies of the journal, along with 20 copies of his paper free of charge. Any more copies will be charged according to the Editorial Board.
- 13. The author must follow the corrections of the referees. In addition, the author must provide a justification for not following a certain correction by the referees.
- 14. The papers published reflect the opinions of their authors.

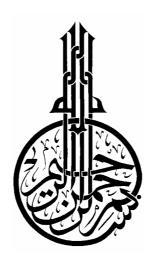
Correspondence

All correspondence and manuscripts are to be sent/delivered to: the Editor-in-Chief:

- Scientific Journal of Qassim University (Sharia Sciences)
- P.O. Box 6600, Buraydah 51452, Buraydah Kingdom of Saudi Arabia
- Tel.: 06-3220330, Ext.: 2125
 Fax and Direct Line: 06-3220358
- E-mail: mgllah@gawab.com
- Website: www.qumg.net

(1) Al-Maghni 6/322.

(2) Collaborative Iusurance – Journal of Sharia Colleg – University of Um Al-Qura, Vol. 0, No. 0.



In The Name of ALLAH, Most Gracious, Most Merciful

Volume (2)

No. (1)

Journal of Islamic Sciences

(January 2009)

(Muharram 1430H)

Qassim University Scientific Publications

(Refereed Journal)



ф

Buraydah - P. O. Box 6666 -51452

EDITORIAL BOARD

Editor-in-Chief

Prof. Abdullah M. Al-Tayyar

Professor, Department of Fiqh, Sharia College, Qassim University

Member Editors

Prof. Sulaiman I. Al-Lahim

Professor, Department of Quran Sciences, Sharia College, Qassim University

Prof. Saleh M. Al-Hasan

Professor, Department of Fiqh, Sharia College, Qassim University

Prof. Saud H. Al-Saqri

Professor, Department of Aqidah (Religion), Sharia College, Qassim University

Dr. Ibrahim A. Al-Lahim

Associate Professor, Department of Sunnah, Sharia College, Qassim University

Deposif: 1429/2028

Contents	Page
The Rights of Orphans in The Holy Quran (English Abstract) A. O. M. AL-Sehebani	50
Topic: Goals of Share'ah to Legislate the Jehad (English Abstract) Abdul Rahman Ali Al-Hattab	77
Dependence on Allah in the Light of Quran (English Abstract) S. H. Al-Saqri	111
Desistance from Declaration with the Rights in the Islamic Law (Islamic Jurisprudence) (English Abs. M. I. A. Al-Ghamdi	
Submission Verses: Explanatory Study (English Abstract) M. A. M. Al-aydi	219
Ruling Temptation to Terminate the Contract (English Abstract) M. J. M. D. Mustafa	268
The Goals of Share'ah in the Legislation of Jihad (English Abstract) Abdul Rahman Ali Al Hattab	306